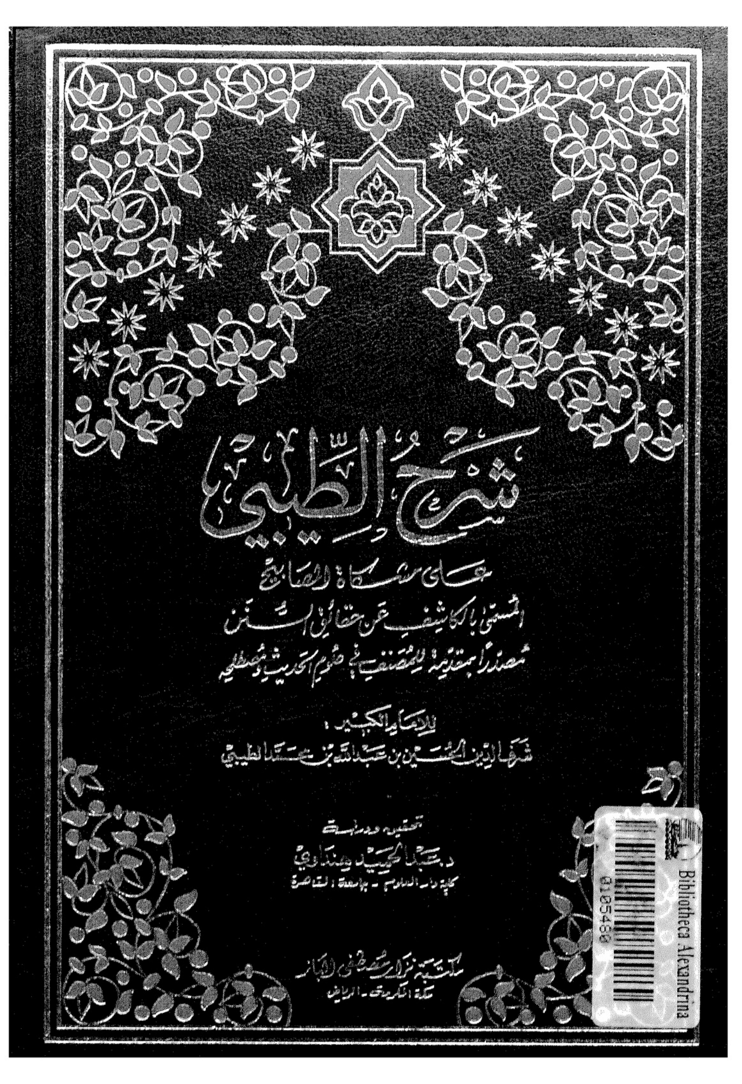
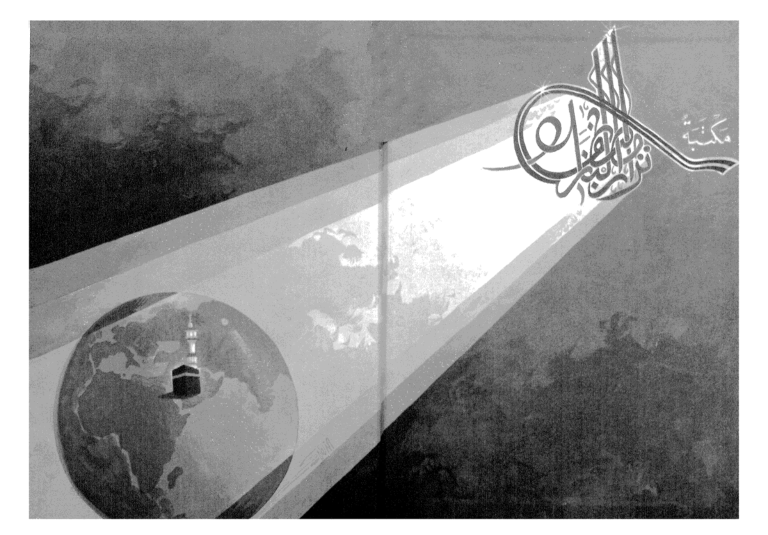
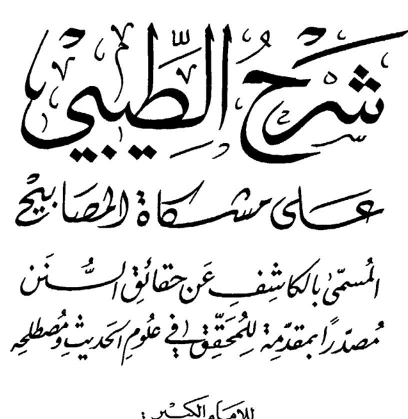

شرح الطيبي
على مشكاة المصابيح
المسمى بالكاشف عن حقائق السنن
مصدراً بمقدمة للمصنف في علوم الحديث ومصطلحه
للإمام الكبير:
شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي
تحقيق ودراسة
د. عبد الحميد هنداوي
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة
مكتبة نزار مصطفى الباز
مكة المكرمة - الرياض
Bibliotheca Alexandrina
0105460


مكتبة



شرح الطيبي

على مشكاة المصابيح

المسمّى بالكاشف عن حقائق السنن

مصدراً بمقدمة للمحقق في علوم الحديث ومصطلحه

للإمام الكبير:

شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي

توفي ٧٤٣ هـ

المجلد الثاني

إعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز

تحقيق ودراسة

د. عبد الحميد هنداوي

مكتبة نزار مصطفى الباز

مكة المكرمة - الرياض

○ الطبعة الأولى ○

□ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م □

المملكة العربية السعودية

مكة المكرمة : الشامية - المكتبة ت ٥٧٤٩٠٢٢/٥٧٤٥٠٤٤
مستودع ٥٣٧٢٣٧٤٠ ص.ب : ٣٠١٩

الرياض - شارع السويدي العام المتقاطع مع شارع
كعب بن زهير - خلف أسواق الراجحي ص.ب : ٦٦٩٣

مكتبة : ٤٢٤٠٣٥٢ مستودع : ٢٤٢١٩١١ الرمز البريدي ١١٥٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر، وتمم بالخير

[مقدمة الإمام الطيبي شارح المشكاة:] (*)

الحمد لله مشيد أركان الدين الحنيف، بقواعد آيات كتابه المبين ، ومحكم أصول أحكامه، بمحكمات بيناته الموجبة لليقين، الذي ألزم عباده بأوامره، ونواهيه؛ ليكونوا من دعاة الدين، وفصَّل لهم مجملاتها ، ببيان نبيه المبعوث إلى كافة العالمين، الذي أسمعهم الله تعالي علي لسانه الصدقِ [1] بتلاوة آياته الحقِّ [1] المستبين، وزكاهم بمتابعته عن (آصار) [2] المذنبين ، وعلمهم بمحكم سنته ما كانوا عنه من الذاهلين **﴿هو الذي بعث فى الأميِّين رسولا منهم، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾** [الجمعة : ٢] فأزال بأحاديثه الزاهرة المشهود لها بـ **﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾** [النجم : ٤] نزال [3] المبتدعين، وصحّح بصحاح حديثه سقم قلوب الغافلين، ورفع بطرق حسانه أعلام الدين، وأوضح لها سبل المحسنين، وقوّي عزائم العابدين، الذين بضعافه إرغاما[4] لذوي الآراء من الزائغين، فترى الإسناد في الروايات للعدول الثقات سببا متّصلاً إلي اللحوق بسيد المرسلين، منقطعا عن الأسباب المضلة، مرسلا إلي النجاة والفوز مع النَّاجين ، فلذلك صار المحدثون معلِّمي أمته، بعد أن كانوا متعلمين منه بشهادة **﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم، وهو العزيز الحكيم﴾** [الجمعة : ٣] . فطوبي لمن اعتصم بحبل الله المتين، واستمسك بِعُرى أحاديث عرى[5] رسول الله و **﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم﴾** [الحديد: ٢١]. اللهم فصلٍّ على حبيبك ورسولك، المبلغ

(*) العنوان من وضع المحقق

(١) (الصدق) نعت للسانه ، و(الحق) مفعول به لاسمعهم

(٢) فى المطبوع (أوصار) ولم اجد هذا الجمع فى مادة (أصر)، والجمع الموافق للسياق (آصار) المفرد منه (الإصر) : وهو الذنب والثقل.

(٣) أي أماكن نزولهم

(٤) كذا في (ط) والأوفق للسياق (الذين اعتنوا بضعافه إرغاماً لذوي. . إلخ).

(٥) كذا في (ط) والأوفق للسياق حذفها.

لآياتك إلى عبادك المؤمنين، المكمل ببلاغه دينك القويم، والمتمم به نعمك على المسلمين، وعلى آله الهادين المهديين، الممثل لهم بسفينة نوح للهالكين، وعلى أصحابه الأنجم الزاهرة الذين من اقتدى بهم. فقد اهتدى إلى صراط مستقيم، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإنه يقول الراجي إلى كرم الله اللاجيء بحرمه، الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي ـ ختم الله أعماله بالحسنى ـ لما كان من توفيق الله تعالى إياي، وحسن عنايته لديَّ، أن وفق [1] للاستسعاد بسعادة الخوض في الكشف عن قناع الكشاف، توسلا به إلى تحقيق دقائق كلام الله المجيد، الذي **﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد﴾** [فصلت: ٤٢]، ويسر بمنّه إتمامه: كان الخاطر مشغوفا بأن أشفع ذلك بإيراد بعض معاني أحاديث سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وإمام المتقين، قائد الغرِّ المحجلين، وحبيب رب العالمين، صلوات الله وسلامه عليه.

وكنت قبل قد استشرت الأخ في الدين، المساهم في اليقين، بقيّة الأولياء، قطب الصلحاء، شرف الزهاد والعباد، وليّ الدين محمد بن عبد الله الخطيب [2] ـ دامت بركته ـ بجمع أصل من الأحاديث المصطفوية، على صاحبها أفضل التحية والسلام، فاتفق رأينا على تكملة المصابيح، وتهذيبه وتشذيبه [3]، وتعيين رواته، ونسبة الأحاديث إلى الأئمة المتقنين [4]، فما قصرّ فيما أشرت إليه من جمعه، فبذل وسعه، واستفرغ طاقته فيما رمت منه [5].

فلمّا فرغ من إتمامه شمَّرت عن ساق الجدِّ في شرح معضله وحل مشكله، وتلخيص عويصه، وإبراز نكاته، ولطائفه، على ما يستدعيه غرائب اللغة والنحو، ويقتضيه علم المعاني والبيان، بعد تتبع الكتب المنسوبة إلى الأئمة ـ رضى الله عنهم، وشكر مساعيهم ـ معلما لكل مصنف بعلامة مختصة به.

---

(١) كذا في (ط) والصحيح (وفقت) كما في مقدمة محقق (ط) ص ١١.

(٢) يقصد الخطيب التبريزي صاحب المشكاة.

(٣) وقع في مقدمة محقق (ط) ص ١٢(وتشييده).

(٤) وقع في مقدمة محقق (ط) ص ١٢ (المتقنين) ولعلها أولى، وأوفق للسياق، (من) المثبت في المطبوع وهو (المتقين).

(٥) أي: طلبت

[بيان الرموز المستعملة في الكتاب]

فعلامة معالم السنن وأعلامها: «خط» [١]

وشرح السنة: «حس» [٢]

وشرح صحيح مسلم: «مح» [٣]

والفائق للزمخشري: «فا» [٤]

ومفردات الراغب: «غب» [٥]

ونهاية الجزري: «نه» [٦]

والشيخ التوربشتي: «تو» [٧]

والقاضي ناصر الدين: «قض» [٨]

والمظهر: «مظ»*

والأشرف: «شف»*

وسلكت في النقل منها، طريق الاختصار، وكان جلّ اعتمادي، وغاية اهتمامي، بشرح مسلم للإمام المتقن محيي الدين النواوي؛ لأنه كان أجمعها فوائد، وأكثرها عوائد، وأضبطها للشوارد، والأوابد. وما لا ترى عليه علامة، فأكثرها من نتائج ساغ[٩] خاطري الكليل، فإن ترى فيه خللاً فسدّه، جزاك الله خيرا.

وكثيرا ما تجد في هذا الكتاب ضبط الألفاظ التي غيَّرها في المصابيح، بعض من لا يد له في الرواية ونقل الثقات بما سنح له، من وجوه العربية سهوا منه، مبينا خطأه موجِّها صوابه بحمد الله، كاشفا لأستار أسرارها، حاويا لمقاصدها، وفوائدها.

---

(١) (معالم السنن شرح سنن أبي داود) للإمام أبي سليمان الخطابي

(٢) (شرح السنة) للإمام البغوي. (٣) (شرح صحيح مسلم) للإمام النووي.

(٤) (الفائق في غريب الحديث) الزمخشري.

(٥) (مفردات القرآن) للراغب الأصفهاني. (٦) (النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير الجزري.

(٧) هو شهاب الدين، فضل الله بن حسين التوربشتي الحنفي المتوفى في القرن السابع، وله كتاب الميسر في شرح مصابيح السنة للبغوي.

(٨) هو القاضي البيضاوي عبد الله بن عمر توفي ٦٨٥هـ وله كتاب تحفة الأبرار في شرح مصابيح السنة كذلك.

(٩) كذا في (ط) والأوفق للسياق (ساغها)

* لم أستطع تحديد المقصود بكل من (المظهر) و(الأشرف) وقد سمّى بذلك جماعة لم أستطع القطع بالمقصود منهم.

فإن نظرت بعين الإنصاف لم تر مصنَّفًا أجمع، ولا أوجز منه ولا أشدَّ تحقيقا، في بيان حقائقها، وسميته بـ:

«الكاشف عن حقائق السنن»

وإلى الله تعالـى أرغب أن يجعل سعـيي فيـه خالصـا لوجهه الكريم، وأن يـقبله، ويجعله ذخـيرة لي عنده يجزيـني بها في الدار الآخرة، فـهو العالم بمودعـات السرائر وخفيات الضمائر، عليه أتوكل وإليه أنيب.

وإذا كنا التـزمنا أن يكون شـرحنا هذا على نهج أهل هذه الصناعـة، أوجب ذلك علينا أن نصدر الكتـاب بمختصـر جامع، لمعرفة علـم الحديث، ملخصا من كـتاب ابن الصلاح وغيره، مرتبا على مقدمة، ومقاصد، وخاتمة.

[مقدمة في بيان أصول الحديث واصطلاحاته] [1]

أما المقدمة: ففي بيان أصوله واصطلاحاته.

«**المتن**»: هو ألفاظ الحديث التي تتقوم بها المعاني.

و«**الحديث**» أعم من أن يكون قول الرسول ﷺ، أو الصحابي، أو التابعين، وفعلهم وتقريرهم.

و«**السند**» إخبار من طريق المتن.

و«**الإسناد**»: هو رفع الحديث إلى قائله، وهما متقاربان في معنى اعتماد الحفاظ في صحة الحديث، وضعفه عليهما.

و«**الخبر**» كلام يفيد بنفسه نسبة شيء إلى شيء في الخارج، ونعني بالخارج: أن يكون لهذه النسبة نسبة أخرى خارجية هي حكاية عنها، فإن تطابقت فصادق، وإلا فلا، بخلاف الإنشاء، فإن المتكلم هو الذي ينشئه ابتداء.

فروع:

الأول: الخبر إما صادق قطعا كخبر الله تعالى، أو كاذب كخبر مسيلمة، أو مظنون الصدق كخبر العدل، أو الكذب كخبر الفاسق، أو مشكوك كالمجهول.

والثاني: الخبر * متواتر (و آحاد)[2].

«**فالمتواتر**»: هو ما بلغت (رواته)[3] في الكثرة مبلغا أحالت العادة تواطؤهم على الكذب، ويدوم هذا، فيكون أوله كآخره، ووسطه كطرفيه، كالقرآن، والصلوات الخمس، وأعداد الركعات ومقادير (الزَّكوَات)[4] ومن ثم لم يَحصل لنا العلم بصدق اليهود مع كثرتهم في نقلهم أن موسى عليه السلام كذّب كل ناسخ لِشريعته، لأنه وضعه الآحاد أولا، وأفشوه ثم كثر الناقلون.

---

* من هنا بداية مخطوطة دار الكتب المصرية والتي يرمز لها بالرمز (ك).

(١) كذا في (ك) من الفهرس الذي يتصدر المخطوطة، وفي (ط): (مصطلحاته) وهو من وضع مصحح (ط)..

(٢) كذا في (ك)، وفي (ط): (أو احاد).

(٣) في ط (راويه) والتصحيح من (ك).

(٤) كذا في(ك)، وفي (ط): (الزكوة) مفردة كما في رسم المصحف.

ويجب أن يكون العلم به ضروريا مستندا إلى محسوس، إذ لو أخبرونا عن حدوث العالم، أو عن صدق الأنبياء، أو عن ظن لم يحصل لنا العلم.

والعدد إما «كامل» وهو ما يورث العلم، أو «زائد» وهو ما يحصل العلم ببعضه، فالأول ليس معلوما لنا، لكنا بحصول العلم الضروري نستدل على كمال العدد لا بالعكس. (١)

وأقل ما يحصل به العلم الضروري معلوم لله تعالى؛ لأنا لا ندري متى يحصل لنا العلم بوجود مكّة عند تواتر الخبر، فإنه كان بعد خبر المائة، أو المائتين، ويعسر تجربة ذلك، وإن تكلفناه (٢) فسبيله أن نراقب أنفسنا، فإذا أخبرنا بوجود مقتول في السوق مثلا خبرا متواليا فإن قول الأول يحرّك الظن، وقول الثاني، والثالث يؤكده، وهلّم جرّا إلى أن يصير ضروريا.

قال ابن الصلاح: من سئل عن إبراز مثال لذلك في الأحاديث أعياه طلبه، وحديث «إنما الأعمال بالنيات» ليس من ذلك، وإن نقله عدد التواتر، وزيادة، لأن ذلك طرأ عليه في وسط إسناده. نعم حديث: «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» فإنه نقله من الصحابة - رضى الله عنهم - العدد الجم، قيل: هم أربعون، وقيل: هم (٣) اثنان وستون، وفيهم العشرة المبشرة، ولم يزل العدد في ازدياد على التوالي والاستمرار.

و«**الآحاد**» (٤): هو كل خبر لم ينته إلى التواتر، وهو مستفيض، وغيره.

قال ابن الجوزي: حصر الأحاديث يبعد إمكانه، غير أن جماعة بالغوا في تتبعها وحصروها(٥)، قال الإمام أحمد: صح سبعمائة (٦) ألف وكسر، وقال: قد جمعت في المسند أحاديث انتخبتها من أكثر من سبعمائة ألف وخمسين ألفا، فما اختلفتم فيه فارجعوا إليه، وما لم تجدوا فيه فليس بحجة. والمراد بهذه الأعداد الطرق لا المتون.

---

(١) تأمل هذا الكلام للإمام الطّيبي - رحمه الله - فإنه يسقط تلك الأقوال المتضاربة التي ذكروها في العدد الذي يحصل به التواتر، والسياق كذا في (ك) وفي (ط): (ولا بالعكس بإثبات الواو)

(٢) في ط(تكلفنا) بدون هاء والتصحيح من (ك).

(٣) في (ط) (وقيل: اثنان وستون)، وما أثبتناه من (ك).

(٤) في (ط): (وللآحاد) والتصحيح من (ك).

(٥) كذا في (ط)، وفي (ك): وحصورها).

(٦) في ط (سبع مائة)والتصحيح من ك.

المقاصد

اعلم أن متن الحديث نفسه لا يدخل في الاعتبار إلا نادرا، بل يكتسب [1] صفة من القوة والضعف، وبين بين، بحسب أوصاف الرواة من العدالة، والضبط، والحفظ، وخلافها، وبين ذلك، أو بحسب الإسناد من الاتصال، والانقطاع، والإرسال، والاضطراب، ونحوها. فالحديث على هذا ينقسم إلى: صحيح، وضعيف، وحسن.

هذا إذا نظر إلى المتن، وأما إذا بحث عن أوصاف الرواة أنفسها [2] فقيل: هو ثقة عدل ضابط، وغير ثقة، أو متهم، أو مجهول، أو كذوب، ونحو ذلك، فيكون البحث عن الجرح، والتعديل. وإذا نظر إلى كيفية أخذهم، وطرق تحملهم الحديث، كان البحث عن أوصاف الطالب. وإذا بحث عن أسمائهم، وأنسابهم [3]، ووفياتهم، كان البحث عن تعيينهم وتشخيص ذواتهم

فالمقاصد مرتبة على أربعة أبواب.

(١) في ط (بكسب) والتصحيح من (ك).

(٢) كذا في (ط) وفي (ك) (نفسها) بدون ألف.

(٣) في (ط): (ونسبهم) والتصحيح من (ك) إذ إنه أوفق للسياق

الباب الأول في أقسام الحديث وأنواعه

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول في الصحيح:

هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله، وسلم عن شذوذ، وعلة، يعني بالمتصل ما لم يكن مقطوعاً بأي وجه كان [١]، وبـ "نقل العدل" من لم يكن مستور العدالة، ولا مجروحاً، وبـ «الضابط» من يكون حافظاً متيقظاً، وبالسلامة عن الشذوذ ما يرويه الثقة مخالفاً لرواية الناس، وبالعلة[٢] ما فيه أسباب خفية غامضة قادحة.

وتتفاوت درجات الصحيح بحسب قوة شروطه، وأول من صنف في "الصحيح المجرد" الإمام البخاري رحمه الله [٣]، ثم مسلم رحمه الله [٤]، وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز.

وأما قول الشافعي رحمه الله[٥]: "ما أعلم شيئًا بعد كتاب الله تعالى أصح من موطأ مالك"، فقبل وجود الكتابين، ثم البخاري [أصحهما صحيحاً عند الجمهور]

وأعلى أقسام الحديث ما اتفقا عليه، ثم ما انفرد به البخاري، ثم ما انفرد به مسلم، ثم ما هو على شرطهما، وإن لم يخرجاه [٦]، ثم على شرط البخاري، ثم على شرط مسلم، ثم ما صححه غيرهما من الأئمة، فهذه سبعة أقسام.

وما حذف سنده فيهما ـ وهو كثير في تراجم البخاري، قليل جدًا في مسلم ـ فما كان منه بصيغة الجزم نحو "قال فلان" و"فعل" و"أمر" و"روى" وذكر معروفا فهو حكم بصحته وما رُوي من ذلك مجهولا، فليس حكما بصحته، ولكن إيراده في كتاب الصحيح مشعر بصحة أصله.

(١) غير مثبتة في (ط)، وتم إثباتها من (ك).

(٢) في ط (وبه) والتصحيح من (ك).

(٣، ٤) غير موجودة في (ك).

(٥) في (ك): "رضى الله عنه".

(٦) في ط (يخرجا) والتصحيح من (ك).

وأما قـول الحاكم: اختـيار البخاري ومـسلم أن لا يذكرا في كتـابيهمـا إلا ما رواه الصحابي المشهور عن رسول الله ﷺ، وله راويان ثقـتان، فأكثر، ثم يرويه عنه تابعي مشهور، وله أيضاً راويان ثقتان، فأكثر، ثم كذلك في كل درجة، ففيه بحث.

قال الشيخ مـحيي الدين النواوي: ليس ذلك من شرطهـما؛ لإخراجهـما أحاديث ليس لها إلا إسناد واحد، منها: حديث«إنما الأعمال بالنيات»، ونظائره في الصحيحين كثيرة.

قال ابن حـبان: تفـرد بحديث «إنما الأعـمال بالنيـات» أهل المدينة، وليس هو عند أهل العـراق، ولا عند أهل مكة، واليـمن، والشـام، ومـصر، رواه البـخـاري عن الحميدي عن سفيان، ورواه مسلم عن ابن المثني عن الثقفي، وأبو داود عن ابن كثير عن الثـوري، والترمـذي عن ابن المثني عن الثـقفي، والنـسائي عن ابن منصـور عن القعنبي عن مالك، وابـن ماجة عن (أبي بكر بن) [1] أبي شيبة عن يزيد بن هارون: كلهم عن يحـيى بن سعـيد القطان عن مـحمـد بن إبراهيم عن علْقـمة عن عمـر بن الخطاب رضى الله عنهم.

الفصل الثاني في حسن الترمذي:[2]

قال الترمذي: هو ما لا يكون في إسناده مـتهم، ولا يكون شاذًا، ويروى من غير وجه نحوه.

و(قال) الخطابي: ما عـرف مخرجه، واشتـهر رجاله، وعليه مدار أكـثر الحديث، فـالمنقطع ونحـوه مما لم يعـرف مـخـرجـه وكذلـك المدلس إذا لم يبين. وقـال بعض المتأخرين: هو الذي فيه ضعف قريب محتمل، ويصلح للعمل به.

و(قال) ابن الصلاح: هو قسمان:

أحدهما: ما لم يخل [3] رجال إسناده عن مستور غيـر مغفل في روايته، وقد روى مثله، أو نحوه من وجه آخر.

---

(١) ما بين القوسين ليس في (ك).

(٢) في (ك) (الفصل الثاني في الحسن).

(٣) في (ط) (تخل)

والثاني: ما اشتهر رجاله بالصدق والأمانة، وقصر عن درجة رجال الصحيح حفظًا وإتقانــاً، بحيث لا يعــد ما انفرد بــه منكراً، ولابد في القســمين من سلامــتهــما عن الشذوذ، والتعليل.

(قال) القــاضي ابن جماعــة: هو كل حديث خالٍ عن العلــل، وفي سنده المتصل مستور له به شاهد، أو مشهور قاصر عن درجة الإتقان.

أقول قــول بعض المتأخرين: هو الذي فــيه ضعف قــريب محتــمل، مبني على أن معــرفة الحَسَن موقــوفة على معــرفة الصحيح والضــعيف؛ لأن الحَسَن وسط بينهــما.

فقوله: "قريب" أي قريب مخرجه إلى الصحيح محتمل كذبه، لكون رجاله مستورين، والفرق بين جدي الصحيح والحسن أن شرائط الصحيح معتبرة في الحسن، لكن العدالة في الصحيح ينبغــي أن تكون ظاهرة، والإتقان كاملا، وليس ذلك شرطاً في الحسن، ومن ثم احــتاج إلى قيــد قولنا: أن يروى من غــير وجه مــثله، أو نحوه لينجبر به.

فالضعيف: هو الذي بعد عن الصحيح مخــرجه، واحتمل الصدق والكذب، أو لا يحتمل الصدق أصلا كالموضوع.

وإنما عــدل صاحب هذا الحــد من الوسط أي الذي يحــتمل الصــدق والكذب إلى الكذب، لأن هذا الراوي لما انحطّ حد درجته من درجــة رجال الصحيح، وارتفع عن حال من يعــد ما ينفرد به من الحــديث منكراً، وكان مــسلما لا سيــما مشــهوراً بأهل الحــديث، وجب حسن الظن بــه، وترجح أحد الجــانبين على الآخــر، وجعل قــوله صدقاً.

وإلى هذا المعنى أشار الخطابي بقوله: "واشتهــر رجاله" أي بالصدق كذا فسره ابن الصلاح.

ولو قــيل: الحسن هو مــسندٌ من قَــرُب من درجة الـثقــة، أو مرسل ثقــة، وروى كلاهمــا من غيــر وجه، وسلم عن شــذوذ، وعلة، لكان أجــمع الحدود وأضبــطها، وأبعد من التعقيد.

ونعني بـ"المسند": ما اتصل إسناده إلى منتهاه، وبـ "الثقة" من جمع بين العدالة والضبط، والتنكير في "ثقة" للشيوع، كما سيأتي بيانه في نوع المرسل، والله أعلم.

والحسن حجة كالصحيح؛ ولذلك أدرج في الصحيح. فتسمية محيي الدين في المصابيح السنن بالصحاح والحسان تساهل؛ لأن فيها الصحاح، والحسان، والضعاف.

وقول الترمذي: "حديث حسن صحيح" يريد أنه روى بإسنادين، أحدهما: يقتضي الصحة، والآخر: الحسن، أو المراد اللغوي، وهو ما تميل إليه النفس وتستحسنه، (ولا يأباه القلب)[1].

والحسن إذا روى من وجه آخر ترقى من الحسن إلى الصحيح، لقوته من الجهتين، فيعتضد أحدهما بالآخر. ونعني بالترقي، أنه ملحق في القوة بالصحيح، لا أنه عينه.

وأما الضعيف: فلكذب راويه وفسقه، لا ينجبر بتعدد طرقه، كما في حديث: «طلب العلم فريضة»، قال البيهقي: هذا حديث مشهور بين الناس، وإسناده ضعيف، وقد روى من أوجه كلها (ضعيف)[2].

الفصل الثالث في الضعيف:

هو ما لم يجتمع فيه شروط الحديث الصحيح، والحسن، وتتفاوت درجاته في الضعف، بحسب بعده من شروط الصحة، ويجوز عند العلماء التساهل في أسانيد الضعيف دون الموضوع، من غير (بيان) [3] ضعفه في المواعظ، والقصص، وفضائل الأعمال، لا في صفات الله تعالى، وأحكام الحلال والحرام.

عن ابن مندة: كان من مذهب النسائي أن يخرِّج عن كل من لم يُجمَع على تركه، وأبو داود كان يأخذ مأخذه، ويخرِّج الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره، -ويرجحه على رأي الرجال.

وعن الشعبي: ما حدثك هؤلاء عن النبي ﷺ فخذ به، وما قالوه برأيهم فألقه في الحش [4]، وقال: الرأي بمنزلة الميتة، إذا اضطررت إليها، أكلتها.

---

(١) ليست في (ك).
(٢) سقطت من (ط) وأثبتناها من (ك).
(٣) سقطت من (ط) وأثبتناها من (ك).
(٤) الحش: مكان قضاء الحاجة.

وعن الشافعي: مهما قلت من قول، أو أصلت من أصل، فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت، فالقول ما قال ﷺ: وهو قولي، وجعل يردده.

وهاهنا عدة عبارات:

منها: ما يشترك فيه الأقسام الثلاثة أعني: الصحيح، والحسن، والضعيف.

ومنها: ما يختص بالضعيف، فمن الأول "المسند"، (قال) الحاكم: هو ما اتصل سنده مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ.

والمتصل: هو ما اتصل سنده، سواء كان مرفوعاً إلى النبي ﷺ أو موقوفاً.

و"**المرفوع**": هو ما أضيف إلى النبي ﷺ خاصة، من قول، أو فعل، أو تقرير، سواء كان متصلا، أو منقطعاً.

فالمتصل قد يكون مرفوعاً، وغير مرفوع، والمرفوع قد يكون متصلا وغير متصل، والمسند متصل مرفوع.

وإذا قيل عن الصحابي: يرفعه، أو يرويه، أو ينميه، أو يبلغ به، فهو كناية عن رفعه، وقول الصحابي: أمرنا بكذا، أو نهينا عن كذا، أو من السنة كذا، أو كنا لا نرى بأسًا، ورسول الله ﷺ فينا، ونحوه. مرفوع؛ لأن الظاهر أن النبي ﷺ هو الآمر والمقرر.

و"**المعنعن**": هو ما يقال في سنده: "فلان عن فلان"، والصحيح أنه متصل إذا أمكن اللقاء مع البراءة من التدليس، وقد أودع في الصحيحين، قال ابن الصلاح: كثر في عصرنا وما قاربه استعمال "عن" في الإجازة، وإذا قيل: "فلان عن رجل عن فلان"، فالأقرب أنه منقطع ليس بمرسل.

"**المعلق**": ما حذف من مبدأ إسناده واحد فأكثر، مأخوذ من تعليق الجدار، والطلاق لاشتراكهما في قطع الاتصال، فالحذف: إما أن يكون في أول الإسناد وهو "المعلق"، أو في وسطه، وهو "المنقطع"، أو في آخره، وهو "المرسل"، والبخاري أكثر من هذا النوع في صحيحه، وليس بخارج من الصحيح؛ لكون الحدث معروفاً من جهة الثقات الذين علق عنهم، ولكونه ذكره متصلا في موضع آخر من كتابه[1].

---

(١) في الأحاديث التي علقها البخاري في صحيحه تفصيل ليس هنا محل إيراده فراجعه في هدى الساري مقدمة فتح الباري للحافظ ابن حجر الفصل الرابع ص ١٩.

"**الأفراد**" إما فرد عن جميع الرواية، أو من جهة: نحو تفرد به أهل مكة فلا يضعف، إلا أن يراد به تفرد واحد منهم.

"**المدرج**": هو ما أدرج في الحديث من كلام بعض الرواة، فيظن أنه من الحديث، أو أدرج متنان بإسنادين كرواية سعيد ابن أبي مريم «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تنافسوا» أدرج ابن أبي مريم فيه «لا تنافسوا» من متن آخر، أو عند الراوي طرف من متن واحد، بسند شيخ غير سند المتن، فيرويهما عنه بسند واحد، فيصير الإسنادان إسناداً، أو يسمع حديثاً واحدًا من جماعة مختلفين في سنده أو متنه، فيدرج روايتهم على الاتفاق، ولا يذكر الاختلاف، وتعمد كل واحد من الثلاثة حرام.

"**المشهور**": هو ما شاع عند أهل الحديث خاصة، بأن نقله رواة كثيرون، نحو: «إن رسول الله ﷺ قنت شهرًا يدعو على رعل وذكوان»، أو اشتهر عندهم، وعند غيرهم، نحو: «إنما الأعمال بالنيات»، أو عند غيرهم خاصة، قال الإمام أحمد: «للسائل حق، ولو جاء على فرس»، «ويوم نحركم يوم صومكم» يدوران في الأسواق، وليس (لهما)[1] أصل في الاعتبار[2]، ومن الضعيف المشهور: «طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم»[3].

"**الغريب**" و"**العزيز**" قال ابن مندة: الغريب (من الحديث)، كحديث الزهري وقتادة وأشباههما من الأئمة ممن يجمع على حديثه ـ لعدالتهم وضبطهم إذا انفرد عنهم بالحديث رجل يسمى "غريباً"، فإن رواه عنهم اثنان أو ثلاثة يسمى (عزيزًا)، وإن رواه جماعة يسمى "مشهورًا"، والأفراد المضافة إلى البلدان ليس بغريب.

و"الغريب": إما صحيح، كالأفراد المخرجة في الصحيح، أو غير صحيح وهو الأغلب، وعن الإمام أحمد: لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب؛ فإنها مناكير، وعامة رواتها الضعفاء.

---

(١) ليست في (ك)

(٢) قال محقق (ط): أخرجه أحمد في المسند: (١:٢٠١) عن الحسين بن علي قال رسول الله ﷺ: «للسائل»، وأخرجه أبو داود عن الحسين وعن أبيه علي عليهما السلام في الزكاة (١:٢٣٥)، وسنده جيد، وقد سكت عليه أبو داود، ويروى أيضا عن ابن عباس، والهرماس بن زياد، فالحديث قوي، فلهذا لا يصح هذا الكلام عن الإمام أحمد.. إلخ.. انظر نكت العراقي (ص ـ ٢٢٣ ـ ٢٣٥)، والمقاصد الحسنة (ص ـ ٣٩٢، ٤٨، ٣٣٧). المصحح، قلت: وقد صحح إسناده الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على المسند ح / ١٧٣٠، ٣/ ١٧٣.

(٣) حديث حسن بشواهده رواه ابن ماجة مطولا (٢٢٤) ورواه الطبراني ١٠/ ٢٤٠، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب (٧٠)، وقال الحافظ العراقي قد صححه بعض الأئمة.

والغريب أيضاً: إما إسنادًا ومتناً، وهو ما تفرد برواية متنه واحد، أو إسنادًا لا متناً، كحديث يعرف متنه عن جماعة من الصحابة، إذا انفرد واحد بروايته من صحابي آخر، ومنه قول الترمذي: "غريب من هذا الوجه"، ولا يوجد ما هو غريب متناً لا إسناداً، إلا اشتهر الحديث المفرد، فرواه عمن تفرد به جماعة كثيرة؛ فإنه يصير غريباً مشهورًا.

وأما حديث: «إنما الأعمال بالنيات»، فإن إسناده متصف بالغرابة في طرفه الأول، متصف بالشهرة في طرفه الآخر، وكذا سائر الغرائب التي اشتملت عليها التصانيف، ثم اشتهرت.

"المصحَّف": إما أن يكون محسوساً بالبصر أو بالسمع، والأوّل: إما في الإسناد، كحديث شعبة عن "العوام بن مراجم" بالراء المهملة والجيم، صحفه يحيى بن معين، فقال: "مزاحم" بالزاي والحاء، وإما في المتن، كحديث: «من صام رمضان، وأتبعه ستاً من شوال»، فصحف أبو بكر الصوفي، فقال: "شيئاً" بالشين المعجمة(والياء)[1].

والثاني: أيضاً إما في الإسناد، كحديث: يروي "عن عاصم الأحول"، رواه بعضهم فقال: "واصل الأحدب"، وهو من تصحيف السمع، وإما في المتن، كحديث الكهان: «قر الزجاجة» بالزاي وإنما هو «الدجاجة» بالدال، أو في المعنى، كما عن أبي موسى العنزي: "نحن قوم لنا شرف، نحن من عنزة، قد صلى إلينا رسول الله ﷺ" و"العنزة" حربة تنصب بين يدي المصلى، فتوهم أنها القبلة، وهذا تصحيف عجيب. وطلب العلو فيه سنة، ولذلك استحبت الرحلة، قال محمد بن أسلم: قرب الإسناد قربة إلى الله تعالى.

وفائدته: بُعد تطرق الخلل إلى كل راوٍ، وهو إما أن يكون قريباً إلى رسول الله ﷺ، كثلاثيات البخاري، أو إلى إمام، وإن كثر العدد منه إلى رسول الله ﷺ، أو إلى مصنف، كصحيح البخاري ومسلم، وإما بتقدم وفاة الراوي.

قال ابن الصلاح: مثاله عن شيخ أخبرني به عن واحد عن البيهقي عن الحاكم (أبي عبد الله الحافظ) أعلى من روايتي لذلك عن شيخ أخبرني به عن واحد عن أبي

(١) ليست في (ك).

بكر (عبد الله) بن خلف عن الحاكم، وإن تساوى الإسنادان في العدد؛ لتقدم وفاة البيهقي على وفاة ابن خلف بنحو تسع وعشرين سنة، أو بتقدم السماع، وهو أن يسمع شيخان من شيخ، وسماع أحدهما من ستين سنة مثلا، وسماع الآخر من أربعين، وهما إن تساويا في العدد، وعدم الواسطة فالأول أعلى، والله أعلم.

"**المسلسل**" : هو ما تتابع فيه رجال الإسناد إلى رسول الله ﷺ عند روايته، على صفة، أو حالة، إما في الراوي قولا نحو: سمعت فلانا يقول: سمعت فلاناً - إلى المنتهى - أو أخبرنا فلان والله قال: أخبرنا فلان والله - إلى المنتهى - أو فعلا كحديث التشبيك باليد، وحديث العدد في العدد، وأشباههما، أو قولا وفعلا كما في حديث «اللهم أعني على شكرك، وذكرك، وحسن عبادتك»[١]، وفي رواية أبي داود، والنسائي، وأحمد قال الراوي: «أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: إني لأحبك، فقل: اللهم أعني إلخ» وإما على صفة كحديث الفقهاء فقيه عن فقيه: «المتبايعان بالخيار»[٢]، وإما في الرواية كالمسلسل باتفاق أسماء الرواة، أو أسماء آبائهم، أو كناهم، أو أنسابهم، أو بلدانهم، قال الشيخ محيي الدين النواوي: وأنا أروي ثلاثة أحاديث مسلسلة بالدمشقيين.

"**زيادة الثقة**": هي إما أن تكون من شخصين، أو واحد؛ بأن رواه مرة ناقصاً، وأخرى زائدًا، (قال) ابن الصلاح: وهي إما أن تقع مخالفاً لما رواه الثقات فمردودة كالشاذ، وإما أن لا تكون كذلك فمقبولة، وإما أن تقع بين ذلك نحو زيادة لم يذكرها سائر من روى ذلك الحديث، مثاله حديث: «وجعلت لنا الأرض مسجدًا، وجعلت تربتها لنا طهورًا» لفظة: "تربتها" تفرد بها سعد بن طارق، وهذا يشبه القسم الأول؛ لأنه عام في الحجر والرمل والتراب، وهذا خاص، وفي ذلك مغايرة في الصفة يختلف بها الحكم، ويشبه الثاني أيضاً؛ لأنه لا منافاة بينهما.

---

(١) رواه أبو داود في الوتر باب الاستغفار (١٥٢٢) وصحح النووي إسناده في رياض الصالحين ح/ ١٤٢٣ بلفظ «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

(٢) حديث صحيح متفق عليه رواه البخاري ٤/ ٢٧٦ في البيوع، ومسلم (١٥٣١) في البيوع.

فرع:

إذا أسنده وأرسلوه، أو وصله وقطعوه، أو رفعه، ووقفوه، فهـو كالزيادة، قيل: الإرسال قادح في الاتصال، فترجيحه وتقديمه من قبيل تقديم الجرح على التعديل، وأجيب بأن الجرح قدم لما فيه من زيادة العلم، والزيادة ههنا مع الواصل.

"**الاعتبار**" : هو النظر في حال الحديث، هل تفرد به راويه أم لا؟ وهل هو معروف أم لا؟ وطريق الاعتبار في الأخبار أن يقال مثلا: "روى حماد بن سلمة عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ" فإذا نظر أن حماداً رواه ولم يتابع عليه، فينظر، هل روى ذلك ثقة غير أيوب عن ابن سيرين؟، فإن لم يوجد ذلك فثقة غير ابن سيرين رواه عن أبي هريرة، وإلا فصحابي غير أبي هريرة رواه عن النبي ﷺ، فأي ذلك وجد يعلم به أن للحديث أصلا يرجع إليه، وتسمى هذه متابعة غير تامة، وإذا نظر أن هذا الحديث بعينه رواه أحد عن أيوب، غير حماد، قيل: هذه متابعة تامة وقد تسمى الأولى بالشاهد أيضاً، فإن لم يرو ذلك الحديث أصلا من وجه من الوجوه المذكورة، لكن روي حديث آخر بمعناه، فذلك الشاهد من غير متابعة، فإن لم يرو أيضاً بمعناه حديث آخر، فقد تحقق فيه التفرد المطلق حينئذ.

وقد يدخل في باب المتابعة والاستشهاد رواية من لا يحتج بحديثه وحده، بل يكون معدوداً في الضعفاء، وفي كتابي الشيخين جماعة من الضعفاء، ذكروا في المتابعات والشواهد، وليس كل ضعيف يصلح لذلك؛ ومن ثم قيل في الضعفاء: فلان يعتبر به، وفلان لا يعتبر به.

"**مختلف الحديث**": هو أن يوجد حديثان متضادان ظاهراً، وهو إما أن يمكن الجمع بينهما كحديث: «لا عدوى»[1]، وحديث: «لا يورد ممرض على مصح»[2]، وبيان الجمع أنه ﷺ نفى في الأول ما كان يعتقده الجاهل من أن ذلك تعدّى بطبعه، وفي الثاني: أعلم بأن الله سبحانه جعل ذلك سبباً لذلك، وحذر من الضرر الذي يغلب وجوده عند وجوده بفعل الله، وإما أن لا يمكن؛ فإن علم الناسخ، قدم، وإلا عمل

(١) حديث صحيح: انظر صحيح الجامع للألباني ح/ ٧٥٢٧ وما بعده.

(٢) حديث صحيح: متفق عليه رواه البخاري ٧/ ١٧٩ ـ ١٨٠، ومسلم كتاب السلام، باب ٣٣، رقم ١٠٤ ـ ١٠٥.

بالراجح منهما، كالترجيح بصفات الرواة، وكثرتهم في خمسين وجهاً من أنواع الترجيح.

"الناسخ والمنسوخ": كل حديث دل على رفع حكم شرعي سابق فهو ناسخ، والمسبوق منسوخ، ويعرف بالنص نحو: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»، أو بقول الصحابي مثلا: «كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مست النار»، أو بالتاريخ كحديث «أفطر الحاجم والمحجوم» و«احتجم النبي ﷺ وهو صائم»، بين الشافعي: أن الأول في سنة ثمان، والثاني في عشر، أو بالإجماع «كحديث» قتل شارب خمر في المرة الرابعة، والإجماع لا ينسخ، وإنما يدل على النسخ.

"**غريب اللفظ وفقهه**": فمن الأول: ما جاء فيه من معنى غامض، بعيد الفهم قليل الاستعمال، أو دقيق المعنى بعيد الغور، وقد أكثر التصنيف فيه، وأول من صنف فيه النضر بن شميل، وقيل: أبو عبيدة معمر، ثم أبو عبيدة القاسم بن سلام، ثم ابن قتيبة، ثم الخطابي، ثم الزمخشري صاحب الفائق، ثم الجزري صاحب النهاية، ونرجو أن يكون الكاشف[1] عن حقائق السنن، قد أجاد في القبيلين الغريب والفقه، وأنعم في المعاني، والدقائق، وأجود منه ما جاء مفسراً في رواية أخرى.

ومن الثاني: ما تضمنه من الأحكام، والأداب المستنبطة منه، وهو من دأب الأئمة كمالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وفيه مصنفات: كمعالم السنن للخطابي، والتمهيد لابن عبد البر، فذلك ثمانية عشر نوعاً.

والضرب الثاني فيما يختص بالضعيف:

"**الموقوف**"، وهو مطلقاً: ما روي عن الصحابي من قول أو فعل، متصلا كان أو منقطعًا، وهو ليس بحجة على الأصح، وإن اتصل، وقد يستعمل في غير الصحابي مقيدًا نحو: وقفه معمر على همام، ووقفه مالك على نافع، وقول الصحابي: "كنا نفعل كذا في زمن رسول الله ﷺ مرفوع؛ لأن الظاهر أن النبي ﷺ وقف عليه وقرره. وقول الحاكم، والخطيب: "كان أصحاب النبي ﷺ يقرعون بابه بالأظافير"،

---

(١) في ط (الكشف) والصواب أنه الكاشف عن حقائق السنن، وهو هذا الشرح للطيبي على المشكاة.

أنه موقوف، ليس كذلك، بل هـو مرفوع في المعنى، وتفسير الصحـابي موقوف، وما كان من قبيل سبب النزول كقول جابر: "كانت اليهود تقول كذا كذا، فأنزل الله كذا" ونحوه، فهو مرفوع.

"**المقطوع**": وهو ما جاء عن التابعين من أقوالهم، وأفعالهم، موقوفاً عليهم، وليس بحجة.

"**المرسل**": قول التابـعي: "قال رسول الله ﷺ كذا، أو فعل كـذا"، وهو المعروف في الفقـه، وأصوله، قيل: يحتج به مـطلقاً، ورد مطلقاً، والأولى إن صح مخـرجه لمجيئه من وجه آخـر مسنداً من غير رجال الأول فهو حجـة، ومن ثم احتج الشافعي بمراسيـل ابن المسيب، وليس بمخـتص به كمـا توهم، قال البـيهقـي: الشافعي يـقبل مراسيل كبار التابعين، إذا انضم إليها ما يؤكدها سواء كان مرسل ابن المسيب أو غيره. فإن قيل: إذا وجد المسند، فالعمل به لا بالمرسل.

وأجيب بأن المرسل [١] المعمول به ما كان راويه ثقة مـتقناً، ليس فيه إلا الإرسال، بخلاف المسند فإن راويه ليس كراويه، فجـعل الأول أصلا أولى، فإذا روى ثقة حديثا مرسلا، ورواه غيـره متصلا كحديث: «لا نكاح إلا بولي» رواه إسـرائيل، وجماعة، عن أبي إسحـاق عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ، ورواه الثوري، وشـعبة عن أبي إسحاق عن أبي بردة عنه ﷺ، فحكى الخطيب: أن الحكم للمرسل، ومرسل الصحابي كابن عباس، وابن الزبير، وشبههما من الأحاديث، حكمه حكم المتصل في الاحتـجاج على الأصح؛ لأن الظاهر أن تكون الرواية عن الصحـابة، وكلهم عدول، وروايتهم عن غير الصحابة نادرة، وإذا رووا عن غيرهم بينوها.

"**المنقطع**": هو ما لم يتـصل إسناده بأي وجه كان، سـواء ترك ذكر الراوي من أول الإسناد، أو وسطه، أو آخـره، إلا أن الغـالب استعـمـاله في من دون التـابعي عن الصحابي، كمالك عن ابن عمر، ويعـرف الانقطاع لمجيئه من وجه آخر بزيادة رجل، أو أكـثـر، فـإن عرف أن ذلـك الحديث لا يـتم إسناده إلا مع تلك الزيادة، فـالآخـر منقطع، وإن لم يعرف فيحتمل أن يكون متصلا.

---

(١) في (ط) أن المراسيل.

"المعضل": يقال: أعضله فهو معضل - بفتح الضاد - وهو ما سقط من سنده اثنان، فصاعدًا، كقول مالك: "قال رسول الله ﷺ"، وقول الشافعي: "قال ابن عمر كذا"، ونحو قول الأعمش عن الشعبي: يقال للرجل يوم القيامة: "عملت كذا وكذا.. إلخ"، جعله الحاكم نوعًا من المعضل، حيث رواه الشعبي عن أنس عن النبي ﷺ، وأعضله الأعمش حيث رواه عن الشعبي، وأسقط ذكر الصحابي والرسول ﷺ.

"الشاذ" و "المنكر": (قال) الشافعي: هو ما رواه الثقة مخالفًا لما رواه الناس، (قال) ابن الصلاح[1]: فيه تفصيل، فما خالف مُفرِدُه أحفظ منه وأضبط، فشاذ مردود، وإن لم يخالف وهو عدل ضابط فصحيح، وإن رواه غير ضابط، لكن لا يبعد عن درجة الضابط فحسن، (إنما يكون حسنا إذا تعددت طرقه ولم يخالف لما رواه الناس)* وإن بعد فشاذ، ويفهم من قوله: أحفظ وأضبط - على صيغة التفضيل - أن المخالف إن كان مثله لا يكون مردودًا، وقد علم من هذا التقسيم أن المنكر ما هو؟.

"المعلل": ما فيه أسباب خفية غامضة قادحة، والظاهر السلامة، ويستعان على إدراكها بتفرد الراوي، وبمخالفة غيره له، مع قرائن تنبه العارف على إرسال في الموصول، أو وقف في المرفوع، أو دخول حديث في حديث، أو وهم واهم، أو غير ذلك، بحيث يغلب على ظنه ذلك، فيحكم به، أو يتردد فيتوقف فيه، فكل ذلك مانع من الحكم بصحة ما وجد ذلك فيه.

وحديث يعلى بن عبيد عن الثوري عن عمرو بن دينار عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «البيعان بالخيار» إسناده متصل عن العدل الضابط، وهو معلل، والمتن صحيح؛ لأن عمرو بن دينار وضع موضع أخيه عبد الله بن دينار، هكذا رواه الأئمة من أصحاب الثوري عنه، فوهم يعلى.

وقد يطلق اسم العلة على الكذب، والغفلة، وسوء الحفظ، ونحوها، وبعضهم على مخالفة لا تقدح[2]، كإرسال ما أوصله الثقة الضابط، حتى قال: من الصحيح ما

(١) انظر تفصيل كلامه في مقدمة ابن الصلاح ص٣٦، ٣٧، وكلام الطيبي هنا بمعناه.
(٢) في (ط) (يقدح) وهو خطأ.
(*) ما بين القوسين ليس في(ك).

هو صحيح معلل، كما قال آخر: من الصحيح ما هو صحيح شاذ، ويدخل في هذا حديث يعلى بن عبيد: «البيعان بالخيار»[1].

"**المدلس**": ما أخفي عيبه، إما في الإسناد، وهو أن يروي عمن لقيه أو عاصره ما لم يسمعه منه على سبيل يوهم أنه سمعه منه، فمن حقه أن لا يقول: "حدثنا"، بل يقال: "قال فلان أو عن فلان أو نحوه"، وربما لم يسقط المدلس شيخه، لكن يسقط من بعده رجلا ضعيفاً، أو صغير السن، يحسن الحديث بذلك، كفعل الأعمش والثوري وغيرهما، وهو مكروه جداً، وذمه أكثر العلماء.

واختلف في قبول روايته، والأصح التفصيل، فما رواه بلفظ محتمل لم يبين فيه السماع، فحكمه حكم المرسل وأنواعه، وما رواه بلفظ مبين الاتصال كسمعت، وأخبرنا، وحدثنا، وأشباهها، فهو محتج به، وكثر في الصحيحين منه؛ لأن التدليس ليس كذبًا.

قال الشيخ محيي الدين: ما كان في الصحيحين وغيرهما من الكتب الصحيحة عن التدليس بـ"عن"، فمحمول على ثبوت سماعه من جهة أخرى.

وأما في الشيوخ: وهو أن يروي عن شيخ حديثا سمعه منه فيسميه أو يكنيه أو ينسبه، أو يصفه بما لا يعرف به كي لا يعرف، وأمره أخف، ولكن فيه تضييع للمروي عنه، وتوعير لطريق معرفة حاله، والكراهة بحسب الغرض الحامل عليه، نحو أن يكون كثير الرواية عنه، فلا يجب الإكثار من واحد على صورة واحدة، وقد يحمله عليه كون شيخه الذي غيّر تسميته[2]، غير ثقة، أو أصغر منه، أو غير ذلك.

"**المضطرب**": ما اختلفت الرواية فيه فما اختلفت الروايتان، إن ترجحت إحداهما على الأخرى بوجه، نحو أن يكون راويها أحفظ، أو أكثر صحبة للمروي عنه، فالحكم للراجح، فلا يكون مضطرباً، وإلا فمضطرب، وقد يكون في المتن أيضاً، إما من راوٍ أو أكثر.

---

(١) هذا الكلام يستفاد منه أنه لا يكفي لرد حديث ما أن يحتج في رده بقول أحد الأئمة فيه إنه معلول؛ لأنها قد تكون علّة غير قادحة، فلابد من جمع طرق الحديث، واستيعاب كلام الأئمة عليه.

(٢) في (ط) سمعته.

"**المقلوب**": هو نحو حديث مشهور عن سالم جعل عن نافع ليصير بذلك غريباً مرغوباً فيه، وحديث البخاري حين قدم بغداد، وامتحان الشيوخ إياه بقلب الأسانيد مشهور.

"**الموضوع**": الخبر إما أن يجب تصديقه، وهو ما نص الأئمة على صحته، وإما أن يجب تكذيبه، وهو ما نصوا على وضعه، أو يتوقف فيه لاحتماله الصدق والكذب كسائر الأخبار، ولا يحل رواية الموضوع للعالم بحاله، في أي معنى كان، إلا مقروناً ببيان الوضع.

ويعرف بإقرار واضعه، أو بركاكة ألفاظه، أو بالوقوف على غلط كما وقع لثابت بن موسى الزاهد في حديث: «من كثرت صلاته بالليل، حسن وجهه بالنهار»، قيل: كان شيخ يحدث في جماعة، فدخل رجل حسن الوجه، فقال الشيخ في أثناء حديثه: «من كثرت صلاته بالليل، حسن وجهه بالنهار»، فوقع لثابت أنه من الحديث، فرواه.

والواضعون أصناف: وأعظمهم ضرراً من انتسب إلى الزهد، فوضع احتساباً، ووضعت الزنادقة أيضاً جملا، ثم نهضت جهابذة الحديث لكشف عوارها، ومحو عارها، والحمد لله، وقد ذهب الكرامية[1] والطائفة المبتدعة إلى جواز وضع الحديث في الترغيب والترهيب.

ومنه: ما روى عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم أنه قيل له: "من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة، ومغازي محمد بن إسحاق، فوضعت هذه الأحاديث حسبةً.

ولقد أخطأ المفسرون في إيداعها تفاسيرهم إلا من عصم الله، ومما أودعوا فيها أنه ﷺ لما بلغ في قراءته ﴿**ومناة الثالثة الأخرى**﴾[2] ألقى الشيطان في أمنيته إلى أن قال: «تلك الغرانيق العلي، وإن شفاعتهن لترتجى»، وقد أشبعنا القول في إبطاله في باب سجدة التلاوة، وكذا الأصوليون، فما أوردوا من قوله: «إذا رويتم عني حديثاً،

---

(١) الكرامية: فرقة غالية من فرق المرجئة. انظر تفصيل الكلام على مذهبها الباطل في فتاوى ابن تيمية كتاب الإيمان ٧/٥٠٨ ـ ٥١١.

(٢) النجم: ٢٠

فاعـرضوه على كـتاب الله، فـإن وافق فاقبـلوه، وإن خالف فروده»، قـال الخطابي: وضعته الزنادقة، ويدفعـه: «إني قد أوتيت الكتاب وما يعدله»، ويروى: «أتيت الكتاب ومثله معه».

وروى مسلم في صحـيحه بإسناده عن الأعمش عن أبي إسحـاق، قال: لما أحدثوا تلك الأشيـاء بعد علي رضي الله عنـه، قال رجل من أصحـاب عليّ رضى الله عنه: قاتلهم الله! أى علم أفسدوا". قـال الشيخ محيي الدين: أشـار بذلك إلى ما أدخل الشيعة في علم عليّ وحديثـه، وتقوّلوا عليه من الأباطيل، وأضيف إليه من الروايات المفتعلة.

وقد صنف ابن الجـوزي في الموضوعات مـجلدات، قال ابن الصلاح: أودع فيـها كثيرًا مما لا دليل على وضعه، وإنما حقه أن يذكر في الأحاديث الضعيفة، وللشيخ ابن محمد الصنعاني "الدرر الملتقط[1] في تبيين الغلط".

---

(١) فى ط (الملقط) والتصويب من (ك).

الباب الثاني
في الجرح والتعديل، وأوصاف من يروى عنه

اعلم: أن الجرح والتعديل جوزا صيانة للشريعة، وبهما يتميز صحيح الحديث وضعيفه، فيجب على المتكلم التثبُت[1] فيهما، فقد أخطأ غير واحد في تجريحهم بما لا يجرح.

وفيه فصلان:

الفصل الأول في العدالة والضبط:

العدالة: هي أن يكون الراوى بالغاً، مسلما، عاقلا، سليما من أسباب الفسق، وخوارم المروءة[2].

والضبط: أن يكون متيقظاً، حافظاً، غير مغفل، ولا ساه، ولا شاك في حالتي التحمل والأداء، إن حدَّث من حفظه، ينبغي كونه حافظاً، وضابطاً لكتابه إن حدث منه، عارفاً بما يختل به المعنى إن روى به، ولا يشترط الذكورة ولا الحرية، ولا العلم بفقهه وغريبه، ولا البصر ولا العدد.

وتثبت العدالة بتنصيص عدلين عليها[3]، أو بالاستفاضة، ويقبل تعديل العبد والمرأة إذا كانا عارفين به، كما يقبل خبرهما، ويعرف الضبط بأن يعتبر روايته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان، فإن وافقهم غالباً، وكانت مخالفته نادرة، عرفنا كونه ضابطاً ثبتاً.

والتعديل مقبول من غير ذكر سببه على الأشهر؛ لأن أسبابه كثيرة يصعب ذكرها.

وأما الجرح فلا يقبل إلا مفسرًا [4] مبين السبب، لاختلاف الناس فيما يوجب الجرح. فإن قيل: إنهم اعتمدوا في رد حديث المجروحين على كتب الجرح والتعديل، ولم يتعرضوا لبيان السبب، بل اقتصروا على قولهم: «فلان ليس بشيء، أو غير ثابت»، فاشتراط بيان السبب يفضي إلى تعطيل ذلك.

---

(١) في(ط) والتصويب من (ك).

(٢) والمروءة بضم الميم والراء آداب نفسانية تحمل مراعاتها على الوقوف عند محاسن الأخلاق، وجميل العادات، وترجع معرفتها إلى العرف، وهو يختلف باختلاف البلدان والأشخاص، ذكره السخاوي في فتح المغيث، ونقله محقق (ط)..

(٣) في(ط) (عليهما) وهو خطأ، والتصويب من (ك).

(٤) في (ط) مفسر وهو خطأ نحوى، وفي (ك) على الصواب

أجيب: بأنا وإن لم نعتمده في إثبات الجرح والحكم به، فقد اعتمدناه في توقف قبول حديثهم لما فيه من الريبة.

ويثبت الجرح والتعديل بقول واحد على الصحيح؛ لأن العدد لم يشترط في قبول الخبر فلا يشترط فيه، وإذا تعارضا فالجرح مقدم، وإن تعدد المعدل، لإخبار المعدل عن ظاهر الحال، والجارح عن الباطن الخفي.

وإذا قال: "حدثني ثقة"، إن قصد به التعديل لا يجزىء؛ إذ لابد من تعيين المعدل وتسميته، ذلك لأنه قد يكون ثقة عنده، وغيره قد اطلع على جرحه بما هو جارح عنده، وإضرابه عن تسميته مريب في القلوب، وإن قصد به مجرد الإخبار من غير تعديل وسماه، لم تكن روايته عنه تعديلاً (منه)[1]؛ لأنه يجوز أن يروى عن[2] غير عدل، نعم، إذا قال العالم: "كل من رويت عنه فهو ثقة" كان تعديلا، وليس عمل العالم ولا فتياه على وفق حديث حكماً بصحته، ولا مخالفته له جرحاً في راويه.

والعالم الذي من شأنه اشتراط العدالة في من يروى عنه، إذا عمل بخبر رجل لا شاهد له ولا متابع[3]، يكون تعديلا له، إذا لم يكن عمله بالضعاف من باب الاحتياط، مخافة أن تكون صحيحه في نفس الأمر، فيجب العمل بها(*).

وألفاظ العدالة على مراتب:

الأعلى: أن يقال: "هو ثقة أو متقن، أو ثبت، أو حجة"[4]، أو يقال في العدل: "حافظ أو ضابط"، فهو ممن يحتج بحديثه.

ثم "هو صدوق، أو لا بأس به"، فهو ممن يكتب حديثه، وينظر فيه، لأن هذه العبارات لا تشعر بالضبط(**).

ثم "هو شيخ"، فيكتب حديثه للاعتبار، وقريب منه "روى عنه الناس"، ثم "هو صالح الحديث، أو وسطه" فيكتب.

---

(١) ليست في(ك).

(٢) في(ط) (من).

(٣) في(ك) (ولا يتابع)، وما أثبتناه من(ط).

(٤) في (ك) بتقديم حجة على ثبت، وما أثبتناه من (ط).

(*) وهذا مذهب فاسد لأن الضعيف يحتمل الثبوت وعدمه فإذا عمل به على سبيل الاحتياط فإن كان غير وارد أصلاً في الشرع كان بدعة والاحتياط بترك البدعة أولى من فعل السنة.

(**) هذا ليس على إطلاقه فهذه العبارات تشعر بالضبط في اصطلاح بعض الأئمة خاصة المتشددين كالنسائي وابي حاتم ونحوهما.

وكذا ألفاظ الجرح وأولها: "هو لين الحديث، أو مقارب الحديث، أو مضطرب الحديث، أولا يحتج به، أو مجهول"، فيكتب، ثم "هو ليس بقوى، أو (ليس بذاك)[1] أو ليس بذلك القوى"، فيكتب، ثم "هو ضعيف الحديث[2]" فيكتب، ثم "هو متروك الحديث، أو ذاهب الحديث، أو كذاب"، فهو ساقط لا يكتب.

الفصل الثاني:

لا يقبل رواية من عرف بالتساهل في السماع، والاستماع، بالنوم والاشتغال، أو يحدث لا من أصل محدث[3] مصحح، أو يلقن من غير كتب وحفظ، أو يكثر سهوه، إذا لم يحدث من أصل صحيح، أو من كثرت الشواذ والمناكير في حديثه.

ومن غلط في حديثه فبُين له الغلط وأصرَّ فلم يرجع، قيل: تسقط روايته (وقال) ابن الصلاح: هذا إذا كان على وجه العناد، وإذا كان على وجه التنقير في البحث فلا. ولا بأس بأدنى نعاس وكتابة، ومن خلط لخرفه أو ذهاب بصره أو نحوهما، فيقبل ما روي عنه قبل الاختلاط، وما شك فيه أيضاً.

ومن جهلت عدالته ظاهرًا أو باطناً فلا يقبل، أو جهلت باطناً لا ظاهرًا وهو[4] "المستور"، فالمختار قبوله، وعليه العمل في أكثر كتب الحديث المشهورة؛ لأن أمر الأخبار مبنى على حسن الظن بالمسلم، ونشر الأحاديث مطلوب، ومعرفة الباطن متعذر، بخلاف الشهادة في الأحكام، أو جهل عينه فلم يعرفه العلماء.

(قال) ابن عبد البر: من لم يرو عنه إلا واحد فمجهول، إلا أن يكون مشهوراً بصفة، كمالك بن دينار بالزهد[5]، وعمرو بن معد يكرب في النجدة، قيل: أقل ما يرفع الجهالة اثنان، والأصح واحد، لما تقرر أن العدد لم يشترط في قبول الخبر، ولا في جرح الراوى وتعديله، ويقبل معروف العدالة، وإن جهل اسمه ونسبه.

والمبتدع الذي لم يكفر، قيل: لا يقبل لفسقه، وقيل: إن لم يستحل الكذب لنصرة مذهبه قبلت، وإن استحله كالخطابية لم يقبل، وكذا إن كان داعية لمذهبه، وهو الراجح؛ لأن في الصحيحين، وغيرهما الاحتجاج بكثير من المبتدعة غير الدعاة.

---

(١) سقطت من (ط) وأثبتناها من (ك).
(٢) سقطت من (ط) وأثبتناها من (ك).
(٣) سقطت من (ط) وأثبتناها من (ك).
(٤) في (ط) أو هو وهو خطأ والتصويب من (ك).
(٥) في ط: (الدينار)، وفي (ك) بدون (ال) وهو الصواب. وهو مالك بن دينار البصرى، الزاهد، أبو يحيى، صدوق عابد، من الخامسة، مات سنة ثلاثين ونحوها. كما في التقريب.

والتائب من الكذب وغيره من أسباب الفسق تقبل روايته، إلا في حديث رسول الله ﷺ، وإن حسنت توبته، وهذا مما افترقت به الرواية في الحديث والشهادة. في الأحكام للسمعاني: من كذب في خبر واحد وجب إسقاط ما تقدم من حديثه.

وإذا روى ثقة عن ثقة، ورجع المروى عنه فنفاه، فإن كان جازماً بنفيه، وجب رد ذلك الحديث، ولا يقدح ذلك في باقي الروايات.

ومن نسى حديثاً رواه لم يسقط العمل به على المشهور، وبعض الحنفية يسقطه، وبنى عليه رد حديث«إذا نكحت المرأة بغير إذن وليها فنكاحها باطل»، وحديث القضاء بالشاهد واليمين، والصحيح الأول؛ لأن المروى عنه بصدد النسيان، والراوى عنه ثقة جازم، فلا يرد روايته بالاحتمال، وقد روى كثير من الأكابر أحاديث فنسوها فحدثوا بها، عمن سمعها منهم، وقالوا: حدثني فلان عني أني حدثته.

والأصح جواز قبول رواية من أخذ عليها الأجر، إن منع للتحديث عن الكسب، وقاسوه على أجرة تعليم القرآن.

تذييل:

أعرض الناس في هذه الأعصار عن مجموع الشروط المذكورة، واكتفوا من عدالة الراوى بكونه مستوراً، ومن ضبطه، بوجود سماعه مثبتاً بخط موثوق به، ،وروايته، من أصل موافق لأصل شيخه، وذلك أن الحديث الصحيح والحسن وغيرهما قد جمع في كتب أئمة الحديث، فلا يذهب شيء منه عن جميعهم، وإن الأمة المرحومة محفوظون (1) أن يذهب شيء من الاحتياط عن جمعيهم؛ لضمان صاحب الشريعة حفظها، والقصد بالسماع بقاء سلسلة الإسناد المخصوص بهذه الأمة حرسها الله تعالى.

---

(1) كذا في(ك) و(ط) (محفوظون) باعتبار معنى الجمع في (الأمّة)

الباب الثالث

في تحمل الحديث، وطرق نقله وضبطه وروايته

وفيه ثلاث فصول:

الفصل الأول في أهلية المتحمل:

يصح التحمل قبل الإسلام، وكذا قبل البلوغ، فإن الحسن والحسين وابن عباس وابن الزبير تحملوا قبل البلوغ، ولم يزل الناس يُسمِعون [(١)] الصبيان.

واختلف في الزمن الذي يصح فيه السماع، قيل: خمس سنين، وهو سن محمود بن الربيع الذي ترجم البخاري فيه "باب متى يصح سماع الصغير"، وقيل: يعتبر كل صغير بحاله، فمتى كان فهما للخطاب، ورد الجواب صححنا سماعه، وإن كان له دون خمس، وإلا لم يصح وإن كان فوق خمس.

ويستحب كتب الحديث بعد عشرين سنة؛ لأنها مجتمع العقل، وقيل: بعد عشر، وقيل: ثلاثين، والأصح أن يشتغل من حين تأهله لذلك، ولا ينحصر التأهل في سن مخصوص لاختلاف ذلك باختلاف الأشخاص.

ويجوز رواية الأكابر عن الأصاغر، ولا يخلو من أن يكون الراوى أكبر سناً، وأقدم طبقة، كالزهرى عن مالك، أو أن يكون أكبر قدراً بأن يكون حافظاً عالماً، والراوى عنه شيخاً راوياً، كمالك عن عبد الله بن دينار، وأن يروى الشيخ عن صاحبه أو تلميذه كعبد الغني عن الصورى[(*)]، ومنه رواية الصحابة عن التابعين كالعبادلة وغيرهم عن كعب الأحبار.

---

(١) في(ك) (يَسمعُون) مضبوطة بفتح الياء، ولكني أرى أن الضبط الصحيح لها(يُسمِعون) بضم الياء وكسر العين بمعنى أنهم يجعلونهم يسمعون؛ فهذا هو التحمل بالنسبة للصبيان وهو ما نحن بصدده؛ أما إذا كان المراد أنهم يَسمعون الصبيان، فهذا هو الأداء بالنسبة للصبيان ولسنا بصدده إلا أن يكون المراد أنه إذا ثبت أداء الصبيان في الصغر ثبت تحملهم من باب أولى. والراجح لديّ هو الأول؛ لأن الغالب من أحوال الناس هو إسماع الصبيان لا سماعهم والله أعلم

(*) عبد الغنى هو الحافظ عبد الغنى بن سعيد المصري شيخ الصورى والراوي عنه، والصورى هو: الحافظ محمد بن على بن عبد الله بن محمد بن رُحيم الشامى الساحلى الصوري أحد الأعلام، وقد روى عن شيخه عبد الغني وروي عنه شيخه انظر سير الأعلام للذهبي ٦٢٦/١٧.

الفصل الثاني

في طرق تحمل الحديث، [وهي سبعة](1):

الأول: السماع من لفظ الشيخ سواء كان إملاء، أو تحديثاً، أو من حفظ، أو كتابة(2).

(ذكر) * الخطيب: أرفع العبارات "سمعت"، ثم "حدثنا وحدثني"، ثم يتلو ذلك "أخبرنا"، وهو كثير في استعمال الحفاظ.

(ذكر) * ابن الصلاح: هذا الاختلاف قبل أن يشيع تخصيص "أخبرنا" بما قرىء على الشيخ، فحينئذ يكون فوق "حدثنا".

(ذكر)* الخطيب: ثم يتلو "أخبرنا، أنبأنا ونبأنا"، وأما: "قال لنا فلان، أو ذكر لنا فلان"، فمن قبيل "حدثنا"، لكنه بما سمع في المذاكرة في المجالس والمناظرة بين الخصمين أشبه وأليق من "حدثنا".

وأوضح العبارات: "قال فلان"، ولم يقل: "لي أو لنا"، ومع ذلك فهو محمول على السماع إذا تحقق اللقاء، لا سيما ممن عرف أنه لا يقول ذلك إلا فيما سمعه.

الطريق الثاني: "القراءة على الشيخ": ويسمى عرضاً؛ لأن القارىء يعرضه على الشيخ، واختلفوا في أن القراءة على الشيخ، مثل قراءته في المرتبة أو فوقه أو دونه، والصحيح ترجيح السماع من لفظ الشيخ؛ لأنه حينئذ خليفة رسول الله ﷺ وسفيره إلى أمته، والأخذ منه كالأخذ منه ﷺ.

فرع:

أحوط العبارات أن يقال: "قرأت على فلان"، أو "قرىء عليه، وأنا أسمع، فأقر الشيخ به"، ثم "حدثنا" "فأخبرنا"، مقيداً بقراءة عليه.

واختلف في جواز استعمال "حدثنا، وأخبرنا" مطلقين، ومذهب الشافعي جواز [إطلاق] (3) "أخبرنا" دون "حدثنا" على القراءة على الشيخ؛ لأن "حدثنا" فيه إشعار بالنطق والمشافهة بخلاف "أخبرنا"، ويستحب أن يقول فيما سمعه وحده:

---

(1) ليست في (ك) وأثبتناها من (ط).
(2) في (ط) (حفظه أو كتابه)، وما اثبتناه من (ك).
(*) زيادة من (ط) وليست في (ك).
(3) ليست في (ك) وأثبتناها من (ط).

"حدثني"، وفيما سمعه مع غيره "حدثنا"، وفيما قرأ عليه بنفسه "أخبرني"، وفيما قرأ عليه وهو يسمع «أخبرنا»، وإن شك فالمختار «حدثنى، أو أخبرنى» وإن عكس جاز، ولم يشترط في القراءة على الشيخ، وهو مصغ إليه، فاهم له، غير منكر، ولا مكره، نطقه وجازت الرواية.

وإذا كان أصل الشيخ في يد موثوق به، مراع لما يقرأ كان كإمساك الشيخ، ولا يجوز في الكتب المؤلفة إذا رويت إبدال "حدثنا" بـ "أخبرنا" ونحوهما ولا عكسه، ومن جوز أداء المعنى من غير نقل اللفظ، جوز الإبدال.

وإذا كتب الشيخ الإجازة للسامعين، فالأحوط أن يقرن السماع بالإجازة؛ لأنه قد يغلط القارىء، ويغفل الشيخ، أو يغلط الشيخ إن كان القارىء، ويغفل[1] السامع، فينجبر له ما فاته بالإجازة.

وإذا عظم المجلس فبلغ عنه (المستملى)[2] فهل يجوز لمن سمع المبلّغ دون المملى[3]، أن يروى ذلك عن المملى؟[3]، الأصح المنع.

ويصح السماع ممن هو وراء حجاب إذا عرف صوته وحضوره إذا قرىء عليه بخبر ثقة، وقد كانوا يسمعون من عائشة وأزواج النبي ﷺ من وراء حجاب، واحتج بقوله ﷺ: «إن بلالا ينادى بليل فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم»[4].

وإذا رجع الشيخ عن السماع والإخبار، ولم يسنده إلى خطأ، أو شك، فذلك غير مبطل لسماعه، ولو خص بالسماع قوماً، فسمع غيرهم بغير علمه جاز له الرواية.

الطريق الثالث: "الإجازة": وهي أنواع:

الأول : إجازة معين لمعين: كأجزتك كتاب البخاري مثلا، أو أجزت فلاناً جميع ما اشتملت عليه فهرستي، ونحو ذلك، والصحيح جواز الرواية بالإجازة مطلقاً، واحتج بأنها إخبار بالمرويات جملة، فصح كما لو أخبر به تفصيلا، ولا يفتقر إلى النطق صريحا كالقراءة عليه.

الثاني: إجازة معين في غير معين: كقول الشيخ: أجزتك مسموعاتى، أو مروياتى، فالجمهور على جوازها.

(١) فى (ك) (ويعقل) والراجح ما أثبتناه كما فى (ط)، فهو الذى يرجحه السياق.
(٢) فى (ط) (المستملىء) بالهمز.
(٣) فى (ط) (المملىء) بالهمز.
(٤) رواه البخاري، ١/ ١٦٠، ٣/ ٢٢٥، ٩/ ١٠٨ ومسلم فى الصيام ٣٦-٣٧-٣٨.

الثالث: إجازة العموم: كقوله: أجزت للمسلمين، أو لمن أدرك زمانى وما أشبهه، فالصحيح جوازه مطلقاً.

الرابع : إجازة المعدوم: كقوله: أجزت لمن يولد لفلان، الصحيح المنع؛ لعدم صحة الإخبار للمعدوم، ولو عطف على الموجود، كأجزت لفلان، ولمن يولد له، أو لك، ولعقبك، جاز كالوقف. والإجازة للطفل الذي لم يميز، صحيحة؛ لأنها إباحة للرواية، والإباحة تصح للعاقل وغيره.

الخامس: إجازة المجاز: كأجزت لك ما أجيز لى، وإن والى بين إجازات ثلاث، الصحيح جوازه، وينبغى لمن يروى بها أن يتأمل كيفية إجازة شيخ شيخه لشيخه، فإذا كان إجازته: أجزت له ما صح عنده من سماعى، فرأى الراوى شيئًا من سماع شيخ شيخه، فليس له أن يرويه عن شيخه عنه، حتى يستيقن أنه مما كان قد صح عند شيخه كونه من مسموعات شيخه الذى تلك إجازته.

ويستحب الإجازة إذا كان المجيز والمجاز له من أهل العلم؛ لأنها توسع يحتاج إليه أهل العلم، وينبغى للمجيز بالكتابة أن يتلفظ بها، فإن اقتصر على الكتابة صحت[1].

الطريق الرابع: "المناولة": وأعلاها ما تقرن بالإجازة، وذلك بأن يدفع إليه أصل سماعه، أو فرعاً مقابَلا به، ويقول : هذا سماعى أو روايتى عن فلان، أجزت لك روايته، ثم يبقيه في يده تمليكاً، أو إلى أن ينسخه.

ومنها أن (يناول الطالب) [2] الشيخ سماعه، فيتأمله وهو عارف متيقظ، ثم يناوله الطالب، ويقول: هو حديثى أو سماعى أو روايتى، فارو عني، وسُمِّى هذا عرض المناولة كما سُمِّىَ القراءة على الشيخ عرض القراءة.

ومنها أن يناوله الشيخ سماعه ويجيزه[3] ثم يمسكه الشيخ، فإذا وجده[4] الطالب، أو ما هو مقابل به جاز له روايته.

ومنها أن يأتيه الطالب بنسخة، ويقول: هذه روايتك فناولنيه وأجزنى روايته، فيجيب إليه من غير تحقق ونظر، فإن وثق بخبره ومعرفته اعتمد، وصحت الإجازة وإلا فلا.

---

(١) في (ط) (صح) وفي (ك) (جاز صحت) وما أثبته أوفق للسياق.

(٢) في (ك) (يطالب) بدلاً مما بين القوسين المثبت من (ط).

(٣) في ط يجزه.

(٤) في ك وُجد.

فإن [1] قال له: حـدث عنى بما فيه، إن كان روايـتى، مع براءتى من الغلط، كان جائزًا حسناً.

ومنها المجردة عن الإجازة، وهي أن يناوله كتاباً، ويقـول: هذا سماعى، مقتصراً عليـه، فالصـحيح عند الفـقهـاء أنه لا يجـوز له الرواية، وعيب على من جـوزه من المحدثين، والصحيح المنع من إطلاق "حدثـنا" و "أخبرنا" في المناولة، إلا أن يقترن بلفظ الإجازة، نحـو: حدثنا إجازة، أو "مناولـة:، أو إذناً، أو أجازنى، أو ناولنى، واصطلح قوم على إطلاق (أنبأنا) في الإجازة.

الطريق الخامس "المكاتبة": وهي أن يكتب مـسموعـه لغائب أو حـاضر بخطه، أو يأذن بكتابة له، وهو إما أن يقترن بالإجـازة بأن يكتب: أجزت لك، أو كتبت إليك، وهي في القوة كالمناولة المقرونة بالإجازة، وإما أن تكون مجردة عنها، بأن يكتب: قال حدثنا فلان، والصحيح الجواز، وهو عندهم معدود في المسند الموصول، وفيها إشعار قوى بالإجازة معنى، ويكفى فى المعرفة خط الكاتب.

الطريق السادس: "الإعلام": وهو أن يعلم الشيخ الطالب أن هذا الكـتاب روايته أو سمـاعه مـقتصـراً عليه غيـر قائل: اروه عنى، وفـيه خـلاف، والأصح أنه لا يجوز روايته؛ لاحـتمـال أن الشيخ عرف خللا فـيه، لكن يصح العـمل به، إذا صح سنده عنده.

الطريق السـابع: "الوجـادة": (مـن وجـد يجـد، مُـولَّد) وهـو أن يـوقف على كتاب بخط شيخ فيه أحـاديث، ليس له[2] رواية مـا فيـهـا، فله أن يقـول: وجـدت أو قـرأت بخط فـلان، أو فـي كـتـاب فـلان بخطه: حـدثنا فـلان، ويـسـوق باقـى الإسناد والمتن، وقـد استـمـر عليه العـمل قـديماً وحـديثـاً، وهـو مـن باب المرسـل، وفيه شوب من الاتصـال، أو[3] أن يـوقف علـى حديث في تأليف شخص، وليـس بخطـه، فله أن يقـول: ذكـر فـلان أو قـال فلان: أخـبـرنا فلان إلـى آخـره، وهـذا منقطـع، فـإن لـم يوثـق بـأنـه خـط المؤلف أو كـتـابه، فليـقـل: بلـغنـى عـن فـلان، أو وجدت عن فـلان ونحـوه، وإذا أراد أن ينقـل مـن كـتـاب منسـوب إلى

---

(١) في ط وإن.

(٢) في ك (ليس فيه).

(٣) في ط (و).

مصنف فلا يقل: قال فلان كذا، إلا إذا وثق بصحة النسخة، بأن قابلها هو أو ثقة بأصول متعــددة، وإلا فليقل، بلغنى عن فلان كذا، أو وجدت في نســخة من الكتاب الفلانى كذا.

وقد تسومح في هذه الأعصار بإطلاق اللفظ الجازم في ذلك من غير تحرٍ [١]وتثبت، فيطالع أحدهــم كتاباً منسوباً إلى مصنف، ويـنقل عنه من غير أن يثق بصحــة النسخة قائلاً: قال فلان كذا، فإن كان المطالــع عالماً فطناً، لا يخفى عليه فى الغالب الساقط، والمحول عن جهته رجونا أن يجوز له إطلاق اللفظ الجازم في هذا، وإلى هذا استروح كثير من المصنفين فيما نقوله من كتب الناس.

قال ابن الصلاح: قطع بــعض المحققين من الشافعين بوجــوب العلم بالوجادة عند حصــول الثقــة، وهو الصحــيح الذي لا يتجــه في هذه الأزمان غيــره؛ لأنه لو وقف العمل على الرواية لا نسد بابه؛ لتعذر شرط الرواية.

الفصل الثالث

فى كيفية رواية الحديث:

شدد قوم فيها، فأفرطوا وقالوا: لا حــجة إلا فيما رواه من حفظه، وقال بعضهم: يجــوز من كتــابه (إلا من خــرج من يده)[٢] وتساهل آخــرون ففرطوا وقــالوا: تجوز الرواية من نسخ غير مــقابلة بأصولهم والصواب ما عليه الجــمهور، وهو التوسط بين الإفراط والتــفريط، فإذا قام فى التــحمل، والضبط، والمقابلة بما تقــدم جازت الرواية منه، وكذا إن غاب عنه كتابه إذا كان الغالب سلامته من التغيير، ولاسيما إن كان ممن لايخفى عليه تغيــيره غالبا، والضرير إذا لم يحفظ مــا سمعه فاستعــان بثقة فى ضبطه وحفظ كــتابه، واحتــاط عند القراءة عليه بحــيث يغلب على ظنه سلامتــه من التغيــير صحت روايته، وكذا البصير الأمي، ولو وجد فى كتابه خلاف حفظه، فإن حفظ منه رجع إليه، وإن حفظ من فم الشــيخ، اعتمد على حفــظه، وإن لــم يتشكك حسن [٣] أن يذكرهما معاً فــيقول: حفظى كذا وفى كتابى كذا، لو وجد ســماعه فى كتاب ولم يذكره، فالشافعية على جواز الرواية، بشرط أن يكون السماع بخطه أو بخط من يوثق به، ويغلب على الظن سلامته من التغيير بحيث تسكن إليه النفس.

---

(١) في ط (تحرى) وكذا في (ك) والصواب ما أثبتناه لأنه اسم منقوص.

(٢) في ط إلا إذا خرج من يده

(٣) فى ط فحسن

فرع:

(قال) ابن الصلاح: من ليس عالماً بالألفاظ ومقاصدها، ولا خبيراً بما يخل بمعانيها لا يجوز له الرواية بالمعنى بالإجماع، وإن كان عالماً بذلك فقد منعه قوم من أصحاب الحديث. والفقه، والأصول، وقالوا: لا يجوز إلا بلفظه، وقال قوم: لا يجوز فى حديث النبى - ﷺ - ويجوز فى غيره، وقال الجمهور سلفاً وخلفاً: يجوز فى الجميع إذا قطع بأداء المعنى، وهذا فى غير المصنفات، أما المصنف، فلا يجوز تغيير لفظه أصلا.

أقول: إن من ذهب إلى أنه لا يجوز فى حديث النبى - ﷺ - خاصة هو الأقرب؛ لأنه - ﷺ - أفصح من نطق بالضاد، وفى تراكيبه أسرار، ودقائق لا يوقف عليها إلا بها كما هى، فإن لكل تركيب من التراكيب معنى بحسب الفصل والوصل، والتقديم والتأخير، لو لم يراع ذلك، لذهب مقاصدها، بل لكل كلمة مع صاحبتها خاصية مستقلة، كالتخصيص والاهتمام وغيرهما، وكذا الألفاظ التى ترى مشتركة أو مترادفة، إذ لو وضع كل موضع الآخر لفات المعنى الذى قصد به، ومن ثم قال ﷺ: «نضر الله عبداً سمع مقالتى فحفظها، ووعاها، وأداها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» كفى بهذا الحديث لفظاً ومعنى شاهد صدق على ما نحن بصدده، فإنك إذا أقمت مقام كل لفظة ما يشاكلها، أو يرادفها اختل المعنى وفسد، وقد شرحناه فى باب العلم من هذا الكتاب شرحاً وافياً، وفصلناه تفصيلاً شافياً.

فرع:

إذا جوزنا الرواية بالمعنى، فينبغى للمحدث أن يفرق بين لفظة «نحوه» و«مثله»، فلا يحل له أن يقول: «مثله» إلا بعد علمه أن الحديثين اتفقا لفظًا، ويحل له أن يقول: «نحوه»، إذا كان بمعناه، قاله أبو حاتم.

وينبغى لمن روى حديثاً بالمعنى إذا اشتبه عليه اللفظ أن يتبعه بلفظ «أو كما قال»، أو نحو هذا، وبه قال الخطيب. والصحابة أرباب اللسان، وأعلم الخلق بمعانى الكلام، ولم يكونوا يقولون ذلك إلا تخوفاً من الزلل: لمعرفتهم ما فى الرواية على المعنى من الخطر (قال) ابن الصلاح: قوله: «أو كما قال» يتضمن إجازة من الراوى، وإذنًا للطالب فى رواية صوابها عنه إذا بان.

واختلف في جـواز اختصار الحديث بناء عـلى منع الرواية بالمعنى وجوازه، ومنهم من منع مع الجـواز إذا لم يكن قـد رواه هو، أو غيـره على التـمام، قـال مجـاهد: «انقص من الحديث ما شـئت، ولا تزد فيه»، والصحيح التفـصيل، وأنه يجوز ذلك من العالم العارف إذا كان ما تركه غير متعلق بما رواه، بحيث لا تختل الدلالة والبيان؛ لأن المروى والمتروك حينئذ كخبرين متصلين.

وأما تقطيع المصنف الحـديث الواحد فى أبواب مختلـفة للاحتجاج، فـإلى الجواز أقرب، قد فعله مالك والبخاري وغـيرهما. فإن وقع فى الرواية لحن أو تحريف، قال ابن سيرين: يروى كما سمعه، وقيل: الأولى أن يقرره على الصواب، ثم يقول: فى الرواية كذا، وإن وقع فى الكتـاب فيقرره كـما هو فيه مع التـضبيب[1] عليه، وبيان صـوابه فى الحاشـية، وله أن يقـر[2] مـا فى الأصل، ثم يذكـر الصـواب، وأحـسن الإصلاح ما كان من رواية أخرى، أو حديث آخر.

وإذا كان الإصـلاح بزيادة تشتـمل على معنـى مغاير لمـا وقع فى الأصل تأكد فـيه الحكم، بأن يذكر ما فى الأصل مقرونا بالتنبيه على ما سقط؛ ليسلم من معرة الخطأ.

وإن علم أن بعض الرواة أسـقطه، وأن من فوقـه أتى به، ألحق السـاقط فى نفس الكتاب مع كلمة «يعنى» مثاله: عن عروة عن عمرة أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ* يُدنى إلى رأسه، فأرجله» أسقط الراوى «عن عائشة»، ولابد من ذكرها، لما علمنا أن المحاملـى كذلك رواه؛ فإذا ألحـقنا الساقط، قلـنا: عن عمرة، يـعنى عن عائشـة أنها قالت.

وإذا وجد كلمة من غريب العربية أو غيرها، وهى غير مضبوطة، وأشكلت عليه، جاز أن يسأل عنها أهل العلم بها، ويرويها على ما يخبرونه.

قال الأصمعى: إن أخوف مـا أخاف على الطالب إذا لم يعرف النحو أن يدخل فى جملة قول النبى ﷺ*: «من كذب علىَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[3]: لأنه ﷺ* لم يكن يلحن فمهما رويت عنه، ولحنت فيه كذبت عليه.

---

(١) التضبيب: عـرفه المصنف فى آداب الكاتب فقال: أن يمد خطاً أوله كرأس الضاد على ثـابت نقلاً، فاسد لفظا أو معنى، أو على ضعيف أو ناقص نحو موضع الإرسال والأنقطاع اهـ.

(٢) فى ك يقرأ

(٣) حديث صحيح متواتر رواه البخاري وغيره ١/٣٨، ٢/١٠٢، ٤/٢٠٧ ومواضع أُخر.

* فى ط (عليه السلام).

وإذا كان الحديث عنده عن اثنين أو أكثر، وبين روايتهما تفاوت فى اللفظ، والمعنى واحد، فله جمعهما فى الإسناد، ثم يسوق الحديث على لفظ أحدهما، ويقول: أخبرنا فلان وفلان، واللفظ لفلان، أو هذا لفظ فلان، أو يقول: «قال»، إذا أراد اللفظ بعينه، و«قالا»، إذا أراد المعنى.

وأما إذا جمع بين رواة، اتفقوا فى المعنى، وليس ما أورده لفظ واحد منهم، وسكت عن بيان ذلك، فلا بأس به على تجويز الرواية بالمعنى.

وقد جرت العادة بحذف «قال»، ونحوه فيما بين رجال الإسناد خطأ، ولابد من التلفظ به حال القراءة، وسئل شيخ فى فتواه عن ترك القارىء «قال»، فخطأ فاعله، قال: والأظهر أنه لا يبطل السماع به؛ لأن حذف القول جائز اختصاراً، جاء به القرآن العظيم.

ولا يجوز تغيير «قال النبى ﷺ إلى قال رسول الله ﷺ ولا عكسه. وإن جوزنا الرواية بالمعنى؛ لاختلاف معناهما، وقيل: يجوز، وهو مذهب أحمد، وحماد بن سلمة، والخطيب، وإذا كان فى سماعه بعض الوهن فعليه بيانه، وإذا كان الحديث عن ثقة، ومجروح، أو ثقتين، فالأولى أن يذكرهما؛ لاحتمال انفراد أحدهما بشىء، فإن اقتصر على ثقة واحد فى الصورتين جاز، وإذا سمع بعض حديث واحد من شيخ، وبعضه من آخر فخلطه، ورواه جملة عنهما، وبين أن بعضه عن أحدهما، وبعضه عن الآخر، جاز كما فعله الزهرى فى حديث الإفك، ولا يجوز أن يسقط أحد الراويين، بل يجب ذكرهما مبينًا أن بعضه عن أحدهما، وبعضه عن الآخر.

الباب الرابع

فى أسماء الرجال، وما يتصل بها، وفائدته[1] معرفة المرسل والمتصل والمنقطع والموقوف

وفيه فصول:

الفصل الأول: فى معرفة الصحابة (رضى الله عنهم): والصحابىُّ كل مسلم رأى رسول الله ﷺ، و(قال) الأصوليون: من طالت مجالسته على طريق التتبع والأخذ عنه، وكلهم عدول، سواء لابسوا الفتن أو لا، بإجماع من يعتد بهم، قيل: قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة، ممن سمع عنه، وروى عنه.

واختلف فى عدد طبقاتهم، والنظر فى ذلك إلى السبق بالإسلام، والهجرة، وشهود المشاهد الفاضلة معه ﷺ.

وجعلهم[2] الحاكم اثنتي عشرة طبقة، وأفضلهم عند أهل السنة الخلفاء الأربع[3] على الترتيب، ثم تمام العشرة المبشرة، ثم أهل بدر، ثم أحد، ثم بيعة الرضوان، وممن له مزية أهل العقبتين، وأولهم إسلاماً من الرجال أبو بكر، ومن الصبيان على، ومن النساء خديجة، ومن الموالى زيد، ومن العبيد بلال، وأكثرهم حديثاً أبو هريرة، وعائشة، وابن عمر، وابن عباس، وجابر، وأنس.

وقال مسروق: انتهى علم الصحابة إلى على، وعمر، وأُبَىّ[*]، وزيد، وأبى الدرداء، وابن مسعود، وأكثرهم فتيا ابن عباس، ومنهم العبادلة: ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وابن عمرو بن العاص، وليس ابن مسعود منهم؛ لأنه تقدم موته، وهؤلاء عاشوا حتى احتيج إلى علمهم، وكذا سائر من يسمى عبدالله، وهم نحو مائتين وعشرين.

---

(١) فى (ط) (وفائدة) وهو خطأ، والتصويب من (ك).

(٢) فى ط ـ وجعله، وما أثبتاه من ك.

(٣) فى ط الأربعة، وما أثبتناه من ك.

(*)وفى نسخة: أبى موسى (محمد عمران): قاله محقق (ط).

الفصل الثانى فى معرفة التابعين:

وهو كل مسلم صحب صحابيًا، وقيل: من لقيه، وهو الأظهر، قال الحاكم: هم خمس عشرة طبقة: الأولى: من أدرك العشرة كقيس بن أبى حازم، وابن المسيب وغيرهما، وغلط فى ابن المسيب؛ فإنه ولد فى خلافة عمر (رضى الله عنه)، ولم يسمع من أكثر العشرة، وقيل: لم يصح سماعه من غير سعد، وأما قيس فسمعهم وروى عنهم، ولم يشاركه[1] فى هذا رجل، وقيل: لم يسمع عبدالرحمن، ويليهم الذين ولدوا فى حياة النبى ﷺ من أولاد الصحابة.

ومن التابعين: المخضرمون: من أدرك الجاهلية؛ وزمن النبى ﷺ ولم يره وعدهم مسلم عشرين نفسًا، وهم أكثر، وممن لم يذكره، أبو مسلم الخولاني، والأحنف.

ومن أكابر التابعين الفقهاء السبعة: ابن المسيب، والقاسم بن محمد، وعروة، وخارجة بن زيد، وأبو سلمة بن عبدالرحمن، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة، وسليمان بن يسار، وجعل ابن المبارك سالم بن عبدالله بدل أبى سلمة، وجعل أبو الزناد بدلهما أبا بكر بن عبدالرحمن.

وقال أبو عبدالله بن خصيف: أهل المدينة يقولون: أفضل التابعين ابن المسيب، وأهل الكوفة أويس، وأهل البصرة الحسن. وقال ابن أبى داود: سيدتا التابعيات حفصة بنت سيرين، وعمرة بنت عبدالرحمن، ثم أم الدرداء.

الفصل الثالث فى الأسماء والكنى والألقاب

الأول: [معرفة][2] من ذكر بأسماء مختلفة، أو نعوت متعددة، وتمس الحاجة إليه لمعرفة التدليس، منهم محمد بن السائب الكلبى، وهو أبو النضر[3] المروى عنه حديث تميم الدارى، وعدى بن براء، وهو حماد بن السائب المروى عنه: «ذكاة كل مسك دباغه»، وهو أبو سعيد الذى يروى عنه عطية العوفى فى التفسير، ويدلس به موهما أنه أبو سعيد الخدرى.

«المؤتلف والمختلف»: وهو ما يتفق فى الخط دون اللفظ، إما على العموم، كسلام، كله مشدد إلا خمسة: والد عبدالله، ومحمد بن سلام شيخ البخاري، وسلام بن محمد بن ناهض المقدسى، وسلام جد محمد بن عبدالوهاب بن سلام المتكلم الجبائى، وسلام بن أبى الحقيق.

(١) فى ط يشاركهم وهو خطأ والتصويب من ك. (٢) زيادة من (ط) وليست فى (ك).

(٣) فى ط أبو نصر، وفى ك أبو النضر وهو الصواب فهو محمد بن السائب بن بشر الكلبى، أبو النضر الكوفى، النسابة، المفسر، متهم بالكذب، ورمى بالرفض من السادسة كما فى التقريب

وعمارة، ليس فيهم بالكسر إلا أبى بن عمارة الصحابى(*)، ومن عداه جمهورهم بالضم، وفيهم جماعة بالفتح، وتشديد الميم.

وإما على الخصوص: يسار كلهم بالياء المثناة ثم المهملة، إلا محمد بن بشار، فبالموحدة والمعجمة، وفيها يسار بن أبى سلمة وابن أبى سيار (بتقديم السين) وغير ذلك.

و**«المتفق والمفترق»**: وهو ما اتفق خطًا[1] ولفظًا، ومنهم من اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم، كالخليل بن أحمد ستة، ومنهم من اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم وأجدادهم، كأحمد بن جعفر بن حمدان، ومنهم من اتفقت كناهم ونسبهم معاً، كأبى عمران الجوني، والمتشابهون فى الاسم والنسب، المتمايزون بالتقديم والتأخير، كيزيد بن أسود الخزاعي، والخرشي المخضرم المشتهر بالصلاح، والأسود بن يزيد النخعي التابعي، والمنسوبون إلى غير آبائهم، كمعاذ، ومعوذ، وعوذ، بنو عفراء - هى أمهم - وأبوهم الحارث بن رفاعة الأنصارى، وبلال بن حمامة، وأبوه رباح، وإلى الجد كأبى عبيدة بن الجراح، هو عامر بن عبدالله الجراح، وإلى الأجنبي بسبب، كالمقداد بن عمرو الكندى، يقال له: ابن الأسود لأنه كان فى حجر الأسود بن عبديغوث فتبناه، والمنسوبون إلى خلاف الظاهر، كأبى مسعود البدرى، لم يشهدها بل نزلها، وسليمان التيمى، نزل فيهم، وليس منهم، والمبهمون وأبهمهم[2] رجل أو امرأة، كحديث ابن عباس: «أن رجلا قال يا رسول الله؛ الحج كل عام؟»، وهو الأقرع بن حابس.

الثانى: من سمى بالكنية ولا اسم له، كأبى بكر بن عبدالرحمن (أحد الفقهاء السبعة) اسمه أبو بكر، وكنيته أبو عبدالرحمن، ومن لا كنية له غير الكنية التى هى اسمه، كأبى بلال، ومن عرف بالكنية، ولم يعرف أله اسم أم لا؟ كأبى أناس (بالنون)، وأبى مويهبة مولى رسول الله ﷺ، ومن لقب بكنية، وله غيرها اسم وكنية، كأبى تراب علىّ بن أبى طالب، وأبى الحسن، ومن له كنيتان أو أكثر، كابن جريج أبى الوليد وأبى الخالد، ومنصور الفراوى أبى بكر وأبى الفتح وأبى القاسم.

الثالث: اللقب الذى يكرهه الملقب لا يجوز، وما لا يكرهه فيجوز، كمعاوية الضال، ضل فى طريق مكة فلقب ضالا، وعبدالله بن محمد الضعيف؛ لضعف جسمه، وغندر لقب جماعة، كل منهم محمد بن جعفر.

(*) انظر ترجمته فى الإصابة للحافظ ابن حجر ١/١٦ ط دار الكتب العلمية.

(١) فى ط خطأ بالهمز وهو خطأ والتصويب من ك (٢) أى أشدهم إبهامًا ما يقال فيه عن رجل أو امرأة مثلاً.

الفصل الرابع فى أنواع شتى:

الأول: معرفة الموالى:

والأهم معرفة الموالى المنسوبين إلى القبائل مطلقاً، كفلان القرشي، ويكون مولى لهم، ثم مولى العتاقة، وهو الغالب، ومنهم مولى الإسلام كالبخاري الإمام مولى الجعفيين لأن جده كان مجوسيا، فأسلم على يد اليمان الجعفي، ومنهم مولى الحلف، كمالك بن أنس الإمام ونفره، وهم أصبحيون حميريون موالى لتيم قريش بالحلف.

الثانى: معرفة الأوطان:

من كان من أهل قرية وبلدة، فيجوز أن ينسب إلى القرية، وإلى البلدة، وإلى الناحية، وإلى الإقليم، ثم من كان ناقلة[1] من بلد إلى بلد، وأراد الانتساب إليهما، فليبدأ بالأول، فيقول من مصر إلى دمشق: المصري ثم الدمشقي. قال ابن المبارك: من أقام فى بلدة أربع سنين نسب إليها.

الثالث: التاريخ والوفيات:

الصحيح فى سن سيدنا سيد البشر رسول الله ﷺ، وصاحبيه أبى بكر وعمر (رضى الله عنهما) ثلاث وستون، وقبض ﷺ ضحى الاثنين لاثنى عشرة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة.

وأبو بكر (رضى الله عنه) فى جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة.

وعمر (رضى الله سبحانه وتعالى عنه) فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين.

وعثمان (رضى الله عنه) فى سنة خمس وثلاثين، ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل: تسعين.

وعلى (رضي الله عنه) فى رمضان سنة أربعين، ابن ثلاث وستين، وقيل: أربع وخمسين، وطلحة والزبير فى جمادى الأول سنة ست وثلاثين، وقيل: كانا ابنى أربع وستين، وقيل: غيره.

وسعد بن أبى وقاص سنة خمس وخمسين على الأصح، ابن ثلاث وسبعين.

---

(١) فى طـ ناقله بالهاء المهملة

وسعيد سنة إحدى وخمسين، ابن ثلاث أو أربع وسبعين.

وعبدالرحمن بن عوف سنة اثنتين وثلاثين، ابن خمس وسبعين.

وأبو عبيدة سنة ثماني عشرة، ابن ثمان وخمسين.

وصحابيـان عاشا ستين سنـة من الجاهلية، وستين في الإسـلام، وماتا بالمدينة سنة أربع وخمسين: حكيم بن حزام، وحسان بن ثابت.

وأصحاب المذاهب المتبوعة:

سـفيـان الثـوري، مات بالبـصرة سـنة إحدى وسـتين ومائـة؛ ومولده سنة سـبع وتسعين. ومـالك بن أنس بالمدينة سنة تسع وسـبعين ومائة، قـيل: ولد سنة ثلاث أو إحدى أو أربع أو سبع وتسعين.

وأبو حنيفة ببغداد سنة خمسين ومائة، وكان ابن سبعين.

والشافعي بمصر آخر رجب سنة أربع ومائتين، وولد سنة خمسين ومائة.

وأحمـد بن حنبل ببغـداد في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومـائتين، وولد سنة أربع وستين ومائة.

وأصحاب الأصول المعتمدة:

البخـاري، ولد يوم الجمعة لثـلاثة عشر خلت من شوال سنة أربع وسـتين ومائة، ومات ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين بقرية من قرى بخارى.

ومـسلم مات بنيـسابور لخـمس بقين من رجب سنة إحـدى وستين ومـائتين، ابن خمس وخمسين.

وأبو داود بالبصرة في شوال سنة سبع وسبعين ومائتين.

والترمذي بترمذ لثلاثة عشـر مضت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين. والنسائي سنة ثلاث وثلثمائة.

والدارقطني ببغداد في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلثمائة، وولد بها سنة ست وثلثمائة.

والحاكم النيـسابوري مات بها في صـفر سنة خمس وأربعمـائة، وولد بها في ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلثمائة.

وأبو نعيم الأصفهاني ولد سنة أربع وثلاثين وثلثمائة، ومات فى صفر سنة ثلاثين وأربعمائة.

وابن عبدالبر حافظ المغرب صاحب الاستيعاب ولد فى ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلثمائة، توفى بشاطبة سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

والبيهقي ولد سنة أربع وثلاثين وثلثمائة، ومات بنيسابور فى جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، والخطيب البغدادى ولد فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة، ومات ببغداد فى ذى الحجة ثلاث وستين وأربعمائة.

خاتمة الكتاب

فى آداب الشيخ والطالب والكاتب

اعلم أن علم الحديث علم شريف، يناسب مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، وينافى مساوىء الأخلاق، ومشائن الشيم، وهو من علوم الآخرة، لا من علوم الدنيا، فمن أراد التصدى لإسماع الحديث أو استماعه، أو لإفادة شىء من علومه أو لاستفادته، فليقدم تصحيح النية وإخلاصها، وليطهر قلبه من الأغراض الدنيوية وأدناسها، وليحذر بلية حب الرياسة، ورعوناتها، وطلب مال، وغير ذلك مما لا يراد به وجه الله تعالى.

وفيها فصول:

الفصل الأول فى آداب الشيخ:

يستحب للمتصدي لإسماع الحديث أن يبلغ أربعين، وفيه مجتمع الأشد، ونبىء رسول الله ﷺ، وهو ابن أربعين، ويجوز دونه إذا تأهل له لبراعته فى العلم، واحتيج إلى ما عنده، كمالك فإنه تصدى، وله نيف وعشرون سنة، وقيل: سبع عشرة، والشافعى أخذ عنه العلم، وهو فى سن الحداثة، وغيرهما مما لا يحصى، ومن خشى عليه الخرف والتخليط أمسك، لا إن لم يخش، كأنس بن مالك وسهل بن سعد[1]، فإنهما حدثا بعد مجاوزة الثمانين، وكالحسن بن عرفة، فإنه حدث بعد المائة.

وينبغى أن لا يحدث فى بلد فيه من هو أولى منه لسنه وعلمه، وإذا طلب منه ما يعلمه عند أولى منه أرشد إليه، ولا يمتنع من تحديث من لا تصح نيته؛ فإنه يرجى له تصحيحها أو ليحرض[2] على نشره.

وإذا أراد مجلس التحديث فليقتد بالإمام مالك، وليتوضأ، وليسرح لحيته، وليطيّب، وليجلس على الصدر بوقار وهيبة، وليحدث تعظيما لحديث رسول الله ﷺ، ولا يحدث فى الطريق، ولا قائما، وإن رفع أحد صوته فى مجلسه زجره، ويقبل على الحاضرين كلهم، ولا يسرد الحديث سردًا، وليفتتح بقراءة حسن الصوت، ثم الشيخ يبسمل ويدعو، ويقول: الحمد لله رب العالمين، أكمل الحمد على كل

---

(١) فى ك (سعد بن سعيد) والصواب أنه سهل بن سعد الصحابى فقد جاوز المائة كما فى التقريب وتهذيب الكمال.

(٢) فى ط وليحرض والتصويب من ك

حال، والصلاة والسلام الأتمان على النبي، كلما ذكره الذاكرون، وكلما غفل عن ذكره الغافلون، اللهم صل على محمد وآله، وسائر النبيين، وآل كل وسائر الصالحين، نهاية ما ينبغي أن يسأله السائلون، ثم يثنى على شيخه بما هو أهله، ولا بأس بأن يذكره بما يعرف به من لقب، أو نسبة ولو إلى أم، أو صفة، أو وصف فى بدنه، وإن كان له شيوخ فيختار أعلاهم سنداً، وأقصرهم متناً.

ويستحب أن يتخذ مستملياً متيقظاً رفيع الصوت، يبلغ عنه إذا كثر الجمع على نحو كرسي، ثم يختم إملاءه بشىء من الحكاية، والنوادر، والإنشادات فى الزهد، والآداب، ومكارم الأخلاق، وإذا قصر المحدث عن التخريج أو أشغل عنه استعان ببعض الحفاظ فى التخريج له.

الفصل الثانى فى آداب الطالب:

قد سبق الكلام فى السن الذي يبتدأ فيه الطالب بسماع[1] الحديث، وليبدأ بسماع أرجح شيوخ بلده إسناداً وعلماً وديناً وشهرة، فإذا فرغ منه ارتحل؛ فإنه من دأب الحفاظ المبرزين، ولا يحمله الشره على التساهل فى السماع والتحمل فيخل بشىء من شروطه، وليعمل بما يمكنه ويطيقه مما يسمع من العبادات والآداب، فإن ذلك زكاة الحديث. قال بشر الحافي: اعملوا من كل مائتى حديث بخمس، وليعظم من يسمع منه إجلالا للعلم، ويتحرّى رضاه، ولا يضجره، ولا يملّه، قال الزهرى: المجلس إذا طال كان للشيطان نصيب. فإذا فاز بفائدة أرشد غيره إليها، فإن كتمان ذلك لوم وحرمان؛ لأن بركة الحديث إفادته ونشره، وبه ينمو.

ولا يمنعه الحياء والكبر من السعي فى التحصيل، وأخذ العلم ممن دونه فى سن، أو نسب، أو منزلة، وليصبر على جفاء شيخه، وليعتنِ بالأهم فالأهم، ولا يضيع زمانه فى الإكثار من الشيوخ لِمجرد الكثرة، وليكتب وليسمع ما يقع له من كتاب أو جزء بكماله، ولا ينتخب منه لغير ضرورة، ولا يقتصر على السماع والكتب، دون المعرفة والفهم، بل يتعرف صحته، وضعفه، ومعانيه، وفقهه، وإعرابه، ولغته، وأسماء رجاله، ويعتنى بإتقان مشكله، حفظًا وكتابة، ويقدم الصحيحين، ثم سنن أبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة، ثم الكتاب الكبير للبيهقى، فإنه بديع فى بابه، ثم المسانيد، كمسند الإمام أحمد وغيره، ومن التواريخ تاريخ البخاري، وابن

(١) فى ط (السماع)

خيثمة، ومن كتب الجرح والتعديل كتاب ابن حاتم[1]، ومن مشكل الأسماء كتاب ابن ماكولا.

ويشتغل بالتخريج والتصنيف إذا تأهل له معتنياً، فقلَّ من تمهر فى علم لم يصنف، ولعلماء الحديث فى تصنيفه طريقان: أجودهما على الأبواب، كما فعله البخاري ومسلم، فيذكر فى كل باب ما عنده فيه، ثم على الأسانيد، فيجمع فى ترجمة كل صحابى ما عنده من حديثه، صحيحه وضعيفه، ويرتب بالسابقة، فيقدم العشرة، ثم أهل بدر، ثم الحديبية، ثم من هاجر بينها وبين الفتح، ثم أصاغر الصحابة، ثم النساء، يبدأ بأمهات المؤمنين.

الفصل الثالث فى آداب الكاتب:

قيل: أول من كتب وصنف من السلف ابن جريج، وقيل: مالك، وقيل: الربيع بن صبيح، ثم انتشر التدوين، وظهرت فوائده، وعلى الكاتب صرف الهمة إلى ضبطه وتحقيقه شكلا ونطقًا مخافة اللبس، ولا يقيد الواضح، وجاز شكل الجميع للمبتدئ، ويعتنى بضبط الملتبس من أسماء الرجال؛ لأنها نقلية محضة، ويضبط المشكل فى المتن، ويبينه فى الحاشية، ولا يعلق الخط تعليقاً، ولا يدققه؛ فإن الخط علامة فأحسنه أبينه، وعن بعضهم: اكتب ما ينفعك وقت حاجتك إليه وقت الكبر وضعف البصر، ولا يصطلح رمزاً لا يعرفه غيره، إلا أن يبين، ويعتنى بضبط مختلف الروايات وتمييزها، فيجعل كتابه على رواية، ويلحق البقية بالحاشية، وما كان من نقص أعلم عليه، أو خلاف نبَّه عليه، ويسمى راويه، ويجعل بين كل حديثين دائرة، فإذا قابل نقط وسطها، ولا يفصل بين المضاف والمضاف إليه فى سطرين.

وإذا كتب اسم الله تعالى أتبعه بالتعظيم: «عز وجل» ونحوه، واسم الرسول أردفه بالصلاة والتسليم، ولا يسأم من تكراره، وإن لم يكن فى الأصل، ومن أغفل ذلك حرم حظًا عظيما، ولا يرمز بهما، وكلما كتب، صلى بلسانه أيضًا، وكذلك الترضى والترحم على الصحابة والعلماء، ويكره الاقتصار على الصلاة دون التسليم، وبالعكس، وعليه مقابلة كتابه بأصل شيخه، وإن كان أجازه.

وإذا خرج الملحق أى الساقط فليخط من موضع سقوطه فى السطر خطاً صاعداً قليلا معطوفاً إلى جهة الملحق، ويكتب الملحق قبالته فى الحاشية، وجهة اليمين أولى إن اتسع، إلا أن يكون فى آخر السطر، فليكتب صاعداً إلى أعلى الورقة، ثم إن زاد

---

(١) كذا فى المطبوع والمخطوط، والصواب أنه ابن أبى حاتم.

الملحق على سطر ابتدأ سطوره من جهة طرف الورقة، إن كان فى يمينها، بحيث تنتهى سطوره إلى أسطر الكتاب، وإن كان فى الشمال ابتدأ الأسطر من جهة أسطر الكتاب، ثم يكتب فى انتهاء اللحق «صح»، ولا بأس بكتابة الفوائد المهمة على الحواشى، لا بين الأسطر، ومن شأن المتقنين الاعتناء بالتصحيح بأن يكتب فيما عرضه الشك أو الخلاف لفظة «صح»؛ ليدل على صحة روايته، ويعنى بالتضبيب بأن يمد خطاً أوله كرأس الضاد على ثابت نقلا، فاسد لفظاً أو معنى، أو على ضعيف، أو ناقص نحو موضع الإرسال والانقطاع.

وإذا وقع فى الكتاب خطأ وحققه، كتب عليه «كذا» صغيرة، وكتب فى الحاشية: «صوابه كذا»، إن تحققه، وإن وقع فيه ما ليس منه نفى بالضرب بخط بين مختلطاً به، ويتركه ممكن القراءة، فإن كان الضرب على مكرر، قال القاضى عياض: إن كان المكرران فى أول السطر ضرب على الثانى، وإن كان فى آخره ضرب على أولهما؛ صيانة لأوائل السطور، وأواخرها، فإن كان أحدهما فى أول سطر، والآخر فى آخره ضرب الآخر؛ لأن الأول أولى بالمراعاة، وقيل: يبقى أحسنها وأبينها صورة، وأما الحك فكرهه أهل العلم للتهمة.

ويجوز أن يرمز ويكتب من حدثنا «ثنا» أو «نا»، أو «دنا»، ومن أخبرنا «أنا»، أو «أنبا»، أو «برنا»[1]، وإذا كأن للحديث إسنادان أو أكثر، كتبوا عند الانتقال من إسناد إلى إسناد مسمى «ح» مفردة مهملة، قال ابن الصلاح: لم يسمع ممن يعتمد عليه بيان أمرها، ووجدت بخط جماعة من الحفاظ بدلا عنها «صح» صريحة فيكون «ح» رمزاً من «صح» لئلا يتوهم أن حديث هذا الإسناد سقط، ولئلا يركب الإسناد الثانى على الإسناد الأول، فيجعلا إسناداً واحداً.

وعن بعض الأصفهانيين أنها من التحول من إسناد إلى إسناد، وقيل: من حائل، أى حول بين الإسنادين، وليست من الحديث، فلا يلفظ بشىء عند الانتهاء إليها فى القراءة.

وقال بعض المتأخرين: هى إشارة إلى قولنا: الحديث وحكى عن جميع أهل المغرب أنهم يقولون إذا وصلوا إليها فى القراءة: الحديث. وقال بعض البغدادين: من العلماء من يقول إذا انتهى إليه فى القراءة: «حا» مقصورة ويمر، هذا هو المختار الأحوط الأعدل.

---

(١) في ط (دنا) وهو خطأ والتصويب من ك.

وينبغى للطالب أن يكتب بعد البسملة اسم الشيخ الذى سمع الكتاب منه، وكنيته، ونسبه، ثم يسوق ما سمعه منه، ويكتب أسماء من سمعه معه، وتاريخ السماع، ولا بأس بكتبه آخر الكتاب، وينبغى أن يكون التسميع بخط شيخ موثوق به معروف الخط، ولا بأس أن لا يكتب المستمع خطه بالتصحيح، ولا بأس بأن يقتصر على إثبات سماعه بخط نفسه، إذا كان موثوقا به، وعلى الكاتب التحرى فى بيان السامع، والمسموع، والمستمع، ويجتنب التساهل فيمن يثبت اسمه.

والحذر من إسقاط بعض السامعين لغرض فاسد، وإذا لم يحضر مثبت السماع مجلساً، فله أن يعتمد فى حضورهم على خبر الشيخ، أو ثقة حضره، ومن أثبت سماع غيره فى كتابه قبح منه كتمانه، أو منعه نسخه، أو نقل سماعه، وإن كان سماعه فى كتابه بخط صاحب الكتاب لزمه إعارته إياه؛ لأن خطه يدل على رضاه، وإلا لم يلزمه، هكذا قاله الأئمة الأجلة، ولا ينبغى لأحد أن يكتب السماع فى كتاب لم يصحح تصحيحاً مرضياً، كى لا يغتر بصحته، إلا أن يبين كون النسخة غير مقابلة، وإذا سمع كتاباً كتب: بلغ فى المجلس الأول والثانى إلى آخره، وكذا إذا قابل، والله أعلم.

• بسم الله الرحمن الرحيم •

الحمد لله، نحمـدهُ ونستعينه ونستغفـره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يـهده الله فلا مضل له، ومن يضللْ فـلا هاديَ له. وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ شَهـادةً تكونُ للنجاة وسيـلة، ولرفع الدرجات كفـيلة، وأشهد أن مـحمدًا عـبدهُ ورسوله، الذي بعثه وطرقُ الإيمان قد عفَتْ آثارُها، وخبتْ أنوارُها، ووهنت أركانها، وجُهل مكانها، فشيد صلواتُ الله وسلامُه عليـه من معالمها ما عفا، وشفى من الغليل فى تأييـد كلمـة التوحـيد مَن كـان على شـفى، وأوضحَ سـبيل الهـداية لمن أرادَ أن يسلُكها، وأظهرَ كنوزَ السّعادة لمن قصدَ أن يملكها.

• بسم الله الرحمن الرحيم •

القول فى شرح الخطبة

قوله: «الحمد» هو الثناء على الجمـيل الاختيارى من نعمة وغيـرها، تقول: حمدت زيداً على علمه وإحسـانه، فقوله: «الحمد لله» ههنا مطلق، يتناول حـمد الله تعالى نفسه، وأرفع حـمد ما كان من أرفع حامد، وأعـرفهم بالمحمود، وأقدرهم على إيفاء حقـه قال: «لا أحصى ثناء عليك أنت كمـا أثنيت على نفـسك». وقيل: ما أثنـى الله على نفسه هـو بثُّ آلائه، وإظهار نعـمائه بمحكمات أفعاله، ويتناوله حمد الحامـدين من ابتداء الخلق إلى انتهاء قولهم: «وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين»(*).

وقوله: «نحمد الله» استئناف وإظهار لتخصيص حـمده، لكن باستعانته، ونفى الحول والقوة دفع الرياء والسـمعـة من نفسـه، ومن ثم أتبعـه بقوله: «ونعـوذ بالله من شرور أنفـسنا»، ولما أضيفت الـشرور والأعمال إلى الأنفس، وأوهم أن لهـا الاختيار والاسـتقلال بالأعمـال، أتبعه بقـوله: «من يهدى الله فـلا مضـل له»؛ ليؤذن بأن كل ذلك منه، ولـيس للعبـد إلا الكسب. والضميـر المستكن فى «نحمده ونستـعينه ونستغفـره» للمتكلم ومن معه من أصحـابه الحاضرين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وفى «أشهد» لنفسه (علـيه السلام) خاصة أفرده للتوحيد، وهو إسقاط الحدوث وإثبات القدم، فأشار أولا إلى التفرقة، وثانياً إلى الجمع.

وقوله: «قد عفت» اندرست، «خبت» خفيت، «وهنت» ضعفت.

قوله: «من كان عـلى شفا» **جانس**[1] بين شفـا وشفا مـن حيث اللفظ، وطابق بينهـما من حيث المعنى، يقال: مرضت مرضاً أشفيت على الموت، أى أشرفت عليه، ويجوز أن يكون من شفا الذى هو طرف كل شىء، فيكون مقتبساً من قوله تعالى: **﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾**[2]

(*) يونس: ١٠

(١) فى (ط) جالس وهو خطأ، والصواب (جانس) من الجناس وهو فن من فنون البديع مشهور.

(٢) آل عمران: ١٠٣

أمـا بعدُ؛ فـإنَّ التـمسكَ بهـديه لا يَسـتتبُّ إلا بـالاقتـفاء لما صـدرَ من مـشكاته، والاعتـصامَ بحبل الله لا يتمُّ إلا ببيـان كشفـه، وكان «كتاب المصـابيح» ـ الذى صنفهُ الإمامُ مُحيي السنة، قـامعُ البدعة، أبو محمد الحسين بن مسعـود الفراء البغوي، رفعَ الله درجتـه ـ أجمعَ كـتابٍ صُنفَ فى بابه، وأضـبطَ لشوارد الأحـاديث وأوابدها ولَمَّا سلَك ـ رضى اللهُ عنه ـ طريق الاختصار، وحذفَ الأسـانيد؛ تكلمَ فيه بعضُ النقاد، وإن كان نـقله ـ وإنه من الثقـات ـ كالإسناد، لكنْ لـيس ما فـيه أعـلام كالأغـفال، فاستخرتُ اللهَ تعالى، واستوفقت(*) منه، فأعلمتُ ما أغـفله، فأودَعتُ كل حديثٍ منه فى مقرِّه كما رواه الأئمـةُ المتقنون، والثقاتُ الراسخون؛ مثلُ أبى عـبد الله محمدِ بن إسماعيل البخاريّ، وأبى الحسين مُسلمِ بن الحـجاج القُشيرىّ، وأبى عبدالله مالك بنِ أنسٍ الأصبَحى، وأبى عبدالله مـحمدِ بنِ إدريسِ الشافـعيّ، وأبي عبدالله أحـمدَ بنِ محمد بن حنبلٍ الشيبانيّ، وأبى عيسى مـحمدِ بن عيسى التّرمذيّ، وأبى داودَ سليمانَ ابنِ الأشعث السجِستاني، وأبى عبدالرحـمن أحمدَ بنِ شُعيب النَّسـائيّ، وأبى عبدالله مَحمدِ بن يزيدَ بن ماجه القَزوينيّ، وأبى محمد عبدالله بن عبدالرحمنِ الدّارمي، وأبي

قوله: «لا يسـتتب» أى لا يسـتقـيم ولا يستمـر، من التب والتبـاب، وهو الاستـمرار فى الخسران، و«الاقـتفاء» الاتبـاع، و«المشكاة» الكوة فى الجدار غير النافـذة، يوضع فيها المـصباح، وهى ههنا مستعارة لصدر الرسول ﷺ شبه صدره بها لأنه كالكوة ذو وجهين، فمن وجه يقتبس النور من القلب المسـتنير، ومن آخر يفـيض ذلك النور المقتـبس على الخلق، وذلك لاستـعداده بإشراحه مرتين، وشبه قلبه ﷺ بالزجاجة المنعوتة بالكوكب الدرى؛ لصفائه وإشراقه، وخلوصه من كدورة الهوى، ولـوث النفس الأمارة، وهذا هو المعنى فى خطبة المصابيح بـقوله: «خرجت من مشكوة التقوى» وشبهت اللطيفة القدسية المزهرة فى القلب بالمصباح الثاقب.

قوله: «لشوارد الأحـاديث» هو من شرد البعيـر يشرد شروداً وشراداً إذا انفرد، فـهو شارد، والأوابد: الوحوش، وهو من تأبّدت البهيمة تأبداً، أى توحشت، وأعلام[1] الشىء آثاره التى[2] يستدل بها (عليه)[3] والأغفال الأرض المجهولة، ليس فيها أثر تعرف به.

قوله: «المتقنون» هو من إتقان الأمر وإحكامـه، ورجل تقن (بكسر التاء) حاذق، وتقن أيضاً «الراسخون» من رسوخ الشىء، وهو ثباته ثبـاتاً متمكناً، والراسخ فى العلم المتحقق به الذى لا

(*) قوله: استوفقت: أى طلبت منه التوفيق

(١) فى ط علام، وهو خطأ والتصويب من ك

(٢) فى ط الذى وهو خطأ والتصويب من ك

(٣) سقطت من ط

الحسنِ على بن عـمرَ الدارقُطنىّ، وأبى بكرٍ أحمـدَ بن الحسين البَيهَـقىّ، وأبى الحسنِ رَزينِ بن معاويةَ العبدرِىّ، وغيرهم، وقليلٌ ماهو.

وإِنى إِذا نسبتُ الحـديثَ إِليهم كأنى أسندتُ إِلى النبىّ ﷺ؛ لأنهم قد فَـرغوا منه، وأغنونْا عنه. وسردُت الكتبَ والأبوابَ كما سردها، واقتـفيتُ أثره فيها، وقسمتُ كلَّ بابٍ غالبًا على فصولٍ ثلاثة:

أوّلها: ما أخرجَه الشيخان أو أحدهُما، واكتـفيتُ بهما وإِن اشترك فيه الغيرُ؛ لعلوّ درجتهما فى الرّواية.

وثانيهما: ما أورده غيرهُما من الأئمة المذكورين.

وثالثُـهما: مـا اشتـملَ على معنى البـاب من مُلحقـاتٍ مناسبـةٍ مع محـافظةٍ على الشريطة، وإِن كان مأثورًا عن السلفِ والخلف.

ثم إنك إنْ فـقدتَ حديثًـا فى بابٍ؛ فذلك عن تـكرير أُسقطُه. وإِن وجـدت آخر بعضه متروكاً على اختصاره، أو مضمـوماً إليه تمامه؛ فعن داعى اهتمامٍ أتركهُ وألحقه. وإِن عَثرْتَ على اختـلافٍ فى الفصلين من ذكرِ غيرِ الشيـخَين فى الأوَّل، وذكرهما فى الثانى؛ فـاعلم أنى بعد تتبـعى كتابَىْ «الجـمع بين الصحيـحين» للحُميـدى، و«جامع الأصول»؛ اعتمدتُ على صحيحى الشيخين ومتنيهما.

يعرضه شبهة، و«ما» فى «قليل ما» إبهامية، يريد الشيوع فى القلة، ولفظة: «هو» راجعة إلى غيرهم، والضمير فى«منه» و«عنه» للإسناد.

قوله: «على الشريطة» المراد منها إضافة الحديـث إلى الراوى من الصحابة والتابعين، ونسبته إلى مخرجه من الأئمة المذكورين.

قوله: «بعضه» هو بدل البعض من آخر ومتروكاً حاله.

وقوله: «على اختصاره» أى اختصار مخى السنة.

قوله: «فعن داعى اهتـمام أتركه» وذلك لأن تلك الرواية كانت مختـصرة عن حديث طويل جداً، فـأتركه اختصـاراً، أو كان حديثاً يشـتمل على معـان جمة، يقتـضى كل باب معنى من معناه، وأورد الشيخ كلا في بابه ـ فاقتفينا أثره فى الإيراد، وما لم يكن على هذين الوصفين

وإن رأيت اختلافًا في نفس الحديث؛ فذلك من تشعُّبِ طرق الأحاديث، ولعلي ما اطلعتُ على تلك الرواية التي سلكها الشيخُ رضي الله عنه. وقليلاً ما تجد أقول: ما وجدتُ هذه الرواية في كتب الأصول، أو وجدتُ خلافها فيها. فإذا وقفت عليه فانسُبِ القصورَ إليَّ لقلة الدراية، لا إلى جناب الشيخ رفع الله قدره في الدارين، حاشاَ للهَ منْ ذلك، رَحِمَ الله من إذا وقف على ذلك نبهنا عليه، وأرشدنا طريق الصواب. ولم آلُ جهدًا في التنقير(1) والتفتيشِ بقدر الوسع والطاقة، ونقلتُ ذلك الاختلافَ كما وجدتُ.

وما أشار إليه ـ رضي الله عنه ـ من غريب أو ضعيف أو غيرهما؛ بينت وجهَهُ غالبًا. وما لم يشر إليه مما في الأصول؛ فقد قَفَّيْتُه في تركِه، إلا في مواضع لغرض. وربما تجدُ مواضعَ مُهملةً، وذلك حيثُ لم أطلع على راويه فتركتُ البياض. فإن عثرتَ عليه فألحقهُ به، أحسن الله جزاءك. وسميت الكتاب بـ«**مشكاة المصابيح**» وأسأل الله التوفيق والإعانة والهداية والصيانة، وتيسير ما أقصده، وأن ينفعني في الحياة وبعد الممات، وجميع المسلمين والمسلمات حسبي اللهُ ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

أتممناه غالباً. «وإن عثرت» أي اطلعت. «ولم آل جهدًا» أي ولم أقصر من: ألا يألو: قصَّر، لا يألوك نصحاً فهو آل. وحكى الكسائي عن العرب: أقبل يضربه لا يأل، يريد لا يألو فحذف، والجهد (بالضم والفتح) الطاقة والمشقة. والتنقير عن الأمر: البحث عنه.

قوله:« مما في الأصول» يعني جامع الترمذي، وسنن أبي داود، والبيهقي، وهو كثير، فتبعته وتركته تأسياً به.

قوله:«لغرض» وذلك أن بعض الطاعنين أفرزوا أحادث من المصابيح، ونسبوها إلى الوضع، ووجدت الترمذي صححها أو حسنها وغير الترمذي أيضاً، فبينته لرفع التهم، كحديث أبي هريرة: «المرء على دين خليله» فإنهم صرحوا بأنه موضوع، وقال الترمذي في جامعه: إنه حسن، والنواوي في الرياض: إنه صحيح الإسناد. ومن الغرض الذي شرط الشيخ في خطبته أنه أعرض عن ذكر المنكر، وقد أتى منه في كتابه كثيرًا منه، وبين في بعضها كونه منكرًا وترك البعض، فبينت أنه منكر.

قوله:«بمشكاة المصابيح» روعي المناسبة بين الاسم والمسمى مقتبساً من كلام الله المجيد، وذلك أن المشكاة إنما قصد بها ليجتمع ضوء المصباح، فيكون أشد تقوياً، بخلاف المكان الواسع؛ فإن الضوء ينبث فيه وينتشر، و(كذلك) الأحاديث إذا كانت غفلا عن سمة الرواة انتشرت، وإذا قيدت بالراوي انضبطت واستقرت في أمكنتها.

---

(1) التنقير: التفتيش كما في لسان العرب.

١ ـ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لامرىءٍ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه». متفق عليه[١].

قوله: «إنما الأعمال بالنيات» قال الشيخ الإمام المتقن الثقة محيي الدين النووى (رحمة الله عليه) فى شرح مسلم: أجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث، وكثرة فوائده، وصحة روايته، قال الشافعى(رضى الله عنه): هو ثلث الإسلام. وقال ابن مهدى(*) وغيره: ينبغى لمن صنف كتاباً أن يبدأ فيه بهذا الحدث، تنبيهاً للطالب على تصحيح النية. واتفق أهل العربية والأصول على أن«إنما» موضوعة للحصر، يثبت المذكور، وينفى ما سواه، فالتقدير: إن الأعمال تحسب إذا كانت بنية، ولا تحسب إذا كانت بلا نية. وفيه دليل على أن الطهارة(وهى الوضوء والغسل والتيمم) وعلى أن الصلاة والزكاة والصوم والحج والاعتكاف ـ لا يصح إلا بالنية، وأما إزالة النجاسة فالمشهور عندنا أنها لا تفتقر إلى النية، وقد نقلوا الإجماع فيها؛ لأنها من باب التروك. وتدخل النية في الطلاق، والعتاق، والقذف، ومعنى دخولها أنها إذا قارنت كناية صارت كالصريح، وإذا أتى بصريح الطلاق ونوى تطليقتين أو ثلاثاً وقع ما نوى، وإن نوى بالصريح غير مقتضاه دين فيما بينه وبين الله تعالى، ولا يقبل منه فى الظاهر.

قوله: «وإنما لامرىء ما نوى» إشارة إلى أن تعيين المنوى شرط، ولو كانت على إنسان صلاة مقضية لا يكفيه أن ينوى الصلاة الفائتة، بل يشترط أن ينوى كونها ظهرًا أو غيرها، لولا اللفظ الثاني: «إنما لامرىء ما نوى» لاقتضى الأول أى«إنما الأعمال بالنيات» صحة النية بلا تعين، أو أوهم ذلك.

قوله ﷺ: «من كانت هجرته إلى الله ورسوله» معناه من قصد بهجرته وجه الله وقع أجره على الله، ومن قصد بها دنيا أو امرأة فهى حظه، ولا نصيب له في الآخرة. وذكر المرأة مع الدنيا يحتمل وجهين: أحدهما أن سبب هذا الحديث ما روى أن رجلا هاجر ليتزوج امرأة يقال لها: أم قيس(**)، والثانى أنه للتنبيه على زيادة التحذير من ذلك، وهو من باب الخاص بعد

---

[١] الحديث رواه البخاري في صدر كتابه، ورواه مسلم بلفظ: "إنما الأعمال بالنية" كتاب الإمارة/ باب قوله ﷺ: "إنما الأعمال بالنية".

(*) يقصد الإمام عبد الرحمن بن مهدى: ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث، قال ابن المدينى: ما رأيت أعلم منه، مترجم في التقريب .

(**) قال الحافظ بن حجر: "قصة مهاجر أم قيس رواها سعيد بن منصور أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله. هو ابن مسعود ـ قال: من هاجر يبتغى شيئاً فإنما له ذلك، هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فكان يقال له مهاجر أم قيس. ورواه الطبراني من طريق أخرى عن الأعمش بلفظ: كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها، فكنا نسميه مهاجر أم قيس. وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، لكن ليس فيه أن حديث الأعمال سيق بسبب ذلك، ولم أرفى شيء من الطرق ما يقتضي التصريح بذلك". فتح الباري ١/١٦.

العـام، تنبيهـا على مزيته . وقال الراغب: النية تكون مصدرًا واسـماً من نويت، وهي توجه القلب نحو العمل*. وقال القاضي: النية عـبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه مـوافقاً لغرض، من جلب نفع، أو دفع مضـرة، حالا أو مآلا. والشرع خصـصها بالإرادة المتوجهـة نحو الفعل ابتغاء لوجه الله تعالى وامتثالا لحكمه، والنية فى الحديث محمولة على المعنى اللغوى[1]؛ ليحسن تطبيقه لما بعده، وتقسيمه بقـوله: «من كانت هجرته إلى الله» إلى آخره، فإنه تفصيل لما أجمله، واستنباط المقصود عما أصله.

أقـول ـ والعلم عند الله تعـالى ـ: كل واحد من «الأعـمـال» و«النيات» جـمع مـحلى بلام الاستغراق، فإما أن يحمل على عرف اللغة فيكون الاستغراق حقيقياً، وإما أن يحمل على عرف الشرع، وحـينئذ إمـا أن يراد بالأعمال الواجـبات والمندوبات والمبـاحات، وبالنيـات الإخلاص والرياء، أو أن يراد بالأعمال الواجبات وما لا يصح إلا بالنية، كالطهارة والصلاة والصيام. ولا سبيل إلى الأول أى اللغوى لأنه (ﷺ) ما بعث إلا لبـيان الشرع، فكيف يتصدى لما لا جدوى له فيـه؟ على أن«إنما» يستعـمل فى رد من عنده حكم مشـوب بخطأ وصواب، ومن كان عـارفاً باللغات لا يخطىء فى اسـتعمال اللغة حـتى يرد حكمه إلى الصواب بإنما، لا سـيما تكراره فى الحديث فإنه يدل على إثبات أمـر خطير في الشرع، فحينئذ يحمل قـوله: «إنما الأعمال بالنيات» على ما اتفقت عليه الفقـهاء من أصحابنا، أى ما الأعمال محسـوبة بشىء من الأشياء كالشروع فيها والتلبس بها إلا بالنيات، وما خلا عنها لم يعتـد بها. فإن قيل: لم خصصت متعلق الخبر والظاهر العموم كمـستقر أو حاصل؟ فالجواب أنه يكون بيـاناً للغة، لا إثبات حكم في الشرع، وقد سبق بطلانه.

ويحـمل قوله: «إنما لامـرىء ما نوى» إلى آخـره على ما تثـمره النيـات من القبـول والرد، والثواب والعقاب، وغيـر ذلك. ففهم من الأول أن الأعمال لا تكون محسوبة ومـسقطة للقضاء إلا إذا كانت مقرونة بالنيات، ومن الثانى أن النيات إنما تكون متعددة ومقبولة إذا كانت مقرونة بالإخلاص، مبعدة عن الرياء، فالأول قصـر المسند إليه في المسند، والثانى عكسه. وتقرب منها الصلاة في الأرض المغصوبة، فإنها محسوبة ومسقطة للقضاء، لكن إيقاعها فيها حرام يستحق به العقاب.

وقال الشيخ محيي الدين النووى: قال أصحـابنا: الفروض وغيرها من الواجبات إذا أتى بها على وجهها الكامل يتـرتب عليها شيئان: سقوط الفرض عنـه، وحصول الثواب، فإذا أداها فى أرض مغصـوبة حصل الأول دون الثانى. وتحريره أن قولـه: «وإنما لامرىء ما نوى» دل على أن الأعمال تحسب بحسب النية، إن كانت خالصـة لله تعالى فهي لله تعالى وإن كانت للدنيا فهى

(١) أي مطلق القصد سواء قصد وجه الله أم لا.

* في المطبوع : العمد

لها، وإن كانت لنظر الخلق فكذلك، وقد نص به صريحاً فى قوله ﷺ: «والخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، قال: فأما الذى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله، وأما الذى هى ستر فرجل ربطها تغنيًا[1] وتعففاً، وأما الذى عليه وزر فرجل ربطها فخراً ورياء»[2]. وعلى هذا المعنى ينبغى أن يحمل ما بعد الفاء التفصيلية؛ لأنه لن يكون المفصل خلاف المجمل، وكذلك عكسه، فإذًا المعني بالهجرة الهجرة المعروفة فى عهد النبى (ﷺ) لقوله: «لا هجرة بعد الفتح»، ومعلوم أن الهجرة لا تقتضى إلا الإخلاص؛ لأن الهجرة إلى الدنيا وإلى المرأة لا يقتضيان النية التى فى الطهارة مثلا، وفى تكرير لفظة: «إلى الله ورسوله» فى الشرط والجزاء تعظيم لمعنى تلك الهجرة، وتفخيم لشأنها، أي هى الهجرة الكاملة التى تستحق أن تسمى هجرة، وأن ما سواها ليست بهجرة، ولم تكن كذلك إلا أن تكون خالصة لوجه الله، كقوله تعالى: «يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته»[3] أى وإن لم تبلغ فما بلغت رسالته، يعنى ارتكبت أمرًا عظيما، وخطباً جسيما، ولهذا السرّ غير العبارة في متعلق الجزاء الثانى بلفظة: «ما» حطًا من منزلتها، أى ليست هجرته من الله فى شيء، فإنه ما طلب بها وجه الله، بل طلب الدنيا، فله ما طلب، كما هو حال الرجل الذى قصد نكاح تلك المرأة، وعطف قوله: «أو امرأة يتزوجها» على «دنيا يصيبها» وهى مشتملة على مالها وجمالها وما يتعلق بها من الشهوات، تخصيصاً بعد التعميم؛ ليدل على أن النساء أعظمها ضررًا وأكثرها تبعة، كقوله تعالى: «زين للناس حب الشهوات من النساء»[*] الآية، جعلهن من الشهوات حيث بين الشهوات بها.

وقول الشيخ محيي الدين: «إنما موضوعة للحصر تثبت المذكور وتنفى ما عداه» مستقيم؛ إذ لم يتعرض فى قوله إن [4] «إن» للإثبات و«ما» للنفى، كما صرح به الأكثرون، وهو غير مستقيم؛ لأن «ما» ليست نافية، بل هى كافة مؤكدة. وروى صاحب المفتاح [5] عن على بن عيسى الربعى أن إفادة الحصر من «إنما» إنما كانت من أن«إن» كانت لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها«ما» المؤكدة- لا النافية على ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو - ضاعف تأكيدها، فناسب أن يضمن معنى القصر.

وأصل الهجرة مفارقة الأوطان والأهل. قيل: الهجرة أنواع: الأولى: الهجرة إلى الحبشة عندما آذى الكفار الصحابة، الثانية: الهجرة من مكة إلى المدينة، والثالثة: هجرة القبائل إلى

(١) في ط تقينا وهو خطأ والتصويب من ك.
(٢) الحديث أخرجه بنحوه مسلم في الزكاة ح/ ٩٨٧
(٣) المائدة: ٦٧
(*) آل عمران: ١٤
(٤) سقطت من ط.
(٥) يقصد السكاكى أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر محمد بن على ت٦٢٦هـ وكتابه مفتاح العلوم

النبي(ﷺ) لتعلم الشرائع، ثم يرجعون إلى المواطن ويعلمون قومهم، والرابعة: هجرة من أسلم من أهل مكة ليأتي إلى النبي ﷺ ثم يرجع إلى مكة، والخامسة: الهجرة عما نهى الله عنه. ومعنى الحديث وحكمه ثابت متناول للجميع، غير أن حكاية أم قيس تقتضي أن المراد بالحديث الهجرة من مكة إلى المدينة (*)، ولهذا حسن في الحديث ذكر المرأة، دون سائر ما ينوى بالهجرة من أعراض الدنيا.

أقول: إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ودنيا مقصورة غير منونة؛ لأنه فعلى، وسميت الدنيا لدنوها، والجمع دُنى، مثل الكبرى والكُبَر. قال المالكي في كتاب شواهد التوضيح في مشكلات الجامع الصحيح: في استعمال دنيا مع كونه منكرًا إشكال؛ لأنها تأنيث أدنى، وهو أفعل تفضيل، فكان حقه الدنيا، كالكبرى والحسنى، إلا أن دنيا خلعت عنها الوصفية رأساً، وأجريت مجرى ما لم يكن وصفاً، كرجعى وبهمى، ونحوه قول الشاعر:

وإن دعوت إلى جُلَّى ومكرمة ... يومًا سراة كرام الناس فادعينا

فإن الجُلَّى مؤنث الأجل، فخلعت عنه الوصفية، وجعلت اسماً للحادثة العظيمة.

وإنما أورد إمام أئمة الحديث محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه، ومحيي السنة في كتابيه: شرح السنة، والمصابيح هذا الحديث قبل الشروع في أبواب الكتاب - إيذاناً بأن هذا المصنَّف منويٌّ فيه الإخلاص لله تعالى ومجتنب عن الرياء والسمعة. فلذلك تقبل الله منهما، وجعل الكتب أعلاماً من أعلام الدين، ونحن اقتفينا أثرهما، فاهتدينا بهديهما، نرجو(1) من فضل الله وكرمه أن يتقبل منا، ويجعل تعبنا سبباً لنجاتنا ونفعاً (2) للطالبين.

فائدة على لسان أهل الإشارة: قال بعضهم: العمل سعى الأركان إلى الله، والنية سعى القلوب إلى الله، والقلب ملك، والأركان جنوده، ولا يحارب الملك إلا بالجنود، ولا الجنود إلا بالملك. وقال بعضهم: النية جمع الهم في تنفيذ العمل للمعمول له، وأن لا يسبح في السر ذكر غيره. وقال بعضهم: نية العوام في طلب الأغراض مع نسيان الفضل، ونية الجهال التحصن عن سوء القضاء ونزول البلاء، ونية أهل النفاق التزين عند الله وعند الناس، ونية العلماء إقامة الطاعة لحرمة ناصبها لا لحرمتها، ونية أهل التصوف ترك الاعتماد على ما يظهر منهم من الطاعات، ونية أهل الحقيقة ربوبية تولد (3) عبودية.

(*) انظر ما سبق نقله عن الحافظ في قصة مهاجر أم قيس.

(1) في ط نرجو (الله) وفي ك بدون لفظ الجلالة.

(2) في ط نافعاً والتصويب من ك.

(3) في (ط)و(ك) (تولدت).

كتاب الإيمان

الفصل الأول

٢ـ * عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قال: بـينـا نحـن عنـد رسول الله ﷺ

كتاب الإيمان

الفصل الأول

الحديث الأول ـ قوله: «بينا» قال صاحب النهاية: بينا: بين، فأشبعت الفتحة فصارت ألفًا، يقال: بينا وبينما، وهما ظرفا زمان بمعنى المفاجأة (١) ومضافان إلى جملة: من فعل وفاعل، أو مبتدأ وخبر، ويحتاجان إلى جواب يتم به المعنى، كما يستدعى «إذا» والأفصح في جوابهما أن لا يكون فيه إذ وإذا، وقد جاء فى الجواب كثيرًا، وفـي اللُّباب: قال الأصمعى: لا يستفصح إلا طرحهما فى جواب بينا وبينما، وأنشد:

وبينا نحن نرقبه أتانا

لأن الظاهر أن العامل فى«بينا» هو الجواب، كما في«إذا» الزمانية على الصحيح، ويلزم تقدم ما فى صلة المضاف إليه على المضاف. قال شارحه: بينا وبينما ظرفان متضمنان لمعنى الشرط، فلذلك اقتـضيا جوابًا، والقياسَ أن لا يكون«إذا» فـى جوابه، فعلى هذا يكون «أتـانا» عاملا في «بينا»، مع أنَّه مضاف إلـيه لا يتقدم على المضاف وفيه نظر. انتـهى كلامه. فيقال لا ريب أن عمر وأبا هريرة (رضى الله عنهما) كانا أفصح من الشاعر، وقد أتيا بـ«إذا» فى الحديث، فحينئذ يكون العامل معنى المفاجأة في«إذا» كما قرره صاحب الكشاف فى قوله تعالى: «وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون» (٢) العامل في«إذا» المفاجأة،تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجئوا وقت الاستبشار، فمعنى الحديث وقت حـضورنا في مجلس رسول الله(ﷺ) فاجأنا وقت طلوع ذلك الرجل، فحينئذ «بينا» ظرف لهذا المقدر، و«إذا» مفعول به بمعنى الوقت، فلا يلزم إذًا تقدم معمول الـمضاف إليه على المـضاف. وقد ساعد هذا القـول صاحب اللباب بعد ذلـك بقوله: والعامل فيهمـا الجواب إذا كان مجردًا من كلمتى المـفاجأة وإلا فمعنى المفاجأة المـتضمنة هما إياه. قوله:«هـما» أي إذ وإذا، و«إياه» أي ذلك المعـنى، ويدل على تضـمنهما معـنى الشرط تصريح الفاء فـى الجواب فى قوله ﷺ (٣): «بينا يضحكهم فطـعنه النبى ﷺ» الحديث، رواه أبو داود عن أسيد بن حضير.

---

(١) فى ط المفاجآت والتصويب من ك.

(٢) الزمر: ٤٥.

(٣) في ط عليه السلام.

ذات يومٍ، إِذ طلع علينا رجل شديدُ بيـاض الثياب، شديدُ سواد الشـعر، لا يُرى عليه أثرُ السفر، ولا يعرفُه منّا أحد، حتى جلس إِلى النبي ﷺ، فأسـند ركبتيه إِلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإِسلام. قال: «الإِسلام: أن

قوله: «ذات يـوم» ظرف لمعنى الاستـقرار فى الخـبر. و«ذات» يجـوز أن يكون صلة، قـال صاحب النهاية: فى الحـديث «يطلع عليكم رجل من ذى يمن على وجهه مـسحة من ذى ملك» كذا أورده عـمرو الزاهد، وقال: «ذى» هـنا صلة؛ وأن يكون غير صلة، فـى المغرب: ذو بمعنى الصاحب، تقول للمرأة[1]: امرأة ذات مال، ثم أجروها مجرى الأسماء التـامة المستقلة بأنفسها، فقالوا: ذات قـديمة أو محدثة، ثم استعـملوها استعمال النفس والـشيء، فعلى هذا قوله: «ذات يوم» يفيـد من التوكيـد ما لا يفيـده لو لم يذكر، لئلا يتـوهم التجوز إلى مطلق الزمـان، نحو قولك: رأيت نفس زيد، وقولك: رأيت زيداً.

وقوله: «لا يرى عليه أثر السفر» «مح»: يعنى تعجبنا من كـيفية إتيانه، ووقع فى خاطرنا أنه ملك، أو من الجن؛ لأنه لـو كان بشـراً إمـا أن يكون مـن المدينة، أو غـريبـاً، ولم يكن من المدينة؛ لأنا لا نعرفه، ولم يكن إتيانه من بعد؛ لأنه لم يكن عليه أثر السفر من الغبار وغيره.

وقوله: «حتى جلس» متـعلق بمحذوف، تقديره: استأذن وأتى حـتى جلس عند النبي (عليه الصلاة والسلام).

وقوله: «فأسند ركبتيه إلى ركبتيه» يقال: أسند، إذا اتكأ على شيء وأوصل. وإنما جلس هكذا ليتعلم الحاضرون جلوس السـائل عند المسئول؛ لأن الجلوس على الركبة[2] أقرب إلى التواضع والأدب، واتصال ركـبة السـائل بركبـة المسئـول يكون أبلغ فى استـماع كل واحد من السـائل والمسئول كلام صاحبه، وأبلغ فى حـضور القلب، وألزم للجواب؛ لأن الجلوس على هذه الهيئة دليل على شدة حاجة السائل إلى السؤال، وتعلق قلبه واهتـمامه إلى استماع الجواب، فإذا عرف المسئول هذا الحرص والاحتياج من السائل إلى السؤال يلزم على نفسه جوابه، ويبالغ فى الجواب أكثر وأتم مما سأل السائل. تم كلامه.

قوله: «ووضع يديـه على فخذيه» قـال الشيخ التـوربشتي: الضـمير فى الكلمـتين راجع إلى جبرئيل(عليه السلام) فلو ذهب مـؤوِّل إلى أن الثانى يعود إلى رسول الله (ﷺ) لم ينكر عليه، لما يدل عليه نسق الكلام من قوله: «وأسند ركبتيه إلى ركبتيه»، غير أنا نذهب إلى الوجه الأول؛ لأنه أقرب إلى التـوقير، وأشبـه بسمت ذوى الأدب. وذهب محيي السنة إلى الوجـه الثانى فى كتـابه المسمى بـ«الكفـاية»، وكذا إسـماعيل بن الفـضل التيـمى فى كتـابه المسمى بـ«التـرغيب والترهيب».

(١) فى ط للمؤنث وهو خطأ والتصويب من ك

(٢) في ط(البركة)   والتصويب من ك.

وأقول: لعل هذا الوجه أرجح؛ لأن الأصل فى إسناد الركبة إلى الركبة أن يكون الاعتماد والاتكاء عليه، فإذًا لا يبعد وضع جبريل عليه السلام يديه على فخذى رسول الله ﷺ على تلك الحالة، فأشعرت تلك الهيئة بأنها ليست كهيئة التلميذ، وكذا نداؤه لرسول الله ﷺ باسمه، بل هما من هيئة الشيخ إذا اهتم بشأن التعليم، وأراد مزيد إصغاء المتعلم وإفهامه، فكيف لا؟ وقد شهد الله تعالى به فى قوله: «**علمه شديد القوى**»[1] وكفى به شاهدًا. وينصره أيضًا أمران: أحدهما قوله: «جلس إلى النبى ﷺ»، فلو كان جلوسه جلوس المتعلم لقيل: بين يديه، فضلا أن يقال: عنده، فكيف بقوله: «جلس إليه»؟ لأنه متضمن معنى الميل والإسناد، كأنه قيل: مال إليه حالة جلوسه وأسند إليه، فيكون **عطف قوله: «وأسند ركبتيه» على قوله: «جلس إليه» للبيان والتفسير**، كعطف قوله تعالى: «**وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ـ إلى قوله ـ من خشية الله**» [2] على قوله: «**فهى كالحجارة أو أشد قسوة**»[3] لما يعلم من المعطوف كون قلوبهم أقسى من الحجارة، وثانيهما قوله: «صدقت» وإنما يقال هذا إذا طابق قول المسئول عنه قول السائل؛ لأنه إذا عرف أن المسئول عنه أصاب المخبر وطبق المفصل صوبه، ولهذا السر قالوا: «تعجبنا من قوله: صدقت». **وأيضاً فى إيثار «إذ طلع علينا» على «إذ دخل» إشارة إلى عظمته وعلوه**. «غب»: طلع علينا فلان، مستعار من: طلعت الشمس[4]. «الكشاف»[5]: فى قوله: «**أطَّلع الغيب**»[6]: ولاختيار هذه الكلمة شأن، يقول: أو قد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى إلى علم الغيب، فحينئذ يتعلق«حتى» بمحذوف يدل عليه«طلع» أى دنا منه حتى جلس إليه.

وإذا تقرر هذا فصورة هذه الحالة كصورة المعيد* إذا امتحنه الشيخ عند حضور الطلبة والمستفيدين منه، ليزيدوا طمأنينة وثقة فى أنه يعيد الدرس ويلقى إليهم المسألة كما سمعه من الشيخ بلا زيادة ولا نقصان، وفيه مسحة من قوله: «**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى**» وهذا معنى قوله(عليه السلام) فى آخر الحديث: «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

وأما سر إسناد ركبتيه إلى ركبتيه ففيه إشارة إلى سابقة بينهما، وشدة إخلاص واتحاد، كما بين المتحابين، ولله در القائل:

أخ طاهر (الأخلاق)[7] حلو كأنه ... جنا النحل ممزوج بماء غمام

يزيد على الأيام صفو مودة ... وشدة إخلاص ورعى ذمام

(١) النجم: ٥

(٢) البقرة: ٧٤.

(٣) البقرة: ٧٤

(٤) انظر المفردات للراغب الأصبهانى مادة طلع.

(٥) انظر الكشاف للزمخشرى، مريم: ٧٨.

(٦) مريم: ٧٨ .

(٧) فى هامش (ك) إشارة إلى أن للبيت رواية أخرى بلفظ (الأعراق) مكان (الأخلاق).

* هو الذي يتولى إعادة الدرس نيابة عن الشيخ للطلبة.

تشهـدَ أن لا إله إلا الله وأن محمـدًا رسولُ الله، وتقيـمَ الصلاة، وتؤتـيَ الزكاة، وتصومَ رمضان، وتـحجَّ البيت إن استطعتَ إلـيه سبيلاً». قال: صدقت. فعـجبنا له يسأله ويصدقه! قال: فأخبرني عن الإيـمان. قال: «أن تُؤمنَ بالله، وملائكتِه، وكتُبِه، ورسُلِه، ....

وأما طلوع جبريل(عليه السلام) على تلك الهيئة والشأن فإشارة [1] إلى معنى قوله: «حسن الأدب في الـظاهـر عنوان حـسن الأدب في الـباطـن» ولذلك أدب الله رسـوله(علـيه الـسلام) بقوله: «وثيابك فطهـر والرجز فاهجر»[2]؛ على هذا ينـزل نزوله عليه السلام أحـيانًا في صورة دحية (رضي الله عنه)؛ لأنه كان من أجمل النـاس، ومن ثمة كان الإمام مالك (رضي الله عنه) إذا أراد أن يحدِّث توضأ وجلس على صدر فراشه، وسرح لحـيته وتطيب، وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة، ثم حدث، فقيل له في ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ.

قوله:«أخبرني عن الإسلام» الإسـلام الانقياد والطاعة عن الطوع والرغبـة من غير اعتراض، يقال: سلم وأسلـم و(استسلم)[3] إذا خضع وأذعـن، ولذلك أجاب عنـه بالأركان الخـمسة، و«أن» في قوله: «أن لا إله إلا الله» هي المخففة عن المثقلة، يدل عليه عطف: «وأن محمدًا».

قوله:«وأن تقيم الصـلاة» إقامة الصلاة تعديل أركانـها وإدامتها، والصلاة فعـلة من: صلى بمعنى دعا أو حـرك الصلوين[4]؛ لأن المصلى يـحركهما في ركوعه وسجـوده، كالزكاة من: زكى بمـعنى نمـا أو طهر، فإن الـمال يزيد بأداء الـزكاة ويطهـر به، وكالصـوم من: صام إذا أمسك، والحج من: حج إذا قصد، و«البيت» اسم جنس غلب على الكعبة وصار علما له.

فإن قلت: كيف خص الأخير بقيد الاستطاعة دون سـائرها؛ فإن الاستطاعة التي يتمكن بها المكلف من فعل الطاعة مشروطة في الكل؟ قلت: المعني بهذه الاستطاعة الزاد والراحلة. وكانت طائفة لا يعدونهما مـنها، ويثقلون على الحاج، فنهوا عن ذلك، أو عـلم اللهتعالى أن ناسًا في آخر الزمان يفعلون ذلك فصرح بها تسهيلاً على العباد وتيسيرًا لهم نحو قوله تعالى: «**لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة**» ولتلك العناية أنزل الله تعالى: «**من استطاع**»[5] ومع ذلك نرى كثيرًا من الناس لا يرفعون بهذا النص الجلي رأسًا، ويلقون أنفسهم بأيديهم إلى التهلكة.

قوله: «أخبرني عن الإيمان» إفعال من الأمن، وهو طـمأنينة النفس عن إزالة خوف وشك، يقال: آمنه إذا صدقه، وحقيقته آمَنه التكـذيب والمخالفة. وإن قيل: قوله: «أن تؤمن بالله» في جواب الإيمان يوهـم التكرار. فالجواب أن الإيمان الذى هو بـمعنى التصديق تعدى بنفسه، كما تقول: آمنته وأمنته، والذى يعدَّى بالباء يتضمن معنى اعترف به أو وثق به، كأنه قيل: الإيمان الاعتراف بالله، ووثوق به.

(١) في ط (ثار) وهو خطأ والتصويب من ك.

(٢) المدثر: ٤

(٣) في ط (متسلم) وهو خطأ والتصويب من(ك).

(٤) في ط (صلوين) والصلوان هما: مثنى (صلا) وهما ما يكون عن يمين الذَّنَب وشماله.

(٥) في (ك) و(ط) "من اسـتطاع من الـنّاس» وما أثبتـناه هو المـوافق للتـنزيل، فلا أدرى أئمـة قراءة بما أثـبته المصنف، أم هو تصرف من النّساخ؟

واعلم أن السؤال عن الإيمان وجـوابه مقدم علـى السؤال عن الإسلام وجـوابه فى المصابيح، وتكلم عليه الشيخ التوربشتى، وهو حق؛ لأنه مؤخر فى صـحيح مسلم، وفي كتاب الحميدى. وجامع الأصـول، ورياض الصالحين، وشـرح السنة[1] برواية عـمـر (رضي الله عنه). ثم إن التصـديق وإن كان مقدمًا فـي الاعتبار لقـوله تعالى: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحـات» وعليه يؤسس قاعدة الإسـلام، لكن المقام يقتضي تقـديم الإسلام؛ لأنه رأس الأمر وعمـوده، وشعائر الدين به تظهر، وهو دليل على التصديق وأمارة عليه، وما جاء جبر يل (عليه السلام) إلا ليعلم الشريعـة؛ فينبغى أن يبـدأ بما هو الأهم فالأهم، ويترقى من الأدنى إلى الأعلى، فـإن الإسلام مقدم على الإيمان، وهو على الإخـلاص، وفى هذا الكتاب مسطور بعد قـوله: «إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه».

قوله: «بالله» الله أصله إله، فحذف همزته معوضًا عنها حرف التعريف، ولذلك قطع الألف، وأدخل عليه حرف النداء. والإله فـعال بمعنى مفعول، كالكتـاب بمعنى المكتوب، من: أله إلهة أى عبد عبادة، أو أله ألها [2] إذا تحير؛ لأن الفطن يدهش فى معرفة المعبـود، والعقول متحيرة فى كبريائه. والملائكة جمع ملاك على الأصل، كالشمـائل جمع شمال، والتاء لتأنيث الجمع، مشتق من الألوكة بمعنى الرسالة. والكتب ما أنزلت على أنبيائه(صلوات الله وسلامه عليهم) إما مكتـوبًا على نحو ألواح، أو مـسمـوعًا من الله تعـالى من وراء حجـاب، أو من ملك مشـاهد مشافهـة، أو مصوت هاتف. وإنما قدم ذكر الملك على الكتاب والرسل اتبـاعًا للترتيب الواقع، فإنه(سبحـانه وتعالى) أرسل الملك بالكتاب إلى الرسول لا تفضيـلا للملائكة على الرسل، فإن فيه خلافًا، ولا على الكتب، فإنه لم يقل به أحد.

قوله: «رسله» يقال: أرسلت فـلانًا في رسالة، فـهو مرسل ورسـول، والجمع رُسُل ورُسْل، (قال) الكشاف: الفرق بين النبى والرسول أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبى غـير الرسول من لم ينزل عليـه، وإنما أمر أن يدعو إلى شريعـة من قبله. وعن الإمام أحـمد بن حنبل عن أبى أمامـة، قال أبو ذر: قلت: يارسول الله، كم وفـاء عدة الأنبياء؟ قال: «مائة ألـف وأربعة وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسـة عشر جما غفيرًا».

[قلت: قيل المنزَّلة مـائة وأربعة كتـب: على آدم عشر صـحائف، وعلى شيث عليـه السلام خمسون صـحيفة، وعلى أخنوخ وهو إدريس عليه السلام ثلاثون صحـيفة، وعلى إبراهيم عليه السلام عشر صحائف. والتوارة، والإنجيل، والفرقان، والزبور. فعلى هذا القول الذى ذكره جار

(١) فى المطبوع شرح (الغنية) وهو خطأ والتصويب من ك.

(٢) في المطبوع (إلها) بكسر الهمزة.

واليوم الآخر، وتُومن بالقدَر خيرِه وشَره». قال: صدقت. قال: فأخبرني عن. . . . .

الله بين الرسول والنبى لا يساعد الحديث المذكور؛ بل الفرق من وجه آخر؛ وهو أن يقال: الرسول من نزل عليه جبريل، والنبي من سمع صوتًا أو رأى في المنام أنه نبى وبلغ الرسالة][1].

قوله:«واليوم الآخر» هو يوم القيامة؛ لأنه آخر أيام الدنيا، أو آخر الأزمنة المحدودة، والمراد الإيمان به وبما فيه من البعث والحساب، ودخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، إلى غير ذلك مما ورد النص القاطع عليه.

قوله:«تؤمن بالقدر» (قال القاضى عياض): القضاء هو الإرادة الأزلية والعناية الإلهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص، والقدر تعلق تلك الإرادة بالأشياء فى أوقاتها. والقدرية قالوا: القضاء علمه تعالى بنظام الموجودات، وأنكروا تأثير قدرة الله تعالى بنظام الموجودات، وأنكروا تأثير قدرة الله تعالى فى أعمالنا، وتعلق إرادته بأفعالنا، وزعموا أنها واقعة بقدرنا، ودواع منا، فأثبتوا لنا قدرة مستقلة بالإيجاد والتأثير فى أفعالنا - تم كلامه. وسيجيء الكلام فى القضاء والقدر على عكس ما ذكره القاضى. فإن قيل: **لم أعاد ذكر«تؤمن» عند القدر؟** فالجواب أنه عرف أن الأمة يخوضون فيه، وبعضهم ينفونه، ويقولون: إن الأمر أُنُف[2] ولا قدر، مثل المعتزلة، فلذلك اهتم بذلك بإعادة «تؤمن» ثم قرره بالإبدال بقوله: «شره وخيره» فإن البدل توضيح مع التأكيد لتكرير العامل.

قال الشيخ محيي الدين النواوى فى شرح صحيح مسلم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وهو قول ابن مسعود، وحذيفة، ومالك، والثورى، والأوزاعى، والنخعى، والحسن، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وابن المبارك، وسفيان بن عيينة، ومعمر بن راشد، وابن جريج، وجماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها. والحجة على زيادته ونقصانه الآيات، وقوله تعالى:**«ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم»** وقوله تعالى:**«ويزداد الذين آمنوا إيمانًا»** وقوله تعالى: **«فاخشوهم فزادهم إيمانًا»**.

---

(١) ما بين المعكوفتين سقط من المطبوع وأثبتناه من نسختنا نسخة دار الكتب المصرية المرموز لها بالرمز(ك)، انظر نسخة دار الكتب ق١٦.

(٢) فى ط (آنف) عدا الهمزة وهو خطأ.

قال الخطابى:«والأمر أنف يريد مستأنف لم يتقدم فيه شيء من قدر أو مشيئة، يقال كلأ أنف إذا كان وافياً لم يرع منه شيء. وروضة أنف بمعناه، قال عمر بن أبي ربيعة:

في روضة أنف تيممنا بها ... ميثاء رائقة بُعيد سماء

نقلاً عن معالم السنن ٤/ ٢٩٥ ط دار الكتب العلمية.

قال الشيخ: أنكر أكثر المتكلمين زيادته ونقصانه، وقالوا: متى قبل الزيادة والنقصان كان شكًّا وكفرًا. قال المحققون من المتكلمين: نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص، والإيمان الشرعى يزيد وينقص بزيادة ثمراته ـ وهى الأعمال ـ ونقصانها، وفى هذا توفيق بين ظواهر النصوص التى جاءت بالزيادة، وأقاويل السلف، وبين وصفه فى اللغة وما عليه المتكلمون. وقال صاحب التحرير في شرح صحيح مسلم: الإيمان في اللغة هو التصديق، فإن عني بذلك فلا يزيد ولا ينقص لأن التصديق ليس شيئًا يتجزأ، حتى يتصور زيادته مرة ونقصانه أخرى، وفي لسان الشرع هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، وإذا فسر بهذا تطرق إليه الزيادة والنقصان، وهو مذهب أهل السنة.

وأقول: على التفسير الأول أيضًا يمكن الزيادة والنقصان به. (قال) الكشاف فى قوله تعالى فى سورة الأنفال: ﴿**وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا**﴾(*): ازدادوا بها يقينًا وطمأنية النفس؛ لأن تظاهر الأدلة أدل المدلول عليه، وأثبت لقدمه، ويؤيده ما نسب إلى علي(رضى الله عنه)«لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا» وقوله تعالى:«**أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**».

(قال الخطابى): المسلم قد يكون مؤمنًا في بعض الأحوال ولا يكون مؤمنًا [1] في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنًا. أقول: ومصداقه قوله تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**﴾ [2] (قال الحسن) فى شرح السنة في باب الإيمان من الأعمال: اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان، وقال فى تأويل حديث عمر وجبريل. جعل النبى ﷺ فى هذا الحديث الإسلام اسمًا لما ظهر من الأعمال، وجعل[3] الإيمان اسمًا لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان، والتصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة، كلها شيء واحد وجماعها الدين، ولذلك قال: «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم». وأقول: يرد الشيخ بهذا زعم من يذهب إلى[4] أن الأعمال خارجة من الإيمان، والإيمان عبارة عن مجرد التصديق، ويتمسك الزاعم بظاهر الحديث، ومعنى ما قال الشيخ أن رسول الله ﷺ لم يجعل الإسلام اسمًا لما ظهر من الأعمال، والإيمان اسمًا لما بطن من الاعتقاد، لأن يتمسك به المتمسك أن الأعمال ليست من الإيمان، والتصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل جعل ذلك تفصيلا للمجمل الذى هو الدين.

(*) الأنفال: ٢

(١) سقطت(مؤمنا) من (ط)، وأثبتناها من (ك).

(٢) الحجرات: ١٤

(٣) سقطت (جعل) من (ط)، وأثبتناها من (ك).

(٤) سقطت (إلى) من (ط)، وأثبتناها من (ك).

وتلخيص كلامه أن الإسلام في عرف الشرع يطلق تارة على مجرد الانقياد وظاهر الأعمال، كما في قوله تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**﴾ [(١)] وأخرى على الانقياد مع التصديق،والقول والمذكور في الحديث هو الأول، ليطابق المجمل والمفصل، لا الثاني، فلا يكون هذا دليلا على نفي الثاني، وإنما اقتضى الحديث التفصيل فى الإجمال؛ لأن المقام مقام تعليم للأمة وتفهيم لهم، فيجب حمل الإيمان والإسلام على ما يتعارفون بينهم، والقوم لما تواردت النصوص مثل قوله تعالى: «**إن الدين عند الله الإسلام**» وقوله تعالى: «**ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه**» وقوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة[(٢)]» إلى غير ذلك من النصوص الدالة على الزيادة فى الإيمان ـ اصطلحوا على ترادف الإيمان والإسلام والدين، وأن الأعمال داخلة فيها، ولا مشاحة في الاصطلاح.

(قال) الراغب: اختلفوا في الإيمان أهو الاعتقاد المجرد أم الاعتقاد والعمل معًا؟ واختلافهم بسبب اختلاف نظرهم، فمن قال: هو الاعتقاد المجرد فنظره إلي اشتقاق اللفظ. وإلى أنه تعالى فصل بينهما فى عامة التنزيل بالعطف، ولأن النبى ﷺ فرق بينهما في خبر جبرميل عليه السلام حين سأله عن الإسلام والإيمان، وفسر الأول بالأعمال، والثانى بالاعتقاد. ومن قال: هو الاعتقاد والعمل فلما ورد من قوله: «الإيمان معرفة في القلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان»[(٣)] ولأن الإيمان ليس بذى منزلة واحدة، قال النبى ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»[(٤)] الحديث، ومن تأمله وعرف حقيقته علم أن الإيمان الواجب هو اثنتان وسبعون درجة لا أقل ولا أكثر؛ لأنه ﷺ «**لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى**»[(٥)].

وأقول: أما تأويل الحديث فقد كفى محيي السنة أهل السنة القتال، وأما تأويل العطف فبيانه من وجهين: أحدهما: أن العطف من باب قوله تعالى: ﴿**وملائكته ورسله وجبريل وميكال**﴾[(٦)] وذلك أن الأعمال لما كانت مقررة مثبتة للإيمان، وبها يستقيم ويتقوى، كقوله تعالى: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**﴾ [(٧)] أو رفعا له وتشييدًا لبنيانه، كقوله: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾ [(٨)] جعل شيئًا آخر، وعطف عليه ولهذا السر جعل الله تعالى في قوله: ﴿**يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم**﴾ [(٩)] وقوله تعالى: ﴿**وما**

---

(١) الحجرات: ١٤

(٢) أخرجه البخاري ١/٩، الفتح ١/٥١، مسلم/ ك الإيمان: ٥٨.

(٣) حديث موضوع. انظر ضعيف الجامع (٢٣٠٨)، وعزاه الألباني إلى سلسلة الأحادث الضعيفة (٢٢٧٠).

(٤) سبق تخريجه هامش (٢).

(٥) يشير إلى قوله تعالى: "وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحيٌ يوحى" النجم: ٣:٤

(٦) البقرة: ٩٨.

(٧) فصلت: ٣٠

(٨) فاطر: ١٠

(٩) البقرة: ٢١

الإِحسان. قال: «أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: فأخبرني

خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1] المطلوب الأولى من الخلق هو العبادة التى هى غاية الخضوع والاستكانة، وجعل المعرفة والتصديق كالمقدمة للواجب، ولعل الحكمة فيه إظهار الكبرياء والعظمة لله تعالى بإبداء غاية التضرع والاستكانة من المخلوقين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: **﴿يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيُّ الحميد﴾**[2]وقوله تعالى: **﴿والله الغنيُّ وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾** [3] أي إن استكبرتم وأعرضتم عن إظهار الافتقار يستبدل قومًا غيركم.

وثانيهما ـ وهو الوجه ـ أن غالب هذا العطف واقع في صلة الموصول، والصلة والموصول شيء واحد، والدليل عليه قوله تعالى: **﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾**[4] مقابل لقوله: **﴿الذين كفروا وكذبوا﴾**[5] وقوله تعالى: **﴿هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾**[6] فى معنى هدى للمتقين المؤمنين، وهو عين المطلوب.

فإن قيل: إذا جعل الإيمان عبارة عن مجموع التصديق والإقرار والعمل، فمن أخل بواحد منها يلزم أن لا يكون مؤمنًا؛ لأن الكل ينتفى بانتفاء الجزء. قلت: المراد بالإيمان ههنا هو الإيمان الكامل، وإذا كان المراد ذلك فإذا انتفى بعض منها ينتفي الإيمان الكامل، لا مطلق الإيمان.

قوله: «فأخبرنى عن الإحسان» (قال الخطابي) [7]: إنما أراد بالإحسان هاهنا الإخلاص، وهو شرط فى صحة الإيمان والإسلام معًا، وذلك أن من تلفظ بالكلمة وجاء بالعمل من غير نية الإخلاص لم يكن محسنًا، ولا كان إيمانه صحيحًا، قال ﷺ«أن تعبد الله كأنك تراه» أى فى إخلاص العبادة لوجه الله الكريم، ومجانبته الشرك الخفي، والعبادة لله الذى لا تنبغى العبادة إلا له على نعت الهيبة والتعظيم، حتى كأنه ينظر إلى الله خوفًا منه وحياء وخضوعًا له. (قال الراغب): الحسن عبارة عن كل مبهج [8] مرغوب فيه، وهو ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومن جهة الهوى، ومن جهة الحس. والإحسان يقال على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان. والثانى: إحسان فى فعله، وذلك إذا علم علما حسنًا، أو عمل عملاً حسنًا.

---

(١) الذاريات: ٥٦ — (٢) فاطر: ١٥
(٣) محمد: ٣٨ — (٤) فاطر: ٧
(٥) المؤمنون: ٣٣ — (٦) البقرة: ٢:٣
(٧) كلام الخطابي في معالم السنن ٤/ ٢٩٦ ط دار الكتب العلمية، بتصرف يسير.
(٨) في المطبوع(ط) والمخطوط(ك) منهج، وهو خطأ من النسّاخ والصواب(مبهج) بالباء الموحدة كما في مفردات الراغب مادة (حسن) ص ١١٨ ط دار المعرفة.

وأقول: يجوز أن يحمل الإحسان على الإنعام، وذلك أن العامل المرائى يبطل عمله ويحبطه، فيظلم على نفسه، فقيل له: أحسن إلى نفسك، ولا تشرك بالله، واعبد الله كأنك تراه، وإلا فتهلك، قال الله تعالى: ﴿الذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد﴾ (١) فإنها واردة فى المرائى. ويجوز أن يحمل على المعنى الثانى، وعليه قوله تعالى: ﴿أحسن كل شىء خلقه﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ (٣) أي المجيدين المتقنين فى تعبير الرؤيا، كأنه سأل جبريل (عليه السلام) بما ينبىء عن الإخلاص، كما قال الله تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن﴾(٤).

وأما تقدير الشرط والجزاء فهو أن يقال: إن لم تعبد الله كأنك تراه فاعبده كأنه يراك. وتحرير المعنى وإن لم تكن تراه كذلك أي مثل تلك الرؤية المعنوية فكن بحيث إنه يراك. وهو من جوامع الكلم، أى كن عالما متيقظًا، لا ساهيًا غافلا، مجدًا فى مواقف العبودية، مخلصًا فى نيتك، آخذًا أهبة الحذر إلى ما لا يحصى؛ فإن من علم أن له حافظًا رقيبًا شاهدًا بحركاته وسكناته ـ لاسيما ربه ومالك أمره ـ فلا يسيء الأدب طرفة عين، ولا فلتة خاطر، هذا هو معنى الإجادة في الإيمان والإسلام. وقيل: التقدير فإن لم تكن تراه فلا تغفل فإنه يراك.

والأولى أن نضرب عن هذا المجال صفحًا، ونأخذ فى منهل آخر، فنقول: «كأنك» إما مفعول مطلق، أو حال من الفاعل، والثانى أوجه؛ لأنه يحصل به للعابد حالات ثلاث، كما إذا قلت: كأن زيدًا قائم، فتصور له حالات القعود والانتصاب، والقيام، فتشبه حالة الانتصاب بالقيام؛ لأنك بإدخال«كأن» توهم أن له حالة غير القيام، وهى المشبه بالقيام، كما إذا رأى الناظر شخصًا من بعيد فتردد بين قيامه وقعوده، ثم خيل له أنه إلى القيام أقرب، فقال: كأنه قائم، أى يشبه انتصابه بالقيام، كذلك فى الحديث. للعبد بين يدى مولاه حالات ثلاث إحداها: حالة اشتغاله بالعبادة على سنن تسقط عنه القضاء، من حفظ شرائطها وأركانها وهيآتها. وحالة تمكنه من الإخلاص فى القصد، وأنه بمرأى من مولاه، وهو مراقب لحركاته وسكناته. وحالة مشاهدته، واستغراقه فى بحار المكاشفة، وإليه لمح قوله ﷺ: «جعلت(٥) قرة عينى في الصلاة» «وأرحنا يا بلال»(٦) فشبه الحالة الثانية التى هي المراقبة بحالة المكاشفة التى هى من خواص النبى ﷺ فى الدنيا، ووجه التشبيه حصول الاستلذاذ بالطاعة، والراحة بالعبادة، وانسداد مسالك الالتفات إلى الغير باستيلاء أنوار الكشف عليه، وهو ثمرة امتلاء زوايا القلب من المحبوب، واشتغال السر به، ونتيجته نسيان الأحوال من العلوم، واضمحلال الرسوم. فلما

---

(١) فاطر: ١٠ بالواو (٢) السجدة: ٧

(٣) يوسف: ٣٦ (٤) البقرة: ١١٢

(٥) (ط)، (ك) جعل، والصحيح (جعلت)

والحديث صحيح: صححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤) وعزاه إلى أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي عن أنس، والروض النضير(٥٣)، والمشكاة (٥٢٦١).

(٦) أخرجه أحمد ٥/ ٣٦٤ ـ ٣٧١

عن الساعة. قال: «ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل». قال: . . . .

استبان الصبح أدرج ضوءه بإسفاره أنوار ضوء الكواكب فقوله: فإن لم تكن تراه تنزل من مقام المكاشفة إلى مقام المراقبة، فينبغى أن يقدر: فاعلم قولى : إنه يراك.

قال الشيخ العارف أبو إسماعيل الأنصاري(١): الإحسان اسم جامع لجميع أبواب الحقائق، وهو ثلاث درجات: الدرجة الأولى: الإحسان فى القصد بتهذيبه علما، وإبرامه عزما، وتصفيته حالا. الدرجةالثانية: الإحسان فى الأحوال: وهو أن يراعيها غيره، ويسترها تطرقا، ويصححها تحقيقًا، الدرجة الثالثة: الإحسان في المواقف، وهو أن لا تزايل المشاهدة أبدًا، ولا تلحظ بهمتك أملا، وتجعل هجرتك إلى الحق سرمدًا. فإن قلت: قد جعل الشيخ درجات الإحسان ثلاثًا، وليس في الحالات التى قسمتها ما يدخل في معني الإحسان إلا اثنين. قلت: تشبيه الثانية بالثالثة يوجب حالة أخرى متوسطة بين الإخلاص فى القصد الذى هو شريطة فيه، وبين المشاهدة التى هى غايتها، وتلك المتوسطة هى الدرجة الثانية فى قول الشيخ، لأنها نتيجة الإخلاص فى العمل، ومحصلة للحالة الثالثة، أعنى المشاهدة، والله أعلم.

قوله:«فأخبرنى عن الساعة» الساعة القيامة. (قال) الكشاف: سميت ساعة لوقوعها بغتة، أو لسرعة حسابها، أو على العكس لطولها، أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق. عني بالعكس أنها سميت بها بناء على عكس ما هى عليه من الطول تلميحًا، كما سمى المهلكة مفازة والأسود كافوراً.

قوله: «ما المسئول عنها»(قال) المظهر(■): «ما» نافية، يعنى لست أنا أعلم منك يا جبر يل بعلم القيامة. أقول: أراد المظهر أن أصل الكلام هكذا، فعدل عنه إلى ما عليه، وذلك أن الأجوبة الثلاثة على خطاب جبرئيل (عليه السلام) كانت (**تعريضًا**) للسامعين علي طريقة الخطاب العام، نحو قوله تعالى: ﴿**لئن أشركت ليحبطن عملك**﴾ (٢) ولو أجري على ذلك الأسلوب لقيل: لست بأعلم منك. ولم يفد فائدة العموم؛ لأن المعني كلٌّ مسئول عنه وسائل(*)، أيًا ما كان فهو داخل فى هذا العموم. فإن قلت: من حق الظاهر أن يقال: ما المسئول عنه ليرجع الضمير إلى اللام. قلت: كما يقال: سألت عن زيد المسئلة، يقال: سألته عن المسئلة، فالضمير المرفوع راجع إلى اللام، والمجرور إلى الساعة.

---

(١) ترجم له الذهبي في السير ٥٠٩/١٨ فقال: شيخ الإسلام، الإمام القدوة، الحافظ الكبير، أبو إسماعيل، عبد الله بن محمد بن عليّ بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور بن متّ الأنصاري الهرويّ، مصنف كتاب «ذم الكلام» وشيخ خراسان من ذرية صاحب النبي ﷺ أبي أيوب الأنصاري. مولده في سنة ست وتسعين وثلاث مائة قلت:وقد اخذ عليه الحافظ الذهبي تصوفه وغرابة نَفَسه عن نَفَس أهل السنة في كتابه منزل السائرين، فقال: «ولكنه له نَفَس عجيب لا يشبه نَفَس أئمة السلف في كتابه «منازل السائرين» قلت:وهو الكتاب الذي شرحه العلامة ابن القيم، وتعقب فيه الهروي وسماه (مدارج السالكين).

(٢) الزمر: ٦٥

(*) أي كل منا مسئول عن ذلك وسائل عنه.

(■) في ط (الخطابي) وهو خطأ والتصويب من (ك) .

فأخبرني عن أَماراتهـا. قال: «أن تَلدَ الأمة ربتهـا، وأن ترى الحفاةَ العُراةَ العـالةَ رعاء الشاء . . . .

واعلم أن الضـمـيـر فى «عنهـا» راجع إلى السـاعة، فـلابد من تقـدير مـضاف فى السـؤال والجواب، نحو وقت وأيان؛ إذ وجود الساعة ومجيؤها مقطوع به، وإنما يسأل عن وقتها، كقوله تعالى: ﴿يسئلونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها﴾ [(١)] أى فى وقت أى شىء أنت من أن تذكر وقـتهـا لهم يعنى ما أنت من ذكراهـا لهم وبتبيين وقـتها فـى شىء. فإن قلت: لفظة: «أعلم» مشعـرة بوقوع الاشتراك فى العلم، وأحدهما أزيد من الآخـر، وهما يتساويان فى انتفاء العلم منهما. فالجواب أنه ﷺ نفى أن يكون صالحاً لأن يسأل عنه على سبيل **الكناية**، لما عرف أن المسئـول فى الجملة ينبغى أن يكون أعلم من السائل، فهـو من باب قوله تعالى: ﴿**ولا شفيع يطاع**﴾[(٢)]. ويقال: إنه ﷺ نفى عن نفسه العلم بالمسئول عنه بوجه خاص، تلخيصه: أنا متساويان فى أنا نعلم أن للساعة مجيئاً فى وقت ما من الأوقات، وذلك هو العلم المشترك بيننا، ولا مزيد للمسئول على هذا العلم حتى يتعين عنده المسئول عنه، وهو الوقت المتعين الذى يتحقق فيه مجىء الساعة.

قوله: «الله ورسوله أعلم» فـهو على بابه؛ لأن الأمارة السـابقة وتعجبـهم منها أوقعـتهم فى التردد، أهو بشر أم ملك؟ وهذا القدر يكفى في الشركة.

قوله: «أن تلد الأمة ربتـها» الرب مشـترك بين المالك والمربى، قال صـاحب الأساس: ربَّ الدار وربَّ العبد وربَّ ولده تربيته. (قـال) الجوهرى: رب كل شىء مالكه، (قال) الكشاف: [(٣)] الرب المالك، ومنه قول صفوان لأبى سفيان: لأن يربني [(*)] رجل من قريش أحب إلى من أن يربني[(*)] رجل من هوازن. هذا هو المعني في الحديث.

فإن قـيل: كيف أطلق الرب علي غيـر الله تعالى وقد نهـى ﷺ عن ذلك فى قوله: «لا يقل أحـدكم أطعم ربك، وأرض ربك، واسـق ربك، ولا يقل أحـدكم: ربي، وليـقل: سـيـدى ومولاى»[(٤)]. ،والجواب أن هذا من باب **التشديد والمبالغة**، كما سنقرره.

«تو»: فسـر هذا القول كثيـر من العلماء على أن السبـى يكثر بعد اتساع رقـعة[(٥)] الإسلام، فيستولد الناس إماءهم، فيكون الولد كـالسيد لأمه؛ لأن ملك الأمة راجع فى التقدير إلى الولد، وذكر بلفظ التأنيث وأراد به النسمة؛ ليشتـمل الذكور والإناث، أو كره أن يقول: ربها؛ تعظيما لجلال رب العباد، أو أراد البنت، وإذا كانت هكذا فالابن أولى.

---

(١) النازعات: ٤٢ : ٤٣

(٢) غافر: ١٨

(٣) الكشاف ١/٨ ط دار المعرفة، فى قوله تعالى فى الفاتحة «الحمد لله رب العالمين»

(٤) الحديث صحـيح: أخرجه مسلم (٢٢٤٩) كـتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطـلاق لفظ العبد والأمة. . وأخرجه البخارى بنحوه ٣/ ١٢٤، وأحمد ٢/ ٣١٦

(*) في ط (يربيني) وهو خطأ.

(٥) في (ط) (رفعة) بالفاء وهو خطأ.

«قض»: وتأنيث«ربتها» وإضافتها إما لأجل أنه سبب عتقها، أو لأنه ولد ربها أو مولاها بعد الأب، وذلك إشارة إلى قوة الإسلام؛ لأن كثرة السبى والتسرى دليل على استعلاء الدين، واستيلاء المسلمين، وهى من الأمارات؛ لأن قوته وبلوغ أمره غايته منذر بالتراجع والانحطاط المؤذن بأن القيامة ستقوم.

وأقول ـ والعلم عند الله ـ: الكلام فيه صعب، بل هو مقام دحض، قلما تثبت فيه الأقدام الراسية فى البيان، وكان قلما يلتفت الخاطر إلى معرفته، وما تكلم فيه العلماء لم يكن يشفى العليل، إلى أن تصديت لأمر هذا الخطب الجليل، فالواجب أولا تعيين المقام؛ لأن بيده زمام حكم الكلام، ولا ارتياب أن أمارات الساعة وأشراطها من عظائم الشئون، وجلائل الخطوب، فيجب حينئذ تأويل القرينتين، أعنى قوله: «أن تلد الأمة ربتها» وقوله: «وأن ترى الحفاة العراة ـ إلى قوله ـ يتطاولون فى البنيان» بما ينبىء عن ذلك النبأ العظيم من تغير الزمان، وانقلاب أحوال الناس، بحيث لم يشاهَد قبله، ولم ير مثله، وكيف؟ ولفظة«ترى» تنادى عن ذلك؛ لأنها من الخطاب العام على الاستغراق، كقوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم﴾ [1] يعنى بلغ الخطب في العظم والفخامة بحيث لا يختص برؤية راءٍ واحد، بل كل من يتأتى منه الرؤية فهو مخاطب به.

فإذا تقرر بيان اقتضاء المقام فنثنى العنان إلى بيان الأساليب التى يستعان بها على تطبيق القرينتين على ما يقتضيه المقام، من **(المطابقة المعنوية)**، **(والكناية الزبدية)**، و**(الإدماج)** المسمى بإشارة النص. فنقول القرينة الثانية دلت بالكناية الزبدية (*) ـ التى لا ينظر فيها إلى مفردات التركيب، لا حقيقة ولا مجازاً، بل تؤخذ الزبدة والخلاصة من المجموع ـ على أن الأذلة من الناس ينقلبون أعزة، ملوك الأرض، فينبغى أن تئوَّل القرينة السابقة بما يقابلها؛ ليطابقا فى أن يصير الأعزة أذلة، ومعلوم أن الأم مربية للولد، ومدبرة أمره، فإذا صار الولد رباً ومالكاً لها ـ لاسيما إذا كانت بنتاً ـ ينقلب الأمر، هذا هو المعنى بالتشديد والمبالغة الموعود بهما، ثم فى وضع الأمة ووصفها بالولادة موضع الأم إشعار بمعنى الاسترقاق والاستيلاء، وأن أولئك الضعفة الأذلة الذين فهموا من القرينة الثانية هم الذين يتعدون ويتسلطون ويفتحون البلاد ويسترقون كرائم النساء وشرائفها، ويستولدونها، فتلد الأمة ربتها.

فالحاصل: أن قوله: «أن تلد الأمة ربتها» دل بعبارته على المقصود، وبإشارته على معنى آخر، وهو كثرة المستولدات، وإنما وصف النساء بالشرف والكرامة ليفيد المعنى المقصود، وكان الواقع كذلك، ألا ترى إلى الملكة حرقة[2] بنت النعمان حين سبيت وأحضرت بين يدى سعد ابن أبى وقاص (**رضى الله عنه**)كيف أنشدت:

---

(1) السجدة: ١٢.

(٢) فى (ط) (حرفة) بالفاء الموحدة، وصوابه بالقاف المثناة كما فى (ك).

(*) انظر الكلام على هذا النوع من الكناية مفصلاً فى رسالتى عن الطِّيبى وجهوده البلاغية ط المكتبة التجارية.

يتطاولون فى البنيان».

قال: ثم انطلق، فلبثتُ مليًّا، ثم قال لى: «يا عمر أتدرى منِ السائل»؟ قلتُ: اللهُ ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكُم يُعلمُكم دينكم». رواه مسلم[٢]

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة نتنَصَّفُ(١)

فأفٍّ لدنيا لا يدوم نعيمها ... تُقلَّبُ تارات بنا وتُصَرَّفُ

وإلى قول أبى الطيب:

تبكى عليهن البطاريق فى الدجى ... وهن لدينا ملقيات كواسد

وفى معناه أنشد:

إذا ذل فى الدنيا الأعز واكتسى ... أعزتها ذلا وساد مسودها

هناك فلا جادت سماء بضوئها ... ولا أشرقت أرض ولا اخضر عودها

وإن استبدعت(*) بيان **المطابقة المعنوية** بين القرينتين علي ما مر فانظر إلى قوله (تعالى) **«أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسَّس بنيانه على شفا جرف هار»**(٢) وإلى تقرير صاحب الكشاف(٣) **المطابقة**(٤) فيها، وما فى التبيان(٥) لتقف على دقة هذا الأسلوب، ومواقع استنباط المعانى من القرينتين، وفى القرينتين (٦) إيذان بنصرة المؤمنين وفتحهم البلاد مشارقها ومغاربها، كما ورد: «إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها» أخرجه مسلم عن ثوبان. و«العالة» الفقراء، واحدها عائل، يقال: عال الرجل يعيل إذا افتقر.

قوله: «يتطاولون فى البنيان» أى يتفاخرون فى طول بيوتهم ورفعتها، تطاول الرجل إذا تكبر، يعنى من علامات القيامة أن ترى أهل البادية ممن ليس لهم لباس ولا نعل، بل كانوا رعاء الإبل والشاء يتوطنون البلاد، ويتخذون العقار، ويبنون الدور والقصور المرتفعة، قاله المظهر.

---

[٢] الحديث أخرجه مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان حديث رقم (٨).

(١) فى اللسان: تنصّف: أى خدم، ويقال: تنصّفته بمعنى خدمته وعبدته، والناصف والمِنصف بكسر الميم الخادم.

(٢) التوبة: ١٠٩

(٣) الكشاف ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣

(٤) قال الطيبى فى كتابه التبيان: «المطابقة» وتسمى التضاد والطباق. وهى الجمع بين اللفظين الدالين على المعنيين المتضادين، حقيقة أو تقديراً انظر التبيان ٢/ ٣٩٣ بتحقيقى ط المكتبة التجارية بمكة المكرمة.

(٥) انظر كلام الطيبى فى التبيان ٢/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧ بتحقيقى، فى بيان المطابقة فى هذه الآية فإنه كلام بديع

(*) استبدعت الشيء أى عددته بديعًا، وفى (ط) استدعت وهو خطأ والتصويب من (ك).

(٦) فى ط (الفريقتين) وهو خطأ والتصويب من(ك).

٣ ـ ورواه أبو هريرة مع اختلاف، وفيه: «وإذا رأيتَ الحفاة العُراة الصمَّ البكمَ، ملوكَ الأرض فى خمسٍ لا يعلمهن إلا الله. ثم قرأ: (إنَّ اللهَ عندهُ عِلمُ الساعة ويُنَزِّلُ الغيث)[١] الآية متفق عليه[٣]

قوله: «الصم البكم» كانت حواسهم سليمة، ولكن جعلوا لبلادتهم وعدم تمييزهم (*) كأنه أصيبت مشاعرهم. قوله: «فى خمس» أى علم وقت الساعة داخلة فى جملة خمس، وحذف متعلق الجار سائغ شائع، كما فى قوله (تعالى): «**تسع آيات**»[٢] أى اذهب إلى فرعون فى شأن تسع آيات، ويجوز أن يتعلق بـ«أعلم» يعنى ما المسئول عنها بأعلم فى خمس أى فى علم الخمس، فكما عم فى المسئول عنه أولا عم فى المسئول ثانيًا، أى لا ينبغى لأحد أن يسأل أحدًا فى علم الخمس؛ لأن العلم بها مختصٌ بالله (تعالى). وفيه إشارة إلى إبطال الكهانة والنجامة وما شاكلها. قال لبيد:

لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع[٣]

وإرشاد للأمة وتحذير لهم عن إتيان من يدعى علم الغيب، فإذًا الجواب من (**الأسلوب الحكيم**)، أجاب عن سؤاله فى ضمن أشياء مهمة لابد من بيانها (إرشادًا)[٤] للأمّة وتنبيهًا للمعلم عليها. كأنه قيل: سؤالك هذا يقتضى أن لا يقتصر على جواب واحد، بل يجاب مع هذه الأمور المهمة، فإن اهتمامها كاهتمامه. أو يقال: كان يجب عليك أيها المعلم أن لا تقتصر على سؤال واحد بل تسأل عن هذه الأشياء المهمة.

فإن قيل: أليس إخباره ﷺ عن أمارات الساعة من قبيل قوله: «**وما تدرى نفس ماذا تكسب غدًا**»[٥]؟ قلت: إذا أظهر بعض المرتضين من عباده بعض ما كوشف له من الغيوب لمصلحة ما لا يكون إخبارًا بالغيب بل يكون تبليغا له، قال الله تعالى: ﴿**ولا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول**﴾[٦]

فإن قلت: كيف يطابق تفسير سيد المرسلين ﷺ الآية بقوله: «**فى خمس لا يعلمهن إلا الله**» وليس في الآية أداة الحصر كما فى الحديث؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يكون «علم الساعة» فاعلا للظرف؛ لاعتماده على اسم إن، ويعطف «وينزل الغيث» وما بعده من الجمل على الظرف وفاعله على تأويل الجملتين المنفيتين بإثبات ما نفى فيهما لله (تعالى) عن الغير، أى يعلم ماذا تكسب كل نفس غدًا، ويعلم أن كل نفس بأي أرض تموت. قال أبو البقاء: هذا العطف

---

[٣] أخرجه البخارى / ك الإيمان / باب سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان ح/ ٥٠، ومسلم / السابق.

(١) لقمان: ٢٤ .

(٢) النمل: ١٢ .

(٣) البيت للبيد فى ديوانه صـ٨٣ ط دار القاموس.

(٤) ما بين القوسين سقط من (ط) وأثبتناه من (ك).

(٥) لقمان: ٣٤.

(٦) الجن: ٢٦ بالفاء وليست بالواو: ٢٧.

* في (ط) (تميزهم) والتصويب من (ك).

يدل على قوة شبه الظرف بالفعل. وقال صاحب الكشاف: جاء بالظرف وما ارتفع به ثم قال: «وينزل الغيث» فعطف الجملة على الجملة، ومثله قوله (تعالى): «نسقيكم مما فى (بطونها) ولكم فيها منافع»(١) فصدر بالفعل والفاعل، ثم عطف بالظرف، وما ارتفع به.

وإذا تقرر هذا فنقول: إذا كان الفعل عظيم الخطر، وما بنى عليه الفعل عليّ(*) القدر رفيع الشأن فهم منه الحصر على سبيل الكناية. وفى «الكشاف»(٢) فى قوله (تعالى): ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾(٣) الآية: وإيقاع اسم الله مبتدأ وما نزل عليه من تفخيم لأحسن الحديث ورفع منه، واستشهاد على حسنه، وتأكيد لإسناده إلى الله (تعالى) وأنه من عنده، وأن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه، وقال الله (تعالى): ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾(٤) [وقال في قوله تعالى ﴿الله(٥) يبسط الرزق﴾] فى الرعد(٦) الله وحده هو يبسط الرزق ويقدر، دون غيره.

فإن قلت: إذا عطف «وينزل» على الجملة كيف دل على العلم؟ قلت: إذا نفى إنزال الغيث عما كانوا ينسبون إليه من طلوع الأنواء اختص بالله (تعالى) فيلزم منه اختصاص علم الله (تعالى).

وثانيهما: أن يذهب إلى أن الظرف خبر مقدم على المبتدأ لإفادة الحصر، ويعطف «ينزل» على المضاف إليه، يعنى عنده علم الساعة، وعلم تنزيل الغيث على تقدير: أن ينزل، فحذف «أن» فارتفع الفعل، نحو قوله: أحضر الوغى(٧)، ويعطف «ويعلم ما فى الأرحام» وما بعده على المضاف، أى إن الله عنده علم ما فى الأرحام، وعلم ماذا تكسب كل نفس غدًا، على التقدير المذكور.

فإن قلت: فأي نكتة دعت إلى العدول عن المثبت إلى المنفى فى قوله: «وما تدرى نفس» وما فائدة تكرير نفس وتنكيرها، وإيثار الدراية على العلم؟ فإنها إدراك الشيء بالحيلة. قلت: إذا نفيت الدراية لما فيها من معنى الحيلة فى اكتساب العلم من كل نفس على سبيل الاستغراق لوقوع النكرة فى سياق النفى - أفاد أن كل نفس منفوسة من الإنسان وغيره إذا أعملت حيلها فى معرفة ما يختص ويلصق بها، ولا شيء أخص من الإنسان من كسب نفسه وعاقبة أمره، ولا يقف على شيء من ذلك، فكيف يقف على ما هو أبعد وأبعد، خصوصًا من معرفة وقت الساعة، وأيان إنزال الغيث، ومعرفة ما فى الأرحام. والفائدة فى بيان الأمارات هى أن يتأهب المكلف المسير إلى المعاد بزاد التقوى.

ولما اشتمل هذا الحديث على هذه المطالب العزيزة، والمقاصد السنية التى هى أمهات أصول الدين - أودعه محيي السنة فى مستهل بابى كتابيه: شرح السنة، والمصابيح؛ تأسيًا بالله (عز

---

(١) المؤمنون: ٢١ وفى ط (مما فى بطونهم) وفى التنزيل (مما فى بطونها) وكذا فى (ك)

(*) فى (ط) (اعلى) والتصويب من (ك).

(٢) الكشاف ٣/ ٣٤٤ - ٣٤٥

(٣) الزمر: ٢٣

(٤) القصص: ٨٢

(٥) ما بين المعكوفتين سقط من (ط) وأثبتناه من (ك).

(٦) في (ط) (الوعد) وهو خطأ والتصويب من (ك).

(٧) يشير إلى بيت طرفة بن العبد فى ديوانه:

ألا أيها اللائمى أحضرَ الوغى ... وأن أشهدَ اللذات هل أنت مخلدى؟

والشاهد فيه قوله (احضر) نصب المضارع بأن المضمرة.

٤ ـ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «بُني الإسلامُ على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، والحج، وصوم رمضان». متفق عليه[٤].

٥ ـ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شُعبةً، فأفضلها: قولُ لا إله الا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان». متفق عليه[٥].

وجل) فى تقديم الفاتحة التى هى أم القرآن المشتملة على ما بعدها إجمالا براعة للاستهلال، والله أعلم بالأسرار.

قوله: «فلبثت مليًّا» أى زمانًا طويلا، يقال: عشت معه ملاوة من الدهر (بالحركات الثلاث). ويقال لليل والنهار: الملوان. وفى رواية أبى داود والنسائى: «قال عمر: فلبثت مليًّا». قوله: «فإنه جبرئيل» الفاء فيه جزاء شرط محذوف. تقديره: أما إذا فوضتم العلم إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ، وقرينة الشرط المحذوف قولهم: «الله ورسوله أعلم». «قض»: جبريل (عليه السلام) ملك متوسط بين الله ورسوله، ومن خواص الملك أن يتمثل للبشر، فيراه جسما مشكلا محسوسًا. ثم الدليل عليه اتفاق الحاضرين من الصحابة الكرام على ذلك، روى محيي السنة أنه ﷺ قال لعمر (رضى الله عنه): «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم، وما أتى فى صورة إلا عرفته فيها إلا صورته هذه». «تو»: هذه الأسئلة والأجوبة صدرت قبيل حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة قريب انقطاع الوحى واستقرار الشرع.

الحديث الثانى عن ابن عمر (رضى الله عنهما): قوله: «بنى الإسلام على خمس». «غب»: الإسلام الدخول فى السلم، وهو أن يسلم كل واحد منهما أن يناله ألم من صاحبه. والإيمان هو الإذعان للحق على سبيل التصديق له باليقين. هذا أصله، ثم صار اسما لشريعة رسول الله ﷺ كالإسلام. «مح»: وفى رواية وقع: «خمسة» بالهاء على تأويل أركان، أو أشياء، أو نحو ذلك، وبرواية حذفها يراد به خصال، أو دعائم، أو قواعد.

أقول: لا تخلو هذه الخمس من أن تكون قواعد البيت، أو أعمدة الخباء، وليس الأول؛ لكون القواعد على أربع، فتعين الثانى، وينصره ما جاء فى حديث معاذ: «وعموده الصلاة»(١). مثلت حالة الإسلام مع أركانه الخمسة بحالة خباء أقيمت على خمسة أعمدة، وقطبها الذى تدور عليها الأركان هى: شهادة أن لا إله إلا الله، وبقية شعب الإيمان كالأوتاد للخباء. روى أن

---

[٤] أخرجه البخارى برقم (٨) كتاب الإيمان/ باب دعاؤكم إيمانكم والحديث طرفه فى (٥/ ٤٥) وأخرجه مسلم برقم (١٦) كتاب الإيمان / باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.

[٥] أخرجه البخارى برقم (٩) كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان.

(١) سيأتى تخريجه فى أحاديث المتن برقم [٢٩]

وأخرجه مسلم برقم (٣٥) كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان .

الفرزدق حضر جنازة، فسأله بعض أئمة أهل البيت (رضى الله عنهم) يا فرزدق! ما أعددت لمثل هذه الحالة؟ قال: شهادة أن لا إله الا الله، فقال: هذا العمود، فأين الأطناب؟ هذا على أن يكون استعارة تمثيلية[1]؛ لأنها وقعت فى حالتى الممثل والممثل به، ويجوز أن تكون الاستعارة تبعية[2]، بأن يقدر الاستعارة فى «بنى» والقرينة الإسلام، شبه ثبات الإسلام واستقامته على هذه الأركان الخمسة ببناء الخباء على الأعمدة الخمسة، ثم تسرى الاستعارة من المصدر إلى الفعل. وأن تكون مكنية[3]، بأن تكون الاستعارة فى الإسلام، والقرينة «بني» على التخييل، بأن شبه الإسلام بالبيت، ثم خيل كأنه بيت على المبالغة، ثم أطلق الإسلام على ذلك المخيل، ثم خيل ما يلازم الخباء المشبه به من البناء، ثم أثبت له ما هو ملازم البيت من البناء على الاستعارة التخييلية[4]، ثم نسب إليه ليكون قرينة مانعة من إرادة الحقيقة.

فظهر من هذا التحقيق أن الإسلام غير، والأركان غير. كما أن البيت غير، والأعمدة غير، ولا يستقيم ذلك إلا على مذهب أهل السنة؛ فإن الإسلام عبارةعن التصديق بالجنان، والقول باللسان، والعمل بالأركان. وعلى هذا حديث الإيمان. ولهذا السر عقب محيي السنة بهذا الحديث حديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة» وفيه أن أعلى شعبها «قول: لا إله إلا الله». وكما شبه الإسلام فى الحديث الأول بخباء ذات أعمدة وأطناب، شبه الإيمان فى الثانى بشجرة ذات أغصان وشعب، وإيرادها بعد حديث جبرئيل (عليه السلام) يحقق ما قررناه من أن الاصطلاح حصل بعد الاستعمال.

الحديث الثالث عن أبى هريرة (رضى الله عنه): قوله: «بضع وسبعون» البضع القطعة من الشىء، وهى فى العدد ما بين الثلاث إلى التسع؛ لأنه قطعة من العدد، والشعبة غصن الشجر، وفرع كل أصل. «وأدناها» أى أقربها منزلة وأدونها مقداراً، من الدنو بمعنى القرب، يقال: فلان أدنى القدر، وقريب المنزلة، كما يعبر بالبعيد عن ضد ذلك فيقال: فلان بعيد الهمة، وبعيد المنزلة، بمعنى الرفيع العالى، ولذلك استعمله فى مقابلة الأعلى. «وإماطة» الشىء عن الشىء إذا أزاله عنه، وأذهبه، و«الأذى» فى الحديث اسم ما يؤدى الناس، نحو الشوك، والحجر، والطين، وما أشبهها. فإن قلت: ما معنى الفاء فى «فأفضلها»؟ قلت: هى جزاء شرط محذوف، كأنه قيل: إذا كان الإيمان ذا شعب يلزم التعدد، وحصول الفاضل والمفضول، بخلافه إذا كان أمراً واحداً.

---

(١) انظر فى تعريف الاستعارة التمثيلية عند الطيبى التبيان فى المعانى والبيان ١/٣٠٧ ـ ٣٠٨ بتحقيقى، ط المكتبة التجارية بمكة المكرمة.

(٢) انظر فى تعريف الاستعارة التبعية التبيان السابق ١/ ٣٠٤

(٣) انظر فى تعريف الاستعارة المكنية التبيان ١/٣٠٢ ـ ٣٠٣

(٤) انظر فى تعريف الاستعارة المكنية التخيلية التبيان ١/٣٠١ ـ ٣٠٢

«قض»: «الحياء» تغيير وانكسار يعترى المرء من خوف ما يلام به قيل هو مأخوذ من الحياة، وكأن الحيي صار لما يعتريه من التغير والانكسار، مؤوف الحياة، منكسر القوى، ولذلك قيل مات حياء وجمد في مكانه خجلا. وإنما أفرده بالذكر لأنه كالداعي والباعث إلى سائر الشعب، فإن الحيي يخاف فضيحة الدنيا، وفظاعة الآخرة، فينزجر عن المعاصى، ويتثبط عنها. «خط»: إنما كان الحياء شعبة من الإيمان لأنه يحجز صاحبه عن المعاصى، فصار من الإيمان، إذ الإيمان ينقسم إلى ائتمار لما أمر الله به وانتهاء عما نهى عنه.

«قض»: قوله ﷺ: «بضع وسبعون» يحتمل أن يكون المراد به التكثير دون التعديد، كما فى قوله (تعالى): ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾[1] واستعمال لفظة السبعة والسبعين للتكثير كثيرة، وذلك لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد، فإنه ينقسم إلى فرد وزوج، وكل منهما إلى أول ومركب، والفرد الأول ثلاثة، والمركب خمسة، والزوج الأول اثنان، والمركب أربعة، وينقسم أيضًا إلى منطق كالأربعة، وأصم كالستة، والسبعة يشتمل على جميع هذه الأقسام. ثم إن أريد مبالغة جعلت آحادها أعشارًا، ويحتمل أن يكون المراد تعداد الخصال وحصرها، فيقال: إن شعب الإيمان وإن كانت متعددة متبددة إلا أن حاصلها يرجع إلى أصل واحد، وهو تكميل النفس على وجه به يصلح معاشه، ويحسن معاده، وذلك بأن يعتقد الحق، ويستقيم فى العمل، وإليه أشار ﷺ حيث قال لسفيان حين سأله فى الإسلام قولا جامعًا: «قل: آمنت بالله: ثم استقم»[2].

وفنون اعتقاد الحق ينشعب ستة عشر شعبة: طلب العلم، ومعرفة الصانع، وتنزيهه عن النقائص، وما يتداعى إليها، والإيمان بصفات الإكرام، مثل الحياة، والعلم، والقدرة، والإقرار بالوحدانية، والاعتراف بأن ما عداه صنعه لا يوجد، ولا يعدم إلا بقضائه وقدره، والإيمان بالملائكة المتطهرة عن الرجس. وتصديق رسله المؤيدين بالآيات فى دعوى النبوة، وحسن الاعتقاد فيهم، والعلم بحدوث العالم، واعتقاد فنائه على ما ورد به التنزيل، والجزم بالنشأة الثانية، وإعادة الأرواح إلى الأجساد، والإقرار باليوم الآخر، أعنى بما فيه من الصراط والحساب، وموازنة الأعمال، وسائر ما تواتر عن الرسول ﷺ والوثوق على وعد الجنة وثوابها، واليقين بوعيد النار وعقابها.

وفن العمل ينقسم إلى ثلاثة أقسام: أحدها يتعلق بالمرأ نفسه، وهو ينقسم إلى قسمين: أحدهما ما يتعلق بالباطن، وحاصله تزكية النفس عن الرذائل، وأمهاتها عشرة: شره الطعام، وشره الكلام، والبخل، والكبر، وحب المال، وحب الجاه، وحب الدنيا، والحقد، والحسد، والرياء، والعجب، وتحلية النفس بالكمالات، وأمهاتها ثلاثة عشرة: التوبة، والخوف، والرجاء، والزهد، والحياء والشكر، والوفاء، والصبر، والإخلاص، والصدق، والمحبة، والتوكل، والرضى بالقضاء، وثانيها ما يتعلق بالظاهر، ويسمى بالعبادات، وشعبها ثلاث عشرة: طهارة البدن عن الحدث والخبث، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والقيام بأمر الجنائز، وصيام رمضان، والاعتكاف، وقراءة القرآن، وحج البيت، والعمرة، وذبح الضحايا، والوفاء بالنذر، وتعظيم الإيمان، وأداء الكفارات.

---

(١) التوبة: ٨٠

(٢) الحديث رواه مسلم فى الإيمان/ باب جامع أوصاف الإسلام ح (٣٨). قال النووى: هذا أحد الأحاديث التى عليها مدار الإسلام.

وثانيهما: ما يتعلق به وبخواصه وأهل منزلته وشعبها ثمان التعفف عن الزنا والنكاح والقيام بحقوقه والبر بالوالدين وصلة الرحم وطاعة السادة والإحسان إلى المماليك والعتق.

وثالثهـا: ما يعم الناس، وينـوط به إصلاح العبـاد، وشعـبها سـبع عشـرة: القيـام بإمارة المسلمين، واتباع الجـماعة، ومطاوعة أولى الأمـر، ومعاونتـهم على البر، وإحياء مـعالم الدين ونشـرها، والأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر، وحـفظ الدين بالزجـر عن الكفـر، ومجـاهدة الكفـار، والمرابطة فى سبـيل الله، وحفظ النـفس بالكف عن الجنايات، وإقامـة حقـوقهـا من القصاص والديات، وحفظ أموال الناس، بطلب الحـلال، وأداء الحقوق، والتجافى عن المظالم، وحفظ الأنسـاب وأعراض الناس بإقـامة حدود الزنا والقـذف، وصيانة العـقل بالمنع عن تناول المسكرات والمخبثات بالتهديد والتـأديب عليه، ودفع الضرر عن المسلمين، ومن هذا القبيل إماطة الأذى .

«غب»: هذا حديث من تأمله وعـرف حقيقـته علم أن الإيمان بالواجب هو اثنتان وسـبعون درجة، لا يصح أن يكون أكثـر منها ولا أقل، ولا يوجد من الإيمان ما هو خـارج عنها بوجه.

وأقول: ثم شرع بعد هذا فى تقـسيم الإيمان بهذا العدد المخصوص، ولم نذكـره لصعوبته، وها هو الإمام المتـقن قدوة المحدثين أبو بكر البـيهقى، قد صنف كـتاب شعب الإيمان فى مـصنفات مجلدات مطنبًا فيها كل الإطناب فى حصر الأعداد.

وأقـول ـ والعلم عند الله ـ: والأظهر أن يـذهب إلى معنى التكثـيـر، ويكون ذكر البـضع للترقى، يعنى أن شعب الإيمان أعداد مبهمة، ولا نهاية لكثرتها، إذ لو أريد التحديد لم يبهمه، ولعمـرى أنه كذلك، وبيانه أن رسول الله ﷺ بين ابتـدائها وانتائها ووسطهـا. فلو أخذت من الابتداء إلى الانتهاء كان على وزان قوله (تعالى): «**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**»[1] معناه من رضى بالله ربًا، وعمل بمقتضـاه، لم يدع ما يجب عليه أن يأتى ويذر، فإنك إن تنزلت من حديث خالق الموجودات إلى حديث الشوكة وإماطتها هل تجد شيئًا مما يحسنه الشرع والعقل من الأخلاق، ومراضى الأعـمال خارجًا من ذلك؟ وكذا لو عكست وترقيت من إمـاطة الشوكة إلى الأعلى، ولو شرعت فى مـعنى الحياء وفسـرته بما ورد عن رسول الله ﷺ: «**استحـيوا من الله، قالوا: إنا نستحيي من الله يا رسول الله، والحمد لله، قال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله** حق الحـياء أن يحـفظ الرأس وما وعى، والبطن ومـا حوى، ويذكـر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنـيا، وآثر الآخرة على الأولى، فـمن فعل ذلك فـقد استـحيى من الله حق الحياء»[2] لقد حاولت أمرًا عظيما، وفـيه إشارة إلى منازل السائرين إلى الله، والسالكين لطريق الآخرة.

قال الشيخ العـارف أبو القاسم الجنيد (رحمـة الله تعالى عليه): الحياء حـالة تتولد من رؤية الآلاء ورؤية التقـصير. وقد صنف الشـيخ الإمام أبو إسمـاعيل عبدالله الأنصـارى فيها كـتابًا، وحصرها فى مائة باب، كل باب يشتمل على درجات شتى، ثم ليذق[3] من مُنح الفضل الإلهى

(١) فصلت: ٣٠

(٢) قال الشيخ الألبانى ضعيف جدًا، وعزاه إلى الطبرانى والحلية: ضعيف الجامع ح/ ٩٠٥

(٣) فى (ط) (ليدق) بالدال المهملة وهو خطأ والتصويب من (ك)

٦ ـ وعن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمُ من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجرُ من هجر مـا نهى الله عنه» هذا لفظ البخارى. ولمسلم قال: «إن رجلًا سـأل النبى ﷺ: أى المسلمين خـير؟ قـال: من سلم المسلـمون من لسـانه ويده»[٦].

ورُزِق الطبع السليم معنى إفراد(١) الحياء بالذكر بعد دخوله فى الشـعب، كأنه يقول: هذه شعبة واحدة من شعبه، فهل تحصى وتعد شعبها؟ هيهات! إن البحر لا ينزف(٢).

وكفى بهذا الحديث شاهدًا على أن الإيمان جامع للتـصديق والإقرار والأعمال، ومن رده كابر عقله. وظهـر من هذا معنى التكثيـر فى سبعين، ولخص بعض المفـسرين قول على بن عـيسى النحوى فى ذلك وقال: السبعة أكمل الأعداد؛ لجمـعها معانى الأعداد؛ لأن الستة أول عدد تام؛ لأنها تعادل أجزاؤها، فإن نصـفها ثلاثة، وثلثها اثنان، وسدسها واحد، وجملـتها ستة سواء، وهى مع الواحد سبعـة، وكانت كاملة؛ إذ ليست بعد التمام سـوى الكمال، ولعل واضع اللغة يسمى الأسد سـبعًا لكمال قـوته، كما أنه أسد لإساده فى السـير، ثم السبعـون غاية الغاية؛ إذ الآحاد غايتها العشرات. انظر أيها المتأمل، فى هذه الألفاظ القليلة المستقلة بالمعانى الجمة الجليلة، واشهد له أنه ﷺ أوتى كنوز الحكمة، وفصل الخطاب.

الحديث الرابع عن عـبدالله (رضى الله عنه): قوله: «المسلم من سلم المسلمـون». فإن قلت: إذا سلم المسلمـون منه يلزم أن يكون مسلمـا وإن لم يأت بسائر الأركـان؟ قلت: هذا وارد على سبيل المبالغة تعظيما لترك الإيذاء، كأن ترك الإيذاء هو نفس الإسلام الكامل، وهو محصور فيه على الادعاء كـرماد. «حس»: أراد أن المسلم الممدوح والمهـاجر الممدوح من هذه صفـته، لا أن الإسلام ينتفى عـمن لم يكن بهذه الصفة، فهو كـقولهم: الناس العرب، والمال الإبل، يريدون أن الأفضل منهـما ذلك، وكـذلك أفضل المسلمين من جـمع إلى أداء حقـوق الله (تعالى) أداء حقوق المسلمين، والكف عن أعـراضهم، وأفضل المهاجرين من جـمع إلى هجران وطنه هجران ما حرم الله عليه.

وأقول: تحـقيقـه أن التعريف فى المسلم والمهـاجر للجنس، قال ابـن جنى: من عادتهم أن يوقعـوا على الشىء الذى يخصـونه بالمدح اسم الجنس، ألا ترى كيف سمـوا الكعبـة بالبيت؟ وكتاب سيبويه بالكتاب؟

«غب»: كل اسم نوع فإنه يسـتعمل على وجهـين: أحدهما: دلالة على المسمى وفـصلا بينه وبين غـيره. والثـانى: لوجود المعنى المخـتص به، وذلك هو الذى يمدح به، وذلك أن كل مـا أوجده الله فى هذا العـالم جعله صالحًا لفـعل خاص، ولا يصلح لذلك العمل سواه، كـالفرس

---

[٦] أخرجه البخارى (١٠) كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. ومسلم (٤٠) كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأى أموره أفضل؟

(١) فى (ط) إفراز، والتصويب من (ك)

(٢) فى (ط) يستوف، والتصويب من (ك)

٧ ـ وعن أنسٍ رضى الله عنه، قال: قال رسـول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين». متفق عليه[٧].

للعدو الشـديد، والبعير تقطع الفـلاة البعيدة؛ والإنسـان ليعلم ويعمل بحسـبه، وكل شىء لم يوجد كاملا لما خلق له لم يستحق اسمه مطلقًا، بل قد ينفى عنه، كقولهم: فلان ليس بإنسان، أى لا يوجد فيـه المعنى الذى خلق لأجله من العلم والعمل، فعلى هذا إذا وجـدت مسلما يؤذى المسلمين بلسانه ويده، فقلت له: لست بمسلم، عنيت أنك لست بكامل فـيما تحليت به من حلية الإسلام، وهذا معنى قول محيي السنة: إن الإسلام ينفى عمن ليس بصفته.

فإن قيل: مـا معنى تخصيـص المسلم بالذكر ثم المسلمون ثم اللسـان واليد؟ والجواب (والله أعلم) هو إظهار رأفتـه ﷺ بالأمة وإلحاقه بالكل من أصحابه (رضوان الله عـليهم)، كأنه قال: المسلم الكامل من تشبه بهم، واتصف بصفتهم التى وصفهم الله (تعالى) بها فى قوله (تعالى): «أشداء على الـكفار رحمـاء بينهم»[١] وكـان شدتهم علـى الكفار المجـاهدة بالسنان واللسـان، وترحمهم على إخوانهم المسلمين بكف الأذى وإيثار الموجود، كما قال الله (تعالى): ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كـان بهم خصاصة**﴾ فخص بما ينـبىء عن كف الأذى؛ ليؤذن بغايـة التواضع والذلة، تلويحًا إلى معنى قوله: ﴿**أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**﴾[٢]. ولما كانت عزتهم على الكفرة وقـهرهم باليد واللسـان، فينبغي أن ينتـفي عنهم ما كانت العـزة به، وهو يستلزم الإيثار بطريق الأولى وفى تقديم ذكـر اللسان على اليد رمز إلى معنى قـوله ﷺ لحسان: «اهج المشركين فإنه أشق عليهم من رشق النبل»[٣] أو كما قـال. ويمكن أن ينزل الإسلام بلسان أهل السلوك على التسليم والرضى.

«غب»: الإسلام فى الشرع على ضربين: أحدهـما دون الإيمان، وهو الاعتراف باللسان، وبه يحقن الدَّم، حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل، وإياه قصد بقوله (تعالى): ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**﴾[٤]. والثانى فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفـعل، واستسلام لله فى جـميع ما قـضى وقدر، كما ذكـر عن إبراهيم (عليه السلام) ﴿«**إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين**﴾[٥] انتهى كلامه. فمن أسلم وجهه لله وهو محسن، ورضى بما قضى وقدر، لم يتعرض لأحـد، وكف أذاه بالكلية، لاسيما عن إخوانه المسلمين، وعليه ينطبق الزيادة فى رواية مسلم، وفيها أيضًا شهادة لصحة تأويل رواية البخارى.

الحديث الخـامس عن أنس (رضى الله عنه): قوله: «أحب». «غب»: المحبـة إرادة ما يراه أو يظنه خيرًا، وهو على ثلاثة أوجه: محبة اللذة، كمحبة الرجل المرأة. ومحبة النفع، كمحبة شىء

---

[٧] أخرجه البخارى (١٥) كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان.
ومسلم رقم (٤٤) كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد.

(١) الحجرات: ١٤ — (٢) البقرة: ١٣١

(٣) حديث صحيح متفق عليه وانظر السلسة الصحيحة ح/٨٠١

(٤) الحجرات: ١٤ — (٥) البقرة: ١٣١

٨ ـ وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان اللهُ ورسولهُ أحبَّ إليه مما سواهما، ومن أحبَّ عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى فى النار». متفق عليه[٨].

ينتفع به. ومحبة الفضل، كمحبة أهل العلم بعضهم بعضًا لأجل العلم. «خط»: لم يرد بالحب حب الطبع، بل أراد به حب الاختيار المسند إلى الإيمان الحاصل من الاعتقاد؛ لأن حب الإنسان لنفسه ووالده طبع مركوز غريزى خارج عن حد الاستطاعة، ولا تكلف نفس إلا وسعها، ولا سبيل إلى قلبه، ومعناه لا تصدق لى حتى تفدى فى طاعتي نفسك، وتؤثر رضائي على هواك وإن كان فيه هلاكك.

أقول: قوله: «لا سبيل إلى قلبه» ليس بمطلق، وذلك أن المحب ينتهي فى المحبة إلى أن يتجاوز عن الهوى، فيؤثر هوى المحبوب على هوى نفسه فضلا عن محبة ولده، بل يحب أعداء نفسه لمشابهتهم بمحبوبه، قال:

أشبهت أعدائى فصرت أحبُّهم إذ صار حظى منك حظى منهم

وأيضا فى قوله ﷺ: «أحب إليه من والده وولده» إشعار بالموازنة والترجيح، **وتلميح** إلى قضية النفس الأمارة، واللوامة، والمطمئنة، فإن الأمارة مائلة إلى اللذات وحب العاجلة، والمطمئنة مقابلة بها مرجحة لحب الآجلة، فإن من رجح جانب الأمارة كان حب أهله ووالده راجحًا على حبه ﷺ. ومن رجح جانب المطمئنة كان حكمه بالعكس، وإليه الإشارة بقوله (تعالى): **﴿يأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى﴾**(١). ولا ارتياب أن من دخل فى زمرة عباده المرتضين، وانخرط فى سلك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ـ ولا يحب أن ينكص على عقبيه، فيرجح جانب الأهل والأولاد على جانبه ﷺ وهذا محال. وفى هذا التقرير أيضًا معنى قوله: «ووجد حلاوة الإيمان» وذلك أن النفس الأمارة موءوفة كمن غلبت عليه الصفراء. فإنه لا يجد حلاوة العسل، فإذا صحت واطمأنت زال عنه ذلك المرض، فيجد حلاوة الإيمان. والله أعلم.

ويؤيده قول القاضى عياض: فى محبته ﷺ نصرة سنته، والذب عن شريعته، وتمني حضور حياته، فيبذل ماله ونفسه دونه. وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا يتم إلا بذلك، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق أعلى قدر النبى ﷺ ومنزلته على كل والد وولد، ومحسن ومفضل، ومن لم يعتقد هذا فليس بمؤمن.

---

[٨] أخرجه البخارى رقم (١٦) كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ومسلم رقم (٤٣) كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة إيمان.

(١) الفجر: ٢٨: ٢٩: ٣٠.

الحديث السادس عن أنس (رضى الله عنه): قوله: «ثلاث من كن فيه» ثلاث مبتدأ، والجملة الشرطية خبره، وجاز ذلك؛ لأن التقدير: خصال ثلاث. قال المالكى فى شرح التسهيل: مثال الابتداء بنكرة هى وصف على قول العرب: ضعيف عاذ بقرملة. أى إنسان ضعيف أو حيوان ضعيف التجأ إلى ضعيف والقرملة شجرة ضعيفة. ويجوز أن تكون الجملة الشرطية صفة لثلاث، كما أنه يجوز أن تكون خبر المبتدأ فى قولك: زيد إن تعطه يشكرك. أو صلة للموصول كما فى قوله (تعالى): ﴿**وليخش الذين لو تركوا**﴾[1] أو حالا لذى الحال، كما فى قوله تعالى: ﴿**إن تحمل عليه يلهث**﴾[2] ويكون الخبر: «من كان الله ورسوله أحب إليه» وعلى التقديرين لابد من تقدير مضاف قبل «من كان» لأنه على الأول إما بدل عن ثلاث، أو بيان، وعلى الثانى خبر. قيل: لابد من إضمار مضاف قبل كل لاستقامة المعنى، تقديره قبل «من» الأولى والثانية: محبة من كان الله ورسوله، ومحبة من أحب عبدًا، وقبل «من الأولى والثالثة: محبة من كان الله ورسوله، ومحبة من أحب عبدًا، وقبل «من» الأولى والثالثة: وكراهة من يكره أن يعود؛ ولشدة اتصال المضاف بالمضاف إليه فى الإضافات الثلاث وغلبة المحبة والكراهة عليهم حذف المضاف منها.

وحلاوة الإيمان **استعارة** شبهت شدة رغبة المؤمنين فى إيمانه بشىء ذى حلاوة، وأثبت له لازم ذلك، وأضيف إليه على **التخييلية**. «مح»: معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات، وتحمل المشاق[3] فى رضى الله تعالى ورسوله ﷺ وإيثار ذلك على هوى نفسه وأعراض الدنيا، فمن وجد حلاوة الإيمان اطمأن به نفسه، وانشرح له صدره، وخالط لحمه ودمه، فأحب الله تعالى ورسوله ﷺ بفعل الطاعة وترك المخالفة؛ إن المحب لمن يحب مطيع. وقيل: المحبة مواطأة القلب على ما يرضى الرب سبحانه، فيحب ما أحب، ويكره ما كره.

وبالجملة أصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب، ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه، كحسن الصورة والطعام ونحوها، وقد يستلذ بعقله المعانى الباطنة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضل مطلقًا، وقد يكون لإحسانه ودفعه المضار والمكاره عنه، وهذه المعانى كلها موجودة فى النبى ﷺ لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وكمال خلال الجلال وأنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إياهم إلى الطريق المستقيم ودوام النعيم، والإبعاد من الجحيم. وقد أشار بعضهم إلى أن هذا متصور فى حق الله تعالى فإن الخير كله منه (سبحانه وتعالى). قال مالك وغيره: المحبة فى الله تعالى من واجبات الإسلام. «قض»: إنما جعل هذه

(١) النساء: ٩

(٢) الأعراف: ١٧٦

(٣) فى (ط) الشاق، وفى (ك) المشاق وفى صحيح مسلم: المشقات: ٢١٧/١ شرح النووى ط الشعب والعبارة نقلها الطيبى عن شرح النووى بتصرف يسير

٩ ـ وعن العباس بن عبدالمطلب، قال: قال رسول الله ﷺ: «ذاقَ طعم الإيمان من رضى الله ربًا، وبالاسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا» رواه مسلم [٩].

إنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنوانًا لكمال الإيمان المحصل لتلك اللذة لأنه لا يتم إيمان امرىء حتى يتمكن فى نفسه أن المنعم والقادر على الإطلاق هو الله (تعالى) ولا مانح ولا مانع سواه، وما عداه وسائط لها، وأن الرسول ﷺ هو العطوف الحقيقى الساعى فى إصلاح شأنه، وإعلاء مكانه، وذلك يقتضى أن يتوجه بشراشره (■) نحوه، ولا يحب ما يحبه إلا لكونه وسطًا بينه وبينه، وأن يتيقن أن جملة ما وعد به وأوعد حق لا يحوم الريب حوله، فيتيقن أن الموعود كالواقع، وأن بما يئول إليه الشىء كملابسته، فيحسب مجالس الذكر رياض الجنة، وأكل مال اليتيم أكل النار، والعود إلى الكفر الإلقاء فى النار، فيكره أن يلقى فى النار.

فإن قيل: لم ثنى الضمير ههنا؟ ورد على الخطيب «ومن عصاهما فقد غوى» فى حديث عدى بن حاتم (رضى الله عنه) وأمره بالإفراد؟ والجواب: ثنى الضمير ههنا إيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين، لا كل واحدة فإنها وحدها ضائعة لاغية، وأمر بالإفراد في حديث عدي (رضي الله عنه) إشعارًا بأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية، فإن قوله: «ومن عصى الله ورسوله» من حيث أن العطف في تقدير التكرير، والأصل فيه استقلال كل من المعطوف والمعَطوف عليه في الحكم في قوة قولنا: ومن عصى الله فقد غوى، ومن عصى الرسول فقد غوى.

وأقول : هذا كلام حسن متين، ويؤيده الكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله (تعالى): «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» حيث أوقع متابعته ﷺ مكتنفة بين نظري محبة العباد لله ومحبة الله للعباد. وقوله (تعالى) : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾(١) لم يعد «أطيعوا » في «أولى الأمر منكم» كما أعاد في «أطيعوا الرسول»؛ ليؤذن بأنه لا استقلال لهم في الطاعة استقلال الرسول ﷺ. وأما السنة فما روى الترمذي وأبو داود وابن ماجة عن المقدام بن معديكرب (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته، ويقول : عليكم بهذا القرآن» (٢).

الحديث السابع عن العباس (رضي الله عنه) : قوله : «ذاق طعم الإيمان» «قال الراغب(*): الذوق وجود الطعم في الفم، وأصله فيما يقل تناوله، فإذا كثر يقال له: الأكل، فاستعمل في

---

[٩] أخرجه مسلم رقم (٣٤) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا فهو مؤمن، وإن ارتكب المعاصى والكبائر

(١) النساء: ٥٩

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع(٢٦٤٣) وعزاه إلى أحمد وأبي داود.

(*) المفردات للراغب ص ١٨٢ ط دار المعرفة

(■) بشراشره: أي بنفسه وكليته ومحبته له .

التنزيل بمعنى الإصابة ، إما في الرحمة كقوله (تعالى) : ﴿**ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة**﴾[1]وإما في العذاب نحو قوله (تعالى) : ﴿**ليذوقوا العذاب**﴾[2] . وقال غيره: الذوق ضرب مثلا لما ينالون عنده، أي عند رسول الله ﷺ من الخير. قال أبو بكر الأنباري: أراد لا يتفرقون إلا عن علم يتعلمونه يقوم لهم مقام الطعام والشراب؛ لأنه كان ﷺ يحفظ أرواحهم، كما يحفظ الطعام أجسامهم.

وأقول : مجاز قوله: ذاق طعم الإيمان» كمجاز قوله : «وجد حلاوة الإيمان» وكذلك موقعه كموقعه على ما مر، لأن من أحب أحدًا يتحرى مراضيه، ويؤثر رضاه على رضاء نفسه، ومقام الرضى عند أهل العرفان مقام جليل رفيع، روى الشيخ محيي الدين عن صاحب التحرير معنى «رضيت بالشيء» اقتنعت به واكتفيت به، ولم أطلب معه غيره. فمعنى الحديث لم يطلب غير الله (تعالى) ولم يشرع في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ ولا شك في أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلي قلبه، وذاق طعمه. قال القاضي عياض: معنى الحديث صح إيمانه، واطمأنت به نفسه، وخامر باطنه؛ لأن رضاه دليل لثبوت معرفته، ونفاذ بصيرته، ومخالطة بشاشة قلبه؛ لأن من رضي أمرًا سهل عليه فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعة الله (تعالى) ورسوله ﷺ ولذت له.

قوله : «وبالإسلام دينًا» لا يخلو الإسلام أن يراد به الانقياد كما في حديث جبريل (عليه السلام) أو مجموع ما يعبر الدين عنه كما في قوله ﷺ : «بني الإسلام على خمس» ويؤيد الثاني معنى اقترانه بالدين؛ لأن الدين جامع بالاتفاق، ونحوه قوله تعالى: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه**﴾ . وعلى التقديرين هو عطف على قوله «بالله ربًا» عطف العام على الخاص على منوال قوله :﴿**ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم**﴾ [3] وكذا قوله : «بمحمد رسولا» على «بالإسلام» عطف الخاص على العام على نهج قوله (تعالى) : ﴿**وملائكته ورسله وجبريل**﴾ [4].

«مح»: واعلم أن مذهب أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا على كل حال، فإن كان سالمًا من المعاصي كالصغير، والمجنون الذي يتصل جنونه بالبلوغ ، والتائب توبة صحيحة من الشرك وغيره من المعاصي إذا لم يُجِدّ معصية بعد توبة،والموفق الذي ما ألم بمعصية قط ـ فكل هذا الصنف يدخلون الجنة، ولا يدخلون النار أصلا، لكنهم يردونها

---

(١) هود : ٩ .
(٢) النساء: ٥٦ .
(٣) الحجر: ٨٧ .
(٤) البقرة: ٩٨ .

١٠- * وعن أبي هريرة ، قال رسول الله ﷺ : «والذي نفس محمد بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به؛ إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم . [١٠] .

على الخلاف المعروف في الورود، والصحيح أن المراد به المرور على الصراط، وهو منصوب على ظهر جهنم ـ عافانا الله منها ومن سائر المكاره .

وأما من كانت له معصية (كبيرة)(*) ، ومات من غير توبة ، فهو في مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه، وأدخل الجنة أولًا ، وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه بالقدر الذي يريده (سبحانه) ثم يدخل الجنة، فلا يخلد في النار أحد مات علي التوحيد، ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات علي الكفر ، ولو عمل من أعمال البر ما عمل. هذا هو المذهب الحق الذي تظاهرت أدلة الكتاب والسنة ، وإجماع من يعتد به عليه، وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعي ، وإذا ورد حديث في ظاهره مخالفة لهذا وجب تأويله؛ ليجمع بين نصوص الشرع.

الحديث الثامن عن أبي هريرة (رضي الله عنه) : قوله : «والذي نفس محمد بيده» يريد ﷺ بالنفس ذاته وجملته، ويعني بيده قدرة الله وتصرفه فيه ●. يشير إلي أن إرادته وتصرفه مغموران في إرادة الله وتصرفه، وهو في علم البيان من **أسلوب التجريد**؛ لأنه ﷺ جرد من نفسه الزكية (صلوات الله عليه) من يسمى محمدًا ، وهو هو ، وأصل الكلام : «والذي نفسي محمد نفسي» ▲ ، ثم التفت (١) من الغيبة إلي التكلم في قوله : «لا يسمع بي» تنزيلا من مقام الجمع إلي مقام التفرقة والاشتغال بدعوة الخلق، ومن مخدع الكمال إلي منصة التكميل .

قال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص السهروردي (قدس الله روحه) : «قيل : الجمع اتصال لا يشاهد صاحبه إلا الحق ، فمتى شاهد غيره فما (٢) جمع ، والتفرقة شهود من شهد بالمباينة، فقوله آمنا بالله جمع، وما أنزل إلينا تفرقة. قال الجنيد : القرب بالواحد جمع، وغيبته في البشرية تفرقة، وكل جمع بلا تفرقة زندقة، وكل تفرقة بلا جمع تعطيل. ويقال : فلان سمع بفلان إذا بلغ إليه خبره. والباء يحتمل أن تكون زائدة ، أي لا يسمعني، فقد جاء:

---

[١٠] أخرجه مسلم رقم (١٥٣) كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) يقصد الالتفات المذكور في فنون البديع.

انظر التبيان للطِّيبي ٢/٣٤٧ بتحقيقي ط المكتبة التجارية بمكة المكرمة. والالتفات على ما ذكره الطِّيبي هو: الانتقال من إحدى الصيغ الثلاث، أعني الحكاية، والخطاب والغيبة، إلى الأخرى لمفهوم واحد، رعاية لنكتة» كذا عرفه الطِّيبي، بنحو تعريف ابن الأثير له. انظر المثل السائر لابن الأثير ٢/١٦٩.

(٢) في(ط) (في) والتصويب من (ك)

* في المطبوع(كثيرة) والتصحيح من (ك) وهو الأوفق للسياق.

● وهذا مما تابع فيه الإمام الطيبى الذين يؤولون صفات الله سبحانه بخلاف ماعليه أهل السنة والجماعة. ولو أنه أثبت الصفة ثم جعل كلامه عن لوازمها؛ لما وقع في المحذور وهو نفي الصفة، وذلك بأن يقال إن من كانت نفسه بيده فإنه يلزم من ذلك قدرته عليه وتصرفه فيه.

▲ في المطبوع «والذى نفسى» والتصحيح من (ك) وهو الأوفق للسياق

سمعتك، وسمعت فلانًا ، ويحتمل أن يكون بمعنى «من» يقال : سمعت من فلان ، فيكون الباء كما في قوله (تعالى) : «عينًا يشرب بها» (١). قال المظهر : وفيه نظر؛ لأن المعنى لا يساعد عليه، فإن سمعني وسمع مني يقتضيان كلامًا و(*) قولا من جانب الرسول ﷺ وليس المعنى عليه.

«الكشاف»(٢) : في قوله (تعالى) : **«سمعنا مناديًا ينادي»** (تقول : سمعت رجلا يقول كذا، وسمعت زيدًا يتكلم، فتوقع الفعل على الرجل، وتحذف المسموع؛ لأنك وصفته بما يسمع، أو جعلته حالا عنه ، فأغناك عن ذكره، فلولا الوصف أو الحال لم يكن منه بد)، والأظهر أن يضمن «يسمع» معنى أخبر، فتعدى بالباء، كقوله (تعالى) : **«ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين»**(٣) أي ما أخبرنا سماعًا، وهو آكد؛ لأن الإخبار أعم من أن يكون سماعًا أو غير سماع، فالمعني ما أخبر برسالتي أو ببعثتي أحد ولم يؤمن إلا كان من أصحاب النار. وأحد إذا استعمل في النفي يكون لاستغراق جنس العقلاء، ويتناول القليل والكثير، والذكر والأنثي، كقوله (تعالى) : **«فما (٤) منكم من أحد عنه حاجزين»** و**«لستن كأحد من النساء»** (٥) وتقول: ما في الدار أحد، أي لا واحد، ولا اثنان فصاعدًا لا مجتمعين ولا متفرقين.

قوله: «من هذه الأمة» صفة «أحد » و «يهودي» إما بيان ، أو بدل من «أحد»، و «من» في «هذه الأمة» إما للبيان، أو للتبعيض ، وعلى التقديرين هو مرفوع المحل، فعلى أن يكون للتبعيض معناه: لا يسمع بي أحد وهو بعض هذه الأمة يهودي، والإشارة بهذه إلى ما في الذهن، والأمة بيان له، والأمة حينئذ أمة الدعوة، وعلى أن يكون للبيان ولفظة «هذه » يكون إشارة إلى أمة اليهود والنصارى خاصة، جرد من الأمة اليهود والنصارى وهو كقوله (تعالى) : **«ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»**(٦) فسره صاحب الكشاف بالوجهين.

فإن قلت: كيف يجعل من التبعيضية اسمًا؟ قلت : هو **مجاز** عن متعلق معناه. «الكشاف»(٧) في قوله تعالى: **﴿قلن حاش لله﴾**(٨) : حرف من حروف الجر، وضعت موضع

(١) الإنسان: ٦

(٢) الكشاف ٢٣٨/١ ط دار المعرفة، وقد نقل الطيبي كلامه بين القوسين بلفظه الآية ١٩٣ من سورة آل عمران.

(٣) المؤمنون: ٢٤

(٤) في (ط) (وما) وهو خطأ، والصواب ما أوردناه كما في الحاقة:٤٧

(٥) الأحزاب: ٣٢

(٦) آل عمران: ١٠٤

(٧) الكشاف ٢٦١/٢

(٨) يوسف: ٥١

* كذا في (ط) وفي (ك): «أو».

التنزيه والبـراءة، والدليل عليـه قراءة من قـرأ «حـاشا لله» بالتنويـن، وإنما ترك على بنائه ولم يعرب مراعـاة للأصل الذي هو الحرفية، ألا ترى إلى قولهم : جلسـت عن يمينه، كيف تركوه غيـر معرب على أصلـه؟ فإن قلت : كيف عطف «ولا نصـراني» على «يهودي» وهو مـثبت ؟ والكلام الفـصـيح في العطف بلا: أن تكرار لفظـة لا: كقـوله (تعـالى) : ﴿فـلا صـدق ولا صلى﴾[1]. قلت: «يهودي» في حيز النفي؛ لكونه فـاعلا للفعل المنفي، كقوله: ﴿ما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾[2].

قال الشارحون : الأمة جمع لهم جامع من ديـن أو زمان أو مكان أو غير ذلك، فإنه مجمل يطلق تارة ويراد بها كل من كان هو مبعوثـا إليهم، آمن به أو لم يؤمن، ويسمون أمة الدعوة ، وتطلق أخـرى ويراد بها المؤمنون به المذعنـون له، وهم أمة الإجـابة، وهي ههنا بمعنى الأول؛ بدليل قـوله : «ولم يؤمن بي» واللام فيـها للاسـتغراق أو الجنـس أو العهد، والمراد بـها أهل الكتاب ، ويعضـد الأخير توصيف الأحد باليـهودي والنصراني. وفي تخصيص ذكـر اليهودي والنصراني وأنهما من أهل الكتاب ـ إشعار بأن حال المعطلة وعبدة الأوثان وأضرابهم آكد، وهم أولى بالصلى.

وتلخيص المعنى أن كل واحد من هذه الأمة إذا يسمع(*) بي ويتبين له معجزتي ثم لا يؤمن برسالتي، ولم يصدق في(*) مقـالتي ـ كان من أصحاب الـنار، سواء الموجود ومن سيـوجد. «شف»: لفظ ثم موضوع للتراخي، دال على أن الإيمان بما أرسل به نبينا مـحمد ﷺ مهما صدر من الكافر وحصل منه فإنه ينفعـه، ويمحي عنه ما سلف في كفره، وإن تراخى ذلك الإيمان عن أول سمـاعه لمبـعثـه، وتقدير الاسـتثناء: لا يسـمع بي أحد من هذه الأمـة ثم لم يؤمن بالذي أرسلت (به)▲ فيكون له حال من الأحوال إلا أن(*) كان من أصحاب النار.

أقول : والوجـه أن يقال : إن «ثم» هذه للاستبـعاد ، كما (فى) قـوله (تعالى) : ﴿ومن أظلم ممن ذكـر بآيات ربه ثم أعرض عنهـا﴾ [3] يعني ليس أحـد أظلم ممـن بينت له آيات الله الظاهرة والباطنة، ودلائله القاهرة ، فعرفها ثم أنكرها، أي بعيد ذلك عن العاقل، كما تقول : وجدت مـثل تلك الفرصـة ثم لم تنتهزها! فـالمعنى ما أبعـد لذي العقل أن يسـمع بي يهودي ونصراني بعد انتظارهما بعثتي، واستفتاحهما الكفرة بنصرتي؛ ثم لما بعثت لم يؤمن بي، فعلى هذا التقدير يختص الحديث بأهل الكتاب؛ ولا يحتاج إلى التكليف(*) في نسبتهم إلى غيرهم ، كما عليه كلام الشارحين.

---

(١) القيامة: ٣١ (٢) الأحقاف: ٩

(٣) الكهف: ٥٧، السجدة: ٢٢

▲ غير موجودة في (ط) والتصحيح من (ك).

(*) كذا في الأصل (ك) .

١١ـ * وعن أبي موسى الأشعري. قال : قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ، والعبد المملوك إذا أدَّى حق الله وحقَّ مواليه ، ورجلٌ كانت عنده أمةٌ يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها؛ فله أجران». متفق عليه . [١١]

فإن قلت: في الحديث السماع والإيمان كلاهما منفيان، فيلزم على هذا من لم يسمع ولم يؤمن يكون من أصحاب النار، وهو خلاف قوله (تعالى): ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾(١) وكان من حق الظاهر أن يقول : يسمع ولا يؤمن. قلت : إن «ثم» للاستبعاد رجع حاصل معنى الاستثناء إلى قولنا: لا يحصل بهذا الاستبعاد المذكور في حق يهودي أو نصراني فيكون له حال من الأحوال إلا أن كان من أهل النار، فالمنفي سماع لم يترتب عليه الإيمان؛ لأنه هو المستبعد، وفهم منه أن السماع الذي يترتب عليه الإيمان يكون حكمه بالعكس، ونظيره قوله (تعالى) : ﴿**لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم**﴾(٢) في أحد وجهيه ، وهو أن يكون الفعل المعلل منهيًا ، لا أن يكون الفعل المنهي معللا، فاعرف.

الحديث التاسع عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه): قوله : «ثلاثة لهم أجران» إعراب هذا التركيب كإعراب : «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان» في الوجهين، لكن لا يجب هنا تقدير مضاف كما وجب هنالك لاستقامته بدونه قال الشارحون: المراد بأهل الكتاب نصراني تنصر قبل المبعث، أو بلوغ الدعوة إليه ، وظهور المعجزة لديه، ويهودي تهود قبل ذلك إن لم يجعل النصرانية ناسخة لليهودية، إذ لا ثواب لغيره على دينه فيضاعف باستحقاقه ثواب الإيمان. ويدل علي ذلك أن البخاري يروي هذا الحديث وذكر بدل قوله: «آمن بنبيه» «آمن بعيسى» ﷺ ويحتمل إجراؤه على عمومه، إذ لا يبعد أن يكون طريان الإيمان به سببًا لقبول تلك الأعمال والأديان وإن كانت منسوخة، كما ورد في الحديث أن مبرات الكفار وحسناتهم مقبولة بعد إسلامهم. فإن قلت: أي فائدة في ذكر «آمن بنبيه» وقد علم ذلك من قوله : «من أهل الكتاب»؟ قلت: ليشعر بعلِّيَّة الأجر، أي سبب الأجرين الإيمان بالنبيين.

---

[١١] أخرجه البخارى رقم (٢٥٤٤) كتاب العتق، باب فضل من أدب جاريته وعلمها، بنحوه ، ومسلم رقم (١٥٤) كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس والملل.

(١) الإسراء: ١٥

(٢) الحجرات: ٢

قوله: «فأدبها» الأدب حسن الأحوال في القيام والقعود، وحسن الأخلاق، واجتماع الخصال الحميدة: «فأحسن تأديبها» أى أدبها من غير عنف وضرب، بل باللطف والتأني، «وعلمها» أي وعلمها من أحكام الشريعة ما يجب عليها، «فأحسن تعليمها» أي علمها بالرفق وحسن الخلق.

فإن قلت : فيه إشكال، وهو أنه ينبغي أن يكون له أربعة أجور : أحدها بتأديبها، والثاني بتعليمها، والثالث بإعتاقها، والرابع بتزوجها، فلم قال «فله أجران»؟ ولم يقل: له أربعة أجور؟ «مظ» : قلنا: المراد بحصول الأجرين له ههنا بالإعتاق والتزوج؛ لأن التأديب والتعليم موجبان للأجر في الأجنبي والأولاد وجميع الناس. فلم يكن مختصًا بالإماء. أقول : موجب الأجرين إعتاقها وتزوجها فحسب، والتأديب والتعليم موجبان لاستئهالها الإعتاق والتزوج؛ لأن تزوج المرأة المؤدبة المعلمة أكثر بركة، وأقرب إلى أن تعين زوجها على دينه، والشاهد لفظة «ثم»؛ لكونها تفيد أن الإعتاق والتزوج أفضل وأعلى رتبة من التأديب والتعليم؛ لأنهما من التأديب والتعليم. والأولى أن يقال : إن التأديب بالعنف لا يوجب الأجر، كما أن الوطء بدون العتق لا يثبت الأجر لحصوله قبل ذلك، لقوله ﷺ: «كانت عنده أمة يطؤها» كأنه قيل: يؤدبها تأديبًا حسنًا، ويطؤها وطأ جميلا. وأما الفاء في «فأحسن» فللترتيب أيضًا، لكنها دون «ثم»، كما في قولك: الأمثل فالأمثل، والأفضل فالأفضل، يعني التأديب والتعليم بالرفق أحسن وأفضل منه بالعنف.

ووجه اقتران هذا الحديث بالحديث السابق وجه ثواب نساء النبي ﷺ وعقابهن في المضاعفة، كقوله (تعالى) : ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ (1) إلى آخره، فينبغي أن ينزل الحديث الأول على أنهم أولى الناس بالنبي ﷺ بمعرفتهم به؛ لأنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، فإذا كفروا به استوجبوا من العذاب ضعف عذاب الناس، والعكس إذا آمنوا، فدل على هذا المعنى بالحديث، وعلى استحقاق ضعف العذاب قوله: «إلا كان من أصحاب النار»؛ لأنه في قوة أنه من الجهنميين (*)، فهو من أسلوب قوله : فلان من العلماء، أي له مساهمة معهم في العلم، وأن الوصف كاللقب المشهور له.

قوله «فله أجران» هذا تكرير لطول الكلام اهتمامًا بشأن الأمة وتزوجها مثله قول الحماسي:

وإن امرأ دامت مواثيق عهده   على مثل هذا إنه لكريم

(1) الأحزاب: ٣٢

(*) في ط (الجهنمين) بياء واحدة، والتصحيح من (ك).

١٢ ـ * وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : «أُمرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله». متفق عليه. إلا أن مسلمًا لم يذكر: «إلا بحق الإسلام» . [١٢].

الحديث العاشر عن ابن عمر (رضي الله عنهما): قوله : «أن أقاتل الناس» قال أكثر الشارحين: أراد بالناس عبدة الأوثان، دون أهل الكتاب، لأنهم يقولون : لا إله إلا الله، ثم لا يرفع عنهم السيف حتى يقروا بنبوة محمد ﷺ أو يعطوا الجزية. أقول : تحرير ذلك أن «حتى» للغاية، وقد جعل رسول الله ﷺ غاية المقاتلة القول بالشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ورتب على ذلك العصمة، وأهل الكتاب إذا أعطوا الجزية سقط عنهم القتال، وثبت لهم العصمة، فيكون ذلك تقييدًا للمطلق، فالمراد بالناس إذًا عبدة الأوثان. والذي يذاق من لفظ «الناس» العموم والاستغراق، كما في قوله (تعالى) : ﴿**يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله**﴾.(١) وبيانه من وجوه:

أولها: أنه من العام الذي خص منه البعض؛ وذلك لأن القصد الأولى من هذا الأمر حصول هذا المطلوب، كقوله (تعالى): ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾(٢) فإذا تخلف منه في بعض الصور لعارض لا يقدح في عمومه ، ألا ترى أن عبدة الأوثان إذا وقعت المهادنة معهم تسقط * عنهم المقاتلة (وتثبت العصمة) •.

وثانيها: أن يعبر بمجموع الشهادتين وفعل الصلاة والزكاة عن إعلاء كلمة الله وإظهار دينه وإذعان المخالفين، فيحصل ذلك في بعضهم بالقول والفعل، وفي بعضهم بإعطاء الجزية ، وفي الآخرين بالمهادنة، ألا ترى أن المنافق إذا أظهر الإيمان سقط عنه القتل، ودخل تحت العصمة، وهو أغلظ كفرًا من الكتابي؟ وسبيل هذا الأسلوب سبيل قوله (تعالى) : ﴿**الذين يؤذون الله ورسوله**﴾(٣) وإيذاء الله محال، فجعل عبارة عما يكرهانه، ولا يرضيان به ليعم.

---

[١٢] أخرجه البخاري رقم (٢٥) كتاب الإيمان، باب ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾. ومسلم رقم (٢٢) كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(١) الأعراف: ١٥٨ وقد سقط من الآية جزء في (ط) و(ك) وتم تصحيحه.

(٢) الذاريات: ٥٦

(٣) الأحزاب: ٥٧

* في ط (سقط) والتصحيح من (ك).

• غير موجودة في (ط)، واثبتناها من (ك).

وثالثهـا: أن الغرض من ضرب الجـزية وإنزال الصغار والهـوان على الذمي اضطراراهم إلى الإسلام، وإبدالهم العـزة بالذلة، وسبب السبب سبب ؛ فـيكون المقاتلة سببًا لـلقول والفعل. ويظهره قوله (تعالى) : ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ (١) المنزل هو المطر، وهو سبب لإنبات الـعشب وهو سبب لـتكثير الحـيوان، فـعلى هذا غلب في الحديث الـسبب الأول ـ أي المقاتلة ـ على السبب الثاني ـ أخذ الجزية ـ كما غلب العم على أحد الأبوين، على أن الاحتمال قائم في أن ضرب الجـزية كان هذا بعد القول . «قض»: إذا قال الرسـول ﷺ : «أمرت» فهم منه أن الله (تعالى) أمره، وإذا قـاله الصحابي (رضي الله عنه) فهم أن الرسـول ﷺ أمره، فإن من اشـتهر بـطاعة رئيس إذا قـال ذلك فهم منه أن الرئيس أمـره، وإنما خص الصلاة والـزكاة بالذكر والمقـاتلة عليهما أيضـًا بحق الإسلام؛ لأنهما أم العـبادات البدنية والمالية، والمـعيار على غـيرهمـا والعنوان له، ولذلك سمى الـصلاة عـماد الدين، والزكـاة قنطرة الإيمان، وأكثـر الله (سبحانه وتعالى) من ذكرهما مقارنتين في القرآن.

أقول قوله ﷺ : «إلا بحق الإسـلام» استثناء من أعم عام الجار والمجرور، فـمعنى الحديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا شهدوا عصموا مني دماءهم (وأموالهم، فلا يجوز إهدار دمائهم)(*) واستباحة أموالهم بسبب من الأسباب، إلا بحق الإسلام: من قتل النفس المحـرمة، وترك الصلاة والزكاة بتأويل باطل، وغـير ذلك. وأما تقديم قوله : «تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة» وإزالتهما عن مقرهما هذا وعطفهما على الشهادتين ـ فللدلالة على أنهما بمنزلتـهما في كونهما غـاية للمقاتلة، إيذانًا بأنهما أم العبـادات وأساسها، قريب منه في العطف قـوله (تعالى) :﴿لقد سمع الله قـول الذين قالوا إن الله فقيـر ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقـتلهم الأنبياء﴾(٢) في سالف عـهده في العظم والقدم، وإليه أشـار صاحب الكشاف، حيث قال: إيذانًا بأنهما في العظم أخوان، وبأن هذا ليس بأول ما ركبوه من العظام. ويؤيد هذا التأويل رواية أبي هريرة (رضي الله عنه) فإنه لم يذكر فيها الصلاة والزكاة.

قوله : «وحسـابهم على الله» فيما يسرون به من الكفر والمعـاصي، والمعنى أنا نحكم عليهم بالإيمان، ونؤاخذهم بحقوق الإسلام، وبحسب ما يقتضيه ظاهر حالهم، والله (سبحانه وتعالى) يتولى حسابهم، فيثيب المخلص، ويعاقب المنافق ، ويجازي المسر بفسقه أو يعفو عنه . «خط»: فيه أن من أظهر الإسلام وأسر الكفر يقبل إسلامه في الظاهر ، وهو قول أكثر العلماء، وذهب مالك إلى أن توبة الزنديق لا تقبل ، ويحكى ذلك أيضًا عن أحمد بن حنبل.

«مح»: اختلف أصحابنا في قبول توبة الزنديق، وهو الذى ينـكر الشرع جملة، فذكروا فيه خمسة أوجـه: أصحها قبولها مطلقـًا؛ للأحاديث الصحيحة المطلقة. والثـاني لا تقبل، ويتحتم

(١) الزمر: ٦

(٢) آل عمران: ١٨١

(*) ما بين القوسين سقط من ط وتم إثباته من (ك).

١٣ـ * وعن أنسٍ ، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من صلَّى صلاتَنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا؛ فذلك المسلم الذي له ذمةُ الله وذمةُ رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته». رواه البخاري. [١٣].

قتله ، لكنه إن صدق فى توبته نفعه ذلك في الدار الآخرة. والثالث: إن تاب مرة واحدة قبلت توبته، فإن تكرر منه ذلك لم تقبل. والرابع : إن أسلم ابتداء من غير طلب منه، وإن كان تحت السيف فلا. والخامس : إن كان داعيًا إلى الضلال لم تقبل منه وإلا قبلت.

«شف» : وفي الحديث دليل على أن أمور الناس في معاملة بعضهم بعضًا إنما تجري على الظاهر من أحوالهم دون باطنها، وأن من أظهر شعار الدين أجري عليه حكمه، ولم يكشف عن باطن أمره، ولو وجد مختون بين قتلى غلف عزل في المدفن، ولو وجد لقيط في بلد المسلمين حكم بإسلامه.

«حس» : لم يذكر في حديث أبي هريرة «ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» وذكر في حديث ابن عمر وأنس (رضي الله عنهما) . «خط» : إنما اختلفت الألفاظ لاختلاف الأوقات ، فإن فرائض الدين كانت تشرع شيئًا بعد شيء، فالحديث الأول كان قبل وجوب هذه الفرائض، والحديثان الآخران بعد وجوبهما.

الحديث الحادي عشر عن أنس (رضي الله عنه): قوله : «من صلى صلاتنا» قالوا: أي صلى كما نصلي، ولا يوجد ذلك إلا من معترف بالتوحيد والنبوة، ومن اعترف بمحمد ﷺ فقد اعترف بجميع ما جاء به عن الله (تعالى) فلهذا جعل الصلاة علمًا لإسلامه، ولم يذكر الشهادتين لأنهما داخلتان في الصلاة، وإنما ذكر استقبال القبلة والصلاة متضمنة له مشروطة به؛ لأن القبلة أعرف من الصلاة، فإن كل واحد يعرف قبلته وإن كان لا يعرف صلاته، ولأن من أعمال صلاتنا ما هو يوجد في صلاة غيرنا، كالقيام والقراءة ، واستقبال قبلتنا مخصوص بنا. ثم لما ذكر من العبادات ما يميز المسلم من غيره عبادة، أعقبه بذكر ما يميزه عبادة وعادة، فقال: «وأكل ذبيحتنا» فإن التوقف عن أكل الذبائح كما هو من العبادات فكذلك من العادات الثابتة في كل ملة.

أقول (والله أعلم) : إذا أجري الكلام على اليهود سهل تعاطي عطف الاستقبال على الصلاة بعد الدخول فيها، ويعضده اختصاص ذكر الذبيحة؛ لأن اليهود خصوصًا يمتنعون عن أكل ذبيحتنا، وهم الذين حين حولت القبلة شنعوا بقولهم: ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا

---

[١٣] أخرجه البخاري رقم (٣٩١) كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة .

١٤ـ * وعن أبي هريرة، قال: أتى أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ ، فقال: دُلَّني على عملٍ إذا عملتُه دخلتُ الجنة. قال «تعبدُ الله ولا تشركُ به شيئًا، وتقيمُ الصلاةَ المكتوبة، وتؤدّي الزكاةَ المفروضة، وتصومُ رمضان». قال : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئًا ولا أنقُصُ منه. فلما ولّى، قال النبيُّ ﷺ: «من سرَّه أن ينظرَ إلى رجلٍ من أهل الجنة فَلينظُرُ إلى هذا». مُتفقٌ عليه. [١٤].

عليها﴾(١) أي صلوا صلاتنا، وتركوا المنازعة في أمر القبلة، والامتناع عن أكل الذبيحة لأنه من باب عطف الخاص على العام، فلما ذكر الصلاة عطف ما كان الكلام فيه وما هو مهتم بشأنه عليها، كما أنه يجب عليهم أيضًا عند الدخول في الإسلام أن يقروا ببطلان ما يخالفون به المسلمين في الاعتقاد بعد إقرارهم بالشهادتين.

وخفر يخفر بالكسر خفرًا فهو خفير إذا أجار، وكذلك خفر يخفر تخفيرًا وأخفرته للتعدية إلى مفعول ثان، بمعنى جعلت له خفيرًا، أو للسلب بمعنى غادرته ونقضت عهده ، وعليه معنى قوله : «فلا تخفروا الله في ذمته» أي لا تعاملوا معاملة الغادر في نقض عهده واغتيال مؤمنه ، والذمة الأمان، وأذمه أجاره ، أي له أمان الله من نكال الكفار، وما شرع لهم من القتل والقتال.

الحديث الثاني عشر عن أبي هريرة (رضي الله عنه): قوله : «لا أزيد على هذا شيئًا» «مح»: فإن قيل : كيف قال: «لا أزيد على هذا» وليس في هذا الحديث جميع الواجبات، ولا المنهيات، ولا السنن المندوبة؟ فالجواب أنه جاء في رواية البخاري في آخر هذا الحديث زيادة توضح المقصود: «فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام ، فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد ولا أنقص مما فرض الله (تعالى) على شيئًا » فعلى هذا عموم قوله: «بشرائع الإسلام» وقوله: «مما فرض الله علي» يزيل الإشكال في الفرائض، فأما النوافل فقيل: يحتمل أن هذا كان قبل شرعيتها، وقيل : يحتمل أنه أراد أن لا أزيد في الفرائض بتغيير صفة، كأنه يقول: لا أصلي الظهر خمسًا، وهذا تأويل ضعيف. ويحتمل أنه أراد أن لا أصلي النافلة، مع أنه لا يخل بشئ من الفرائض، وهذا مفلح بلا شك، على أن المواظبة على ترك السنن مذمومة، وترد بها الشهادة، إلا أنه ليس بعاص، بل هو مفلح وناج.

واعلم أنه لم يأت في هذا الحديث ذكر الحج، ولا جاء ذكره في حديث جبريل من رواية أبي هريرة، وكذا غيره من نحو هذه الأحاديث ، لم يذكر في بعضها الصوم، ولم يذكر في

---

[١٤] أخرجه البخارى رقم (١٣٩٧) كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ومسلم رقم (١٤) كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام.

(١) البقرة: ١٤٢

* سقط في (ط) وتم إثباتها من (ك).

١٥ ـ * وعن سفيان بن عبد الله الثقفيّ ، قال : قلتُ يا رسولَ الله! قلْ لي في الإسلام قولا لا أسألُ عنه أحدًا بعدَك ـ وفي رواية : غيرَك ـ قال: «قُلْ: آمنتُ بالله، ثم استقمْ». رواه مسلم. [١٥].

بعضها الزكاة، وذكر في بعضها صلة الرحم، وفي بعضها أداء الخمس، ولم يقع في بعضها ذكر الإيمان؛ فتفاوتت هذه الأحاديث في عدد خصال الإيمان زيادة ونقصانًا، إثباتًا وحذفًا. وقد أجاب القاضي عياض وغيره عنها بجواب لخصه الشيخ أبو عمرو بن الصلاح، وهذبه ، فقال: ليس هذا باختلاف صادر من رسول الله ﷺ بل هو من تفاوت الرواة في الحفظ والضبط، فمنهم من قصر واختصر على ما حفظه فأداه، ولم يتعرض لما زاده غيره بنفي ولا إثبات ، وقد وقع التفاوت عن واحد، ألا ترى إلى حديث نعمان بن نوفل اختلفت الروايات في خصاله بالزيادة والنقصان، مع أن راوي الجميع واحد ـ وهو جابر بن عبد الله ـ في قضية واحدة. ثم ذلك لا يمنع من إيراد الجميع في الصحيح؛ لما عرف في مسألة زيادة الثقة من أنها مقبولة أيضًا.

«قض» : وينبغي لك أن تعلم أن الحديث الواحد إذا رواه راويان، واشتملت إحدى الروايتين على زيادة، فإن لم تكن مغيرة لإعراب الباقي قبلت، وحمل ذلك على نسيان الآخر لذهوله، أو اقتصاره بالمقصود منه في صورة الاستشهاد؛ وإن كانت مغيرة تعارضت الروايتان وتعين طلب الترجيح.

فإن قلت: كيف قرره رسول الله ﷺ على حلفه؟ وقد جاء النكير على من حلف أن لا يفعل خيرًا، والنهي عنه في قوله (تعالى) : **﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا﴾**(١) ؟ قلت: المنع والنكير إنما كان عن عناد، إذ لا شك أن ترك النوافل جائز ، والحلف على المباح غير محرم، ولهذا الكلام محمل آخر، وهو أن يكون السائل رسولا، فحلف أن لا أزيد في الإبلاغ على ما سمعت، ولا أنقص . وقال غيره: يحتمل أن يكون صدور هذا الكلام منه على المبالغة في التصديق والقبول، أي قبلت قولك فيما سألتك عنه قبولا لا مزيد عليه من جهة السؤال، ولا نقصان فيه من طريق القبول.

قوله: «من سره» السرور انشراح الصدر بلذة فيها طمأنينة النفس عاجلا، وذلك في الحقيقة إنما يكون إذا لم يخف زواله ، ولا يكون إلا فيما يتعلق بالأمور الآخرة لا في الدنيوية . قال:

أشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا

الحديث الثالث عشر عن سفيان (رضي الله عنه): قوله : «قل لي في الإسلام» أي قل لي فيما يكمل الإسلام به، ويراعى به حقوقه، ويستدل به على توابعه ولواحقه قولا لا أفتقر معه أن

---

[١٥] أخرجه مسلم رقم (٣٨) كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام.

(١) البقرة: ٢٢٤

أسأل أحدًا غيرك. فقال: «قل آمنت بالله ثم استقم» استقم لفظ جامع للإتيان بجميع الأوامر، والانتهاء عن جميع المناهي؛ لأنه لو ترك أمرًا لم يكن مستقيما على الطريق المستقيم، بل عدل عنه حتى يرجع إليه، ولو فعل منهيًا فقد عدل عن الطريق المستقيم، أيضًا حتى يتوب، وهذا ما عليه كلام الشارحين.

قوله: «لا أسأل أحدًا بعدك» أي لا أسأل أحدًا بعد سؤالك هذا، كقوله (تعالى): **﴿وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾**[1] أي من بعد إمساكه، وقوله في رواية أخرى «غيرك» ملزوم ذلك اللفظ، فإنه إذا لم يسأل بعد سؤاله أحدًا يلزم منه أن لا يسأل غيره.

قوله: ثم «استقم» «شف»: لفظ «ثم» موضوع للتراخي دالة على أن الكفار غير مكلفين بفروع الإسلام، بل هم مكلفون بأصوله فقط، فإذا آمنوا كلفوا بفروعه. وأقول: اتفق علماء البيان على أن «ثم» في مثل قوله (تعالى): **﴿استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾**[2] وقوله: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾**[3] للتراخي في الرتبة، وأن الثبات والاستقامة على ذلك أفضل من قول: آمنت بالله، ومقتضياته، وذلك أن هذا القول ادعاء من القائل بأنه رضي بالله ربًا، والرضى بذلك إقرار بأن المعبود الخالق المنعم على الإطلاق مالكه ومدبر أمره، يوجب القيام بمقتضياته من الإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ومن الشكر باللسان، وتحقيق مراضيه بالقلب والجوارح. ثم الاستقامة على هذا، والثبات عليه، وألا يروغ روغان الثعلب ـ أفضل وأكمل.

فإن قيل: ما الفرق بين هذا وبين قول الشارحين؟ نقول: إن قوله: «آمنت بالله» على هذا* مستتبع لما ذهب إليه الشارحون في تفسير قوله: «ثم استقم» فيسلم على هذا معنى الاستقامة للثبات، والاستدامة على القول ومقتضياته، فتحسن موقع «ثم» المستدعية للتراخي في الرتبة لا الزمان لفساده، وينصره قوله: **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾**[4] فإن قوله: «ثم لم يرتابوا» يفسر معنى قوله: «ثم استقاموا» بالثبات، وهو لتفسير الشارحين غير مطابق. وأيضًا لما تقرر من قبل أن مذهب الصحابة والتابعين والمحدثين على أن الإيمان مشتمل على التصديق بالجنان والقول باللسان والعمل بالأركان ـ وجب حمل معنى قوله: «آمنت» على المجموع، وقوله: «ثم استقم» على الثبات على ذلك.

---

(١) فاطر: ٢

(٢) هود: ٣

(٣) فصلت: ٣٠

(٤) الحجرات: ١٥

* سقطت في ط وتم إثباتها من (ك).

١٦ ـ * وعن طلحة بن عُبيـد الله، قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، من أهل نجد، ثائرَ الرأس، نسمع دَوِيَّ صوته ولا نفقهُ ما يقول، حتى دنا من رسول الله ﷺ، فـإذا هو يسـألُ عن الإسـلام. فـقـال رسـول الله ﷺ: «خـمسُ صلوات في اليـوم والليلة». فقـال: هل عليَّ غيرُهنَّ؟ فقـال: «لا، إلا أن تطَّوع. قال رسولُ الله ﷺ: وصيام شهـر رمضان. قال: هل عليّ غيرهُ؟ قـال: لا، إلا أن تطوّع». قال: وذكر له رسول الله ﷺ. الزكـاة، فقـال: هل عليّ غيـرها؟ فقـال: «لا، إلا أن تطوع» قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيدُ على هذا ولا أنقُصُ منه. فقال رسولُ الله ﷺ: «أفلحَ الرجلُ إنْ صدق». مُتفقٌ عليه. [١٦].

ثم إني ـ بعد لطف الله وتوفيقه ـ عثرت على نقل من جانب الشيخ محيي الدين عن القاضي عياض المغـربي أنه قال: هذا من جوامع كلمه ﷺ وهو مطابق لـقوله (تعالى): ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**﴾(١) أي وحدوا الله تعالى وآمنوا به، ثم استقاموا فلم يحيدوا عن توحيدهم، والتزموا طاعته (سـبحانه وتعالى) إلى أن يتوفوا على ذلك. وعلى ما ذكرنـاه أكثر المفسرين من الصحابة فمن بعدهم، وهو معنى الحديث، هذا كـلام القاضي عياض. وقال ابن عباس في قوله (تعالى): ﴿**واستقم كما أمرت**﴾(٢): ما نزل على رسـول الله ﷺ في جميع القـرآن آية كانت أشد ولا أشق عليـه من هذه الآية، ولذلك قال رسول الله ﷺ لأصـحابه حين قالوا: قـد أسرع إليك الشيبة، قال «شيبتني هود وأخواتها»(٣) تم كلام الشيخ محيي الدين، والحمد لله على توارد الخواطر.

قال الإمام فخـر الدين الرازي في قوله (تعالى): ﴿**فاستقم كما أمرت**﴾(٤): استقامة المأمور صعب شديد؛ فإنها تشـتمل العقائد، والأعمال، والأخلاق، والاستقـامة في العقائد أن يجتنب التشبـيه والتعطيل، وفي الأعمـال أن يحترز عن التغييـر والتبديل، وفي الأخـلاق أن يبعد عن طرفي الإفراط والتفريط.

الحديث الرابع عشر عن طلحة (رضي الله عنـه): قوله : «جاء رجل من أهل نجد» النجد في الأصل ما ارتفع من الأرض، وبه سـميت الأراضي الواقعة بين تهامـة والعراق. و «ثائر الرأس»

---

[١٦] أخرجـه البخاري رقم (٨٩١) كـتاب الصوم، باب وجـوب صوم رمـضان ومواضع آخـر. ومسلم رقم (١١) ك الإيمان، باب بيان الصلوات التى هى أركان الإسلام.

(١) فصلت: ٣٠

(٢) الشورى: ١٥

(٣) صحيح. صححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٢٠)، والصحيحة (٩٥٥).

(٤) هود: ١١٢

منتشر شعر الرأس، من : ثار الغبار يثور ثورًا وثورانًا، «والدوي» هو الصوت الذي لا يفهم منه شئ، من : دوي النحل. و «ثائر الرأس» ينتصب على الحال من «رجل» بوصفه ، والرفع فيه حسن على الصفة لولا الرواية بالنصب . قوله: «عن الإسلام» أي فرائضه التي فرضت على من وحد الله وصدق رسوله، ولهذا لم يذكر فيه * الشهادتين؛ لأنه ﷺ علم أن الرجل يسأل عن شرائع الإسلام ويمكن أنه سئل عن حقيقة الإسلام، وقد ذكر له الشهادة فلم يسمعها طلحة لبعد موضعه منه، وهذا القول أمثل وأجمع، فلما سمع قول النبي ﷺ فارتضاه حلف أني أجتهد في تبليغ ما سمعته منك إليهم، بحيث لا أزيد عليه ولا أنقص منه.

قوله: «أفلح الرجل» قيل: وهو الظفر وإدراك البغية، وهو ضربان: دنيوي وهو الظفر بما تطيب به الحياة الدنيا، وأخروي، وهو إدراك ما يفوز به الرجل في الدار الآخرة. وقد قيل : إنه أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل، قاله الراغب.

قيل: قوله: «هل على غيرهن؟ قال: لا ، إلا أن تطوع» فيه تمسك لأصحابنا في أصلين: أحدهما: في شمول عدم الوجوب في غير ما ذكر في الحديث كعدم وجوب الوتر، والتسمية في الذبح، والتباعد بقدر القلتين عن جوانب النجاسة في الماء الراكد، والوليمة والعقيقة. والثاني: في أن الشروع غير ملزم؛ لأنه في وجوب شئ آخر مطلقًا، شرع فيه أو لم يشرع.

وأصحاب أبي حنيفة تمسكوا به من وجه آخر قالوا: الشروع ملزم؛ لأنه نفي وجوب شئ آخر إلا ما تطوع به ، والاستثناء من النفي ▲ إثبات، والمنفي وجوب شئ آخر، فيكون المثبت ● بالاستثناء وجوب ما تطوع به، وهو المطلوب. هذا مغالطة؛ لأن هذا الاستثناء من بوادي ** قول الله (تعالى): ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف﴾ [1] وقوله (تعالى): «لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى»[2] أي لا يجب عليك شئ قط إلا أن تطوع، وقد علم أن التطوع ليس بواجب؛ فيلزم أن لا يجب عليه شئ قط.

وإنما لم يذكر الحج؛ لأن الحديث حكاية حال الرجل لقوله: « هل على غيره؟» فأجابه ﷺ بما عرف من حاله، ولعله ممن لم يكن عليه الحج واجبًا، وإذا احتمل ما ذكرنا فليحمل عليه جمعًا بينه وبين الأحاديث الدالة على وجوب الحج، ولهذ المعنى قال علماء الأصول: حكاية الحال لا تعادل العمومات. وقيل : إنما لم يذكر الحج لأنه لم يفرض حينئذ أو سقط عن بعض الرواة ذكره، وذكر له الزكاة ، هذا قول الراوي، فإنه نسي ما نص عليه رسول الله ﷺ أو التبس عليه، فقال: «ثم ذكر له الزكاة» وهذا يؤذن بأن مراعاة الألفاظ مشروطة في الرواية، فإذا التبس عليه بعضها فيشير في ألفاظه إلى ما ينبئ عنه، كما فعل راوي هذا الحديث، أو يقول: أو كما قال ، أو غير ذلك.

---

(١) النساء: ٢٢ . (٢) الدخان: ٥٦.

* في المطبوع (فى) والصواب من (ك) وهو الأوفق للسياق.

** في المطبوع (وادى) والصحيح ما أثبتناه من (ك).

▲ في المطبوع (النهي) والتصويب) من (ك).

● في المطبوع (المنفي) والتصويب) من (ك). وهو الأوفق للسياق.

١٧- * وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: إنّ وَفْدَ عبد القيس لما أتوا النبيّ ﷺ؛ قال رسولُ الله ﷺ: «مَن القومُ؟ ـ أو: مَن الوَفدُ؟ ـ» قالوا: ربيعة. قال: «مرحبًا بالقوم ـ أو: بالوفد ـ غيرَ خزايا ولا نَدامى». قالوا: يا رسول الله! إنا لا نستطيعُ أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحيُّ من كفَّارِ مُضر؛ فَمُرْنا بأمرٍ فصلٍ نُخبِرْ بهِ من وراءنا وندخلْ به الجنة، وسألوه عن الأشربة، فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع:

الحديث الخامس عشر عن ابن عباس(رضى الله عنهما): قوله: «إن وفد عبد القيس» الوفد جمع وافد، كصحب جمع صاحب، يقال: وفد الوافد يفد وفدًا ووفادة، إذا خرج إلى ملك فى فتح أو أمر، كزيارة واسترفاد وانتجاع. وعبد القيس من ربيعة، وهى قبيلة عظيمة، ومضر في مقابلتهم، ولفظة«أو» شك من الراوي، و«مرحبًا» مأخوذ من: رحب رحبًا (بالضم) إذا وسع، وهو من المفاعيل المنصوبة بعامل مضمر لازم إضماره ومعناه: أصبتم رحبًا وسعة. و«غير» حال من الوفد، أو القوم، والعامل فيه الفعل المقدر، و«خزايا» جمع خزيان، من خزي بمعنى ذل.

قوله: «ولا ندامى» معناه ولا نادمين، وغير العبارة فيها مراعاة للمطابقة، كقولهم: «الغدايا والعشايا». و«الأمر الفصل» هو الحكم الواضح الذى لا إجمال فيه، وقوله: «وسألوه عن الأشربة» أي ظروف الأشربة، محذوف المضاف، أو عن الأشربة التى تكون فى الأوانى المختلفة، محذوفة الصفة، و«الحنتم» الجرة الخضراء، و«الدباء» (بضم الدال وتشديد الباء) القرع، و«النقير» أصل خشبة ينقر فينبذ فيه، و«المزفت» المطلى بالزفت، وتحريم الانتباذ فى هذه الظروف كان في صدر الإسلام ثم نسخ، وهو المذهب. وقال البعض: التحريم باق، وإليه ذهب مالك وأحمد.

«قض»: والمقصود بالنهى ليس استعماله مطلقًا، بل التنقيع فيها، والشرب منها ما يسكر، وإضافة الحكم إليها إما لاعتيادهم استعمالها فى المسكرات، أو لأنها أوعية تسرع بالاشتداد فيما يستنقع، فلعلها[(١)] تغير النقيع في زمان قريب، ويتناوله صاحبه على غفلة بخلاف السقاء فإن التغير إنما يحدث فيه على مهل ومرور زمان، ولا يخفى أن الدليل على هذا ما روى أنه ﷺ قال: «نهيتكم عن[(٢)] النبيذ فى السقاء، فاشربوا الأسقية كلها، ولا تشربوا مسكرًا».[(٣)]

قولهم: «إنا لا نستطيع» وذلك أن أهل الجاهلية كانوا أصحاب حروب وغارات، ولا يأمن بعضهم بعضًا فى المسالك والمراحل إلا فى الأشهر الحرم لأنهم كانوا يكفون فيها عن الانتهاك والانتهاب؛ تعظيما لها وتسهيلا للأمر على زوار البيت.

أقول: قوله: «بأمر فصل» يحتمل أن يكون الأمر واحد الأوامر، وأن يكون بمعنى الشأن، و«فصل» يحتمل أن يكون بمعنى الفاصل، كالصوم والزور، وهو الذى يفصل بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، وأن يكون بمعنى المفصل، أي مبين مكشوف ظاهر ينفصل به المراد

---

(١) في (ط) [فعلها] والتصويب من (ك).
(٢) في (ط) [من] والتصويب من (ك).
(٣) في (ط) [سكرًا] والتصويب من (ك).

أمـرهم بالإيمان بالله وحـدَه، قال: «أتـدرون ما الإيمانُ بالله وحـدَه؟» قـالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهادةُ أن لا إله إلا اللهُ وأنَّ مـحمدًا رسولُ الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وصيامُ رمضان، وأن تُعطوا من المغنم الخمسَ».

ونهـاهم عن أربع: عن الحَنْتَم، والدُّبَّـاء، والنقيـر، والمزَفَّتِ وقـال: «احـفظوهنَّ وأخبروا بهنَّ مَن وراءكم». متفق عليه، ولفظه للبخاري.[١٧]

عن الاشتـباه، فـإذا كان بمعنى الشأن والفـاصل ـ وهو الظاهر ـ يكون التنكيـر للتعظيم بشـهادة قوله: «ندخل به الجنة» كما قال ﷺ: «سألتنى عن عظيم» فى جواب معاذ: «أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة» فالمناسب حينئذ أن يكون الفصل بمعنى المفصل لتفـصيله (ﷺ) الإيمان بأركانه الخمسة كما فصله فى حديث معاذ. وإن كان بمعنى واحد الأوامر فيكون التنكير للتقليل، فإذًا المراد به اللفظ، والباء للاستعانة، والمأمور به محذوف، أي مرنا بعمل بواسطة افعل. وتصريحه في هذا المقام أن يقال لهم: آمنوا وقولوا: آمنا، هذا هو المعنى بقـول الراوي: «أمرهم بالإيمان بالله وحده». وعلى أن يراد بالأمر الشأن أن يكون المراد معنى اللفـظ ومواده، وعلى هذا الفصل بمعنى الفاصل، أي مرنا بأمر فصل، أي جامع قاطع كما مرّ فى قوله (ﷺ):

« قل: آمنت بالله ثم اسـتقم» فـالمأمور بـه هاهنا أمر واحـد، وهو الإيمان، والأركان الخـمسـة كالتفسير للإيمان بدلالة قوله(ﷺ): «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» ثم بينه بما قال.

فإن قيل: على هذا فى قول الراوى إشكالان: أحدهمـا: أن المأمور به واحد وقد قال: أربع. وثانيهما: أن الأركان خـمسة وقد ذكر أربعًا. والجواب عن الأول أنه جعل الإيمـان أربعًا باعتبار أجزائه المفصلة، وعن الثانى أنه من عادة البلغـاء أن الكلام إذا كان منصوبًا لغرض من الأغراض جعلوا سياقـه له وتوجهه إليه، كان مـا سواه [مرفوض مطرح](*)، ومنه قوله تعالى: ﴿فعززنا بثالث﴾(١) أى فعززناه، بتـرك المنصوب وأتى بالجار والمجرور؛ لأن الكلام لم يكن مـسوقًا له، فهـاهنا لما لم يكن الغرض فى الإيراد ذكر الشـهادتين؛ لأن القوم كـانوا مؤمنين مقـرين بكلمتى

---

[١٧] أخـرجه البـخارى رقم (٥٣) كـتاب الإيمان، بـاب أداء الخمس من الإيمان ومـسلم رقم (١٧) ك الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين.

(١) يس: ١٤.

(*) كذا في «ط» و «ك» وقال الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ في تعليقه على الرسالة للإمام الشافعي: والرسم بغيـر الألف جائز، وقـد ثبت في أصول عتـيقة من كـتب الحديث وغـيرها، بخطوط علماء أعـلام، ففي نسـختين مخطوطتين صحيحتين من المحلى لابن حزم حديث «كـانوا يخرجون على عهد رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاع من تمر، أو صـاع من شعـير، ورسـمت كلمة «صـاع» بدون ألف، أنظر المحلى (٦:١٢٢) وقـد صحـحت ذلك على المخطوطتين منه ورأيتهما أ هـ اختصارا، وقد ذكر لها في الرسالة ثلاثة عشر موضعا.

١٨ ـ * وعن عـبـادة بن الصـامـت، قـالَ رسـول الله ﷺ وحـوله عِـصـابةٌ من أصحابه: «بايعـوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تَسـرقوا، ولا تَزنوا، ولا تَقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببـهتان تفـترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعـصوا فى مـعروف. فمن وفى منكم فأجرهُ على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به فى الدنيا؛ فهو

الشهادة بدليل قولهم «الله ورسـوله أعلم» وترحيب الرسـول ﷺ لهم، ولكن كـانوا يظنون أن الإيمان مقصور علـيهما، وأنهما كافـيتان لهم، وكان الأمر في صدر الإسـلام كذلك ـ لم يجعله الراوى من الأوامر، وقصد به أنه ﷺ نبهـهم على موجب توهمهم بقوله: «أتدرون ما الإيمان؟» ولذلك خصص ذكر: «أن تعطوا من المغنم الخمس» حيث أتى بالفعل المضارع على الخطاب؛ لأن القوم كانوا أصحاب حروب وغزوات، بدلـيل قوله: «بيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر» لأنه هو الغرض من إيـراد الكلام، فصار أمـرًا من الأوامر. وفيـه دليل ظاهر قاطع علـى خصوصـية الإيمان بأنه ذو أجزاء يزيد وينقص، وفـيه أيضًا دليل على أن إبلاغ الخـبر وتعليم العلم واجب، حيث قال: «أخبروا بهن من وراءكم» والأمر للوجوب، ذكره فى شرح السنة.

«مح»: قال بعض شـارحى البخـارى: أمرهم بالأربع التى وعـدهم، ثم زاد خامـسة؛ لأنهم كانوا مجاوريـن لكفار مضر، وكانوا أهل جهـاد وغنائم. وقال ابن الصلاح: «وأن تؤدوا» عطف على قوله: «بأربع» فلا يكون واحدًا منها، وإن كـان واحدًا من مطلق شعب الإيمان. قال القاضى عياض: إنمـا لم يذكر الحج، لأن وفادة عبـد القيس عام الفتح قـبل خروج النبى ﷺ إلى مكة، ونزلت فريضة الحج سنة تسع بعدها على الأشهر.

الحديث السادس عشر عن عبادة: قوله: «العصابة» بالكسر الجماعة من الناس ليس لها واحد، والعصـبة من الرجـال ما بين العشـرة إلى الأربعين، أخذ من العـصب، وهو الشد، كـأنه يشد بعضهم بعضًا. قوله: «وحوله عصابة» جـملة حالية، و«حوله» انتصب على الظرف خبر عصابة. **قوله**: «بايعونى» المبايعة المعاهدة، من البيع، والبيعة والتبايع مثله، سميت بذلك تشبيهًا بالمعاملة فى المجلس.

«نه»: المبايعة على الإسلام عبارة على المعاقدة عليه والمعاهدة، سميت بذلك تشبيهًا بالمعاوضة المالية؛ فإن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبـه، وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره. والبهتان الكذب الذى يبهت سـامعه، أي يدهش ويتحير لفظاعته. والافـتراء الاختلاق، والفرية الكذب، كأن الافـتراء من الإفراء، وهو قطـع الأديم على جهة الإفـساد، والعصـيان في الأصل الامتناع عن الشىء والتأبى عنه.

قوله: «المعروف» «النهاية»: (هو اسم جامع لكل ما عـرف من طاعة الله تعالى والتقرب إليه،

كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله عليه فى الدنيا؛ فهو إلى الله: إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه» فبايعناه على ذلك. متفق عليه. [١٨].

والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه، من المحسنات والمقبحات، وهو من الصفات الغالبة)(١). قوله: «ولا تأتوا ببهتان تفترونه» فإن قلت: ما معنى الإطناب؟ حيث قال: تأتوا، ووصف البهتان بالافتراء، والافتراء والبهتان من واد واحد، وهلا اقتصر على: ولا تبهتوا الناس؟ قلت: معناه مزيد التقرير وتصوير شناعة هذا الفعل، وتعليق معنى زائدًا عليه، وذلك من أربعة أوجه:

أولها: معناه: ولا تأتوا ببهتان من قبل أيديكم وأرجلكم، أي من قبل أنفسكم جناية تفضحونهم بها وهم برءاء، واليد والرجل كنايتان عن الذات.

وثانيها: لا تبهتوا الناس بالعيوب كفاحًا (*) يشاهد بعضكم بعضًا، كما يقال: فعلت هذا بين يديك، أي بحضرتك، وهذا النوع أشد ما يكون من البهت.

وثالثها: معناه: لا تفتروه ولا تنشئوه من ضمائركم؛ لأن المفترى إذا أراد اختلاق قول فإنه يقدره ويقرره أولا في ضميره، ومنشأ ذلك ما بين الأيدى والأرجل من الإنسان، وهو القلب، وينصر هذا القول ما ورد: «وليحفظ البطن وما حوى»(٢).

ورابعها: نسبة الافتراء إلى اليد والرجل بسبب أنهن عوامل وحوامل، وإن شاركها سائر الأعضاء، كما يقال: فلان صنع عندى يدًا، وله عندى يد.

أقول: الوجه الأول والرابع متقاربان في المعنى، وهما كنايتان عن إلقاء بهتان من تلقاء أنفسهم من غير أمارة، من قبيل قوله تعالى: «وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم»(٣) أي أن هذا البهتان يجرى على ألسنتكم، ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم فى القلوب. والثانى كناية عن الوقاحة وخرق جلباب الحياء، كما هو دأب الأوغاد ٨ والسفلة من الناس، ولذلك قيل: هو أشد البهت. والثالث كناية عن إنشاء بهتان من دخيلة قلوبهم مبنيًا على الظن الفاسد والغش المبطن. وقالوا: لفظ «ذلك» إشارة إلى ما سبق سوى الشرك، فإنه لا يكفر عنه بالقتل، ولا

---

[١٨] أخرجه البخارى رقم (١٨) ك الإيمان، باب ١١ وأطرافه فى (٣٨٩٢، ٣٨٩٣، ٣٩٩٩) الخ، ومسلم رقم (١٠) ك الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها.

(١) كذا بنصه في النهاية لابن الأثير ٣/٢١٦ ط دار الفكر.

(٢) جزء من حديث: "استحيوا من الله حق الحياء.."

قال الألباني: ضعيف جدًا، وعزاه إلى الطبراني وأبى نعيم فى الحلية. ضعيف الجامع ح/٩٠٥

(٣) النور: ١٥

* أى مواجهةً ففي مختار الصحاح: (كفحه) استقبله...، وفى الحديث: «إني لأكفحها وأنا صائم» أى أواجهها بالقُبلة، وفلان «يكافح الأمور» أى يباشرها بنفسه. أ.هـ مختار الصحاح مادة: (ك ف ح).

٨ في ط (الأوغار) والتصحيح من (ك).

١٩ ـ * وعن أبي سعيد الخدري، قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء، فقال: «يامعشر النساء تصدقْنَ، فإني أريتُكُن أكثر أهل النار» فقلن: وبم يارسول الله، قال: «تكثِرن اللعنَ، وتكفرن العشيرَ، ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودين أذْهبَ للُب الرجل الحازم من إحداكن». قلن: ما نقصانُ ديننا وعقلنا؟ يارسول الله! قال: «أليس شهادةُ المرأة مثلَ نصفِ شهادةِ الرجل؟». قلن: بلى

يعفى عنه، والمراد المؤمنون خاصة؛ لأنه معطوف على قوله: «فمن وفى»، وهو خاص بهم لقوله: «منكم» تقديره: ومن أصاب منكم أيها المؤمنون من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا وأقيم الحد عليه لم يكن له عقوبة لأجل ذلك في القيامة.

أقول: ما قالوا ضعيف؛ لأن الفاء في «فمن» للترتيب، ترتب ما بعدها على ما قبلها، وقوله: «منكم» ضمير العصابة، وقد بين بقوله: «من أصحابه» فكيف يخصص الشرك بالغير؟ والصحيح أن المراد بالشرك الرياء؛ لأنه الشرك الخفى، قال الله تعالى: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا**[1]﴾ ويدل عليه تنكير «شيئًا» أي شركا أيا ما كان. وقيل: لفظ «وفى» يرشد إلى أن الأجر إنما ينال بالوفاء بالجميع، والعقاب ينال بترك أي أحد كان من ذلك؛ لأن معنى الوفاء الإتيان بجميع ما التزمه من العهد والحقوق، وأن «من» في قوله: «فمن أصاب من ذلك» للتبعيض، وفي قوله: «فهو إلى الله» إشارة إلى ما ذهبت إليه الأشاعرة، وهو أنه لا يجب على الله تعالى عقاب عاص، وإذا لم يجب عليه هذا لا يجب عليه ثواب مطيع أيضًا؛ إذ لا قائل بالفصل ، وفيه أيضًا إشارة إلى أنه لا يجوز الشهادة بالجنة ولا بالنار لأحد بعينه إلا من ورد فيه النص، كالعشرة المبشرة رضي الله عنهم وغيرهم.

الحديث السابع عشر عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه: **قوله:** «يا معشر» المعشر: الجماعة، من العشرة بمعنى المعاشرة، والعشير المعاشر، والمراد به الزوج، والخطاب عام غلبت فيه الحاضرات على الغيب، كما في قوله تعالى ﴿**يأيها الناس اعبدوا ربكم**﴾[2] واللام للاستغراق. قوله: «تكفرن» قال الراغب[3]: الكفر في اللغة ستر الشيء، وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها، قال: ﴿**لا كفران لسعيه**﴾[4] وأعظم الكفر جحود الوحدانية، والربوبية، والنبوة، والشريعة. والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالا، والكفر في الدين أكثر، والكفور فيهما

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) البقرة: ٢١

(٣) المفردات للراغب ص ٤٣٣ ط دار المعرفة

(٤) الأنبياء: ٩٤

قال: «فذلك من نقصان عقلها. قال: أليس إذا حاضت لم تُصل ولم تَصمْ؟». قلن: بلى. قال: «فذلك من نقصان دينها». متفق عليه. [١٩].

جميعًا. قال: ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفورًا﴾. (١) و«من ناقصات» صفة موصوف محذوف، أي ما رأيت أحدًا من ناقصات العقل. والعقل غريزة فى الإنسان، يدرك بها المعنى، ويمنعه عن القبائح، وهو نور الله في قلب المؤمن. واللب العقل الخالص من الشوائب. وسمى بذلك لكونه خالص ما فى الإنسان من قواه، كاللباب من الشىء، وقيل: هو ما زكى من العقل، وكل لب عقلٌ (*) وليس كل عقل لبا.

وأصل اللعن إبعاد الله تعالى العبد من رحمته بسخط، ومن الإنسان الدعاء عليه بالسخط، وكفران العشير جحد نعمة الزوج عليهن، واستقلال ما كان منه، والحزم ضبط الرجل أمره وأخذه بالشقة. «وأريتكن» بمعنى أخبرت وأعلمت بأنكن أكثر أهل النار، فهو يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل: الأول ضمير المتكلم المتصل به، والثانى ضمير المخاطب وهو كن، والثالث قوله: «أكثر». و«من» فى قوله: «من ناقصات» مزيدة استغراقية لمجيئها بعد النفى، ومن ثم قيل: «من إحداكن» و«من» فيه متعلق بـ«أذهب» والمفضل عليه مفروض مقدر. ويحتمل أن يكون «من» بيانًا للناقصات على سبيل **التجريد**(٢)، كقولك: رأيت منك أسدًا، جرد من إحداكن ناقصات، ووصفها بالجمع على طريقة «شهابًا رصدًا»(٣)، و«أذهب» لمطلق الزيادة، صفة موصوف محذوف، أى ما رأيت أحدًا، و«أذهب» صفة «أحد»، و«ذلك» إشارة إلى الحكم المذكور، والكاف فيه للخطاب العام، وإلا لقال: ذلكن؛ لأن الخطاب مع النساء.

(مح): وفى الحديث أحكام، منها الحث على التصدق وأفعال البر، وفيه أن الحسنات يذهبن السيئات، وفيه أن كفران إحسان العشير من الكبائر؛ لأنهن يوعدن بالنار، وفيه أن اللعن أيضًا من المعاصى الشديدة القبح، وليس فيه أنه كبيرة؛ فإنه ﷺ قال: «تكثرن اللعن» والصغيرة إذا كثرت صارت كبيرة.

---

[١٩] أخرجه البخاري (٣٠٤) ك الحيض باب ترك الحائض من الصوم، وأطرافه في ٩٥٦، ١٤٦٢، ١٩٥١، ٢٦٥٨. ومسلم (٨٠) ك: الإيمان، باب: بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات.

(١) الفرقان: ٥٠

(٢) عرف الطيبي التجريد فقال: "هو أن ينتزع من متصف بصفة آخر مثله فيها مبالغة في كمالها كقولهم: (مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة) التبيان ٢/ ٣٥١ بتحقيقي ط المكتبة التجارية بمكة المكرمة.

(٣) الجن: ٩، وذلك حيث وصف الشهاب وهو مفرد باسم الجمع وهو (رصد).

(*) سقطت في (ط) وتم إثباتها من (ك).

واتفق العلماء على تحريم اللعن؛ فإن معناه الإبعاد من رحمة الله، ولا يجوز أن يبعد من رحمة الله من لا يعرف خاتمة أمره معرفة قطعية، مسلما كان أو كافرًا، إلا ما علمنا بنص شرعى أنه مات على الكفر، أو يموت عليه، كأبي جهل، وإبليس. وأما اللعن بالوصف فليس بحرام، كاللعن للواصلة، والمستوصلة وآكل الربا وموكله والمصورين والظالمين والفاسقين والكافرين وغير ذلك مما جاءت النصوص الشرعية بإطلاقه على الأوصاف لا على الأعيان، وفيه مراجعة المتعلم العالم إذا لم يظهر له معناه، وفيه تنبيه على أن شهادة امرأتين تعدل بشهادة رجل على ما بينه الله تعالى في كتابه في قوله ﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾(١). أى أنهن قليلات الضبط، وأما وصفه ﷺ النساء بنقصان الدين لتركهن الصلاة والصوم في زمن الحيض، معناه أن الدين والإيمان والإسلام مشتركة في معنى واحد كما مرّ، إذا ثبت هذا علمنا أن من كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه، ومن نقصت نقص دينه، ثم نقص الدين قد يكون على وجه يأثم به، كمن ترك الصلاة والصوم وغيرهما من العبادات الواجبة عليه بلا عذر ، وقد يكون على وجه لا إثم فيه، كمن ترك الجمعة أو الغزو أو غير ذلك مما لا يجب عليه للعذر، وقد يكون على وجه هو مكلف به كترك الحائض الصلاة والصوم.

فإن قيل: فإذا كانت معذورة فهل تثاب على الصلوات المتروكة في زمن الحيض وإن كانت لا تقضيها(*) كما يثاب المريض والمسافر، ويكتب له فى مرضه وسفره مثل نوافل الصلاة التى كان▲ يفعلها في صحته وحضره؟ والجواب: أن ظاهر الحديث أنها لا تثاب، والفرق أن المريض والمسافر كان يفعلها بنية الدوام عليها مع أهليته لها، والحائض ليست كذلك، بل نيتها ترك الصلاة في زمن الحيض، بل يحرم عليها نية الصلاة في زمن الحيض؛ فنظيرها مسافر ومريض كان يصلى النافلة في وقت، ويترك في وقت، فهذا لا يكتب له فى مرضه وسفره فى الزمان الذى لم يكن يتنفل فيه.

قال الخطابى: فى قوله: «فذلك من نقصان عقلها» دلالة على أن ملاك الشهادة العقل مع اعتبار الأمانة والصدق، وعلى أن شهادة المغفل ضعيفة، وإن كان قويًا فى الدين والأمانة، وفى قوله: «وذلك من نقصان دينها» دلالة على أن النقص من الطاعات نقص فى الدين.

أقول: وفى الحديث إغراب للمعنى، وإغراق في الوصف، أثبت ﷺ لهن وصفين: كفران العشير، وإكثار اللعن، ثم ذكر أن ليس لهن عقل يمنع من ارتكاب تينك الخصلتين، ولا دين رادع عنهما؛ لأن الخصائل الرذائل [مركوزة](**) فى جبلة الإنسان، وقلعها إما بالعقل، أو الدين، قال المتنبى:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلّة(٢) لا يظلم

(١) البقرة: ٢٨٢.

(٢) في (ط) فلعله، وهو خطأ والتصويب من (ك) وهي في ديوانه كما أثبتناه.

▲ فى ط و ك (كانت).

(*) في ط: "وإن كان لا نية لها" وما أثبتناه من (ك)وهو الأوفق للسياق

(**) في «ك» «المذكورة» .

٢٠ ـ* وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: كذّبني ابنُ آدمَ ولم يكن له ذلك، وشتمنى ولم يكن له ذلك؛ فأما تكذيبهُ إياى فقوله: لن يُعيدَنى كما بَدَأنى، ولَيسَ أول الخلق بأهوَن عليَّ من إعادته. وأما شتمه إياى: فقوله: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولَدْ، ولم يكن لى كفواً أحد». [٢٠].

وكما تعلق العقل والدين بالخصلتين السابقتين كما بيناه تعلقا بقوله: «أذهب للب الرجل الحازم» على طريقة التفريط فى جانبهن، والإفراط فى جانب الرجل حيث وصفه بالحزم، ولو لم يكن للحازم سوى قوله تعالى: ﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾ (١) لكفى به مدحًا، يعنى بلغ من حزمه أنه يخشى من هو واسع الرحمة، مولى جلائل النعم وعظامها، فكيف خشية من وصف بالقهارية؟ ومن ثم ورد فى الحديث: «الحزم سوء الظن» (٢) وذلك أن المتقى ذا الحجى والنهية يرجح جانب الحزم في كل شيء؛ لأن من رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه، وعليه يبنى معظم أساس قاعدة العارفين فى معاملتهم للنفس الأمارة، ومعظم مكايد الحروب.

والغرابة فيه أنه جعل هذا الرجل الكامل الحازم منقاداً مسترسل الزمام لتلك الناقصات الحائزات للرذيلتين، وكأن جريراً رمز إلى هذا المعنى بقوله:

إن العيون التى فى طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله أركانًا (٣)

فهو من [أسلوب الرجوع](*)، يعنى أنتن وما فيكن من تينك الرذيلتين خلقتن ناعمات سالبات لنهبة الرجل الكامل بجمالكن ودلالكن. وإفراد الرجل إشارة إلى أن حبهن من جبلة الرجال، وأنهن مزينات لهم، كقوله تعالى: «زين للناس حب الشهوات من النساء»●. ويجوز أن يكون من [أسلوب الاستتباع](**) ذمهن بالرذيلتين، بحيث استتبع منه ذمًا آخر وهو سلب لب الحازم بالخداع ولطائف الحيل، وفي عكسه فعل أبو الطيب.

نهبت من الأعمار ما لو حويته ... لهنيت الدنيا بأنك خالد(٤).

مدحه بالشجاعة بحيث استتبع منه صلاح الدنيا بحسن تدبيره، فالجواب من الأسلوب

---

[٢٠] أخرجه البخارى (٤٤٨٢) ك التفسير، باب ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه﴾ من حديث ابن عباس.

(١) ق: ٣٣.

(٢) حديث ضعيف: انظر ضعيف الجامع (٢٧٧٨) والسلسلة الضعيفة (١١٥١)، وانظر كشف الخفاء للعجلوني ح/١١٢٩، ١/ ٣٥٥ ط دار زاهد القدسى

● آل عمران: ١٤

(٣) البيتان لجرير في ديوانه ص ٥٩٥، وهما في المثل السائر ١/ ٢٨٥

(٤) البيت لأبي الطيب في العرف الطيب ٢/ ٣٣٠. ،واليتيمة ١/ ٢٠٠

(*) وهو أن يذكر شيء ثم يرجع عنه ومنه قوله تعالى: ﴿ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم﴾ كأنه قيل: نعم هو أذن، ولكن نعم الأذن، أي هو أذن كما قلتم، إلا أنه أذن خير لا أذن سوء، فسلم لهم قولهم فيه، إلا أنه فسر بما هو مدح له. وانظر (علم البديع وفن الفصاحة) وهو الجزء الثاني من كتاب التبيان للطيبي بتحقيقي (٢/ ٤٣٥).

(**) الاستتباع: هو الوصف بشيء يستتبع وصفا آخر، إما مدحًا أو ذمًا، وانظر السابق (٢/ ٤٣٢).

الحكيم؛ لأن قوله: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين» إلى آخره زيادة، فإن قوله: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير» جواب تام.

الحديث الثامن عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «وأنا الأحد» «نه»: الأزهرى: الفرق بين الواحد والأحد أن الأحد بنى لنفى ما يذكر معه من العدد، تقول: ما جاءني أحد. والواحد اسم بنى لمفتتح العدد، تقول: جاءنى واحد من (الناس)(*)، ولا تقول: جاءنى أحد، فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير، والأحد منفرد بالمعنى. والصمد: السيد الذى يصمد إليه فى الحوائج، أى يقصد إليه، وقال الزجاج: الصمد: السيد الذى(**) انتهى إليه السؤدد فلا سيد فوقه، الكفؤ: المثل المكافئ.

«قض»: فى قوله: «وليس أول الخلق بأهون على من إعادته» إشارة إلى برهان تحقق المعاد، وإمكان الإعادة، وهو أن ما يتوقف عليه تحقق البدن من أجزائه وصورته لو لم يكن وجوده ممكنًا لما وجد أولا، وقد وجد، وإذا أمكن لم يمتنع لذاته وجوده ثانيًا، وإلا لزم انقلاب الممكن لذاته ممتنعًا لذاته، وهو محال. وتنبيه على تمثيل يرشد العامى، وهو ما يرى فى المشاهدات أن من عمد إلى اختراع صنعة لم ير مثلها ولم يجد لها عددًا وأصولا صعب عليه ذلك، وتعب فيها تعبًا شديدًا، وافتقر إلى مكابدة أفعال، ومعاونة أعوان، ومرور أزمان، ومع ذلك فكثيرًا ما لا يستتب له الأمر، ولا يتم له المقصود. ومن أراد إصلاح منكسر، وإعادة منهدم، وكانت العُدد حاصلة، والأصول باقية - هان عليه ذلك، وسهل جدًا. فيا معشر الغواة! أتحيلون إعادة أبدانكم وأنتم معترفون بجواز ما هو أصعب منها؟ بل هو كالمتعذر بالنسبة إلى قدركم وقواكم، وأما بالنسبة إلى قدرة الله تعالى فلا سهولة ولا صعوبة، يستوى عنده تكوين بعوض طيار، وتخليق فلك دوار، كما قال عز اسمه: ﴿**وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر**﴾(١).

والشتم: توصيف الشيء بما هو إزراء ونقص فيه، وإثبات الولد كذلك؛ لأنه قول بمماثلة الولد فى تمام حقيقة، وهي مستلزمة للإمكان المتداعى إلى الحدوث؛ ولأن الحكمة في التوالد استبقاء النوع، فلو كان البارى تعالى متخذا ولدًا لكان مستخلفًا خلفًا يقوم بأمره بعد عصره - تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

وأقول: ذكر الله تعالى تكذيب ابن ادم وشتمه وعظمهما، ولعمرى! إن أقل الخلق وأدناه إذا نسب ذلك إليه استنكف، وامتلأ غضبًا، وكاد يستأصل قائله، فسبحانه ما أحلمه وما أرحمه! ﴿**وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا**﴾(٢).

ثم انظر إلى كل واحد من التكذيب والشتم وما يؤديان من التهويل والفظاعة، أما الأول فإن منكر الحشر جعل الله تعالى كاذبًا، والقرآن المجيد الذى هو مشحون بإثباته مفترى، ويجعل حكمة الله تعالى في خلق السموات والأرض عبثًا ولعبًا، قال الله تعالى:

﴿**إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر - إلى قوله - ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون**﴾ (٣) علل الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض والاستواء

(*) من (ك).　(**) من (ك).

(١) القمر: ٥٠　(٢) الكهف: ٥٨　(٣) يونس: (٢، ٣).

على العرش لتدبير العالم بالجزاء، من ثواب المؤمن وعقاب الكافر، ولا يكون ذلك إلا في القيامة، فيلزم منه أن لو لم يكن الحشر لكان ذلك عبثًا ولهوًا؛ لقوله تعالى: **﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾**(١) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك، وفيها كثرة.

وأما الثانى فإن قائله يحاول إزالة المخلوقات بأسرها، ويزاول تخريب(*) السموات من أصلها، قال الله تعالى: **﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا أن دعوا للرحمن ولدًا﴾**(٢) ثم تأمل في مفردات التركيب لفظة لفظة، فإن قوله: «لم يكن له ذلك» من باب ترتيب الحكم على الوصف المناسب المشعر بالعلِّية؛ لأن قوله: «لم يكن له ذلك» نفي الكينونة التى بمعنى الانتفاء، كقوله تعالى: **﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾**(٣).

«الكشاف»: ومعنى الكينونة (الانبغاء)●، أراد أن تأتِّي ذلك محال من غيره، ومنه قوله تعالى: **﴿وما كان لنبي أن يغل﴾**(٤) معناه ما صح له، يعنى أن النبوة تنافي الغلول؛ فحينئذ يجب أن يحمل لفظ «ابن آدم» على الوصف الذى يعلل الحكم به بحسب **التلميح**، وإلا لم يكن لتخصيص لفظ ابن آدم دون الناس والبشر فائدة، وذلك من (وجوه): أحدها أنه **تلميح إلى** قوله: **﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾**(٥) من الله عليهم بها، المعنى: إنا أنعمنا عليكم بإيجادكم من العدم، وصورناكم فى أحسن تقويم، ثم أكرمناكم** بأن أمرنا الملائكة المقربين بالسجود لأبيكم؛ لتعرفوا قدر الإنعام فتشكروا، فقلبتم الأمر، فكفرتم، ونسبتم المنعم المتفضل إلى الكذب، وإليه الإشارة بقوله تعالى: **﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾** (٦) أي شكر رزقكم.

وثانيها: **تلميح إلى قوله: ﴿أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾**(٧) المعنى ألم تر أيها المكذب إلى أنا خلقناكم من ماء مهين خرجت من إحليل■ أبيك واستقررت فى رحم أمك، فصرت تخاصمنى بحججك وبرهانك فيما أخبرت به من الحشر والنشر بالبرهان، فأنت خصيم لى بيِّن الخصومة. وما أحسن موقع المفاجأة التى يعطيها قوله تعالى: **﴿فإذا هو خصيم مبين﴾**. وثالثها: إلى قوله تعالى: **﴿أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم﴾**(٨) المعنى أو ليس الذى خلق هذه الأجرام العظام بقادر على أن يخلق مثل هذا الجرم الحقير الصغير الذى خلق من تراب، ثم من نطفة؟.

(١) الأنبياء: ١٦ — (٢) مريم: ٩٠ - ٩١
(٣) النمل: ٦٠ — (٤) آل عمران: ١٦١
(٥) الأعراف: ١١ — (٦) الواقعة: ٨٢
(٧) يس: ٧٧ — (٨) يس: ٨١

(*) فى ط (الحرمة) وما أثبتناه من (ك) وهو الأوفق للسياق.

● كذا فى الأصول ولعلها (الانتفاء).

▼ غير موجودة فى (ط) وأثبتناها من (ك).

(**) فى ط (أكرمنا) وما أثبتناه من (ك).

■ الإحليل: مخرج اللبن من الضرع والثدي، والمقصود به هنا الذكر، انظر مختار الصحاح مادة حَلَل.

٢١ ـ * وفي رواية عن ابن عباس: «وأما شتمه إياى فقوله: لي ولد، وسبحانى أن أتخذ صاحبةً أو ولدًا». رواه البخاري. [٢١]

وكذلك **قوله**: «أنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد» أوصاف مشعرة بعلّية الحكم. أما قوله: «الأحد» فإنه بنى لنفى ما يذكر معه من العدد، فلو فرض له ولد يكون مثله، فلا يكون أحدًا، ولذلك قال في حق النبى ﷺ: **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم[1]﴾** أنه لو كان له ولد لكان مثله نبيًا، فلم يكن إذًا خاتم النبيين، وهذا معنى الاستدراك في قوله: **﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين[1]﴾**. و«الصمد» هو الذى يصمد إليه في الحوائج، فلو كان له ولد لشرك فيه، فيلزم إذًا فساد السموات والأرض، وقوله: «كفوًا» أي صاحبة، ولا ينبغى له؛ لأنه لو فرض ذلك للزم منه الاحتياج إلى قضاء الشهوة، وكل ذلك وصف له بما فيه نقص وإزراء، وهذا معنى الشتم، فالأحد ذاتى، والصمد إضافى، والثالث سلبى.

فإن قلت: أى الأمرين أعظم؟ قلت: كلاهما عظيم، لكن التكذيب أقدم لما سبق أن المكونات لم تكن إلا للجزاء، فمن أنكر الجزاء لزم منه العبث فى التكوين، أو إعدام السموات والأرض؛ فينتفى بذلك سائر الصفات الكمالية التى أثبتها الشرع؛ فيلزم منه التعطيل، على أن الصفات الثبوتية إذا انتفت يلزم منه انتفاء الذاتية والسلبية أيضًا.

قوله: «أو ولدًا» هكذا هو فى البخارى ونسخ المصابيح، وفى الحميدى: «ولا ولدًا» وزيد «لا» لما في سبحانى من معنى التنزيه. وفى الجامع «وولدًا». وقالوا: إن هذا الحديث كلام قدسى، والفرق بينه وبين القرآن أن القرآن هو اللفظ المنزل به جبريل عليه السلام للإعجاز عن الإتيان بسورة من مثله، والحديث القدسى إخبار الله تعالى نبيه ﷺ معناه بإلهام، أو بالمنام، فأخبر النبى ﷺ أمته عن ذلك المعنى بعبارة نفسه، وسائر الأحاديث لم يضفه إلى الله تعالى ولم يروه عنه، كما أضاف وروى القدسى.

أقول: فضل القرآن على الحديث القدسي هو أن القدسي نص إلهى فى الدرجة الثانية، وإن كان من غير واسطة ملك غالبًا؛ لأن المنظور فيه المعنى دون اللفظ، وفي التنزيل اللفظ والمعنى منظوران، فعلم من هذا مرتبة بقية الأحاديث.

---

(١) الأحزاب: ٤٠

٢٢ ـ * وعن أبي هريرة، قال: قال رسـول الله ﷺ: «قال الله تعالى: يؤذيني ابنُ آدم يسب الدهر، وأنا الدَّهرُ، بيدى الأمرُ، أُقَلب الليل والنهار». متفق عليه. [٢٢]

الحديث التاسع [عشر](*) عن أبي هريـرة (رضي الله عنه): **قوله**: «يؤذيني» الإيذاء إيصال المكروه إلى الغير قولا أو فعلا، أثر فيه أو لم يؤثر، وإيذاء الله تعالى عبارة عن فعل ما يكرهه، ولا يرضى به، وكذا إيذاء رسول الله ﷺ. وقيل: روى السـجستاني نصب«الدهر» في«أنا الدهر» أي أقلب الليل والنهار في الدهر. وقيل: الرفع أولى. وأقول: وهو كذلك: ؛ لأنه لا طائل تحته على تقدير النصب، أما معنًى فـلأنه لا فائدة في قوله: «أنا أقلب الليل والنهار في الدهر»؛ لأن الكلام مسـوق للرد على الساب والإنكار عليـه، وأما لفظًا فإن تـقديم الظرف إما للاهتـمام، أو الاختصـاص، ولا يقتضى المقام ذلك؛ لأن الكلام مفرغ فـى شأن المتكلم، لا فى الظرف، ولهذا عرف الخبر باللام لإفادة الحصر، فكأنه قيل: «أنا أقلب الليل والنهار لا ماتنسبونه إليه».

قيل: الدهر الثاني غير الأول، وإنما هو مصدر بمعنى الفاعل، ومعناه أنا الدهر المصرف المدبر المفيض لما يحـدث. «غب»: والأظهر أن معناه أنا فـاعل ما يضاف إلى الدهر من الخيـر والشر، والمسرة والمساءة، فـإذا سببتم الذي تعتـقدون أنه فاعل ذلك فقد شـتمتموني. «قض»: قـيل: فيه إضمار المضاف، والتـقدير: أنا مقلب الدهر والمتصرف فيـه، والمعنى أن الزمان يذعن لأمرى لا اختيار له، فمن ذمه على ما يظهر فيه صادراً فقد ذمنى، فإني الضار والنافع.

ولقائل أن يقـول: وقد تقرر فى المعـانى أن المعرف إذا أعيـد كان الثاني غـير الأول. وعلى التقادير لا يلزم اتحاد المعنى لأن السبب غـير المسبب. قلت: ورد النهى على الساب الدهرى الذى يسب الدهر لا لذاته، بل لتـصرفـاته وحوادثه التى على خـلاف مراده، ويعـتقد أنه هو الـفاعل الحقيقى، وأنه مستقل بها، كقولهم: ﴿**وما يهلكنا إلا الدهر**﴾(١) على قصر القلب كما مر، فقيل لهم: ما تعتقدونه من الفاعل الحقيقى هـو الله تعالى. ويعضد هذا التقرير قوله ﷺ: «بيدى الأمر أقلب الليل والنهار» فـإنه ﷺ أوقع: «بيدى الأمر أقلب الليل والنهـار» بيانًا وتفسيـراً لقوله: «أنا الدهر» ولا ارتياب أن معنى الدهر لغة ليس بذلك.

قال الراغب(٢): (الدهر فى الأصل اسم لمدة العـالم)، وعليـه قوله تعـالى: ﴿**هل أتى عـلى الإنسان حين من الدهر**﴾(٣) ثم يعبر به عن كل مـدة كثيرة، وهو خلاف الـزمان، فإنه يقع على المدة القليلة والكثيـرة، فإذًا المراد في الحديث بالدهر مقلب الليل والنـهار ومصرف الأمور فـيها،

---

[٢٢] أخرجه البخارى رقم (٤٨٢٦) ك التفسـير، باب ٤٥ ـ سورة الجاثية ومسلم رقم (٢٢٤٦) ك الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهى عن سب الدهر.

(١) الجاثية: ٢٤ (٢) المفردات للراغب ص ١٧٢ بلفظه (٣) الإنسان: ١

(*) سقطت فى (ط) وأثبتناها من (ك).

٢٣ ـ * وعن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحدٌ أصبرَ على أذى يَسمعه من الله، يدْعونَ له الولد، ثم يُعافيهم ويرزقُهم». متفق عليه. [٢٣]

فينبغي أن يفسر الأول بذلك، كأنه قيل: يسب مدبر الأمر ومقلب الليل والنهار، وأنا المدبر والمقلب، فجاء الاتحاد.

الحديث العشرون عن أبى موسى: قوله: «ما أحد أصبر» الصبر الحبس، ومنه قتلته صبرًا، أي حبسًا، ومعنى الصبر حبس النفس على ما تكرهه، والعافية السلامة ودفع البلاء والمكروه، ومنه قوله ﷺ: «مُعافى في جسده». والرزق الحظ والنصيب، سواء كان مطعومًا أو مالا، أو علما، أو ولدًا، وقوله: «يسمعه» صفة «أذى»، و«من الله» متعلق بقوله: «أصبر» لا «يسمعه». و«يدعون» إلى آخره بيان للكلام السابق. يقول: ما أحد أشد صبرًا من الله تعالى بإرسال العذاب إلى مستحقيه ـ وهم الكفار ـ على القول القبيح، وهو قولهم: «إن لله ولدًا» يسمعه منهم، ثم يدفع عنهم البلاء والضرر، ويرزقهم السلامة وأصناف الأموال، ولا يعجل تعذيبهم. وفى الحديث إشارة إلى أن الصبر على احتمال الأذى محمود، وترك الاشتغال بالمكافآت والانتقام ممدوح، ولهذا كان جزاء كل عمل محصورًا، وجزاء الصبر غير محصور؛ إذ الصبر والحلم فى الأمور هو التخلق بأخلاق مالك أزمة الأمور، وبالصبر يفتح كل باب مغلق، ويسهل به كل صعب مريج.

أقول: فى الكلام إشكال، وذلك أنك إذا قلت: زيد أجرأ من عمرو، فإنه يلزم منه فضل جرءة زيد على جرءة عمرو، فإذا نفيته فقلت: ما زيد بأجرأ من عمرو، لزم منه إما نقصان جرأة زيد، أو مساواتهما، وكذا هاهنا، ولكن القصد إلى أن الله تعالى أصبر من كل أحد فكيف ذلك؟ والجواب: المراد هاهنا نفي ذات المفضل وقلعه من سنخة[(١)]، فإذا انتفت ذاته انتفت المساواة والنقصان بالطريق الأولى، ألا تراهم يقولون في مثل قولك: ما زيد إلا شاعر: إن «ما» دخلت على زيد فنفت الذات، ولما لم يكن النزاع فيها توجه النفى إلى ما فيه النزاع من صفاته، والقصد هنا إلى نفى الذات، وليس النزاع إلا فيه، فلا يلزم المساواة ولا النقصان، فإذًا الغرض نفى الموصوف، وإنما ضمت إليه الصفة ليؤذن بأن انتفاء الموصوف أمر محقق لا نزاع فيه، وبلغ فى تحققه إلى أن صار كالشاهد على نفى الصفة، كما تقوله فى قوله: لا ترى الضب بها ينجحر،

---

[٢٣] أخرجه البخارى (٧٣٧٨) ك التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ وأورده فى ك الأدب ٧١ ومسلم ك صفة القيامة والجنة والنار، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل. ح (٢٨٠٤).

(١) السِّنخ: الأصل من كل شيء. انظر لسان العرب مادة س ن خ.

٢٤ ـ* وعن معاذ، قال: كنتُ ردْفَ رسول الله ﷺ على حمار، ليس بيني وبينه إلا مُؤْخرة الرحل، فقال: «يامعاذ! هل تدرى ما حقُّ الله على عباده؟ وما حقُّ العباد على الله؟» قلتُ: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنّ حقّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحقُّ العبادِ على الله أن لا يعذبَ مَن لا يُشرك به شيئًا» فقلت: يا رسولَ الله! أفلا أُبشر به الناسَ؟ قال: «لا تُبشرْهُم فيتكلوا». متفق عليه. [٢٤]

أى لا ضب هناك فيكون الانحجار، إذ لو وجد لوجد. هذا معنى ما ذكره صاحب الكشاف(١) فى قوله: تعالى: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾.(٢) وقوله: «يسمعه» تتميم للمبالغة، كما في قول امرىء القيس:

حملت ردينيًا كأن سنانه   سنا لهب لم يتصل بدخان

فإن قوله: «لم يتصل بدخان» تتميم لمعنى «سنا» ، فإن النار الشاعلة إذا لم تتصل● بالدخان يكون أضوء وأثقب، فكذا (الموذِى) ▼ إذا كان بمسمع من الموذَى ومحضر منه كان تأثير الأذى أشد وأبلغ منه إذا سمعه من بعد وأخبر به.

الحديث الحادى والعشرون عن معاذ: قوله: «كنت ردف النبى ﷺ الردف والرديف التابع، من الردف، وهو العجز، والرديف وهو الذى يركب خلف الراكب، و«مؤخرة الرحل» العود الذى خلف الراكب، أراد المبالغة فى شدة قربه؛ ليكون أوقع في نفس السامع فيضبط، يروى«مؤخرة» (بضم الميم وبعدها همزة ساكنة ثم خاء مكسورة) هذا هو الصحيح، وفيه لغة أخرى بفتح الهمزة والخاء المشددة. و«الدراية»:المعرفة■ «الزمخشرى»: هى معرفة تحصل** بضرب من الخداع، ولذلك لا يوصف بها البارى تعالى، والحق نقيضه الباطل؛ لأنه ثابت، والباطل زائل، ويستعمل بمعنى الواجب، واللازم والجدير والنصيب والملك والاتكال والاعتماد على الشيء من الوكل والكلة ومنه الوكالة. والبشارة إيصال خير إلى أحد يظهر أثر السرور منه على بشرته. وأما قوله: «فبشرهم بعذاب أليم»(*) فمن الاستعارة التهكمية، وحق الله تعالى بمعنى الواجب واللازم، و«حق العباد» بمعنى الجدير؛ لأن الإحسان إلى من لم يتخذ ربًا سواه جدير في الحكمة أن يفعله. وقيل: حق العباد على الله تعالى ما وعدهم به، ومن صفة◆ وعده أن يكون واجب الإنجاز، فهو حق بوعده الحق.

---

[٢٤] أخرجه البخارى (٢٨٥٦) ك الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، وأطرافه فى: (٥٩٦٧، ٦٢٦٧، ٦٥٠٠، ٧٣٧٣). ومسلم ك الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا. ح/ (٣٠).

(١) الكشاف (٣/ ٣٤).   (٢) غافر: ١٨.   * التوبة: ٣٤.

● فى (ط) «ستصل» والتصحيح من (ك).

▼كذا فى الأصول وهى «المؤذى» مع تخفيف الهمزة.   ** كذا فى (ط).

■سقطت فى (ط) وأثبتناها من (ك)   ◆ فى ط «وصف» والتصحيح من (ك).

٢٥ ـ * وعن أنسٍ : أن النبيَّ ﷺ، ومعاذٌ رديفُه على الرحلِ، قالَ : «يامعاذ!» قال: لبيك يا رسولَ الله ﷺ وسعديْك. قال: «يامعاذ!» قال: لبيك يارسول الله وسعديْك قال: «يامعاذ!» قال: لبيك يارسول الله وسعديك، ـ ثلاثًا ـ قال: قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله، صدْقًا من قلبه إلا حَرَّمه الله على النار». قال: يا رسول الله! أفلا أخبرُ به الناس فَيسنبشروا؟ قال: «إذًا يتكلوا» . فأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا. متفق عليه[٢٥]

أقول: هذا هو الوجه، وقال الشيخ محيي الدين: حق العباد عليه تعالى على جهة المقابلة والمشاكلة لحقه عليهم، ويجوز أن يكون من نحو قول الرجل لصاحبه: حقك واجب علي، أي قيامي به متأكد، ومنه قول النبي ﷺ: «حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام»(١)، وإنما رواه معاذ مع كونه منهيًا لأنه علم أن هذا الإخبار يتغير بتغير الأزمان والأحوال، والقوم يومئذ كانوا حديثي العهد بالإسلام، لم يعتادوا بتكاليفه، فلما استقاموا وتثبتوا أخبرهم به، أو رواه بعد ورود الأمر بالتبليغ، والوعيد على الكتمان والتضييع. ثم إن معاذًا مع جلالة قدره لم يخف عليه ثواب مَن نشر علما، ووبال من كتمه ضنًا، فرأى التحدث به واجبًا، ويؤيده ما ورد في الحديث الذى يتلوه: «فأخبر به معاذ عند موته».

الحديث الثانى والعشرون عن أنس(رضى الله عنه): **قوله**: «لبيك» لبيك معناه إجابة لك بعد إجابة، ومعنى «سعديك» ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة، والتحريم بمعنى المنع، كما فى قوله تعالى: ﴿**وحرام على قرية أهلكناها**﴾(٢). **قوله**: «تأثمًا» مفعول له«نه»: أى تجنبًا للإثم، يقال: تأثم فلان إذا فعل فعلا خرج به من الإثم، كما يقال: تحرج إذا فعل ما يخرج به من الحرج. أقول: الإثم الذي يحرج به كتمان ما أمر الله بتبليغه حيث قال الله تعالى: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه**﴾(٣).

فإن قلت: ثبت أنه يتأثم ▼ من هذا النص، فكيف لا يتأثم من النهي في قوله(عليه الصلاة والسلام): «لا تبشرهم»؟ قلت: النهي مقيد بالاتكال، فإذا زال القيد زال المقيد على ما سيأتى بيانه. قال فى الحديث المتقدم: «لا تبشرهم فيتكلوا» وفي هذا الحديث: «إذًا يتكلوا» أما الأول فمن

---

[٢٥] أخرجه البخارى (١٢٨) ك العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا. ومسلم (٣٠) ك الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا.

(١) أخرجه مسلم.

(٢) الأنبياء : ٩٥.

(٣) آل عمران : ١٨٧.

▼ فى الأصول (يأثم) والصحيح ما أثبتناه.

قبيل قوله تعالى: ﴿لا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي﴾[1] أي لا يكن منك تبشير فاتكال منهم، فالنهي منصب على السبب والمسبب معًا. والثاني من قبيل: «إذًا أكرمك» في جواب من قال: «أنا أحسن إليك» كأنه قال: إن أحسنت إلي أكرمك، فهو جواب وجزاء. وأما تكريره ﷺ نداء معاذ فلتأكيد الاهتمام بما يخبر، وليكمل تنبه معاذ فيما يسمعه، وقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا لهذا المعنى.

«محـ»: في هذا الحديث وحديث معاذ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»، وفي رواية عنه: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة»، وفي رواية عنه: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة»، وعنه: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا حرمه الله على النار»، وفي حديث أبي هريرة: «لا يلقى الله تعالى بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق»، وفي حديث أنس: «حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله». وهذه الأحاديث كلها سردها مسلم في كتابه، فحكي عن جماعة من السلف منهم ابن المسيب أن هذا كان قبل نزول الفرائض والأمر والنهي. وقال بعضهم: هي بالجملة تحتاج(*) إلى شرح، ومعناه من قال الكلمة وأدى حقها وفريضتها، وهذا قول الحسن البصري. وقيل: إن ذلك لمن قالها عند الندم والتوبة، ومات على ذلك، وهذا قول البخاري.

وهذه التأويلات إنما هي إذا حملت الأحاديث على ظاهرها، وأما إذا نزلت منازلها فلا يشكل تأويلها على ما بينه المحققون، فتقرر أولا أن مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح، وأهل الحديث، والفقهاء، والمتكلمين من الأشاعرة أن أهل الذنوب في مشيئة الله تعالى وأن كل من مات على الإيمان ويشهد مخلصًا من قلبه الشهادتين فإنه يدخل الجنة، فإن كان تائبًا أو سليما من المعاصي دخل الجنة برحمة ربه، وحرم على النار بالجملة فإن حملنا اللفظين الواردين على هذا في من▼ هذه صفته كان بينًا، وهذا معنى تأويل الحسن والبخاري، وإن كان هذا من المخلطين بتضييع ما أوجب الله عليه، أو بفعل ما حرم الله عليه، فهو في المشيئة، لا يقطع في أمره بتحريمه على النار، ولا باستحقاقه الجنة لأول وهلة، بل قطع بأنه لابد من دخول الجنة آخرًا، وحاله قبل ذلك في خطر المشيئة، إن شاء الله تعالى عذبه بذنبه، وإن شاء الله عفى عنه بفضله.

أقول: ما ذهب إليه الشيخ قانون عظيم في الدين، وعليه مبنى قواعد أهل السنة، على أن الحسن والقبح شرعيان، وأن الله مالك الملك، وله الكبرياء في السموات والأرض، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويتصرف في ملكه كيف يشاء، حتى لو يدخل الكافرين كلهم في الجنة والمطيعين في النار لكان ذلك حكمة منه وعدلا وصوابًا، ولكن حكم بأن المشرك لا يدخل الجنة والمؤمن لا يدخل النار بنصوص من الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به

---

(١) طه: ٨١

(*) في ط (يحتاج) وما أثبتناه من (ك).

▼ساقطة في (ط) وتم إثباتها من (ك).

ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1] ﴿قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم[2]﴾ ومن السنة هذه الأحاديث المذكورة.

وإذا تقرر هذا فقول الشيخ: «هذه التأويلات إنما هي إذا حملت الأحاديث على ظاهرها» يريد بالظاهر ظاهر الحال المتعارف بين الناس، وبقوله: «وأما إذا نزلت منازلها فلا يشكل» يعني أن ينزل كل حديث على ما هو عليه عند الله تعالى نظرًا إلى مشيئته وإرادته، وأنه يفعل ما يشاء، ولا مجال للعقل أن يتصرف فيما يريد ويفعل.

وأشكل الأحاديث تنزيلا، وأصعبها عند الناس ـ وهو عند الله هين ـ هو قوله ﷺ: «لا يلقى الله تعالى بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة وإن زنى وسرق[3]». فإن قيل: أليس قوله: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا حرمه الله على النار» أشكل منه؛ لأنه أتى فيه بأداة الحصر، ومن الاستغراقية، ولم يقل: «دخل الجنة» بل «حرم» فإن دخول الجنة قد يكون بعد دخول النار؟ فالجواب: لا؛ لأنه غير مقيد بقوله: «وإن زنى وإن سرق» لأنه شرط بمجرد التأكيد، ولا سيما كرر ثلاث مرات، وختم بقوله: «وإن رغم أنف أبي ذر» تتميما للمبالغة، وهذا الحديث مطلق يقبل قيدًا أيضًا. وقوله: «وإن زنى وإن سرق» وكل ذلك على أنه تعالى بمحض مشيئته وإرادته وفضله يعامل العباد، ولعل ورود المنع من تبشير معاذ أنه من الأسرار الإلهية، لا يجوز كشفها وإذاعتها عند العامة، ولا يبعد أيضًا أن يقال: إن نداء الرسول ﷺ معاذًا ثلاث مرات كان للتوقف فى إفشاء هذا السر عليه أيضًا.

ومنه حديث أبي هريرة (رضى الله عنه): قال: «حفظت من رسول الله وعائين، فأما أحدهما فبثثته فيكم، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم» رواه البخارى، وقال: «البلعوم مجرى الطعام» والله أعلم، وأحسن التأويلات ما ذهب إليه الحسن.

ونقول فى هذا الحديث الذى نشرحه: هو من جوامع الكلم نحو قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾[4] وقوله ﷺ: «قل: آمنت بالله ثم استقم» وقد سبق بيانه، فإن صدقًا هنا أقيم مقام الاستقامة؛ لأن الصدق كما يعبر به قولا عن مطابقة المقول الضمير والمخبر عنه وعليه كلام الراغب، قد يعبر فعلا عن تحري كل أفعال كاملة، وأخلاق مرضية، وتحقيقها، قال الله تعالى: ﴿أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾[5] و﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾[6]

(١) النساء: ٤٨
(٢) الزمر: ٥٣
(٣) كذا فى الأصل، ولعل الصحيح«وإن سرق كما مر قريبًا.
(٤) فصلت: ٣٠
(٥) يونس: ٢
(٦) القمر: ٥٥

و﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾[1] أي حقق ما أورده قولا لما تحراه فعلا، فعلى هذا التقدير تخصيص النهي في قوله: «لا تبشر» مخصوص ببعض الناس، دون بعض فإن مثل هذا المعنى لا يدركه إلا الراسخ في العلم، ويعضده حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) الذي يورده في الفصل الثالث من هذا الكتاب، وهو قوله: «من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة» وفيه أنه منع عمر (رضي الله عنه) أبا هريرة عن التبشير، فعلم أن المراد بالتخصيص ما ذكر؛ إذ لو لم يكن يرد ذلك لم يخبر معاذًا وأبا هريرة وأنسًا وعمر (رضي الله عنهم) وأمثالهم، واحتج به محمد بن إسماعيل وبمثله أن يخص العالم بالعلم قومًا دون قوم؛ كراهة أن لا يفهموا.

ثم بعد تأويل الحسن قول من قال: الحديث كان في بدء الإسلام في وقت لم يجب فيه شيء من الأركان؛ فحينئذ يكون قد أتى بما يجب عليه فحرمه الله على النار، وأما بعد وجوب الأركان فلا يكون ذلك كافيًا في الخلاص، ويؤيده ما روى البخاري عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء«لا تشربوا الخمر» لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: «لا تزنوا» لقالوا: لا ندع الزنى، ولقد نزل بمكةعلى محمد ﷺ ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ [2] وما نزلت سور البقرة والنساء إلا وأنا عنده».

قال بعض المحققين: قد يتخذ أمثال هذه الأحاديث المبطلة والمباحية ذريعة إلى طرح التكاليف، ودفع الأحكام، وإبطال الأعمال، معتقدين بأن الشهادة وعدم الإشراك كاف، وربما يتمسك بها المرجئة. وهذا الاعتقاد يستلزم طيَّ بساط الشريعة، وإبطال الحدود والزواجر السمعية، ويوجب أن يكون التكليف بالترغيب في الطاعات والتحذير عن المعاصي والجنايات غير متضمن طائلا، وبالأصل باطلا، بل يقتضي الانخلاع عن ربقة الدين والملة، والانسلال عن قيد الشريعة والسنة، والخروج عن الضبط، والولوج في الخبط، وترك الناس سدى مهملين يموج بعضهم في بعض معطلين من غير مانع ولا دافع، وذلك يفضي إلى خراب الدنيا بعد أن أفضى إلى خراب العقبى. والتشبث بهذا الحديث ونظيره ساقط، وعن معارج القدس إلى حضيض النفس لاقط، مع أن قوله: «يعبدوه» يتضمن جميع أنواع التكاليف الشرعية، وقوله: «لا تشركوا» يشمل كلا قسمي الشرك: الجلي، والخفي.

قال أهل التحقيق: العبادة لها ثلاث درجات: الأولى: أن يعبد الله طمعًا في الثواب، وهربًا من العقاب، وهذا هو المسمى بالعبادة، وهذه الدرجة نازلة جدًا؛ لأن معبوده في الحقيقة هو ذلك

---

(١) الزمر: ٣٣.

(٢) القمر: ٤٦.

٢٦ ـ * وعن أبي ذرٍ قـال: أتيتُ النبي ﷺ ، وعليـه ثوبٌ أبيضُ، وهو نائمٌ، ثم أتيته وقد اسـتيقظ، فقال: «ما من عبـدٍ قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك؛ إلا دخل الجنة» قلت: وإن زنى وإن سَرق؟ قال: وإن زنى وإن سـرق». قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قـال: «وإن زنى وإن سرق» قلتُ: وإن زنى وإن سـرق؟! قال: «وإن زنى وإن سرق على رغْم أنف أبي ذرّ». وكان أبو ذر إذا حـدَّث بهذا قال: وإن رَغِمَ أنف أبي ذر. متفق عليه. [٢٦]

الثواب، وقد جـعل الحق وسيلة إلى نيل ذلك المطلوب. الثانية: أن يعبـد الله لأجل أن يتشرف بعبادته، أو يتـشرف بقبول تكاليفـه، أو يتشرف بـالإسناد إليه، وهذه الدرجة أعلى من الأولى، إلا أنها ليست بخالصة؛ لأن المقصود بالذات غيـر الله تعالى وهذا هو المسمى بالعبودية. الثالثة: أن تعبـد الله لكونه إلهًا وخالقًا، ولكونك عـبدًا له، والإلهية توجب الهـيبة والعزة، والعـبودية توجب الخضوع والذلة، وهذا أعلـى المقامات، وأشرف الدرجات، وهذا هو المسـتحق بأن يسمى العبودة[١]، وإليـه الإشارة بقـول المصلى فى أول الصـلاة: أصلى لله، فلو قال: أصلى لثـواب الله، أو للهرب مـن عقابه، بطلـت صلوته، فالعـبادة للعوام من المـؤمنين، والعبوديـة للخواص الموقنين، والعبودة[٢] لخـاص الخاص [من المقـربين](*). وقـيل: العبـادة لمن له علم اليـقين، والعبودية لمن له عين اليـقين، والعبودة لمن له حق اليقين. ولعمرى! مـا أظلت الخضراء وأقلت الغبراء على من يفي بهذا الأمر، ويستقيم على هذا الحكم.

وقال فى آخر حديث معاذ: «وحق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم» وفيه إشارة إلى أن هذا لا يستعقب إلا دفع العقاب، وسقوط العذاب عنهم، أما حصول الدرجات السنية والمراتب العلية التى يتنافس فيها المتنافسون فلا يصل إليها إلا العاملون، ولا يشرب من عيونها العذبة إلا المقربون، فالشقى يستصعبها، والسعيد يسعى إليها.

الحديث الثالث والعشرون عن أبى ذر: قـوله: «وعليه ثوب أبيض» قال الشارحون: ليس هذا من الزوائد التى لا طائل تحتهـا، بل قصد الراوى بذلك أن يقرر التثبت والإتقـان فيما يرويه فى آذان السامـعين؛ ليتمكن في قلوبهم. «خط»: قـوله: «ثم مات على ذلك» إشارة إلى الثـبات على الإيمان حتى يموت، احتراز عمن ارتد ومات علـيه، فحينئذ لا ينفع إيمانه الـسابق. وقوله: «دخل الجنة» إشارة إلى أن عاقـبته دخول الجنة، وإن كـان له ذنوب جمة، أو ترك من الأركان شـيئًا،

---

[٢٦] أخرجه البخـارى (٦٨٢٧) ك اللباس، باب الثياب البيض ومـسلم ك الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات مشركًا دخل النار ح/ ٩٤.

(١) وفي ط (المعبودية) والتصويب من(ك). (٢) وفي ط (المعبودية) والتصويب من(ك).

(*) ما بين المعكوفتين أثبتناه من (ك) وليس فى (ط).

لكن أمره إلى الله، إن شـاء عفى عنه وأدخل الجنة، وإن شـاء عذبه بقـدر ذنوبه ثم أدخله الجنة بفضله. قال ابن مالك: حرف الاستفهام في قوله: «وإن زنى» مقدر، ولابد من تقديره. «شف»: تقديره: أو إن زنى أو إن سرق دخل الجنة؟

«قض»: «رغم» لصق بالرغـام ـ بالفتح ـ وهو التـراب، ويستعـمل مجـازًا بمعنى كره أو ذل، إطلاقًا لاسم السبب على المسبب، وفي الحديث دليل على أن الكبائر لا تسلب اسم الإيمان؛ فإن من ليس بمؤمن لا يدخـل الجنة وفاقـا، وأنهـا لا تحـبط الطاعـات؛ لأنه ﷺ عـمم الحكم ولم يفصل، فلو كانت الكبائر محبطة على طريق الموازنة أو غيره لزم أن لا يبقى لبعض الزناة شيء من الطاعات، والقـائل بالإحباط يحـيل دخول الجنة لمن هذا شأنـه، وأن أرباب الكبائر من أهل القبلة لا يخلدون فى النار.

أقول ـ والعلم عند الله ـ: لعل ذكر الثوب الأبيض والنوم والاستيقاظ ثم إيراد الحديث بحرف التعقيب إشـارة إلى حصوله(صلوات الله عليه وسلامه) في عالم الغيب، واسـتعداده لفيض الله عليه حينئذ بالوحى، وتخصيص الثوب الأبيض إيماء إلى قوله(تعالى): **﴿يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر[1]﴾** نعم! فى الآية إشارة إلى الإنذار، وفي الحديث إلى البشارة، أي قم فبشر عـبادى الذين آمنوا بالجنة. ومعنى «ثم» في قوله: «ثم مات» التراخـى فى الرتبة، كقوله تعالى: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾[2]** ، وقوله ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم»[3] وقد مر بيانه. والاستـثناء مفرغ، أي ما من عبد آمن وثبت عليـه يكون له حال من الأحوال إلا حال دخول الجنة، ولعل تقدير الاستفهـام أن يقال: أدخل الجنة وإن زنى وإن سرق؟ والشرط حال، ولا يذكر الجواب مبالغة تتميما بمعنى الإنكار في الكلام السابق.

وأما تكرير أبى ذر فلاستعظام شأن الدخول مع مبـاشرة الكبائر وتعجبه منه، وتكرير رسول الله ﷺ إنكار له على استعظامه، أي أتبخل يا أبا ذر برحمـة الله؟ فرحمة الله واسعة على خلقه وإن كرهت ذلك؛ فقد قال الله تعالى: **﴿قل ياعبادى الذين أسرفـوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله[4]﴾** الآية .وإنما ذكر من الكبائر* نوعين، ولم يقتصر على واحد؛ لأن الذنب إما حق الله، وهو الزنى، أو حق العباد، وهو أخذ مالهم بغير حق. وفى تكريره أيضًا معنى الاستيعاب والعموم، كقوله تعالى: **﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾[5]** أي دائمًا. وأما حكاية أبى ذر قول رسول الله ﷺ«رغم أنف أبى ذر» فللشرف والافتخار.

---

(١) المدثر: ١، ٢، ٣، ٤ .
(٢) فصلت: ٣٠
(٣) انظر تخريج الحديث [١٥] السابق.
(٤) الزمر: ٥٣
(٥) مريم: ٦٢
(*) زيادة فى (ك) سقطت من (ط).

٢٧ ـ * وعن عبادة بـن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «مـن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن مـحمدًا عبـده ورسوله، وأن عيسى عـبدُ الله ورسوله وابنُ أمَتِـه وكلمتُه ألقاها إلى مـريمَ، وروحٌ منه، والجنة والنارَ حق؛ أدخلَه اللهُ الجنة على ما كان من العمل». متفق عليه. [٢٧]

الحديث الرابع والعشرون عن عبـادة: قوله: «من شهد أن لا إله إلا الله» «مح»: هذا حديث عظيم الوقع، وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد؛ فـإنه جمع فيه ما يخرج عنه جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها. قـوله: «وأن عيسى» «قض»: ذكر عيسى ﷺ تعريضًا بالنصارى، وإيذانًا بأن إيمانهم مع القـول بالتثليث كفر مـحض، لا يخلصهم من النار. «شف»: ذكر «عبده» **تعريضًا** بالنصارى في قـولهم بالتثليث، وذكـر «رسوله» **تعريضًا** باليهـود في إنكارهم رسالته، وانتمائهم إلى ما لا يحل من قذفه وقذف أمه.

وأقول: كذا قوله: «وابن أمته» تعريض بالنصارى وتـقرير لعبديته، أي هو عبدي وابن أمتي، كيف ينسـبونه إلى بالبنوة؟ وتعريض باليـهود، براءة ساحته مـن قذفهم، والإضافة فـي «أمته» إذًا للتشريف، وعلى هذا تسـميته بالروح، ووصفـه بقوله: «منه» إشارة إلى أنه ﷺ مقربه وحبـيبه، وتعريض باليهود وبحطهم من منزلته، وتنبيه للنصارى على أنه مخلوق من المخلوقات، روي أن عظيما من النصارى سمع قارئًا يقرأ: «**وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**»(1) قال: أفغير هذا دين النصارى؟ يعنى هذا يدل عـلى أن عيسى (عليـه السلام) بعض منه. فأجـاب على بن الحسين بن واقد صـاحب كتاب النظائر: إن الله تعالى يقـول أيضًا: ﴿**وسخـر لكم ما في السمـوات وما في الأرض جميـعًا منه**﴾(2) فلو أريد بقـوله: «روح منه» بعـض منه وجـزء منه، لكان قـوله ههنا: «جميعًـا منه» معناه بعض منه أو جزء منه، فأسلم النصراني. ومعنـى الآية أنه تعالى سخر هذه الأشياء كائنة منه، وحاصلة من عنده، يعنى أنه مكونها وموجـدها بقدرته وحكمته، ثم مسخرها لخلقه(3).

قوله: «والجنة والنار حق» لعله ﷺ ذكر الجنة والنار وأخبر عنهما بقوله: «حق» ـ وهو مصدر ـ للمبالغة في حقيقته، وأنهما(*) عين الحق، كقـولك: زيد عدل؛ تعريضًـا بالزنادقة، ومن ينكر دار الثواب ودار العقاب.

---

[٢٧] أخرجه البخارى (٣٤٣٥) ك الأنبياء، باب قوله: ﴿يأهل الكتـاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾

ومسلم ك الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا. ح/ ٢٨.

(1) النساء: ١٧١ . (2) الجاثية: ١٣

(3) وفى نسخة: ثم سخرها لخلقه، وفى (ط): ثم مسخرها بخلقه.

(*) فى ط (وأنها) وما أثبتناه من (ك) وهو الأوفق للسياق.

«تو»: الكلمة تقع على كل واحد من الأنواع الثلاثة: الاسم، والفعل، والحرف. وتقع على الألفاظ المنظومة، والمعاني المجموعة تحتها، وبهذا تستعمل فى القضية، والحكم، والحجة. وبجميعها ورد التنزيل، وكأن الكلام أخذ من الكلم؛ فإن الكلم يدرك تأثيره بحاسة البصر، والكلام يدرك تأثيره بحاسة السمع. وأما تسمية عيسى بالكلمة فإنه حجة الله تعالى على عباده، أبدعه من غير أب، وأنطقه في غير أوانه، وأحيي الموتى على يده، والحديث فى ذلك ذو شجون*، ولا يخفى على ذى اللب فهمه واستنباطه. وقد قيل: إنه سمى كلمة لكونه موجدًا بكن، وقيل: لما انتفع بكلامه سمى به، كما يقال: فلان سيف الله، وأسد الله . وقيل: لما خصه الله به فى صغره حيث قال: ﴿**إنى عبد الله آتانى الكتاب**﴾(١). وقوله: ﴿**ألقاها إلى مريم**﴾(٢) أي أوصلها إليها، وحصلها فيها. وأما تسميته بالروح فلما كان له من إحياء الموتى. وقيل: لأنه روح وجسد من غير جزء من ذى روح، كالنطفة المنفصلة ▼ من الحى، وإنما اخترع اختراعًا من عند الله.

«قض»: قوله: «أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل» دليل على المعتزلة فى مقامين: أحدهما: أن العصاة من أهل القبلة لا يخلدون في النار؛ لعموم قوله: «من شهد» وثانيهما: أنه تعالى يعفو عن السيئات قبل التوبة واستيفاء العقوبة، لأن قوله: «على ما كان عليه من العمل» حال من قوله: «أدخله الله الجنة» كما فى قولك: رأيت فلانًا على أكل، أى آكلا. ولا شك أن العمل غير حاصل، بل الحاصل حال إدخاله استحقاق ما يناسب عمله من الثواب والعقاب، ولا يتصور ذلك في حق العاصى الذي مات قبل التوبة، إلا إذا أدخل قبل استيفاء العقوبة.

فإن قلت ما ذكرت يستدعى أن لا يدخل أحد النار من العصاة. قلت: اللازم منه عموم العفو، وهو لا يستلزم عدم دخول النار؛ لجواز أن يعفو عن● بعضهم بعد الدخول، وقبل استيفاء العذاب، وليس بحتم عندنا أن يدخل النار أحد، بل العفو عن الجميع بموجب وعده حيث قال: ** ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾(٣) وقال: ﴿**يغفر الذنوب جميعا**﴾(٤). مرجوًا. أقول: إن التعريف فى العمل للعهد، والإشارة به إلى الكبائر، والدليل عليه أمثال قوله: «وإن زني وإن سرق» فى حديث أبى ذر، وقوله: «على ما كان عليه» حال، كما في قول الحماسي:

فـو الله لا أنســى قتيــلا رزيئــة ... بجانب قوسى ما مشيت على الأرض

على أنها تعفو الكلوم وإنمــا ... يوكل بالأدنى وإن جل ما يمضى

قال أبو البقاء: على وما يتصل بها حال، أى ما أنسى بهذا الرزء فى حال الكلوم، أي حال مخالف لحال غيرى فى استدامة الحزن؛ فالمعنى من يشهد أن لا إله إلا الله يدخل الجنة في حال

(١) مريم: ٣٠ (٢) النساء : ١٧١ (٣) النساء: ٤٨ (٤) الزمر: ٥٣

* فى (ط) (شحون) بالحاء المهملة، والتصحيح من (ك). ▼ فى ط (المنفصل)، والتصحيح من (ك).

● سقطت فى ط وأثبتناها من (ك). ** سقطت فى ط وأثبتناها من (ك).

■ فى ط (رأيه) والتصويب من (ك).

٢٨ ـ * وعن عـمـرو بن العـاص، قال: أتيت الـنبي ﷺ، فقـلـت: ابسُطْ يمينكَ فلأبايعـك، فبسطَ يمينَـه، فقبـضتُ يدي، فقـال: «مالك يا عـمرو؟» قلت: أردتُ أن أشتـرط. فقال: «تشـترطُ مـاذا؟» قلت: أن يغْفر لي. قـال«أمَا علمتَ يا عـمرو! أن الإسلامَ يهدمُ مـا كانَ قبلَه، وأن الهجرةَ تهـدمُ ما كانَ قبلها، وأن الحج يَهـدمُ ما كانَ

استحقاقه العذاب بموجب أعماله من الكبـائر، أي حال هذا مخالفة للقياس في دخول الجنة، فإن القياس يقتضي أن لا يدخل الجنة من شأنه هذا، كـما زعمت المعتزلة، وإلى هذا المعنى ذهب أبو ذر في قوله: «وإن زنى وإن سرق؟» ورد بقوله: «وإن زني وإن سرق على رغم أنف أبي ذر».

الحديث الخامس والعشرون عن عمرو: قوله: «فلأبايعك» لعل التقدير: فأن أبايعك، وأقحم اللام توكيدًا، أو التـقدير: لأبايعك تعليلا للأمر، والفاء مقـحمة. ويحتمل أن تكون مـفتوحة، فيكون التقدير: فـإني لأبايعك وأقحم اللام توكيدًا، أو التقدير: لأبايعـك تعليلا للأمر، والفاء مقحمة. ويحـتمل أن تكون مفتوحة، فيكون التقدير: فـإني لأبايعك، والفاء للجزاء، كقولك: إيتني فـإني أكـرمك. «خط»: وحق «مـاذا» أن يتـقـدم على «تشـترط»، إلا أنه حـذف«مـاذا» قبل«تشترط» وجعل المذكور تفسيراً له.

وقال المالكي في قول عائشة (رضي الله عنها): أقول: «ماذا» شاهد على أن«ما» الاستفهامية إذا ركب مع«ذا» تفارق وجوب التصـدير، فيعمل فيها مـا قبلها رفعًا ونصبًا، فـالرفع كقولهم: كان ماذا، والنصب كما في الحـديث، وأجاز بعض العلماء وقوعها تمييـزًا، كقولك لمن قال: (عندي عشرون) عشرون: ماذا؟ أقول: كأنه ﷺ لم يستـحسن منه الاشتراط في الإيمان، فقال: «أتشترط» إنكارًا، فحذف الهمـزة، ثم ابتدأ فقال: «ماذا» ، أي ماذا تشترط، ونظيـره في إعادة المجيب كلام السائل: قول إخوة يوسف: ﴿جزاؤه من وجد في رحله﴾[1] بعد سؤال القوم: «فما جزاؤه».

«تو»: الإسلام يهـدم ما كـان قبله مطلقًا، مظـلمة كانت أو غـير مظلمـة، كبيـرة كانت أو صغيرة، فأما الهجرة والحج فإنهما لا يكـفران المظالم، ولا يقطع فيهما أيضًا بغفران الكبائر التي بين الله وبين العباد، فيحمل الحديث على أن الحج والهجرة يهـدمان ما كان قبلهما من الصغائر، ويحتمل أنهم يهدمان الكبائر أيضًا فيمـا لا يتعلق به حقوق العباد بشرط التوبة، عرفنا ذلك من أصول الدين، فرددنا المجمل إلى المفصل، وعليه اتفاق الشارحين.

وأقول : نحن ما ننكر ما اتفق عـليه الشارحون، لكن نتكلم في الحديث بحسب ما تقـتضيه البلاغة، وذلك أن فيه وجوهًا من التوكيد يدل على أن حكم الهجرة والحج حكم الإسلام:

أحدها : أنه من **الأسلوب الحكيم**، فإن غرض عمرو من إبائه عن المـبايعة ما كان إلا حكم

---

(١) يوسف: ٧٥.

قبلَه؟!». رواه مسلم.[٢٨]

والحديثان المرويان عن أبي هريرة، قال: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك» والآخر: «الكبرياءُ ردائي» سنذكرهما في باب الرياء والكبر إن شاء الله تعالى.

نفسه فى إسلامه. وحديث الهجرة والحج زيادة فى جوابه، كأنه قيل: لا تهتم بشأن الإسلام وحده، وأنه يهدم ما كان قبله، فإن حكم الهجرة والحج كذلك.

وثانيها: **أن العطف فى علم المعاني يستدعى المناسبة القوية بين المعطوف والمعطوف عليه،** وإلا فيدخل فى حكم الجمع بين الأروى والنعام. قال صاحب الكشاف[1] فى قوله تعالى: ﴿**سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق**﴾[2]: عطف«وقتلهم الأنبياء» على «ما قالوا» ليدل على أن قولهم: ﴿**إن الله فقير ونحن أغنياء**﴾[3] فى الفظاعة كقتل الأنبياء، وفى أنه يجرى مجرى الذنب السابق كقتل الأنبياء.

وثالثها: «**أما» فإن الهمزة فيها معنى النفي، وما نافية، فإذا اجتمعا دلا على التقرير،** لا سيما وقد اتبعا بقوله: «علمت» إيذانًا بأن ذلك أمر مقرر لا نزاع فيه، ولا ينبغى أن يرتاب مرتاب فيما يتلوها.

ورابعها: لفظ«يهدم» فإنه **قرينة للاستعارة المكنية،** شبهت الخصائل الثلاث فى قلعها الذنوب من سنخها بما يهدم البناء من أصله، من نحو الزلازل والمعاول، ثم أثبت للإسلام ما يلازم المشبه به من الهدم وينسب إليه، على سبيل **الاستعارة التخييلية.**

وخامسها: **الترقى،** فإن قوله: «الحج يهدم ما كان قبله» فى أبلغ إرادة المبالغة من الهجرة؛ لأنه دونها، فإذا هدم الحج الذنوب فبالطريق الأولى أن تهدمها الهجرة؛ لأنها مفارقة الأوطان والأحباء، وموافقة لنبى الله ﷺ[4] وكذا حكم الهجرة مع الإسلام، وعلى هذا قول المعرى:

سرى برق المعرة بعد وهن	فبات برامة نصف الكلالا
شجى ركبًا وأفراسًا وإبلا	وزاد فكاد أن يشجو الرجالا

وسادسها: تكرير«يهدم» في كل من الخصال؛ ليدل على استقلال كل منها بالهدم، ويؤيد هذا بما روينا عن رسول الله ﷺ قال: «ما رؤى الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة، وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام»

---

[٢٨] أخرجه مسلم ك الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج. ح/ ٥٤.

(١) [الكشاف] ١/ ١٣٤.

(٢) آل عمران - ١٨١.

(٣) آل عمران - ١٨١.

(٤) وفى نسخة: لأنها مفارقة الأوطان والأحباب، ومرافقة حبيب الله ﷺ.

الفصل الثاني

٢٩ ـ * عن معاذ، قال: قلت يارسولَ الله! أخبرني بعملٍ يُدخلُني الجنَّة، ويباعدُني من النار. قال: «لقد سألتَ عن أمر عظيم، وإِنه ليسيرٌ على من يسَّره اللهُ

الحديث. رواه مالك فى المؤطأ. ويبينه ما روي في حديث آخر عن رسول الله ﷺ أنه دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب: أنى قد غفرت لهم ما خلا المظالم، فإننى آخذ للمظلوم منه، قال: أى رب* إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة، وغفرت للظالم، فلم يجب عشية، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل، فضحك رسول الله ﷺ قال أبو بكر وعمر: ما يضحكك يا رسول الله؟ فقال: إن عدو الله إبليس لما علم أن الله (عز وجل) قد استجاب دعائى لأمتى(١) وغفر لأمتى أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه، ويدعو بالويل والثبور، فأضحكنى ما رأيت من جزعه» رواه ابن ماجه فى سننه ، والله أعلم.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن معاذ: قوله: يدخلنى ويباعدنى» «تو:»: الجزم فيهما على جواب الأمر غير مستقيم رواية ومعنى. قلنا : أما الرواية فغير معلومة، وأما المعنى فاستقامته ما ذكره القاضى، قال: وإن صح الجزم فيه كان جزاء لشرط محذوف، تقديره: أخبرنى بعمل إن عملته يدخلني الجنة، والجملة الشرطية بأسرها صفة لعمل، أو جوابًا للأمر، وتقديره أن إخبار الرسول ﷺ لما كان وسيلة إلى عمله، وعمله ذريعة إلى دخول الجنة كان الإخبار سببًا بوجه ما لإدخال العمل إياه فى الجنة. «مظ» : إذا جعل«يدخلنى» جواب الأمر يبقى«بعمل» غير موصوف، والنكرة غير الموصوفة لا تفيد. والجواب أن التنكير فيه للتفخيم أو النوع، أو بعمل عظيم أو معتبر فى الشرع، بقرينة قوله: «سألتنى عن عظيم» ولأن مثل معاذ لا يسأل من مثله ﷺ بما لا جدوى له.

اعلم أن فى مثل هذا مذهبين: أحدهما مذهب الخليل: وهو أن يجعل الأمر بمعنى الشرط، وجوابه جزاء. وثانيهما مذهب سيبويه: أن الجواب جزاء شرط محذوف، وعلى التقديرين التركيب من باب إقامة السبب الذى هو الإخبار مقام المسبب الذى هو العمل؛ لأن العمل هو السبب الظاهر لا الإخبار؛ لأن الإخبار إنما يكون سببًا للعمل إذا كان المخاطب مؤمنًا معتقدًا. موافقًا ، كقوله تعالى: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾(٢) قال ابن الحاجب: «يقيموا» جواب«قل» أي قل لعبادى يقيموا. وما اعترض عليه من أن الإقامة ليست بملازمة للقول ليس بشىء، فإن الجواب لا يقتضى الملازمة العقلية، وإنما يقتضي الغلبة، وذلك حاصل، فإن أمر الشارع(صلوات الله عليه وسلامه) للمؤمن بإقامة الصلاة يقتضي إقامة الصلاة منه غالبًا، وكقوله تعالى: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم ـ إلى قوله ـ يغفر لكم﴾(٣) فإن «يغفر لكم»

(١) غير موجودة فى (ك). (٢) الصف: ١٠، ١١، ١٢ (٣) إبراهيم -٣١.

(*) سقطت فى (ط) وأثبتناها من (ك).

تعالى علـيه: تعبـدُ الله ولا تشركُ به شيـئًا، وتقـيمُ الصلاة، وتؤتى الزكـاة، وتصومُ رمضان، وتحج البـيتَ» ثم قال: «ألا أدلُّك على أبواب الخير؟ الصـومُ جُنَّةٌ، والصدقةُ

جواب للاسـتفهـام لأن المؤمن الراسخ في الإيمان لما كان مظنة لحـصول الإقامـة والامتثـال صار كالمتحقق منه ذلك.

قوله: «سألتنى عن عظيم» «مظ» : أى سألتني عن شىء عظيم مشكل متعسر الجواب، ولكنه سهل على من يسره الله تعالى عليه؛ لأن معرفة العمل الذى يدخل الرجل الجنة من علم الغيب، وعلم الغيب لا يعلمه أحد إلا الله، ومن علمـه اللهتعالى. أقول: إنه ذهب إلى أن «عظيم» صفة موصـوف محـذوف، أى عن سؤال عظيم، والأظهـر أن يقال: إن الموصوف «أمـر»، ويعنى به العمل؛ لأن قوله: «تعـبد الله» إلى آخره استئناف وقع بيـانًا لذلك الأمر العظيم ، وعنه ينبىء كلام القاضي، حـيث قال: «وإنه ليسيـر» إشارة إلى أن أفعال العبـاد واقعة بأسباب ومـرجحات يفيض عليـهم من عنده، وذلك إن كان نحو طاعة سـمى توفيقًا ولطفًـا، وإن كان نحو معـصية سمى خـذلانًا وطبعًـا. أقول: إنما أسند اليسـر إلى الله وأطلق العسـر لئلا ينسب الخـذلان إليه صريحًا، على طريقة «أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم».

قوله: «ألا أدلك على أبواب الخير» التعريف فـى «الخير» للجنس، «مظ» : جعل هذه الأشياء أبواب الخير لأن الصوم شديد على النفس، وكذا إخراج المال فى الصدقة، وكذا الصلاة في جوف الليل، فمن اعتادها يسهل عليه كل خيـر، ويأتى منه كل خير؛ لأن المشقة فى دخول الدار يكون بفتح البـاب المغلق. ويحتمل أن يكون التـعريف للعهـد الخارجى التقـديرى، وهو ما يعلم من قوله: «تعبد الله ولا تشرك به» إلى آخره، المعني به الإسلام والإيمان الذى هو سبب لدخول الجنة، والمباعـدة من النار ظاهرة. أو المعني بأبواب الخيـر النوافل، دل عليه قـوله : «وصلاة الرجل فى جوف الليل» لئلا يلزم التكرار، وسميت النوافل أبواب الفرائض؛ لأنها مقدمات ومكملات لها، ومن فاتته السنن حرم الفرائض.

قال بعض الـعلماء: من ترك الأدب عـوقب بحرمان النوافـل، ومن عوقب بحرمـان النوافل عوقب بحرمان السنن، ومن عوقب بحرمان السنن عوقب بحرمان الفرائض، ومن عوقب بحرمان الفرائض يوشك أن يعاقب بحرمان المعرفة، وما دل على المباعدة عن النار.

قـوله: «الصوم جنة» أى عن النار ؛ وإنما جـعل الصـوم جنة عن النار؛ لأن فى الجوع سـد مجارى الشـيطان، كما في الحديث : «إن الشيطان يجـرى من الإنسان مجرى الدم ألا فضـيقوا مجاريه بالجوع» أو كمـا قال، فإذا سد مجاريه لم يدخل فيه، فلم يكن مسببًا للعصيان الذى هو سبب لدخول النار.

تُطفىء الخطيئةَ كما يُطفىء الماءُ النارَ، وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم تلا: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع..) حتى بلغ(يعملون) ثم قال: «ألا أدلُّكَ برأس الأمر وعموده

«قض»: وإنما جعل الصوم جنة؛ لأنه يقمع الهوى والشهوة، مصداقه قوله ﷺ: «الصوم له وجاء» فالشبع مجلبة للآثام، منقصة للإيمان، ولهذا قال ﷺ: «ما ملأ آدمى وعاء شرًّا من بطنه» فإن الشبع يوقعه في مداحض، فيزيغ عن الحق، ويغلب عليه الكسل، فيمنعه من وظائف العبادات، ويكثِّر المواد الفضول فيه، فيكثر غضبه وشهوته، ويزيد حرصه، فيوقعه في طلب ما زاد على حاجته، فيوقعه فى المحارم.

قوله: «الصدقة تطفىء الخطيئة» أصله تذهب الخطيئة، كقوله تعالى: ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾ (١) ثم فى الدرجة الثانية تمحو الخطيئة، كقوله ﷺ لأبي ذر: «اتق الله حيث ما كنت وأتْبع السيئة الحسنة تمحها» أي السيئة المثبتة في صحيفة الكرام الكاتبين. وإنما قدرت الصحيفة بقرينة«تمحو» .ثم فى الدرجة الثالثة تطفىء الخطيئة لمقام الحكاية عن المباعدة عن النار، فلما وضع الخطيئة موضع النار على **الاستعارة المكنية** أثبت لها على سبيل **الاستعارة التخييلية** ما يلازم النار من الإطفاء؛ ليكون قرينة مانعة لها من إرادة الحقيقة من الخطيئة. وأما قوله تعالى: ﴿**إنما يأكلون فى بطونهم ناراً**﴾(٢) فمن **إطلاق اسم المسبب على السبب**. وأما معنى إذهاب السيئة بالحسنة إذا كانت بين العبد وبين الله تعالى فظاهر، وأما إذا كانت بينه وبين العبد فإنه إذا عمل حسنة تدفع تلك الحسنة يوم القيامة إلى خصمه عوضًا عن مظلمته.

فإن قلت: هل(*) يلزم على هذا التقدير أن لا يكون الصوم أقوى حالا في المباعدة من النار لأن الجنة هى الترس دون إطفاء النار. قلت: العكس أولى؛ لأن الجنة مانعة من صدور الخطيئة التي هي سبب النار، والصدقة لا تمنع، وإنما تطفىء الخطيئة الحاصلة.

«قض» «وصلاة الرجل» مبتدأ، بخبره محذوف، أى صلاة الرجل فى جوف الليل كذلك، أى تطفىء الخطيئة، أو هى من أبواب الخير، والأول أظهر لاستشهاده ﷺ بالآية، وهي متضمنة للصلاة والإنفاق. قلت: ويعضده تقييد القرينتين السابقتين ـ أعنى الصوم والصدقة ـ بفائدتين زائدتين، وهي الجنة وإطفاء الخطيئة؛ لأن الظاهر أن يقال: أبواب الخير الصوم ، والصدقة لا غير(**)، وصلاة الرجل فى جوف الليل، فلما قيدتا بهما يجب أن تقيد هذه بما يناسبها كما قدر القاضي، والأظهر أن يقدر الخبر: شعار الصالحين، كما في جامع الأصول، ويفيد فائدة مطلوبة زائدة على القرينتين، وهى أنهما لما أفادتا المباعدة عن النار فتفيد هذه الإدخال في الجنة، ويتم

---

(١) هود: ١١٤

(٢) النساء: ١٠

(*) سقطت فى (ط) وأثبتناها من (ك)

(**) سقطت فى (ط) وأثبتناها من (ك).

وذروة سنامه؟» قلت: بلى يارسول الله، قال:«رأس الأمر الإسلام، وعمودُه الصلاة، وذروةُ سنامه الجهادُ. ثم قال:«ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت: بلى يانبيَّ

الاستشهاد بالآية؛ لأن قرة العين كناية عن السرور والفوز التام، وهو مباعدة النار ودخول الجنة، كما قال الله تعالى: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾[1].

قوله: «ألا أدلك برأس الأمر وعموده» الذروة - بكسر الذال وضمها - أعلى الشيء، وذروة الجبل أعلاه، والجمع الذرى - بالضم - والسنام - بالفتح - ما ارتفع من ظهر الجمل. «تو»: المراد بالإسلام في قوله: «رأس الأمر الإسلام» كلمتا الشهادة، وأراد بالأمر هنا أمر الدين، يعنى ما لم يقر العبد بكلمتى الشهادة لم يكن له من الدين شيء أصلا، وإذا أقر بكلمتى الشهادة حصل له أصل الدين، إلا أنه ليس له قوة وكمال، كالبيت الذى ليس له عمود، فإذا صلى وداوم على الصلاة قوى دينه، ولكن لم يكن له رفعة وكمال، فإذا جاهد حصل لدينه الرفعة. «شف»: فى قوله: «رأس الأمر الإسلام» إشارة إلى أن الإسلام من سائر الأعمال بمنزلة الرأس فى الجسد فى احتياجه إليه وعدم بقائه دونه. وفى قوله: «ذروة سنامه الجهاد» إشارة إلى صعوبة الجهاد، وعلو أمره، وتفوقه على سائر الأعمال. «مظ»: إنما خص الشهادة والصلاة ولم يذكر الزكاة والصوم والحج لأنه ذكر الأركان الخمسة فى أول الحديث، وأعاد هنا ذكر ما هو الأقوى منها تعظيما لشأنهما؛ لأنهما يتكرران فى كل يوم وليلة، بخلاف الزكاة والصوم فإنهما يتكرران فى سنين، والحج لا يتكرر، وزاد الجهاد وبين أن به رفعة الدين؛ ليكون محرِّضًا للدين على الجهاد.

وقلت: وعدى «أدلك» فى هذه القرينة بالباء وهو يعدى بعلى مضمنًا معنى الإخبار، أى هل أخبرك برأس الأمر، وإنما عدل ليجمع بين المعنيين. قال صاحب الكشاف[2] فى قوله: ﴿وتعد عيناك عنهم﴾[3]: وإنما عدى بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا فى قولك: نبت عنه عينه، وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تتعلق به. والغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ[*]. فإن قلت: لم خصص هذه القرينة بالباء والأولى بعلى؟ قلت: هذه القرينة أجمع وأشمل؛ لأن المعنى بالأمر الدين، وهو مشتمل على أبواب الخير، وعلى ما سبقه من قوله: «تعبد الله» إلى آخره، ولهذا أعاد الباء فى القرينة الثالثة، وأكدها بـ«كله» لكونها أجمع منها، وهذا الترقى ينبهك على جواز الزيادة فى الجواب كما فى قوله تعالى: ﴿يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين﴾[4] وهو من أسلوب الحكيم. «غب»: السؤال ضربان: جدلى، وتعليمى، وحق الأول مطابقة الجواب من غير زيادة ونقص، والثانى حقه أن يتحرى المجيب الأصوب، كالطبيب الرفيق يتوخى ما فيه شفاء العليل طلبه أم لا.

قوله: «بملاك ذلك كله» (تو): ملاك الأمر -بالكسر - قوامه، وما يتم به، ولهذا يقال: القلب ملاك الجسد. «قض»: ملاك الشيء: أصله ومبناه، وأصله ما يملك به كالنظام. «مظ»: مابه إحكام

---

(١) آل عمران: ١٨٥ (٢) الكشاف (٣٨٨/٢). (٣) الكهف: ٢٨ (٤) البقرة: ٢١٥

(*) فى ط (قذ) بالقاف وهو خطأ والتصحيح من (ك).

الله! فأخذ بلسانه فقال: «كفَّ عليك هذا» فقلت: يا نبيَّ الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قـال«ثكلتك أمُّك يا مـعاذ! وهل يُكِبُّ الناسَ في النار على وجـوههم، أو على مناخرهم، إلا حصائدُ ألسنتهم؟» رواه أحمدُ، والترمذى، وابن ماجة[٢٩].

الشيء وتقـويتـه، من ملك العجين إذا أحـسن عـجنه وبالغ فـيه، وأهل اللغـة يكسـرون الميم ويفتـحونها، والرواية بكسر المـيم. قوله: «فأخذ بلسـانه» الباء زائدة، والضمـير راجع إلى النبى ﷺ. «قض»: «كف عليك» أى كف علـيك لسانك، ولا تتـكلم إلا بما يعنيك، فـإن من كثـر كلامه كثر سـقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ولكثرة الكلام مـفاسد يطول إحصاؤها، أو لا تتكلم بما يهجس فى نفسك من الوساوس، فإنك غير مأخوذ به ما لم تظهر؛ لما روى أبو هريرة (رضى الله عنه) أنه قال: «إن الله تعـالى تجاوز عن أمتى مـا وسوست صدورها مـا لم تعمل أو تتكلم» .أو لا تتفوه بمـا (ستره)(**) الله عليك؛ فـإن التوبة عنه أرجى قـبولا، والعفـو عنه أرجى وقوعًا.

قوله: «إنا لمؤاخذون» المؤاخـذة أن يأخذ أحد أحدًا بذنبه. و«ثكلـتك أمك» فقدتك، والثكل موت الولد، وفـقد الحبيب، وهذه وأمـثاله أشياء مـزالة عن أصلها إلى معنى التـعجب وتعظيم الأمر. «مظ»: هذا دعاء عليه، ولا يراد وقوعه بل هو تأديـب وتنبيه من الغفلة. و«يكب» مضارع كب بمعنى صرعـه على وجهه، فـأكب سقط على وجهه، وهذا مـن النوادر؛ فإن ثلاثيه متـعد، ورباعيه لازم.

قوله: «أو على مناخرهم» «أو» لشك الراوى، «المناخر» جمع منخر ـ بفتح الميم وكسر الخاء، وفتحها ـ ثقبة الأنف(١). «الحصائد» جمع حصيـدة ، فعيلة بمعنى مفعولة ▼، من: حصد إذا قطع الزرع. وهذا إضافة المفعـول إلى فاعله، أى محصودات الألسنة، شبـه ما تكلم به اللسان بالزرع المحصود بالمنجل، فكما أن المنجل يقطع ولا يميز بين الرطب واليابس، والجيد والرديء، فكذلك لسان بعض الإنسان يتكلم بكل نوع من الكلام القبيح والحسـن، ثم حذف المشبه وأقيم المشبه به مقامـه على سبيل **الاستعارة المصرحة**، وجعل الإضـافة قرينة لهـا، والاستثناء مـفرغ؛ لأن فى **الاستفهام معنى النفي**، والتقدير: لا يكب الناس فى النار شيء من الأشيـاء إلا حصائد ألسنتهم من الكلام القبيح، مثل: الكـفر، والقذف، والشتم، والغيبة، والبـهتان، ونحوها. وهذا الحكم وارد على الأغلب والأكثـر؛ لأنك إذا جربت وفكرت لم تجد أحدًا حفظ لـسانه عن السوء، ولا يصدر منه شيء يوجب دخول النار إلا نادرًا، هذا، ومن أراد مزيد بيان فى المـعانى والبيان فعليه بكتاب التبيان وشرحه.

---

[٢٩] صـحيح: أخـرجـه أحـمد فـى المسند (٥/ ٢٣١، ٢٣٧)، والترمـذى فى سننه (٧/ ٣٦٢، ح: ٢٧٤٩ - أحوذى) قال الترمذى: هذا حـديث حسن صحيح، وابن ماجه فى سننه (٣٩٧٣) وغيرهم، وصـححه الشيخ الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٢١١٠)، وصحيح سنن ابن ماجة (٣٢٠٩)، وانظر الإرواء (٤١٣).

(١) وفي نسخة: ثقب الأنف (المصحح).

(**) فى ط (سره) وما أثبتناه من (ك). ▼ فى ط (مفعول) وما أثبتناه من (ك).

٣٠ ـ * وعن أبى أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ لله، وأبغضَ لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكملَ الإيمانَ» رواه أبو داود[٣٠].

الحديث الثانى عن أبى أمامة: قوله: «من أحب لله» «مظ»: من أحب أحدًا يحبه لله[١] لا لحظ نفسه، ومن أبغضه يبغضه[٢] لله تعالى لكفره وعصيانه، لا لإيذائه له، ويعطى ما يعطى لثواب الله تعالى ورضاه، لا لميل نفسه وريائه، ويمنع ما يمنع لأمر الله، فلا يصرف الزكاة عن كافر لخسته، ولا عن بني هاشم لعزتهم، بل لأمر الله تعالى ومنعه ذلك. وفيه أنه لا يجوز الوقف على المرتدين، وقطاع الطريق، والفرق الباغية، ويحرم بيع السلاح من هؤلاء، وبيع العنب ممن يتخذ الخمر، فإن باع فالبيع صحيح، والفعل حرام. وقال: «استكمل» بمعنى أكمل. أقول: هذا بحسب اللغة، وأما عند علماء البيان ففيه المبالغة؛ لأن الزيادة فى اللفظ زيادة فى المعنى، كأنه جرد من نفسه شخصًا وهو يطلب منه كمال الإيمان، ومنه قوله تعالى: «وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا»[٣] أى يطلبون من أنفسهم الفتح عليهم.

هذا الحديث من تتمة الإحسان والإجادة فى الإيمان فى قوله: «تعبد الله كأنك تراه» يعنى إذا اشتغلت بالله وبعبادته ينبغى أن لا يكون نظرك إلى ما سواه، **واستقبل إليه بشراشرك** ■، وكذا إذا اشتغلت بخلق الله فلا يكون معاملتك معهم إلا لله، بل هو من الجوامع التى تضمن معنى الإيمان، والإسلام، والإحسان؛ لأن من جملة المحبة لله محبة رسول الله ﷺ ومحبة متابعيه(*). «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله»[٤] وأنشد:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وإن من جملة البغض لله بغض النفس الأمارة بالسوء(**)، وأعداء الدين، وبغضهما مخالفة لأمرهما، والمجاهدة مع النفس بحبسها فى طاعة الله بما أمر به ونهى عنه، ومع أعداء الله بالمصابرة معهم، والمرابطة لأجلهم، قال الله تعالى: «يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا

---

[٣٠] صحيح: أخرجه أبو داود فى سننه (٤٦٨١) واللفظ له، وأحمد فى المسند بنحوه (٣/ ٤٣٨، ٤٤٠) بزيادة «وأنكح لله» من حديث معاذ بن أنس الجهنى، والبغوى فى شرح السنة (١٣/ ٥٤، ح: ٣٤٦٩) بزيادة: «وإن أفضلكم أحسنكم أخلاقًا، وإنَّ من الإيمان حسنَ الخلق» وغيرهم، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (٣٩١٥)، والسلسلة الصحيحة (٣٨٠).

(١) فى ط (مخبه) وفى الهامش: «وفى نسخة: يحبه)، وما أثبتناه من (ك).

(٢) فى ط (فبغضه)، وما أثبتناه من (ك) وهو الصحيح.

(٣) البقرة: ٨٩ — (٤) آل عمران: ٣١

(*) كذا فى (ط) وفى (ك): «متابعته». — (**) سقطت فى (ط) وأثبتناها من (ك).

■ الشراشر: النفس والمحبة.

٣١ ـ * ورواه الترمذى عن معاذ بن أنس مع تقديم وتأخير، وفيه: «فقد استكمل إيمانه»[٣١].

٣٢ ـ * وعن أبى ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الأعمال الحب فى الله والبغض فى الله». رواه أبو داود[٣٢].

٣٣ ـ * وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمونَ

واتقوا الله»(١). ومن تأمل فيه وقف على سلوك طريق الله، وفناء السالك فى حق الله، ومن ثم عقب الحديث بقوله: «الحب فى الله والبغض فى الله».

الحديث الثالث عن أبى ذر، قوله: «الحب فى الله» «فى» ههنا بمعنى اللام فى قوله: «من أحب لله» للإخلاص إلا أنه أبلغ، أى الحب فى جهته ووجهه، كقوله تعالى: «**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم**»(٢) أى فى حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصًا.

الحديث الرابع عن أبى هريرة (رضي الله عنه): قوله: «المسلم من سلم المسلمون» مضى شرحه فى الحديث الرابع من الباب، يقال: أمَّنت(*) زيدًا على هذا الأمر وائتمنته، أى جعلته أمينًا، يعنى المؤمن الكامل هو الذى ظهرت أمانته، وعدالته، وصدقه، بحيث لا يخاف منه الناس بإذهاب مالهم، وقتلهم، ومد اليد إلى نسائهم. وفى ترتب «من سلم» على «المسلم» و«من أمنه» على «المؤمن» رعاية للمطابقة، ففيه ذكر المسلم والمؤمن بمعنى واحد تأكيدًا وتقريرًا، إلا أنه لم يذكر فى الثانية ما يدل على ما يثمر اللسان من البذاءة، والبهتان، والغيبة، واقتصر على ما تثمر اليد من سفك الدماء وغصب الأموال اكتفاء بما سبق، ولأن آفة اللسان ظاهرة، وآفة اليد مفتقرة إلى البيان، فبين فى الثانية. «قض»: من لم يراع حكم الله تعالى فى ذمام المسلمين والكف عنهم لم يكمل إسلامه، ومن لم يكن له جاذبة نفسانية إلى رعاية الحقوق وملازمة العدل فيما بينه وبين الناس فلعله لا يراعى ما بينه وبين الله تعالى، فيخل بإيمانه.

---

[٣١] حسن: أخرجه الترمذى فى سننه (٧/ ٢٢٤، ح: ٢٦٤٢ ـ أحوذى) بلفظ: «من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله، فقد استكمل إيمانه» وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٢٠٤٦) وانظر تخريج الحديث السابق.

[٣٢] ضعيف: أخرجه أبو داود فى سننه (٤٥٩٩)، وضعفه الشيخ الألبانى فى ضعيف الجامع (١٠٩٤)، والسلسلة الضعيفة (١٣١٠).

(١) آل عمران: ٢٠٠ (٢) العنكبوت: ٦٩

(*) فى ط (آمنت) بالمد وما أثبتناه من (ك) وهو الصحيح.

من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم». رواه الترمذى، والنسائى[٣٣].

٣٤ ـ * وزاد البيهقى فى «شعب الإيمان» برواية فَضالة: «والمجاهد من جاهدَ نفسَه فى طاعة الله والمهاجرُ من هجرَ الخطايا والذنوبَ»[٣٤].

٣٥ ـ * وعن أنسٍ رضى الله عنه، قال: قَلَّمَا خطبنا رسولُ الله ﷺ الا قال: «لا

قوله: «والمجاهد من جاهد نفسه» «مظ»: يعنى المجاهد ليس من(*) قاتل الكفار فقط، بل المجاهد من حارب نفسه وحملها وأكرهها على طاعة الله تعالى؛ لأن نفس الرجل أشد عداوة معه من الكفار؛ لأن الكفار أبعد منه، ولا يتفق التلاحق والتقابل معهم إلا حينًا بعد حين، وأما نفسه فأبدًا تلازمه، وتمنعه من الخير والطاعة، ولاشك أن القتال مع العدو الذى يلازم الرجل أهم من القتال مع العدو الذى هو بعيد منه، قال الله تعالى: ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾(١).

أقول: اللام فى قوله: «المجاهد» للجنس أى المجاهد الحقيقى الذى ينبغى أن يسمى مجاهدًا من جاهد نفسه، وكأن مجاهدته مع غيره بالنسبة إليه كلا مجاهدة، ونحوه قوله (عليه الصلاة والسلام) فى حديث أبى هريرة (رضى الله عنه): «فذلكم الرباط» كما سيجيء بيانه.

قوله: «والمهاجر» «قض»: الحكمة فى الهجرة أن يتمكن المؤمن من الطاعة بلا مانع ولا وازع، ويتبرأ عن صحبة الأشرار المؤثرة بدوامها فى اكتساب الأخلاق الذميمة، والأفعال الشنيعة، فهى فى الحقيقة التحرز عن ذلك، والمهاجر الحقيقى من يتحاشى عنها.

---

[٣٣] حسن صحيح: أخرجه الترمذى فى سننه (٧/ ٣٧٩) ح: ٢٧٦٢ ـ أحوذى) وقال: وحديث أبى هريرة حديث حسن صحيح، والنسائى فى سننه (٨/ ١٠٤ ـ ١٠٥) بلفظ: «المسلم من سلم الناس ـ الحديث»، وذكره الشيخ الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٢١١٨)، وصحيح سنن النسائى (٤٦٢٢) وقال: (حسن صحيح)، وانظر السلسلة الصحيحة (٥٤٩).

[٣٤] صحيح: أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٤٩٩، ح: ١١١٢٣) بلفظ: «ألا أخبركم بالمؤمن: من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»، وعزو المصنف هذا اللفظ وهذه الزيادة إلى البيهقى وحده يوهم أنه لم يخرجها غير البيهقى وهذا غير صحيح، إذ إنه أخرجها بهذا اللفظ الإمام أحمد فى المسند (٦/ ٢١)، والحاكم فى المستدرك (١/ ١٠ ـ ١١) وصححه وسكتَ عليه الذهبى، (وقد سقط لفظ الجلالة فى مطبوعة مستدرك الحاكم)، وقد وقع الحديث فى تلخيص الحافظ الذهبى بهامش المستدرك بلفظ «والمجاهد من جاهد نفسه فى الطاعة ..... الحديث». وغيرهما، وقد ذكر الشيخ الألبانى هذا الحديث بهذا اللفظ فى السلسلة الصحيحة (٥٤٩) كما ذكرنا فى تخريج الحديث السابق إلا أنه لم يعزو الحديث بهذا اللفظ إلى البيهقى فى الشعب رغم أنه فيه بلفظه كما ذكرنا!!.

(١) التوبة: ١٢٣

(*) سقطت فى (ط) وأثبتناها من (ك).

إيمانَ لمن لا امــانَةَ له، ولا دينَ لمن لا عــهـد له». رواه الـبـيــهـقى فى «شُــعَبِ الإيمان»[٣٥].

الحديث الخامس عن أنـس (رضى الله عنه): قوله: «قلما» «ما» فى «قلمـا» مصدرية، أى قل خطبة رسول الله ﷺ ويجوز أن تكون كافة. قوله: «لا إيمان» «تو»: هذا الكلام وأمثاله وعيد لا يراد به الانقلاع، وإنما يـقصد به الزجـر والردع، ونفى الفضيلـة، دون الحقيـقة فى رفع الإيمان وإبطاله. «مظ»: معنى «لا دين لمن لا عهـد له» أن من جرى بينه وبين أحد عهد ومـيثاق، ثم غدر من غير عذر شرعى ـ فـدينه ناقص، أما مع العذر كنقض الإمام المعاهدة(*) مع الحربى-إذا رأى المصلحة ـ فإنه جائز.

أقـول: وفى الحديث إشكال، وهـو أنه قد سـبق أن الدين، والإيمان، والإسـلام، أسمـاء مترادفة موضـوعات لمفهوم واحد فى عرف الشرع، فلم فرق بينهمـا، وخصص كل واحد منهما بمعنى؟ والجواب أنهما وإن اختلفا لفظًا فقد اتفـقا ههنا معنى، فإن الأمانة ومراعاتها إما مع الله، فهى ما كلف به من الطاعـة، وسمى أمانة لأنه لازم الوجود، كما أن الأمـانة لازمة الأداء، قال الله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فـأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾(١). وإما مع الخـلق فظاهر. وإن العهـد وتوثيقـه إما مع الله تعالى فـاثنان: الأول الذى أخـذه على جميـع ذرية آدم فى الأزل، وهو الإقرار بربوبيـته قـبل خلق الأجـساد، مصداقه قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك﴾(٢) والثانى ما أخذه عند هبوط آدم إلـى الدنيا من متابعة هدى الله، ومن الاعتصام بكتاب ينزله، ورسول يبعثه، مصداقه قوله تعالى: ﴿قلنا اهبطوا منها جميعًا فإما يأتينكم منى هدى﴾(٣) وإما مع الخلق فكذا ظاهر. فحينئذ مرجع الأمانة والعهد إلى طاعة الله تعالى بأداء حقـوقه وحقوق العباد، كأنه قـيل: لا إيمان ولا دين لمن لا يفى بعهد الله بعد ميـثاقه، ولا يؤدى أمانة الله بعـد حملها، وهى التكاليف من الأوامر والنواهـى، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ـ إلى قوله ـ دين القيمة﴾(٤) والتكرير المعنوى توكيد وتقرير.

[٣٥] صحيح: وأخرجـه أحمد فى المسند (٣/ ١٣٥، ١٥٤، ٢١٠، ٢٥١) عن أنس، كما أن البيهـقى لم يقتصر على تخريجه له فى شعب الإيمان كما يوهم بذلك كلام التبريزى رحمه الله ـ بل أخرجه البيـهقى فى السنن الكبرى أيضًا (٦/ ٢٨٨)، علاوة على تخـريجه له فى شعب الإيمان (٤/ ٧٨، ح: ٤٣٥٤) وغيـرهما، وأخرج شطره الأول الحافظ أبو بـكر بن أبى شيبـة فى كتـاب الإيمان (ص: ٥، ح: ٧) ضمن أربع رسـائل بتحـقيق الشيـخ الألبانى، ط: دار الأرقم بالكويت، وصـححه الـشيخ الألبانى عند هذا الموضع من كتـاب الإيمان لابن أبى شيـبة هامش (١٢)، كـما صححه بتمامه الذى ساقه التبريزى ـ رحمه الله ـ فى صحيح الجامع (٧١٧٩).

(١) الأحزاب: ٧٢ (٢) الأعراف: ١٧٢

(٣) البقرة: ٣٨ (٤) البينة: ٥

(*) فى (ط): «كنقض العهد الإمام المعاهدة» ولا يخفى اضطرابه، وما أثبتناه من (ك).

الفصل الثالث

٣٦ ـ * عن عُبَادَةَ بن الصامت (رضى الله عنهُ)، قَال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ شَهِدَ انْ لا إلهَ إلاَ اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ الله، حرَّم اللهُ عليهِ النارَ»[٣٦].

٣٧ ـ * وعن عثمانَ رضى الله عنهُ، قال: قال رسولَ الله ﷺ «من مات وهو يعلمُ أنه لا إلهَ إلا اللهُ دخلَ الجنةَ» رواه مسلم[٣٧].

٣٨ ـ * وعن [جابر رضى الله عنه] قال: قال رسول الله «ثنْتَان موجبتان». قال رجلٌ: يا رسولَ الله! ما الموجبتان؟ قال: «مَنْ ماتَ يشركُ بالله شيئًا دخلَ النار، ومن مات لا يشركُ بالله شيئًا دخَلَ الجنَّة» رواه مسلم[٣٨].

الفصل الثالث

الحديث الأول والثانى عن عبادة وعثمان (رضى الله عنهما): قوله: «وهو يعلم أنه لا إله إلا الله» قال الشيخ أبو حامد فى الإحياء: من يوجد منه التصديق بالقلب فقبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال مات، فهل نقول: مات مؤمنًا بينه وبين الله؟ ففيه اختلاف، من شرط القول لتمام الإيمان، يقول: هذا مات قبل الإيمان، وهو فاسد؛ إذ قال ﷺ: «يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان»، وهذا قلب طافح بالإيمان فكيف يخلد؟ ومن يصدق بالقلب، ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتى الشهادة، وعلم وجوبهما، ولكنه لم ينطق بهما، فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق بمنزلة امتناعه عن الصلاة، ونقول: هو مؤمن غير مخلد فى النار.

الحديث الثالث عن جابر (رضي الله عنه): قوله: «ثنتان موجبتان» «المُغْرب»: يقال أوجب الرجل، إذا عمل ما يجب به الجنة أو النار، ويقال للحسنة: موجبة، وللسيئة: موجبة، فالوجوب عند أهل السنة بالوعد والوعيد، وعند المعتزلة بالعمل. و«ثنتان» صفة مبتدأ محذوف، أى خصلتان ثنتان، وهذا الحديث مع الحديثين السابقين عليه مضى شرحها مستقصى فى الفصل الأول من الباب.

---

[٣٦] أخرجه مسلم/ ك الإيمان/ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا ح/ ٢٩.

[٣٧] أخرجه مسلم فى الباب السابق ح/ ٢٦.

[٣٨] أخرجه مسلم ك الإيمان / باب من مات لا يشرك ... ح (٩٢)

٣٩ ـ * وعن أبى هريرة [رضى الله عنه]، قال: كُنَّا قُعوداً حولَ رسولِ الله ﷺ ومعنا أبو بكرٍ وعمر رضى الله عنهما فى نَفَرٍ، فقام رسول الله ﷺ من بينِ أظهرنا، فأبطأ علينا، وخَشِينا أن يُقْتَطَع دُونَنا، وفَزِعْنا فقُمْنا، فكُنتُ أوَّلَ من فَزِع، فخرجتُ أبتغى رسولَ الله ﷺ، حتى أتَيْتُ حائطًا للأنصار لبنى النجار، فساورت به، هل أجد له بابًا؟ فلم أجِدْ، فإذا ربيعٌ يدخُل فى جوف حائطٍ من بِئرٍ خارجة ـ والربيع الجَدْولُ ـ

الحديث الرابع عن أبى هريرة (رضى الله عنه): قوله: «دوننا»حال من الضمير المستتر فى «يقطع» أى خشينا أن يصاب بمكروه من عدو أو غيره متجاوزاً عنا، كقوله تعالى: ﴿**وادعوا شهداءكم من دون الله**﴾(١). «الكشاف»(٢): ومعنى «دون» أدنى مكان من الشىء، ومنه الشىء الأدون(*)، واستعير للتفاوت فى الأحوال والرتب، فقيل: زيد دون عمرو فى الشرف والعلم، ثم اتسع فيه واستعمل فى كل تجاوز حد إلى حد.

قوله: «من بئر خارجة» «مح»(**): هكذا ضبطناه بالتنوين فى «بئر». وفى «خارجة» على أن «خارجة» صفة لـ«بئر»، وكذا نقله الشيخ أبو عمرو بن الصلاح عن الأصل، وذكر الحافظ أبو موسى الأصفهانى وغيره أنه روى على ثلاثة أوجه: أحدها هذا، وفى الثانى من بئر خارجه ـ بتنوين بئر وبهاء فى آخر خارجه مضمومة، وهى هاء ضمير للحائط ـ أى البئر فى موضع خارج عن الحائط. والثالث من بئر خارجة، بإضافة بئر إلى خارجة آخره تاء التأنيث، وهو اسم رجل، والوجه الأول هو المشهور الظاهر. وقيل: البئر ههنا البستان، سمى بما فيها من الآبار، يقولون: بئر بضاعة، وبئر خارجة، وهما بستانان. والحائط ههنا البستان من النخيل إذا كان عليه جدار. والجدول النهر الصغير.

قوله: «فاحتفزت» «مح»: هذا قد روى على وجهين: بالزاى، والراء، والصواب بالزاى المعجمة، ومعناه تضاممت ليسعنى المدخل. قوله: «كنت بين أظهرنا» يقال: نحن بين أظهركم، وظهركم، وظهرانيكم ـ بفتح النون ـ أى بينكم، والظهر مقحم تأكيداً.

قوله: «فخشينا أن تقتطع دوننا، ففزعنا» عطف أحد المترادفين على الآخر إرادة الاستمرار، مثل ما فى قوله تعالى: ﴿**كذبت قوم نوح فكذبوا عبدنا**﴾(٣) أى كذبوه تكذيبًا غب تكذيب.

قوله: «فقال: أبو هريرة؟» أى فقال النبى ﷺ أنت أبو هريرة؟ فعلى هذا أبو هريرة خبر مبتدأ محذوف، والهمزة فى المبتدأ يحتمل أن تكون على حقيقتها، أو التقرير، أو التعجب، أما على التقرير الأول فلعله ﷺ كان غائبًا عن بشريته بسبب إيحاء هذه البشارة إليه فلم يشعر بأنه

---

(١) البقرة: ٢٣ . (٢) الكشاف (٢٧/١). (٣) القمر: ٩.

* كذا فى ط ، وفى ك (الدون) ** فى ط (مظ) والصحيح ما أثبتناه وهو فى (ك).

قال: فـاحتفَزتُ فـدخلت على رسول الله ﷺ. فقـال: «أبو هريرة؟» فقلتُ: نعم يا رسولَ الله! قال: «ماشأنك؟» قلتُ: كنتَ بين أظهرِنا فَقُمْتَ فأبطأتَ علينا، فخشينا أن تُقْتطعَ دونَنا، ففزِعْنا، فكنتُ أولَ منْ فَزِع، فأتَيتُ هذا الحائط، فاحتفزتُ كما يحْـتَفِزُ الثعلبُ، وهؤلاء الناسُ ورائى. فقال: «يا أبا هريرة!» وأعطانى نعلَيْه، فقال: «اذهب بنعليَّ هاتين، فمن لَقِيَكَ من وراء هذا الحائط يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ مُستيقنًا بها قلبُه؛ فبـشِّرْهُ بالجنة» فكان أولَ من لقيتُ عمـرُ فقال: ما هـاتان النَّعْلان يا أبا هُريرة؟ قلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثنى بـهما، من لقيتُ يشهد أن لا إله إلا الله مُسـتيقْنًا بها قلبهُ، بَـشَّرتهُ بالجنة، فضـرب عمـرُ بين ثديَيَّ، فخَـرِرْت لاستى. فقـال: ارجع يا أبا هريرةَ! فرجـعتُ إلى رسول الله ﷺ فأجـهشتُ بالبكاء، وركِبَنى عـمرُ، وإذا هو على

هو، وأما التقريـر فظاهر، وأما التعجب فإنه - صلوات الله عليه - اسـتغرب أنه من أين دخل عليه والطرق مسـدودة؟ ولعل فائدة بعثه النعلين أن يبلغ مع الشـاهد فيصدقوه، وإن كـان خبره مقبولا بغير هذا، وتخصيصهما بالإرسال إما لأنه لم يكن عنده غيرهما، أو إشارة إلى أن بعثته وقدومه لم يكن إلا تبـشيرًا أو تسهـيلًا على الأمة، ورفعًا لما كان إصـرًا على الذين من قبله من الأمم، قال الله تعـالى: ﴿وما أرسلـناك إلا رحمة للـعالمين﴾[1]. أو يكون إشـارة إلى الثبـات بالقدم، والاستقامة بعد الإقرار، كقوله ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم»، والله أعلم بأسراره.

قوله: «فأجـهشت» «مح»: الجهش أن يفزع الإنسان إلى الإنسـان ويلجأ إليه، وهو مع ذلك يريد البكاء، كما يفزع الصبى إلى أمه، ويروى «جهشت» بغـير همزة، وهما صحيحان. قوله: «فمن لقيك ـ إلى قـوله ـ مستيقنًا»، معنـاه أخبره أن من كانت هذه صفتـه فهو من أهل الجنة، وإلا فأبو هريرة لا يعلم اسـتيقانهم، وفى هذا دلالة ظاهرة لمذهب أهل الحق أنه لا ينفع اعـتقاد التوحيد دون النطق، ولا الـنطق دون الاعتقاد، بل(*) لابد من الجمع بينهـما، وذكر القلب هنا للتأكيد ونفى توهم المجاز، وإلا فالاستيقان لا يكون إلا بالقلب، كقولك: رأيت بعيني.(**)

قوله: «فقـال: ارجع» «مح»: ليس فعل عمر (رضى الله عنه) ومراجعة النبى ﷺ اعـتراضًا عليه، وردًا لأمره؛ إذ ليس فيما بعث به أبا هريرة غير تطييب قلوب الأمة وبشراهم، فرأى عمر أن كتم هذا عنهم أصلح لهم وأحرى؛ لئلا يتكلوا.

قوله: «وركبنى عمر» أى أثقلنى عـدو عمر من بعيد خوفًا واستشعـارًا منه، كما يقال: فلان

---

[1] الأنبياء: ١٠٧.

(*) سقطت فى(ط) وأثبتناها من (ك).

(**) قلت: وهذا يسمّى بالإطناب .

أثرى، فقال رسول الله ﷺ: «مالك يا أبا هريرة؟» فقلت: لقيتُ عمرَ فأخبرتهُ بالذى بعثتنى به، فضرب بين ثدييَّ ضربةً خررت لاستى. فقال: ارجعْ. فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر! ماحملَك على ما فعلت؟» قال: يا رسول الله! بأبى أنت وأمى، أبعثتَ أبا هريرة بنعليك، من لَقى يشهد أن لا إله إلا اللهُ مستيقنًا بها قلبُه بشَّرَهُ بالجنة؟ قال: «نعم». قال: فلا تفعل، فإنى أخشى أن يتَّكل الناسُ عليها، فخلِّهمْ يعملون. فقال رسولُ الله ﷺ: «فخلِّهم» رواه مسلم[٣٩].

٤٠ - * وعن معاذِ بن جبل، قال: قال لى رسولُ الله ﷺ: «مفاتيحُ الجنَّة شهادةُ أن لا إِله إِلا الله» رواه أحمد[٤٠].

ركبته الديون أى أثقلته، و«إذا» للمفاجأة، بيان لوصوله إليه، أى فنظرت فإذا هو على عقبى. قوله «على إثرى» فيه لغتان فصيحتان: كسر الهمزة وإسكان الثاء، وفتحها.

قوله «بأبى أنت» الباء فى «بأبى» متعلقة بمحذوف، قيل: هو اسم، فيكون ما بعده مرفوعًا، تقديره: أنت مفدى بأبى، وقيل: فعل، وما بعده منصوب، أى فديتك بأبى وأمى، وحذف المقدر تخفيفًا لكثرة الاستعمال، وعلم المخاطب به. «مح»: فى الحديث جواز قول الرجل للآخر: «بأبى أنت وأمى» سواء كان المفدى به مسلما أو كافرًا، حيًّا أو ميتًا. وفيه اهتمام الأتباع بحقوق متبوعهم، والاعتناء بتحصيل مصالحه، ودفع المفاسد عنه، وفيه جواز دخول الإنسان ملك غيره بغير إذنه إذا علم أنه يرضى بذلك لمودة بينهما أو غير ذلك، فإن أبا هريرة دخل الحائط، وأقره النبى ﷺ على ذلك، ولم ينقل أنه أنكر عليه. وهذا غير مختص بدخول الأرض، بل يجوز له الانتفاع بأدواته، وأكل طعامه، والحمل من طعامه إلى بيته، وركوب دابته، ونحو ذلك من التصرف الذى يعلم أنه لا يشق على صاحبه، وعليه جماهير السلف والخلف. قال ابن عبدالبر: وأجمعوا على أنه لا يتجاوز الطعام ونحوه إلى الدراهم والدنانير وأشباههما. ولعل هذا يكون فى الدراهم الكثيرة؛ لشك فى رضاه بها.

الحديث الخامس عن معاذ (رضى الله عنه): قوله: «مفاتيح الجنة» مبتدأ «وشهادة» خبر، وليس بينهما مطابقة من حيث الجمع والإفراد، فهو من وادي قول الشاعر: ومعى جياعًا، جعل الناقة الضامرة من الجوع، كأن كل جزء من المعاء بمنزلة معًا واحد من شدة الجوع، وكذلك جعلت الشهادة المستتبعة للأعمال الصالحة التى هى كأسنان المفاتيح كل جزء منها بمنزلة مفتاح واحد.

---

[٣٩] أخرجه مسلم ك الإيمان/ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنةقطعًا ح/ ٣١.

[٤٠] ضعيف: أخرجه الإمام أحمد فى المسند (٥/ ٢٤٢) وغيره، وضعفه الشيخ الألبانى فى ضعيف الجامع (٥٢٦٩)، والضعيفة (١٣١١).

(*) كذا فى (ط) وفى (ك): «التى يشك».

٤١ ـ* وعن عثـمانَ، رضى الله عنه، قال: إن رجالًا من أصـحابِ النبى ﷺ حين تُوفى حَزنوا علـيه، حتى كـاد بعضهم يُوسـوِس قال عثـمانُ: وكنتُ منهم، فـبينا أنا جالسٌ مـرَّ علىَّ عمـرُ، وسلَم فلم أشعُـر به، فاشـتكى عمـرُ إلى أبى بكرٍ رضى الله عنهمـا، ثم أقبلا حتى سلَّمـا علىَّ جميـعًا، فقال أبو بكر: مـا حملَكَ على أنْ لا تَرُدَّ على أخيك عمرَ سـلامَه؟ قلْتُ: مافعلت. فقال عمـرُ: بلى، والله لقد فعلت. قال: قلتُ: والله ما شعرتُ أنك مَررت ولاسلمت. قال أبو بكر: صدق عثمانُ، قد شغلك عن ذلك أمرٌ. فقلـت: أجَل. قال: ما هو؟ قلتُ: توَفَّى الله تعالى نبـيَّه ﷺ قبل أن نسأله عن نجـاةِ هذا الأمر. قال أبو بكر: قد سـألتهُ عن ذلك. فقـمتُ إليه وقلتُ له: بأبى أنت وأمى، أنتَ أحقٌّ بها. قال أبو بكر: قلتُ يا رسـولَ الله! ما نجاةُ هذا الأمر؟ فقـال رسولُ الله ﷺ «مَن قَبل منى الكلمـةَ التى عرَضتُ على عمى فـردَّها؛ فهى له نجاةٌ» رواه أحمد[٤١].

الحديث السـادس عن عثمـان: قوله: «يوسوس» الـوسوسة حـديث النفس، وهو لازم، قال الحريرى: يقـال: يوسوس ـ بالكسـر والفتح ـ لحن. قولـه: «والله ما شعـرت أنك مررت ولا سلمت» وكان يكفـيه أن يقال: مـا شعرت أنك مـررت، لكن جىء به توكيـدًا، أى ما نظرت إليك ولا سمعت كلامك.

قوله: «عن نجاة هذا الأمـر» «الأمر» يجوز أن يراد به ما عليـه المؤمنون من الدين، أى نسأله عـما يتـخلص به عن النار، وهو مـختص بهـذا الدين، وأن يراد به مـا عليه الناس من غـرور الشيطان، وحب الدنيا، والتهالك فيها، والركون إلى شهواتها، وركوب المعاصى وتبعاتها، أى نسأله عن النجـاة من هذا الأمر الهائل. ولعـمرى! إن كلمة التـقوى تؤثِّر* فى النفس اليـقظة والانتباه من الغفلة، وفى القلب جلاء الصـداء والرين، وفى السر محو الأثر والعين، ولا يعقل ذلك إلا السائرون إلى الله، والعـارفون بالله، ومن ثم لزموها، وكانوا أحق بهـا وأهلها، كأنه ﷺ يقول: النجـاة فى الكلمة التى عـرضتهـا على مثل أبى طالب، وهو الذى عـاش فى الكفر سنين ونيف على السبعين، ولم يصدر عنه كلمة التوحيـد، ولو قالها مرة كان لى حجة عند الله لاستخلاصه، وله نجاة من عذاب الله وعـقابه، فكيف بالمؤمن المسلم وهى مخلوطة بلحمه ودمه؟ فلو صرح بها فى كلامه لم يفخم هذا التفخيم، وهذا الحديث رواه الصحابى عن الصحابى.

---

[٤١] ضعـيف: أخرجه بنحـوه الإمام أحمد فى المسنـد (٦/١) وضعف إسناده الشيخ أحـمد شاكر فى شـرحه للمسند (١/ ١٦٥، ح: ٢٠).

(*) فى (ط) «يؤثر»وما أثبتناه من (ك).

٤٢ ـ * وعن المقداد، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يَبْقى على ظهر الأرض بيتُ مَدَرٍ ولا وبر إلا أدخله الله كلمةَ الإسلام، بعز عزيز وذُل ذليل، إمَّا يعزهُم اللهُ يجعلُهم من أهلها، أو يُذلُّهم فيدينون لها». قلت: فيكون الدينُ كلُّه لله. رواه أحمد[٤٢].

٤٣ ـ * وعن وهب بن مُنبِّه، قيل له: أليسَ لا إله إلا اللهُ مفتاحَ الجنة؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاحٌ إلا وله أسنان، فإن جئتَ بمفتاحٍ له أسنانٌ فُتح لك، وإلا لم يُفتح لك. رواه البخارى فى ترجمة باب[٤٣].

الحديث السابع عن المقداد: قوله: «بيت مدر ولا وبر» أى البوادى، والمدن، والقرى، وهو من وبر الإبل ؛ لأن بيوتهم يتخذونها منه، والمدر جمع مدرة، وهى اللبنة.

قوله: «إلا أدخله كلمة التوحيد» فاعل «أدخل» الله وإن لم يجر له ذكر، بدليل تفصيله بقوله: «إما يعزهم الله». و«كلمة» منصوب مفعوله، والضمير المنصوب ظرف، و«بعز» حال، أى أدخل الله تعالى كلمة الإسلام فى البيت متلبسة بعز شخص عزيز، أى يعزه الله بها، وهو من قوله تعالى: ﴿**هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾(١).

قوله: «فيدينون» من: دان الناس، أى ذلوا وأطاعوا، وتنكير الوبر والمدر والعز والذل، للاستيعاب، فالفاء فى «فيكون» إذًا جواب شرط محذوف، أى إذا كان كذلك فيكون الغلبة لدين الله طوعًا وكرهًا.

الحديث الثامن عن وهب: قوله: «قال بلى ولكن ليس ـ إلى آخره» هو من القول بالموجب، قرر سؤاله ثم ذكر مستدركًا، أى نعم هو مفتاح، لكن غير نافع إن لم تصحبه(*) الأسنان المعنى بها الأركان الأربعة: من الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج. كقوله:

وإخوان حسبتهم دروعًا ... فكانوها(٢) ولكن للأعادي(٣)

---

[٤٢] صحيح: أخرجه أحمد فى المسند (٦/ ٤) وفيه «أو ذل» بدل «وذل»، وبنحوه الحاكم فى المستدرك (٤/ ٤٣٠) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى، وبنحوه أيضًا البيهقى فى «السنن الكبرى» (٩/ ١٨١) وصحح إسناده الشيخ الألبانى فى تخريجه للمشكاة (١/ ٢٠)، وقد علق الشيخ الألبانى على كلام الحاكم السابق من أن الحديث على شرط الشيخين بهامش تحذير الساجد (ص ١٧٤) ط٣ بقوله: (وهو على شرط مسلم).

[٤٣] رواه البخاري أى معلقًا . أفاده الشيخ ناصر في تعليقه على المشكاة.

(١) الصف: ٩ (٢) في ط وكانواها والتصويب من ك (٣) البيت لابن الرومي في ديوانه ٢/ ٨٠٩.

(*) فى ط «يصحبه بالياء، والتصويب من (ك).

٤٤ ـ * وعن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحسنَ أحدُكم إسلامَه، فكلُّ حسنة يعملها تُكتَبُ له بعشْر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكلُّ سيِّئة يعمَلُها تكتَبُ بمثلها حتى يلقى اللهَ». متفق عليه.

٤٥ ـ* وعن أبي أمامة (رضى الله عنه)، أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: ما الإيمانُ؟ قال: «إذا سرَّتْك حَسَنَتُك، وساءتْك سيئتُك؛ فأنتَ مُؤمنٌ». قال: يا رسول الله! فما الإثمُ؟ قال: «إذا حاكَ في نفسِكَ شيءٌ فدَعْهُ». رواه أحمد[٤٥].

٤٦ ـ* وعن عمرو بنَ عَبَسة (رضى الله عنه)، قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت:

قوله: «فى ترجمة باب» من عادته أن يذكر بعد الباب حديثًا معلقًا بغير إسناد فيه بيان ما يشتمل عليه أحاديث الباب، ويضيف إليه الباب.

الحديث التاسع عن أبى هريرة (رضى الله عنه): قوله: «إذا أحسن» أى أجاد وأخلص، كقوله تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن﴾(١). [قوله: «إلى سبعمائة» إلى لانتهاء الغاية، فيكون ما بين العشرة إلى سبعمائة درجات بحسب الأعمال، ومنه قوله ﷺ «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»(٢). الجوهرى: الضعف المثل، وضعفاه مثلاه، وأضعافه أمثاله(*)].

الحديث العاشر عن أبى أمامة: قوله: «إذا سرتك حسنتك» يعنى إذا صدرت منك طاعة، وفرحت بها مستيقنًا بأنك تثاب عليها، وإذا أصابتك معصية وندمت عليها، فذلك علامة الإيمان بالله واليوم الآخر. قوله: «حاك فى نفسك» أى أثر فيها، والحيك أثر القول فى القلب، يقال: ما يحيك فيه الملامة، إذا لم يؤثر فيه. فإن قلت: قوله: «ما الإثم» إما أن يكون سؤالا عن حقيقته أو عن صفته، وعلى التقديرين لا يكون الجواب مطابقًا. قلت: السؤال عن الوصف، وفى الجواب تقدير، أى هو الذى يؤثر فى النفس الشريفة القدسية تأثيرًا لا ينفك عن تنفير، وعلى هذا المنوال جواب الإيمان.

---

[٤٥] صحيح: أخرجه أحمد فى المسند (٥/ ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٦)، والحاكم فى المستدرك (١/ ١٤، ٢/ ١٣) وقال عند الموضع الأول: (هذه الأحاديث كلها صحيحة متصلة على شرط الشيخين) ووافقه الذهبى، وذكره الشيخ الألبانى فى الصحيحة (٥٥٠) وقال معلقًا على كلام الحاكم السابق: (إنما هو على شرط مسلم وحده).

[٤٦] صحيح: جزء من حديث طويل أخرجه أحمد فى المسند (٤/ ٣٨٥) واللفظ له، وأصل الحديث عند مسلم وغيره.

(١) البقرة: ١١٢.

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب الصلاة (باب الصلاة في مسجد السوق) وفي كتاب الأذان (باب فضل صلاة الجماعة) ٤/ ٢٨٥ وفي كتاب البيوع. ورواه مسلم في كتاب الصلاة. (باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة) (٦٤٩)

(*) هناك اضطراب فى ترتيب هذه الفقرة فى (ط) والصحيح ما أثبتناه كما فى (ك).

يا رسـول الله! مَنْ معكَ على هذا الأمـر؟ قال: «حُـرٌّ وعَبْـدٌ». قلت: ما الإسـلام؟ قـال: «طيبُ الكلام، وإطـعـامُ الطـعـام». قـلتُ: مـا الإيمـانُ؟ قـال: «الـصَّـبـرُ والسَّـماحـةُ». قال: قلت: أي الإسـلام أفضل؟ قـال: «من سلم المسلمون من لسـانه ويده». قال: قلتُ: أيُّ الإيمان أفضلُ؟ قال: «خُلقٌ حَسَنٌ». قال: قلتُ: أيُّ الصلاة أفضلُ؟ قال: «طولُ القنوت». قال: قلت: أي الهجرة أفضلُ؟ قال: «أن تهجُر ماكَرِهَ ربُّك». قال: فقلت: فأيَ الجهاد أفضـلُ؟ قال: «من عُقِرَ جوادهُ وأُهْرِيقَ دمُه». قال: قلت: أي الساعات أفضلُ؟ قال: «جوفُ الليل الآخر» رواه أحمد[٤٦].

الحديث الحادى عشر عن عمـرو: قوله: «من معك على هذا الأمر؟» أى من يوافقك على ما أتيت به من الدين؟ قـال: «كل واحـد من الحـر والعبـد». وقـوله: «طيب الكلام» جـوابًا عن الإسلام حث لـه على مكارم الأخلاق، أى مـا الإسلام إلا مكارم الأخلاق، ومـن ثم سأل أى الإسلام - أى أيُّ الأخلاق - أفضل؟ ومنه إسلام عبـدالله بن سلام حين سمع قوله ﷺ: «أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام».

قوله: «من سلم المسلمون» أى إسلام من سلم، لـيطابق السؤال. قوله: «قال: طيب الكلام» هذا يقابل قوله: «المسلم من سلم المسلمون» فالأول تحليـة، والثانى تزكية، ومن حق التحلية أن تؤخر عن التزكية، فقدمت فى الحديث لأنها الغرض الأولى وإن كانت مؤخرة فى الوجود.

قوله: «الصبر والسماحة» فـسر الإيمان بهما لأن الأول يدل على الترك، والثانى على الفعل. قال الحسن: الصبر عن معصية الله، والسماحة على أداء فرض الله، ثم جمع هاتين الخليقتين(*) بالخلق الحسن، بناء على مـا قالت الصديقة (رضى الله عنها): «كـان خلقه القرآن» أى يأتمر بما أمره الله تعالـى فيه، وينتهى عـما نهى الله عنه. ويجوز أن يحمـلا على الإطلاق ويكون قوله: «خلق حسن» بعد ذكرهما(**) كالتفـسير له؛ لأن الصبر على أذى الناس والسمـاحة با لموجود يجمعها الخلق الحسن، وفـيه معنى قوله تعالى: ﴿**ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن**﴾(١) يعنى إذا اعـترضتك حـسنتان فـادفع بأحسنهـما السيئـة التى ترد عليك من بعض أعدائك، فمـن أساء إليك إساءة فالحـسنة أن تعفو عنه، والتى هى أحسن أن تحـسن إليه مكان إساءته إليك، مثل من يذمـك تمدحه، ومن يقتل ولدك فتفـدي ولده من يد عدوه، ثم قال الله تعالى: ﴿**وما يلقـاها إلا ذو حظ عظيم**﴾(٢) أى ما يلقى هذه الخليـقة والسجيـة إلا أهل الصبر

---

[٤٦] صحيح: جزء من حديث طويل أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٣٨٥) واللفظ له، وأصل الحديث عند مسلم وغيره.

(١) فصلت: ٣٤ (٢) فصلت: ٣٥

(*) كذا فى (ط) وفى ك (الخلتين). (**) فى (ط) (ذكرها) والتصويب من (ك).

٤٧ ـ* وعن معاذ بن جبل، رضى الله عنه، قـال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من لَقى الله لا يُشرِكُ به شيئًا، ويُصلى الخـمسَ، ويصومُ رمضانَ؛ غُفر له». قلت: أفلا أبشرهم يا رسولَ الله، قال: «دَعْهُمْ يَعْملوا» رواه أحمد [٤٧].

٤٨ ـ* وعنه أنه سألَ النـبىَّ ﷺ عن أفضل الإيمان؟ قال: «أن تُحـبَّ لله، وتُبْغضَ لله، وتُعملَ لسـانكَ فى ذكر الله». قال: وماذا يا رسـولَ الله؟ قال: «أن تُحبَّ للناسِ ما تحبُّ لنفسِك، وتكْرَه لهم ما تكرهُ لنفسِك» رواه أحمد[٤٨].

الذى وفق ▼ لحظ عظيم من الخير. وقـوله: ﷺ: «صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك»(١) فصَّل ثم أجمل لمزيد الاهتمام.

قوله: «وطول الـقنوت» القنوت يرد على معـان متعـددة: كالطاعـة، والخشـوع، والصلاة، والدعاء، والعبـادة، والقيام، وطول القيـام، والسكوت؛ فيصرف فى كل واحـد من هذه المعانى إلى ما يحتمله لفظ الحديث الوارد(*). وقال ابن الأنبارى: القنوت على أربعـة أقسام: الصلاة، وطول القيام، وإقامة(**) الطاعة، والسكوت، ويجوز أن يراد هنا القيام، والخشوع، والسكوت.

الحديث الثانى عشر والثالثِ عشر عن معاذ: قوله: «وماذا يا رسول الله» أى ماذا أصنع بعد ذلك؟ و«مـاذا» يجـوز أن يكون منصـوبًا بأصنـع بمعنى أى شىء أصنع؟ وأن يكون مـرفـوعًـا بالابتداء، بمعنى أى شىء أصنعه؟ فـعلى الأول يكون قوله: «أن تحب للناس»▲ منصوبًا، وعلى الثانى مرفوعًا، والحديثان لوضوحهما غنيان عن الشرح.

---

[٤٧] صـحيح: أخـرجه أحـمد فى المسند (٥/ ٢٣٢)، وصـحح إسناده الشيـخ الألبانى فى تخـريجه للمـشكاة (١/ ٢١)، وفى الصحيحة (١٣١٥).

[٤٨] أخرجه الإمام أحمد فى المسند (٥/ ٢٤٧).

(١) أخرجه ابن كثير ٣: ٥٣٦، ٨: ٥٤٦ والسيوطي في الدر المنثور ٣: ١٥٤.

▼ فى ط (وقف) وهو خطأ، والتصويب من (ك).

(*) سقطت فى (ط) وأثبتناها من (ك).

(**) فى ط: (وإقام) والتصويب من (ك).

▲فى ط (الناس) والتصويب من (ك).

(١) باب الكبائر وعلامات النفاق
الفصل الأول

٤٩ ـ* عن عبدالله بنِ مسعود، رضى الله عنه، قال: قال رجلٌ: يا رسول الله! أىُّ الذَّنبِ أكبرُ عندَ الله؟ قال: «أن تدْعُوَ لله نِداً وهو خَلَقَك» قال: ثم أى؟ قال: «أن

باب الكبائر وعلامات النفاق

الفصل الأول

الحديث الأول عن عبدالله بن مسعود: قوله: «أى الذنب أكبر؟» «شف»: الذنب الجرم، وهو بحسب المغفرة على ثلاثة أقسام: قسم لا يغفر، وهو الشرك بالله تعالى وقسم يرجى أن يغفر بالاستغفار والتوبة، وهو ما بين الله تعالى وبين عبده، وقسم يحتاج إلى التراد(*)، وهو حقوق الآدميين، نقول: والتراد على أقسام، إما في الدنيا بالاستحلال، أو رد العين، وإما فى الآخرة برد ثواب الظالم(**) إليه، أو أن الله تعالى يرضى المظلوم بفضله ولطفه، كما سيجىء فى حديث عرفة.

«الكشاف»: والصغيرة والكبيرة بإضافتهما إما إلى طاعة، أو معصية[١]، أو ثواب فاعلهما، أى الصغيرة والكبيرة أمران نسبيان، فلابد من أمر آخر يقاس عليه، وهو أحد هذه الأمور الثلاثة، فكل ما يُكفر بمثل الصلاة فهو من الصغائر، لقوله تعالى: ﴿**أقم الصلاة طرفى النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾[٢] فإنها نزلت فى تقبيل أبى اليسر المرأة، ولقوله ﷺ: «ما من مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة، وذلك الدهر كله»[٣]. وكل ما يكفَّر بمثل الإسلام والهجرة فهو من الكبائر، لقوله ﷺ «إن الإسلام يهدم ما كان قبله، وإن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وإن الحج يهدم ما كان قبله»[٤]. أما المعصية فكل معصية يستحق فاعلها بسببها وعيداً وعقابًا أريد من الوعيد والعقاب المستحق بسبب معصية أخرى فهى كبيرة، وتلك صغيرة. وأما فاعلهما • فهو أن فاعل المعصية إن كان من المقربين فالصغيرة بالنسبة إليه كبيرة؛ لما روى:

---

(١) وفي نسخة: «.... بإضافتهما إلى طاعة الله أو معصيته» (المصحح). (٢) هود: ١١٤

(٣) رواه البيهقي ١٠/١٨٧. (٤) سبق تخريجه برقم (٢٨).

* أى رد الحقوق إلى أصحابها.

** فى (ط) (المظالم) وما أثبتناه من (ك).

• فى (ط) (ثواب فاعلهما) ولا يخفى بعده، وما أثبتناه من (ك).

«حسنات الأبرار سيئات المقربين»(١). «قض» في تفسيره: ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الأشخاص والأحوال، ألا ترى أنه تعالى عاتب نبيه ﷺ فى كثير من خطراته التى لم تعد على غيره بخطيئة فضلا أن يؤاخذ.

قال التوربشتى واختصره القاضى: ليس لقائل أن يقول: كيف عد الكبائر ههنا ثلاثًا، وأربعًا فى حديث ابن عمر وأنس، وسبعًا فى حديث أبى هريرة؟ لأنه ﷺ لم يتعرض للحصر فى شيء من ذلك، ولم يعرب عنه كلامه، أما فى هذا الحديث فظاهر، وأما فى حديث ابن عمر فلأن الحكم فيه مطلق، والمطلق لا يفيد الحصر، والذى نقول: إنه ﷺ أنهى فى كل مجلس ما أوحى الله إليه ﷺ وألهم، أو سنح له باقتضاء أحوال السائل، وتفاوت الأوقات، فالأولى والأضبط أن نجمع كلها، ونجعلها مقيسًا عليها على ما قال الإمام عز الدين بن عبدالسلام السلمى فى كتاب قواعد الشريعة: إذا أردت معرفة الفرق بين الصغائر والكبائر فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها، فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهى من الصغائر، وإن ساوت أدنى مفاسد(*) الكبائر فهى من الكبائر؛ فحكم القاضى بغير الحق كبيرة، فإن شاهد الزور متسبب متوسل، فإذا جعل السبب كبيرة فالمباشرة أكبر من تلك الكبيرة، فلو شهد اثنان بالزور على قتل موجب للقصاص، فسلمه(**) الحاكم إلى الولى فقتله، وكلهم عالمون بأنهم باطلون، فشهادة الزور كبيرة، والحكم بها أكبر منها، ومباشرة القتل أكبر من الحكم.

قوله: «أن تدعو لله ندًا» الند - بالكسر - والنديد، والنديدة، مثل الشيء الذى يضاده ويناوئه فى أموره. «غب»: ند الشيء مشاركه فى جوهره، وذلك ضرب من المماثلة، فإن المثل يقال فى أى مشاركة كانت، فكل ند مثل لا عكسه. والضد هو أحد المتقابلين، وهما الشيئان المختلفان اللذان لا يجتمعان فى شيء واحد. الدعاء: النداء، ويستعمل استعمال التسمية، نحو، دعوت ابنى زيدًا، أى سميته، ودعوته إذا سألته واستعنته،« ادع لنا ربك» أى سله، «أغير الله تدعون، بل إياه تدعون»، أى تستغيثون. والدعاء ههنا متضمن معنى الجعل، أى يجعلون لله ندًا، كقوله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا﴾(٢) يعنى بسبب عبادتكم الأصنام، وتعظيمكم إياها، وتسميتها آلهة - أشبهت حالكم حال من يعتقد أنها آلهة مثله.

قوله: «وهو خلقك» الواو فيه للحال. «مظ»: وأكبر الذنوب أن تدعو لله ندًا شريكًا، مع علمك بأنه لم يخلقك أحد غير الله، ولم يقدر على أن يدفع عنك السوء والمكاره غيره، بل لله عليك الإنعام مما لا تقدر على عده●. قوله: «ثم أى» التنوين فى «أى» عوض عن المضاف إليه،

(١) ليس حديثا مرفوعًا، ولكنه يروى من كلام أبي سعيد الخزاز، كما رواه ابن عساكر في ترجمته، وهو من كبار الصوفية مات في سنة مائتين وثمانين، قال: العجلونى: "وعدّه بعضهم حديثا وليس كذلك" انظر كشف الخفاء العجلونى ح/١١٣٧.

* فى ط (مفاسدة) والتصويب من (ك). ** فى ط (فسلم) والتصويب من (ك).

● فى ط (لا يقدر على حده) وما أثبتناه من (ك).

(٢) البقرة: ٢٢.

تقتلَ ولدَكَ خشـيةَ أن يطعَم معك». قال: ثم أيٌّ؟ قـال: «أن تزانى حليلةَ جارِك». فأنزل اللهُ تعـالى تصديقَهـا: (والذينَ لا يَدْعونَ مع الله إلهًا آخـر، ولا يَقتُلونَ النَّفس التى حرَّم اللهُ إِلا بالحَق ولا يَزْنون) الآية [الفرقان:٦٨] [متفق عليه].

٥٠ ـ * وعن عبـدِالله بن عمرٍو، قـال: قال رسول الله ﷺ: «الكبـائرُ: الإشراكُ

وأصله: ثم أى شىء من الذنوب أكبر بعد الكفر؟ الحليلة: الزوجة، والحليل: الزوج؛ لأن كلا منهما حلال للآخر، من: حل يحل ـ بالكسر ـ أى مباح، أو حال عنده من حل يحل ـ بالضم ـ كما سـمى الجار حليلا. فـإن قلت: ما معنى «ثم»؟ فإن تراخى الزمـان لا يتصور فـيه، وكذا التراخى فى المرتبـة لوجوب كون المعطـوف بها أعلى رتبة من المعطوف عليـه، وههنا بالعكس. قلت: معـناه التراخى فى الإخبـار، كأنه قـال: أخبرنى عـن أوجب ما يهمنى السـؤال عنه من الذنوب، ثم الأوجب فالأوجب. «مظ»: لا خلاف فى أن أكبر(*) الذنوب بعد الكفر قتل نفس مسلمة بغير الحق.

قوله: «خشيـة أن يطعم معك» يعنى قتل الولد أكبر من سـائر الذنوب، وقتله من خوف أن يطعم طعامك أيضًـا ذنب؛ لأنك لا ترى الرزق من الله تعالى.قـوله: «أن تزانى حليلة جارك» يعنى الزنا ذنب كبـير وخاصة مـع من سكن جوارك، والتجأ بأمـانتك، وثبت بينك وبينه حق الجوار، وقال رسول الله ﷺ فـى حديث آخر: «ما زال يوصينى جبـريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»(١) فالزنا بزوجة جـاره يكون زنًا، وإبطال حق الجوار والخيانة معـه، فيكون أقبح، وإذا كان الذنب أقبح يكون الإثم أعظم. هذا الكلام حسن متين.

واعلم أن قتل ولدك، وحـليلة جارك (**) يوهم أنه إذا لم يكن مـقيدًا لم يكن الـفعل من الكبائر، ودفع هذا الوهم أن يقال: مثل هذا النهى غـالبًا إنما ورد على الأمر الواقع المخصوص، وهو من مفهـوم اللقب، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾(٢) فإنه مثل قـوله ﷺ: «أن تقتل ولدك خـشية أن يطعم مـعك» وقد اتفقـوا على أنه من باب مفـهوم اللقب، وهذا يعضد ما ذهبنا إليه أن اختـلاف الأحاديث فى عدد الكبائر بحسب ما سنح له ﷺ على مقتضى حال السائل، وتفاوت الأوقات والمجالس.

قولـه: «فأنزل الله تصـديقهـا» الضمـير راجع إلى هذه المسـألة، أو الأحكام، أو الواقـعة، و«تصديقها» مفعول له، أى وأنزل الله هذه الآية تصـديقًا لها. وفيه دليل على جواز تقرير السنة وتصديقها بالكتاب.

---

(١) أخرجاه في الصحيحين، انظر الإرواء (٨٩١).

(٢) الإسراء: ٣١

(*) سقطت في (ط) وأثبتناها من (ك).

(**)كذا فـى الأصل والتقـدير «والزنا بحليلة جـارك» فحـذف لفظ الزنا كراهيـة لتكراره، ولأن قصـة الكلام معلومة، فكأن المراد وقصة حليلة جارك والله أعلم.

بالله، وعقوقُ الوالدين، وقتلُ النفس، واليَمينُ الغَموس». رواه البخاري.

٥١ ـ * وفى رواية أنس: «وشهادةُ الزُّور» بدل: اليمينُ الغَموس» متفق عليه.

٥٢ ـ * وعن أبى هريرة، قال: قال: رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبعَ الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هنَّ؟ قال: «الشِّركُ بالله، والسِّحرُ، وقتلُ النَّفْس التى حرَّم

الحديث الثانى عن عبدالله بن عمرو: قوله: «الكبائر الإشراك بالله» وهو جعل أحد شريكًا لآخر، والمراد هنا اتخاذ إله غير الله. والعقوق مخالفة من حقه واجب، وعقوق الوالدين عصيان أمرهما، وترك خدمتهما. «واليمين الغموس» هو أن يحلف الرجل على الماضى متعمدًا الكذب، بأن يقول: والله فعلت كذا أو والله ما فعلت كذا، وهو يعلم أنه كاذب ما فعله، أو أنه فعله. وقيل: اليمين الغموس أن يحلف الرجل كاذبًا ليذهب بمال أحد، وسمى غموسًا لأنه يدخل صاحبه فى النار، أو فى الإثم، أو فى الكفارة.

قوله: «شهادة الزور» الزور أعلى الصدر، وزرت فلانًا تلقيته بزورى، أو قصدت زوره نحو وجهته. وقيل للكذب زورًا لكونه مائلا عن جهته، قال الله تعالى: **﴿والذين لا يشهدون الزور﴾**[1].

قوله: «بدل اليمين» نصب على الظرف، أى مكان اليمين على الكناية؛ لأن من أبدل شيئًا من شيء فقد وضعه مكانه. فإن قلت: لم ذكر فى حديث ابن مسعود الكبائر بـ«ثم» المستدعية للتراخى فى الرتبة مجازًا، وفى حديث عبدالله بن عمرو بالواو وهى لا تقتضى الترتيب؟ أجاب التوربشتى بقوله: يحتمل أن يكون قتل الولد وعقوق الوالدين فى مرتبة، واليمين الغموس والزنا بحليلة الجار فى مرتبة، أو يكون اليمين الغموس وقتل النفس فى مرتبة. والأظهر أنه ﷺ أجاب الرجل على مقتضى حاله، وصدور هذه الخصال منه، كما سبق أنه مما أوحى إليه أو عرف حاله معجزة، وفى الحديث الأخير سرد الخصال سردًا لا على الترتيب.

الحديث الثالث عن أبى هريرة (رضى الله عنه): قوله: «اجتنبوا» ابعدوا، افتعال من الجنب، وهو أبلغ من «لا تشركوا» نحو قوله تعالى: **﴿ولا تقربوا الزنا﴾**[2] **﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾**[3]؛ لأن نهى القربان أبلغ من نهى المباشرة. و«الموبقات» جمع الموبقة، وهى الخصلة المهلكة، أجمل بها وسماها مهلكات، ثم فصلها ليكون أوقع فى النفس، وليؤذن بأنها نفس المهلكات، كقوله تعالى: **﴿زين للناس حب الشهوات من النساء﴾**[4]. «التولى» الإعراض عن الحرب والفرار منه، يعنى الفرار من الكفار إذا كان بإزاء كل مسلم كافران من الكبائر، وإن كان

---

(١) الفرقان: ٧٢
(٢) الإسراء: ٣٢
(٣) البقرة: ٧٢
(٤) آل عمران: ١٤

اللهُ إلا بالحق، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مال اليتيم، والتولى يومَ الزَّحف، وقذفُ المحصنَات المؤمِنات الغافِلات». متفق عليه.

٥٣ ـ * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزْنى الزانى حين يزْنى وهو مُؤمنٌ، ولا يسرقُ السَّارقُ حين يَسرِقُ وهو مؤمنٌ، ولا يشربُ الخمرَ حين يشربُها وهو مؤمنٌ،

بإزاء كل مسلم أكثر من كافرين يجوز الفرار. «الزحف» الجماعة الذين يزحفون إلى العدو، أى يمشون إليهم، مشتقة من: زحف الصبى، إذا دب على إسته.

قوله: «قذف المحصنات» «شف»: القذف الرمى البعيد، استعير للشتم والعيب والبهتان، كما استعير الرمى. «المحصنات» جمع محصنة ـ بفتح الصاد ـ مفعولة، أى التى أحصنها الله تعالى وحفظها من الزنا، و ـ بكسرها ـ اسم فاعلة، أى التى حفظت فرجها من الزنا. و«الغافلات» كناية عن البريئات؛ لأن البرىء غافل عمَّا بهت به من الزنا. واحترز بـ«المؤمنات» عن قذف الكافرات؛ فإن قذفهن ليس من الكبائر، فإن كانت ذمية فقذفها من الصغائرلا يوجب الحد، وفى قذف الأمة المسلمة التعزير دون الحد، والتعزير يتعلق باجتهاد الإمام، وإن كان المقذوف رجلا يكون القذف أيضًا من الكبائر، ويجب الحد أيضًا.

الحديث الرابع عن أبى هريرة (رضى الله عنه): قوله: «لا يزنى الزانى» الحديث، قال المالكى: ومن حذف الفاعل قول النبى ﷺ: «ولا يشرب الخمر حين يشربها» وكذا قوله: «ولا ينتهب نهبة، ولا يغل، ولا يقتل» أى لا يشرب شارب، ولا ينتهب ناهب، ولا يغل غال، ولا يقتل قاتل، كقوله تعالى: **﴿ولا يحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله﴾**(١) فى قراءة هشام، أى لا يحسبن حاسب.

وأقول: تكلم فيه العلماء أقوالا كثيرة. «مظ»: ذكر منها قولين، وقال: هذا وأشباهه لنفى الكمال، أى لا يكون كاملا فى الإيمان حالة كونه زانيًا، ويحتمل أن يكون لفظه لفظ الخبر، ومعناه النهى، وقد اختار هذا التأويل بعض العلماء، والأول أولى؛ لأنا لو قلنا بالثانى لم تبق بالتقييد بالظرف والحال فائدة؛ لأن الزنا منهى عنه فى جميع الأديان، وليس مختصًا بالمؤمنين.

وأقول: يمكن أن يقال: المراد بالإيمان المنفى الحياء، كما سبق: أن الحياء شعبة من الإيمان، أى لا يزنى الزانى حين يزنى وهو يستحيى من الله تعالى؛ لأنه لو استحيى من الله تعالى واعتقد أنه حاضر شاهد لحاله لم يرتكب هذا الفعل الشنيع، مثل حياءه فيه ثم وقاحته وخروج الحياء منه ثم نزعه عن الذنب وإعادة الحياء إليه بتشبيك الرجل أصابعه، ثم إخراجها منها ثم إعادتها إليها كما كانت، على ما روى عكرمة عن ابن عباس تخويفًا له، وردعًا حيث صورت بهذه الصورة. ويعضده حديث أبى هريرة: «إذا زنى العبد خرج منه الإيمان ـ إلى قوله ـ كأنه ظلة»(٢) وهذا التأويل يوافق قول الأول؛ لأنه إذا انتفى الحياء الذى هو شعبة من شعب الإيمان، ينتفى

---

(١) آل عمران: ١٦٩ وهى فى حفص: «ولا تحسبن».

(٢) صحيح: وسيأتى تخريجه برقم [٦٠].

ولا ينتهِبُ نُهبةً يرفعُ الناسُ إليه فيها أبصارَهم حين ينتهبُها وهو مُؤمنٌ، ولا يَغلُّ أحَدُكم حين يَغلُّ وهو مؤمنٌ؛ فإيَّاكم إياكم» متفق عليه.

كمال الإيمان؛ لأن الكل ينتفى بانتفاء الجزء، ونحوه «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له».

ومصداقه قوله ﷺ: «الاستحياء من الله حق الحياء: أن يحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى»(١). وما وعى الرأس: هو اللسان، والفم، والسمع، والبصر. وما حوى البطن والسرة: وهو ما دار عليها من القلب، والفرج، واليدين، والرجلين. فلو استحيى هذا الرجل من الله تعالى حق الحياء، لحفظ الفرج من الزنا، والعين من النظر إلى المحارم ـ كما ورد: «زنى العين النظر» ـ واليد من السرقة والغصب، والرجل من المشى إلى حوانيت الزوانى، والغارة ونهب أموال المسلمين، والفم من شرب الخمر وأكل الحرام، والقلب من الغل والحقد المؤديين إلى قتل النفس والجناية؛ لأنه لو حفظ منها ما غل أموال المسلمين، ومن الزنى لأن زنى القلب الاشتهاء، واللسان فإنه ملاك ذلك كله، ولو حفظه ما وقع فيها؛ لما ورد «كف عليك هذا». ويجوز أن يكون من باب التغليظ والتشديد، كقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر﴾(٢) يعنى: هذه الخصال ليست من صفات المؤمنين؛ لأنها منافية لحالتهم، فلا ينبغى أن يتصفوا بها، بل هى من أوصاف الكافرين. وينصره قول الحسن، وابن جعفر الطبرى: إن المعنى:ينزع منه اسم المدح الذى سمى به أولياؤه المؤمنون، ويستحق اسم الذنب، فيقال: سارق، وزان، وفاجر، وفاسق ـ انتهى كلامه. قال الله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لا يستوون﴾(٣)

قوله: «ولا ينتهب» انتهب ونهب، بفتح العين* فى الماضى والغابر** إذا أغار على أحد، وأخذ ماله قهرًا. «النهبة» ـ بفتح النون ـ المصدر، وبالضم المال الذى انتهبه الجيش فيها، أى فى تلك النهبة. «أبصارهم» مفعول «يرفع»، يعنى: أخذ الرجل مال قوم قهرًا وظلمًا؛ وهم ينظرون إليه، ويتضرعون ويبكون، ولا يقدرون على دفعه، فهذا ظلم عظيم لا يليق بحال من هو مؤمن. «يغل» ـ بفتح الغين فى الماضى وضمها فى الغابر (***) ـ إذا سرق شيئًا من الغنيمة، أو خان فى أمانة. و«إياكم» منصوب على التحذير، والتكرير للتأكيد والمبالغة▲ فى التحذير والتخويف.

---

(١) ضعيف جدًا. كما قال الشيخ الألباني، وعزاه إلى الطبراني والحلية. انظر ضعيف الجامع ح/ ٩٠٥.

(٢) آل عمران: ٩٧.

(٣) السجدة: ١٨.

* يعني عين الفعل في الميزان الصرفى (فعل).

** كذا في (ط) وفى ك (الغائر).

*** كذا فى (ط) وفى ك (الغاير).

▲ فى ط: (والتأكيد للمبالغة) وما أثبتناه من(ك).

٥٤ ـ* وفى رواية ابن عباس: «ولا يقتُل حين يقتُل وهو مؤمنٌ». قال عكرمة: قلت لابن عباس: كيف ينزعُ الإيمان؟ قال هكذا، وشبَّك بين أصابعه ثم أخرجها، فإن تاب عاد إليه هكذا، وشبك بين أصابعه. وقال أبو عبدالله: لا يكون هذا مؤمنًا تامًا، ولا يكون له نورُ الإيمان. هذا لفظ البخارى.

٥٥ ـ* وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث». زاد مسلم: «وإن صامَ وصلى وزعم أنه مسْلم»، ثم اتفقا: «إذا حدَّث كذبَ، وإذا وعدَ أخلف، وإذا اؤتُمِنَ خان»[٥٥].

الحديث الخامس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «آية المنافق ثلاث» الآية العلامة. وإنما خص هذه الثلاثة بالذكر؛ لأنها مشتملة على المخالفة التى عليها مبنى النفاق، من مخالفة السر والعلن. فالكذب: هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به والأمانة حقها أن تؤدى إلى أهلها، فالخيانة مخالفة لها. والخلاف فى الوعد ظاهر؛ ولذلك صرح بأخلف.

النفق سرب فى الأرض، له مخلص إلى مكان. و«النافقاء»: إحدى جحرتى اليربوع، وهو موضع يدققه، فإذا أتى من قبل القاصعاء ـ وهو جحره الذى يقصع فيه أى يدخل ـ ضرب النافقاء برأسه، فانتفق أى خرج، يقول: نافق اليربوع أى أخذ فى نافقائه. ومنه اشتقاق المنافق: وهو الذي يدخل فى الشرع من باب ويخرج من باب، أيضًا يكتم الكفر، ويظهر الإيمان، كما أن اليربوع يكتم النافقاء، ويظهر القاصعاء، كانوا يظهرون الإسلام تسترًا به، وهم مقيمون على كفرهم.

قوله: «وإن صام، وصلى» التثنية للاستيعاب، أى وإن عمل أعمال المسلمين من الصوم، والصلاة وغيرهما من العبادات. وهذا الشرط اعتراض وارد للمبالغة لا يستدعى الجواب، كذا عن صاحب الكشاف. «شف»: وفى الحديث دليل على ما ذهب إليه الحسن البصرى: من أن صاحب الكبيرة منافق. وعنه رضى الله عنه: أنه ذكر له هذا الحديث، فقال: إن بنى يعقوب عليه السلام حدثوا فكذبوا، ووعدوا فأخلفوا، وائتمنوا فخانوا، وكان ذلك الفعل منهم نادرًا، ولم يصروا عليه، وسألوا أباهم أن يستغفر لهم، فلم يتمكن منهم صفة النفاق بخلاف المنافق؛ فإن هذه الخصال هجِّيره وعادته بدليل إتيان الجملة الشرطية مقارنة بـ«إذا» الدالة على تحقق الوقوع. «تو»: من اجتمعت فيه تلك الخصال، واستمرت أحواله عليها، فبالحرى أن يسمى منافقًا. وأما المؤمن المفتون بها؛ فإنه إن فعلها مرة تركها أخرى، وإن أصر عليها زمانًا أقلع عنها زمانًا آخر، وإن وجدت فيه خلة عدمت منه أخرى.

---

[٥٥] أخرجه مسلم ك الإيمان / باب خصال المنافق ح/ ٥٩

٥٦ ـ * وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خَصْلَةٌ من النفاق حتى يدعَها: إذا اؤتُمِنَ خانَ، وإذا حدَّث كذبَ، وإذا عاهدَ غدَرَ، وإذا خاصمَ فَجَرَ». متفق عليه.

«خط»: هذا القول إنما خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم، والتحذير له أن يعتاد هذه الخصال، فيفضى به إلى النفاق، لا أن من ندر منه هذه الخصال، أو فعل شيئًا من ذلك من غير اعتياد أنه منافق. والنفاق ضربان، أحدهما: أن يظهر صاحبه الإيمان وهو مسرٌّ للكفر، كالمنافقين على عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام، والثاني: ترك المحافظة على حدود أمور الدين سرًا، ومراعاتها علنا، فهذا سمى منافقًا؛ ولكنه نفاق دون نفاق، كما قال ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»(١)؛ وإنما هو كفر دون كفر.

الحديث السادس عن عبد الله بن عمرو: قوله: «أربع» يحتمل أن يكون هذا مختصًا بأبناء زمانه؛ فإنه عليه الصلاة والسلام علم بنور الوحى بواطن أحوالهم، وميزبين من آمن به صدقًا، ومن أذعن له نفاقًا، وأراد تعريف أصحابه على حالهم؛ ليكونوا على حذر منهم، ولم يصرح بأسمائهم(*)؛ لأنه عليه الصلاة والسلام علم أن منهم من سيتوب، فلم يفضحهم بين الناس، ولأن عدم التعيين أوقع في النصيحة (**)، وأجلب للدعوة إلى الإيمان، وأبعد عن النفور والمخاصمة. ويحتمل أن يكون عامًا لينزجر الكل عن هذه الخصال على آكد وجه؛ إيذانًا بأنها طلائع النفاق الذى هو أقبح القبائح، كأنه كفر مموه باستهزاء وخداع مع رب الأرباب ومسبب الأسباب. فعلم من ذلك أنها منافية لحال المسلمين، فينبغى للمسلم أن لا يرتع حولها؛ فإن من رتع (***) حول الحمى يوشك أن يقع فيه. ويحتمل أن يكون المراد بالمنافق العرفى، وهو من يخالف سره علنه مطلقًا، ويشهد له قوله عليه الصلاة والسلام: «من كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها» وكذا قوله: «كان منافقًا خالصًا»؛ لأن الخصائل التى تتم بها المخالفة بين السر والعلن لا تزيد على هذا، فإذا نقصت منها خصلة نقص الكمال ـ انتهى كلامه.

فإن قلت: أى الرذائل أقبح؟ قلت: الكذب؛ ولذلك علل سبحانه وتعالى عذابهم في قوله: ﴿ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ (٢) ولم يقل بما كانوا يصنعون من النفاق؛ ليؤذن بأن الكذب قاعدة مذهبهم وأُسّه ▲، فينبغي للمؤمن المصدق أن يجتنب عنه؛ لأنه مناف لوصف الإيمان والتصديق.

---

(١) البخاري ١: ١٩، ٨: ١٨، ٩: ٦٣، مسلم ب ٢٨ رقم ١١٦

(٢) البقرة: ١٠

(*) في ط(بإيمانهم) والصحيح ما أثبتناه من (ك).

(**) فى ط (الفضيحة). والصحيح ما أثبتناه من (ك).

(***) في ط (أرتع) وما أثبتناه من ك .

▲ فى ط (قاعدة لمذهبهم وأسُسه) وما أثبتناه من (ك) وهو الأوفق للسياق.

٥٧ ـ * وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: مثلُ المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين تعيرُ إلى هذه مرةً وإلى هذه مرةً» . رواه مسلم. [٥٧]

الفصل الثاني

٥٨ ـ* عن صفوانَ بن عسّال، قال: قال يهوديٌ لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي ﷺ. فقال له صاحبه: لا تقل: نبي، إنَّه لو سمعكَ لكان لهُ أربعُ أعيُنٍ. فأتيا رسولَ

و«الفجور»: في اللغة الميل والشق، فهو ـ إما ميل عن القصد المستقيم، وإما شق ستر الديانة، والمراد هنا الشتم والرمي بالأشياء القبيحة والبهتان، بقرينة قوله«إذا خاصم فجر». لا منافاة بين قوله:«آية المنافق ثلاث» وقوله: «أربع من كنّ فيه فهو منافق» لأن الشيء الواحد قد يكون له علامات، كل واحد منها يحصل بها صفة، فتارة يذكر بعضها، وأخرى جميعها أو أكثرها.

الحديث السابع عن ابن عمر: قوله:«مثل المنافق» «تو»:«العائرة» أكثر ما يستعمل في الناقة، وهي التي تخرج من الإبل إلى أخرى؛ ليضربها(*) الفحل، والجمل عائر يترك الشوك إلى أخرى، ثم يتسع في المواشي. وأراد بـ«الغنمين» الثلتين، فإن الغنم اسم جنس يقع على الواحد والجمع. ضرب النبي عليه الصلاة والسلام للمنافق مثل السوء، فشبه تردده بين الطائفتين من المؤمنين والمشركين تبعًا لهواه، وقصدًا لغرضه الفاسد، وميلا إلى ما يبتغيه من شهواته ـ بتردد الشاة العائرة، وهي تطلب الفحل فتتردد بين الثلتين، فلا تستقر على حال، ولا تثبت مع إحدى الطائفتين، وبذلك وصفهم الله في كتابه فقال عز من قائل: ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾(١). أقول: وخص الشاة العائرة بالذكر إدماجًا، بمعنى سلب الرجولية عن المنافقين ، من طلب الفحل للضراب.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن صفوان: قوله:«اذهب بنا» الباء في«بنا» بمعنى المصاحبة، أي كن رفيقي لنأتيه، هذا مذهب المبرد، وصاحب الكشاف. قوله:«أربع أعين» «تو»: أي يسر لقولك (إلى)** هذا النبي سرورًا، يزداد به نورًا إلى نوره، كذي عينين أصبح يبصر بأربع أعين؛ لأن السرور يمد القوة الباصرة، كما أن الهم والحزن والكآبة يخل بها؛ ولهذا يقال لمن أحاطت به الهموم: أظلمت عليه الدنيا، وبذلك شهد التنزيل﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾(٢).

أقول: قوله:«أربع أعين» كناية عن السرور المضاعف، أي سرور بعد سرور، فلم يرد به التثنية بل الاستمرار، كما في قوله تعالى: ﴿فارجع البصر كرتين﴾(٣) وذلك أنهم يكنون عن السرور بقرة العين، قال الله تعالى: ﴿هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾(٤).

---

[٥٧] أخرجه مسلم ك التوبة / باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ح ٢٧٨٤.

(١) النساء: ١٤٣.

(٢) يوسف: ٨٤. (٣) الملك: ٣. (٤) الفرقان: ٧٤.

(*)كذا في (ط) وفي ك:(تحصل لها صفته).

(**)كذا في الأصل والأولى حذفها ليستقيم السياق.

الله ﷺ، فسألاه عن تسع آيات بيِّنات، فقال رسول الله ﷺ: لا تُشْركوا بالله شيئًا، ولا تسرِقوا، ولا تَزْنوا ، ولا تَقتُلوا النَّفْسَ التي حرَّم اللهُ إلا بالحق، ولا تمشوا ببرئ

قوله:«عن تسع آيات» والآية: هي العلامة الظاهرة، ويستعمل في المحسوسات والمعقولات فيقال لكل ما تتفاوت به المعرفة بحسب الفكر (*) والتأمل فيه، وحسب منازل الناس فى العلم: آية، ويقال لكل جملة دالة على حكم من أحكام الله تعالى: آية، ويقال لكل كلام منفصل بفصل لفظى: آية، وللمعجزة: آية؛ لما فيها من الدلالة على النبوة، وصدق من ظهرت هي بسببه، والمراد بالآيات هنا: إما المعجزات التسع المذكورة فى قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ [1] وهى : اليد، والعصا ، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنون، ونقص من الثمرات. وقيل: الطمسة وانقلاب البحر مكان اليد، والعصا، ويشهد له ما روى الترمذى ـ رحمه الله ـ أنهما سألاه عن هذه الآية ، وعلى هذا فقوله:«لا تشركوا» كلام مستأنف ذكره عقيب الجواب، ولم يذكر الراوى جوابه استغناء بما فى القرآن أو لغيره. وأما الأحكام العامة الشاملة للملل كلها، وبيانها ما بعدها.

فإن قلت: كيف يكون هذا جوابًا وهو عشرة خصال، والمسئول عنه تسع؟ قلت: الزيادة على السؤال جائز، واقع في قوله عليه الصلاة والسلام وقد سئل عن ماء البحر: «طهور ماؤه وحل ميتته» .

هذا وقوله:«وعليكم خاصة» حكم مستأنف مختص بدينها، غير شامل لسائر الأديان، لا تعلق له بسؤالهم؛ فلهذا غير سياق الكلام، والله أعلم. وقد أجيب بأنه ليس فى بعض الروايات«ولا تقذفوا المحصنة» وفى بعضها«أو لا تولوا للفرار» على الشك، وهو لا ينتهض جوابًا بالنظر إلى ما فى الكتاب.

أقول: والأظهر أن اليهود سألوا عما عندهم من الآيات المنصوصة بالعشر، وكانت تسع منها متفقًا عليها بينهم وبين المسلمين، وواحدة مختصة بهم، فسألوا عن المتفق عليها وأضمروا ما كان(**) مختصًا بهم، فأجابهم عليه الصلاة والسلام عما سألوه، وعما أضمروا؛ ليكون أدل على معجزته، ولذلك قبلا(***) يديه.

قوله:«ولا تمشوا ببرىء» الباء فى«ببرىء» للتعدية أي لا تكلموا بسوء فى من ليس له ذنب عند السلطان، كيلا يقتله، و«عليكم» خبر لـ «أن لا تعتدوا». وقيل: هى كلمة الإغراء، و«أن لا تعتدوا» مفعوله، أي الزموا واحفظوا ترك الاعتداء، و«خاصة» منون حال، و«اليهود» نصب على التخصيص، أى أعنى اليهود. ويجوز أن يكون خاصة بمعنى: خصوصًا، ويكون اليهود معمولا لفعله ، أى أخص اليهود خصوصًا. وفى بعض طرق الحديث«يهود» مضمومًا بلا لام على أنه منادى.

---

(١) الإسراء: ١٠١

(*) كذا في (ط) وفى ك: (التفكر).

(**) فى ط (كانت) والتصويب من ك.

(***) فى ط(قبل) والتصويب من ك.

إلى ذي سلطانٍ ليقتُلَه، ولا تَسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محْصَنَةً، ولا تولَوا للفرار يومَ الزَّحف، وعليكم خاصةً ـ اليهودَ ـ أن لا تعـتدوا في السبت». قال: فقبَّلا يديه ورجليه، وقالا: نشهد أنكَ نبي. قال: «فما يمنعكم أن تتَّبعوني؟». قالا: إنَّ داود عليه السلام دعا ربَّه أن لا يزالَ من ذريته نبي، وإنا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود. رواه الترمذي، وأبو داود، والنسائي. [٥٨]

٥٩ ـ * وعن أنس، قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «ثلاثٌ منْ أصل الإيمان. الكفُّ عمَّن قال: لا إله إلا الله، لا تُكفِّرْهُ بذنب، ولا تُخرجْـه من الإسلام بعمل . والجهاد

قوله: «إن داود دعا ربه» «مظ»: يـعنى دعا داود عليه السـلام أن لا تقطع النبوة فـى ذريته إلى يوم القيامة، وإذا دعا داود عليه السلام يكون دعاءه مستجابًا البتة؛ لأنه لا يرد الله دعاء نبى، فإذا كان كذلك فسيكـون نبى من ذريته، ويتبعه اليهود. وربما كان لهم الغلبـة والشوكة، فإن تركنا دينهم واتبعناك يقتلـنا اليهود إذا ظهر لهم نبى وقوة. وهذا كـذب منهم وافتراء على داود؛ لأنه عليه السـلام لم يدع بهذا الدعاء، ولا يجوز لأحـد أن يعتقد فى داود هذا الدعـاء؛ لأنه قرأ فى التوراة والزبور نعت محمد عليه الصلاة والسلام، وأنه خاتم النبيين، وأنه ينسخ به جميع الأديان والكتب، فإذا أخبر الله تعالى داود ببعث رسول الله ﷺ عليهما، على هذه الصفة، فكيف يدعو على خلاف ما أخبره الله تعالى به؟

الحديث الثانى عن أنس: قوله: «ثلاث من أصل الإيمان» أصل الشىء قاعدته التي لو توهمت مرتفعة لارتفع بارتفاعه؛ ولذلك قال: ﴿أصلها ثابت وفرعها فى السماء﴾(١) أى ثلاث خصال من أصل الإيمان.

إحداها: «الكف عمن قال» وفيه إشـارة إلى اعتقاد أن المؤمن لا يكفر بالذنب، ولا يخرج من الإسلام ردًا علـى الخوارج والمعتـزلة؛ لأن الخوارج يكـفرون من(*) يصدر منه ذنب، والمعـتزلة يثبتون منزلة بين المنزلتين.

الثانية: «الجهاد ماض» يعنى: الخصلة الثانية اعتـقاد كون الجهاد ماضيًا إلى خروج الدجال، يخرج بعد قتله يأجوج ومأجوج فلا يطاقون، وبعـد فنائهم لم يبق كافر ـ انتهى كلامه. وفيه رد

---

[٥٨] ضـعيف: أخرجـه الترمـذى فى سننه (٧/ ٥٢٥، ح: ٢٨٧٧ ـ أحـوذى) والنسـائى فى سننه (٧/ ١١١ ـ ١١٢)، وابن ماجة فى سننه مـختصراً (٣٧٠٥)، وبنحوه أحـمد فى المسند (٤/ ٢٤٠)، وضعفـه الشيخ الألبانى فى ضعيف سـنن النسائى (٢٧٥)، وضعيف سنن ابن مـاجة (٨٠٨)، وقال فى تخريج المشكاة عند هـذا الحديث: (وأما أبو داود ففى عزوه إليه نظر، فإن النابلسى لم ينسبه إليه فى «الذخائر» ١/ ٢٧٠، وفى سند الحديث ضعف) أ.هـ.

(١) إبراهيم: ٢٤.

(*) فى ط (عمن) وما أثبتناه من (ك).

ماضٍ مُذْ بعثني الله إلى أن يقاتلَ آخرُ هذه الأمة الدجَّال، لا يبطِله جَوْرُ جائر، ولا عَدْلُ عادلٍ. والإيمان بالأقدار». رواه أبو داود [٥٩]

٦٠ ـ * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زنى العبدُ خرجَ منه الإيمان، فكان فوقَ رأسه كالظُّلَّة، فإذا خرج من ذلك العمل رجع إليه الإيمان». رواه الترمذي، وأبو داود. [٦٠]

على المنافقين وبعض الكفرة؛ لأنهم زعموا أن دولة الإسلام تنقرض بعد أيام قلائل. «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿في قلوبهم مرض﴾(1): زعم المنافقون أن ريح الإسلام يهب حينًا ثم يسكن، ولواءه يخفق أيامًا ثم يقر، كأنه قيل: «الجهاد ماض» أي أعلام دولته منشورة، وأولياؤه منصورة، وأعداؤه مقهورة إلى يوم الدين.

ولعل محيي السنة إنما أورد هذا الحديث في «باب النفاق» لهذا المعنى، وكذا الحديث السابق؛ فإن اليهوديين نافقا بقولهما: «نشهد أنك نبي» ثم قولهما: «إن داود دعا» لأنه يدل على أنهما لم يقولا ذلك عن اعتقاد.

وقوله: «لا يبطله» «مظ»: يعني لا يجوز ترك الجهاد؛ بأن يكون الإمام ظالمًا، بل يجب عليهم موافقته فيه، ولا أن يكون الإمام عادلا فلا يخافون من الكفار، ولا يحتاجون إلى الغنائم، فعلى هذا يكون النفي بمعنى النهي. أقول: ويمكن أن يجرى على ظاهر الإخبار كما هو عليه، ويكون تأكيدًا للجملة السابقة أي لا يبطله أحد إلى خروج الدجال على **الكناية**؛ بأن لا ينظر إلى مفردات الألفاظ، بل تؤخذ الزبدة والخلاصة من المجموع.

والثالثة: الإيمان بالأقدار، وأن ما يجرى في العالم هو من قضاء الله وقدره، ردًا على المعتزلة؛ لأنهم يثبتون للخلق القدرة المستقلة.

الحديث الثالث عن أبي هريرة: قوله: «إذا زنى العبد» قد مر في الفصل الأول أن الإيمان أطلق على الحياء. «تو»: وأن الخروج والتظليل تمثيل، كما في تشبيك الأصابع، وأنه من باب

---

[٥٩] ضعيف: أخرجه بنحوه أبو داود في سننه (٢٥٣٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٦)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٢٥٣١)، وقال في تخريج المشكاة عند هذا الحديث: (إسناده ضعيف، فيه مجهول وإن كان معناه صحيحًا).

[٦٠] صحيح: أخرجه بنحوه أبو داود في سننه (٤٦٩٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٢) وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا برواته) ووافقه الذهبي، وفي عزو المصنف ـ رحمه الله ـ الحديث إلى الترمذي تساهل إذ أن الترمذي لم يخرجه مسندًا بل ذكره معلقًا بغير سند في سننه (٧/ ٣٧٦ ـ أحوذي)، كذا فعل البغوي في شرح السنة (١/ ٩٠)، وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح (١٢/ ٦٢)، والشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٩٢٤)، والصحيحة (٥٠٩) ثم قال معلقًا على كلام الحاكم والذهبي السابق ذكره: «وهو كما قالا إلا في نافع فإنما أخرج له البخاري تعليقًا، فهو على شرط مسلم وحده» ١. هـ.

(1) البقرة: ١٠.

الفصل الثالث

٦١ ـ * عن معاذ، قال: أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات، قال: «لا تشركْ بالله شيئًا وإن قُتِّلت وحُرِّقت، ولا تعُقَّنَّ والدَيْكَ وإن أمراكَ أن تخرُجَ من أهلكَ ومالك، ولا تتركنَّ صلاة مكتوبةً متعمدًا؛ فإن من ترك صلاةً مكتوبةً متعمدا فقد برئت منه ذمَّة الله، ولا تشربَنَّ خمرًا فإنه رأسُ كلِّ فاحشة، وإياك والمعصية؛ فإن

التغليظ والتشديد في الوعيد، هذا من باب الزجر والتشديد. وهو كقول القائل لمن اشتهر بالرجولية والمروءة، ثم فعل ما ينافي شيمته عدم عنه المروءة والرجولية تعييرًا وتنكيرًا؛ لينتهي عما صنع، واعتبارًا وزجرًا للسامعين، ولطفًا بهم وتنبيهًا على أن الزنا من شيم أهل الكفر وأعمالهم، فالجمع بينه وبين الإيمان كالجمع بين المتنافيين. وفي قوله ﷺ: «فكان فوق رأسه مثل الظلة» ـ وهي أول سحابة تظل ـ إشارة إلى أنه وإن خالف حكم الإيمان؛ فإنه تحت ظله لا يزول عنه حكمه ولا يرتفع عنه اسمه.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن معاذ: قوله: «وإن قتلت وحرقت» شرط جيء به للمبالغة، وفيه إضمار أي وإن عرضت للقتل والتحريق، «وإياك والمعصية» تحذير وتعميم بعد التخصيص وإيذان بأن المعاصي السابقة أعظمها ضُرًا وأكثرها اعتبارًا.

وقوله: «فإن بالمعصية» اسم«إن» ضمير الشأن حذف من«إن» المكسورة المثقلة كقول الشاعر:

فلا تخذل المولى وإن كان ظالمًا ... فإن به تنال [(١)] الأمور وتُرأبُ

والتقدير فإنه يقول: لا تخذل مولاك وإن ظلمك؛ فربما تحتاج إليه، وترجع إلى معاونته في بعض الأمور فيجبر كسرك(*). وقيل: لا يحذف؛ لأن المقصود من الكلام المصدر به ـ هو التعظيم والفخامة ـ فلا يلائمه الاختصار. قلت: فيه نظر؛ لأنه لو كان كما قيل لوجب أن لا يحذف أصلا، وقد حذف اسم كاد في قوله تعالى: ﴿كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾[(٢)] وأما قول ابن الحاجب: وحذفه منصوبًا ضعيف، فقد ضعفوه أيضًا، وكيف تقول ذلك؟ وقد جاء في الكلام الفصيح قال ﷺ في النهي عن الصلاة في أوقات الكراهة: «اقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم»[(٣)] الحديث، أي فإن الأمر والشأن حينئذ، أخرجه مسلم

وقوله: «موت» أي طاعون ووباء، وقد ورد أن الطاعون إذا ورد في بلد لا يجوز الخروج منه،

---

(١) في (ط) يثائي، وفي (ك) ينائي، وقد رجحت ما أثبته لأنه أوفق للسياق.

(٢) التوبة: ١١٧.

(٣) أخرجه مسلم/ ك صلاة المسافرين وقصرها باب إسلام عمرو بن عبسة ح/ ٨٣٢.

* في ط(كسيرك) وما أثبتناه من (ك) وهو أوفق للسياق.

بالمعصـية حلَّ سـخَطُ الله، وإياك والفرارَ من الزحف وإن هلـك الناس، وإذا أصاب الناسَ مـوت وأنت فيـهم، فـاثبت، وأنفقْ على عـيالك مـن طَوْلِكَ، ولا ترفع عنهم عصاك أدبًا وأخِفهم في الله». رواه أحمد.

٦٢ ـ * وعن حُذيفَة ،قال: إنما النفاقُ كان على عَهد رسول الله ﷺ، فأما اليوم، فإنما هو الكفر، أو الإيمان. رواه البخاري .

وإذا كان خارجًا منه لا يجوز الدخول. «الطول» الفضل من المال، وقوله تعالى: ﴿ومن لم يستطع منكم طولا﴾ (١) كناية عما يصرف في المهر والنفقة.

وقوله: «ولا ترفع عنهم عصاك، وأخـفهم فى الله» كنايتان عن تأديبهم وإنذارهم، و«أدبًا» مفعول له وفـيه إضمار، أى اضربهم تأديبًا يؤدي إلى أن يتأدبـوا أدبًا، على ما قدر الزجاج فى قوله تعالى: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتًا﴾ (٢) أى أنبتكم فتنبتون نباتًا.

الحديث الثـاني عن حذيفة: قولـه: «إنما النفاق» يعني: حكم المنافقين من إبقـاء أرواحهم، وإجراء أحكام المسلمين عليهم، كان فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام بناء على مصالح، منها: أن المؤمنين إذا ستـروا على المنافقين أحوالهم، خـفى على المخالفين أمرهم، وحسـبوا أنهم من جملـة المسلمين، وأن جملتـهم واحدة، فكان ذلك سـببًـا لاجتنابهم مـحاربة المسلمين؛ لـكثرة عددهم، بل يؤدى ذلك إلى استشعار الخوف منهم، وقلة شوكتهم، وإذا ظهر الله عليهم انقلبت إلى مفاسد، منها: أن الكفار إذا سمعوا محاسنة المسلمين مع من يصحبهم واستهزاؤهم معهم ، كان ذلك سببًا لنفرتهم وعدم تألفهم.

ومنها: وأن من شاهد حسن تخلقه مـع مخالفه رغبوا فى صحبته، ووافق مـعه سرًا وعلانية مزيد رغـبتـه، ودخل فى دين الله بوفور نشـاط ورغبـة. وأما بعد النـبي عليه الصـلاة والسلام فالحكم: إما الكفـر والقتل، أو الإيمان سرًا وعلانية؛ لـقوة شوكة المؤمنين وغلبتـهم وكثرتهم، وضعف أعدائهم.

قوله: «فأما اليـوم» إلى آخره. قوله: «إنما هو» هذا الضمير كـما في قوله تعالى: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾(٣). «الكشاف»(٤): هذا الضمير لا يعـلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه، و«أو» فيه كما في قوله تعالى: ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ (٥) فالمعنى: ليس الكائن اليـوم إلا الكفر أو الإيمان، ولا ثالث لهما.

---

[٦١] صحـيح: أخرجه الإمـام أحمـد فى المسند (٥/٢٣٨) وفيه (مـوتان) بدل (موت)، وغـيره، وصحـحه الشيخ الألبانى فى الإرواء (٧/٨٩،ح: ٢٠٢٦).

(١) النساء: ٢٥.
(٢) نوح: ١٦.
(٣) الجاثية: ٢٤.
(٤) الكشاف: ٣/٤٣٩.
(٥) الفتح: ١٦.

(٢) باب الوسوسة

الفصل الأول

٦٣ـ * عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله [تعالى] تجاوز عن أمتي ما وَسْوَسَتْ به صُدورُها، مالم تَعمل به أو تَتَكَلَّمْ». متفق عليه.

باب في الوسوسة

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه: **قوله:** «تجاوز عن أمتي» قال في المغرب: الوسوسة الصوت الخفي، ومنها وسواس الحلي لأصواتها. وقال الليث: الوسوسة حديث النفس؛ وإنما قيل موسوس؛ لأنه يحدث بما في ضميره، والوسواس اسم بمعنى الوسوسة، كالزلزال بمعنى الزلزلة. والمراد به الشيطان في **قوله: ﴿من شر الوسواس﴾**(١) كأنه وسوسه في نفسه. وقيل: ما يظهر في القلب من الخواطر ـ إن كانت تدعوه إلى الرذائل والمعاصي يسمى وسوسة، وإن كانت تدعو إلى الخصائل المرضية والطاعات تسمى إلهامًا.

اعلم أن الوسوسة ضرورية، واختيارية، فالضرورية: ما يجري في الصدر من الخواطر ابتداء، ولا يقدر الإنسان على دفعه، فهو معفو عن جميع الأمم، قال الله تعالى: **﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾**(٢). والاختيارية هي التي تجري في القلب وتستمر، وهو يقصد أن يعمل به ويتلذذ منه، كما يجري في قلبه حب امرأة ويدوم عليه، ويقصد الوصول إليها، وما أشبه ذلك من المعاصي، فهذا النوع عفا الله عن هذه الأمة خاصة، تشريفًا وتكريمًا لنبينا عليه الصلاة والسلام وأمته، وإليه ينظر قوله تعالى: **﴿ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا﴾**(٣).

وأما العقائد الفاسدة، ومساوىء الأخلاق وما ينضم إلى ذلك؛ فإنها بمعزل عن الدخول في جملة ما وسوست به الصدور. قال صاحب النهاية: روي: «ما حدثت به أنفسها» بدل «وسوست» و«أنفسها» نصب على المفعول به، ويجوز الرفع على الفاعل.

«تو»: ويؤيد هذه الرواية قول الرجل في حديث آخر: «إن أحدنا يحدث نفسه» وفي آخر «إني أحدث نفسي» وأهل اللغة يرفعون السين أي بغير اختيار، والفتح أسد وأصوب؛ لأن

---

(١) الناس: ٤

(٢) البقرة: ٢٨٦

(٣) البقرة: ٢٨٦

الظاهر أنه أراد النوع الذي يستجلبه الطبع، فيتبعه النفس حتى يحققه فيوسوس به صدره نزوعًا إلى العمل به، لا الذي يهجم عليه من غير اختيار منه، على ما تقتضيه رواية الرفع، هذا ما عليه كلام الشارحين.

وروى الشيخ محيي الدين النواوي عن الإمام المازني قال: مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب أن من عزم على المعصية بقلبه ووطن نفسه عليها أثم في اعتقادة وعزمه. ويحمل ما وقع من أمثال قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوا عليه، فإن عملها فاكتبوها سيئة» الحديث، على أن ذلك في من لم يوطن نفسه على المعصية؛ وإنما مر ذلك بفكره من غير استقرار، ويسمى هذا همًّا، ويفرق بين الهم والعزم، هذا مذهب القاضي أبي بكر، وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين وأخذوا بظاهر الحديث.

وقال القاضي عياض: عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب إليه القاضي أبو بكر؛ للأحاديث الدالة على المؤاخذة بأعمال القلوب؛ لكنهم قالوا: إن هذا العزم يكتب سيئة، وليست السيئة التي هم بها؛ لكونها لم يعملها وقطعه عنها قاطع غير خوف الله تعالى والإنابة، لكن نفس الإصرار والعزم معصية فيكتب معصية، فإذا عملها كتبت معصية ثانية، فإن تركها خشية لله تعالى كتبت حسنة، كما في الحديث «إنما تركها من جرائي»[1] فصار تركه لخوف الله تعالى، ومجاهدته نفسه الأمارة بالسوء حسنة. وأما الهم الذي لايكتب: فهو الخواطر التي لا يوطن النفس عليها ولا يصحبها عقد ولانية وعزم. وذكر بعض المتكلمين خلافًا فيما إذا تركها بغير خوف الله تعالى، بل لخوف الناس، هل يكتب حسنة؟ قال: لا؛ لأنه إنما حمله على تركه الحياء، وهذا ضعيف لا وجه له، هذا آخر كلام القاضي، وهو ظاهر حسن لامزيد عليه.

وقد تظاهرت نصوص الشرع بالمؤاخذة بعزم القلب المستقر؛ ومن ذلك قوله تعالى: **﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾**[2] وقوله تعالى: **﴿اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم﴾**[3] والآيات في هذا كثيرة، وقد تظاهرت نصوص الشرع، وإجماع العلماء على تحريم الحسد، واحتقار المسلمين، وإرادة المكروه بهم، وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها.

«شف»: وفي الحديث دليل على أن الرجل إذا حدث نفسه بالطلاق، ولم يتلفظ به لايقع الطلاق، وإليه ذهب الشافعي وجماعة. وقال الزهري: إذا عزم على ذلك وقع الثلاث وإن لم

(١) في (ط) جزائي، والتصويب من (ك)
(٢) النور: ١٩
(٣) الحجرات: ١٢

٦٤ـ * وعنه، قال: جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إلى النبي ﷺ، فسألوه: إنا نَجِدُ في أنفسنا ما يتعاظمُ أحدُنا أن يتكلمَ به! قال: «أوَقَدْ وجدتموه؟» قالوا: نعم. قال: «ذاك صريحُ الإيمان». رواه مسلم. [٦٤]

٦٥ـ *وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: مَن خلق ربَّك؟ فاذا بلغه؛ فليستعذْ بالله ولينته». متفق عليه.

يتلفظ به. واتفقوا على أنه لو عزم على الظهار لم يلزمه كفارة، ولو حدث نفسه في الصلاة لم تبطل صلاته، ولو كان حديث النفس بمنزلة الكلام لبطلت صلاته.

الحديث الثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «إنا نجد في أنفسنا» واقع موقع الحال، أي سألوه مخبرين إنا نجد، أو قائلين على احتمال فتح الهمزة وكسرها، والكسر أوجه حتى يكون بيانًا للمسئول، وهو مجمل يفسره (*) الحديثان الآتيان بعده، أي نجد في قلوبنا أشياء قبيحة، أي من خلق الله؟ وكيف هو؟ ومن أي شيء هو؟ وما أشبه ذلك مما نتعاظم به؛ لعلمنا أنه لايليق شيء منها أن نعتقده، ونعلم أنه تعالى قديم، خالق الأشياء كلها ليس بمخلوق، فما حكم جريان هذه الأشياء في خواطرنا؟ «تعاظم» تفاعل بمعنى المبالغة؛ لأن زيادة اللفظ لزيادة المعنى، فإن الفعل الواحد إذا جرى بين اثنين يكون مزاولته أشق من مزاولته وحده.

«مظ»: المروي «أحدنا» برفع الدال، ومعناه: يجد أحدنا التكلم به عظيما، ويجوز النصب، أي يعظم ويشق(**) التكلم به على أحدنا. وقوله: «أو قد وجدتموه؟» الهمزة للاستفهام، والواو للعطف على مقدر، أي أحصل ذلك وقد وجدتموه تقريرًا وتأكيدًا، والمعنى: حصل ذلك الخاطر القبيح، وعلمتم أن ذلك مذموم وغير مرضي، و«ذاك» إشارة إلى مصدر مقدر، وهو وجدان قبح ذلك الخاطر، أو مصدر يتعاظم، أي علمكم بفساد ذلك (***) الوسواس، وامتناع نفوسكم والتجافي عن التفوه بها، صريح الإيمان وخالصه؛ لأن الكافر يصر على ما في قلبه من تشبيه الله تعالى بالمخلوقات، ويعتقده حسنًا.

الحديث الثالث عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «فإذا بلغه» الضمير راجع إلى مصدر «يقول»، أي إذا بلغ قوله: «من خلق ربك». «ولينته» أي وليترك التفكر في هذا الخاطر وليستعذ▲، وإن لم يزل التفكر بالاستعاذة فليقم، وليشتغل بأمر آخر؛ وإنما أمر بالاستعاذة والانتهاء عنه، والإعراض عن مقابلته، لا بالتأمل. والاحتجاج بوجهين:

---

[٦٤] أخرجه مسلم / ك الإيمان / باب بيان الوسوسة فى الإيمان ....ح/ ١٣٢.

(*) فى ط (تفسيره) والتصويب من (ك).

(**) فى ط (شق) والتصويب من (ك).

(***) فى ط (تلك) والتصويب من (ك).

▲ فى ط (وليتعذ) وما أثبتناه من (ك).

٦٦ـ * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لايزالُ الناسُ يَتساءلون حتى يقال: هذا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فـمن خَلَقَ اللهَ؟ فـمن وجـدَ من ذلك شيـئًـا؛ فليـقلْ: آمنتُ بالله ورُسُلِه». متفق عليه.

الأول: أن العلم باستغنائه تعالى عن المؤثر والموجد أمر ضروري، لايقبل الاحتجاج والمناظرة له وعليه، فإن وقع من ذلك شيء كان من وسوسة الشيطان، لأنه مسلط في باب الوسوسة، ووساوسه غير متناهية، فمهما عارضته فيما يوسوس بحجة يجد مسلكًا آخر إلى ما ينفيه من المغالطة والتشكيك، وأدنى ما يفيده من الاسترسال في ذلك إضاعة الوقت، فلا تدبير في دفع ذلك أقوى وأحسن من الاستعاذة بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله﴾. (١)

وثانيهما: أن السبب في اعتوار أمثال ذلك احتباس المرء في عالم الحس، وما دام هو كذلك لايزيد فكره، إلا انهماكًا في الباطل، وزيغًا عن الحق، ومن كان هذا حاله فلا علاج له إلا الالتجاء إلى الله تعالى للاعتصام بحوله وقوته بالمجاهدة والرياضة؛ فإنهما مما يزيل البلادة، ويصفي الذهن، ويزكي النفس.

الحديث الرابع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «يتساءلون» التساؤل جريان السؤال بين اثنين فصاعدًا، ويجوز بين العبد، والشيطان، أو النفس، أو إنسان آخر، ويجري بينهما السؤال في كل نوع، حتى يبلغ إلى أن يقال هذا.

قوله: لفظ «هذا» «تو»: لفظ «هذا» يصرف على وجهين: أحدهما: أن يكون مفعولا، والمعنى: حتى يقال هذا القول، والآخر: أن يكون مبتدأ قد حذف خبره، أي هذا القول أو قولك هذا قد علم أو عرف. رواه مسلم في كتابه على هذا السياق عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه أيضًا عن أنس، وفي روايته «حتى يقال: هذا الله، خلق الخلق» كذلك رواه البخاري في كتابه عن أبي هريرة، والحديث على هذا السياق محتمل لوجه آخر سوى الوجه الذي ذكرناه أولا، وهو أن يقول: «هذا الله» مبتدأ وخبر، أو «هذا» مبتدأ و«الله» عطف بيان و«خلق الله الخلق» خبره. وأكثر رواة هذا الحديث يروونه على هذا السياق، فيرجح إذا على السياق المذكور في كتاب المصابيح، وإن كان كلاهما من جملة الصحاح.

أقول: قوله: «هذا» مبتدأ قد حذف خبره، أولى الوجوه، لكن تقديره على غير ما ذكره، وذلك بأن يقال: هذا مقرر أو مسلم، وهو أن الله تعالى «خلق الخلق» فما تقول في «الله»؟ فإن الله شيء، وكل شيء مخلوق، فمن خلقه؟ فعلى هذا الفاء رتبت ما بعدها على ما قبلها. وقوله:

---

(١) الأعراف: ٢٠٠.

٦٧ـ * وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنكُم منْ أحدٍ إلا وقد وكِّلَ به قرينهُ من الجنِّ وقرينهُ من الملائكةِ». قالوا: وإياكَ يارسولَ الله؟

قال: «وإيايَ، ولكنَّ اللهَ أعانني عليه فأسْلَمَ، فلا يأمرني إلا بخيرٍ». رواه مسلم. [٦٧]

«خلق الله الخلق» بيان لقوله: هذا مسلم، وبهذا المعنى لايستقيم على أن يقال: «إن هذا مقول، وما بعده بيان له؛ لأن الفاء تدفعه. ووجه آخر: وهو أن يقدر: هذا القول مقرر، فوضع «خلق الله الخلق» موضع القول، كقوله تعالى: ﴿إذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض﴾(١) أي وإذا قيل لهم هذا القول؛ لأن (لاتفسدوا): فعل، لايقع مفعولا إلا على التأويل. وهذا القول كفر فمن تكلم به فليتداركه بكلمة الإيمان وليقل: آمنت بالله خالق كل شيء، وليس بمخلوق، لايتصور كنهه وهم وخيال، ولايحضره فهم ومثال.

الحديث الخامس عن ابن مسعود: قوله: «قالوا: وإياك» «شف»: اللائق بهذا المضمر المنفصل أن يكون صيغة المرفوع المنفصل فيقال: «وأنت يارسول الله» فيقول عليه الصلاة والسلام: «وأنا» لكن إقامة كل واحد من الضمير المرفوع والمنصوب المتصلين مقام الآخر شائع. فمن الأول قوله ﷺ: «من خرج إلى تسبيح الضحى، لا يبعثه إلا إياه» والقياس إلا هو. ومن الثاني قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الوسيلة: «فأرجو أن يكون أنا هو».

أقول: ويمكن أن يقال: إنه عليه الصلاة والسلام لما قال: «وما منكم من أحد» الخ سألوا «وإياك» يعني أيضًا في هذا الخطاب، فقال: نعم! وإياي؛ لأن الخطاب عام لايختص بالمخاطبين من الصحابة، بل كل من يصح أن يخاطب به، فهو داخل فيه، كأنه قيل: «ما منكم يابني أدم من أحد إلا وقد وكل به» ونظيره القذة بالقذة.

قوله: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه» وقوله تعالى: ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾(٢) والخطاب للناس. قوله: «فأسلم» في جامع الترمذي: قال ابن عيينة: «فأسلم» بالضم أي أسلم أنا منه، والشيطان لا يسلم. وفي جامع الدارمي: قال أبو محمد: «أسلم» بالفتح أي استسلم وذل. وذهب الخطابي إلى الأول، والقاضي عياض المغربي إلى الثاني، وهما روايتان مشهورتان. بقول (*) ويعضد قول من قال: «أسلم» بمعنى استسلم وذل، ما رواه الشيخان في حديث أبي هريرة: «أن عفريتًا من الجن تفلَّت البارحة، ليقطع علَّى (**) صلاتي، فأمكنني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد» الحديث.

---

[٦٧] أخرجه مسلم / ك صفة القيامة والجنة والنار / باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه الفتنة الناس... ح/ ٢٨١٤

(١) البقرة: ١١

(٢) الحاقة: ٤٧

(*) كذا في الأصول ولعلها (يقوي).

(**) في ط (عن) والتصويب من (ك).

٦٨ـ * وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم». متفق عليه.

وقول من قال: «لا يأمرني إلا بخير» يدل على إسلامه؛ لأنه لو لم يسلم فكيف يأمره بالخير؟ ليس بقوي؛ لما روى البخاري في حديث أبي هريرة: «وكله رسول الله ﷺ لحفظ زكاة رمضان» وساق الحديث. «فأخذته» يعني: أخذ أبو هريرة الشيطان «فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ - إلى قوله - أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي؛ فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك الشيطان حتى تصبح - إلى قوله صلى الله عليه وسلم - أما أنه قد صدقك، وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث(*) يا أبا هريرة؟ قلت: لا، قال: ذاك الشيطان» وكذا قول من قال: «إن الشيطان لايسلم» ضعيف.

«تو»: إن الله هو القادر على كل شيء، ولا يستبعد من فضله ورحمته أن يخص نبيه عليه الصلاة والسلام بهذه الكرامة، يعني إسلام قرينه وبما هو فوقها. **قوله**: «فلا يأمرني إلا بخير» أي لا يدلني إلا على خير، كما تقدم في حديث أبي هريرة. وأما **قوله**: «وقرينه من الملائكة» فليس في المصابيح، لكن ذكره الحميدي في كتابه، والصنعاني في المشارق عن مسلم.

الحديث السادس عن أنس رضي الله عنه: **قوله**: «يجري من الإنسان» عدى «يجري» بمن على تضمين معنى التمكن، أي يتمكن من الإنسان في جريانه في عروقه مجرى الدم. **قوله**: «مجرى» يجوز أن يكون مصدراً ميميًّا، وأن يكون اسم مكان، وعلى الأول تشبيه، شبه كيد الشيطان وجريان وساوسه في الإنسان بجريان دمه في عروقه، وجميع أعضائه، والمعنى: أن الشيطان يتمكن في إغواء الإنسان وإضلاله تمكنًا تامًّا، ويتصرف فيه تصرفًا لا مزيد فيه.

وعلى الثاني: يجوز أن يكون حقيقة، فإنا لا ننكر أن الله قادر على أن يخلق أجسامًا لطيفة يسري في بدن الإنسان سريان الدم فيه؛ فإن الشياطين(**) مخلوقة من نار السموم، والإنسان من صلصال وحمإ مسنون، والصلصال فيه نارية، وبه يتمكن من الجريان في أعضائه، يدل عليه ما روى البخاري تعليقًا عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الشيطان جاثم على قلب ابن(***) آدم، فإذا ذكر الله خنس▲، وإذا غفل وسوس» وأن يكون مجازًا، يعني: أن كيد الشيطان ووساوسه يجرى فى الإنسان حيث يجرى فيه الدم من عروقه وأبشاره فالشيطان إنما يستحوذ على النفوس، وينفث وساوسه في القلوب بواسطة النفس الأمارة بالسوء ومركبها الدم ومنشأ قواها منه، فعلاجه سد المجاري بالجوع والصوم؛ لأنه يقمع الهوى، ويردع الشهوات التي هي من أسلحة الشيطان، فالشبع مجلبة للآثام، منقصة للإيمان مشوشة للأفكار.

(*) فى ط: «منه ثلاث مرات» وما أثبتناه من (ك) وهو الأوفق للسياق.

(**) فى ط: (الشيطان) بالإفراد، والتصويب من (ك).

(***) فى ط: (بنى)، والتصويب من (ك).

▲ فى ط (خنث) بالثاء وهو خطأ والصحيح ما أثبتناه من (ك).

٦٩ـ * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منْ بَني آدم مولودٌ إلا يَمَسُّهُ الشيطانُ حين يولدُ، فيَستهلُّ صارخًا من مَسِّ الشيطانِ، غير مريمَ وابنها». متفق عليه.

الحديث السابع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «ما من بني آدم مولود» يحتمل أن يكون «ما» بمعنى ليس، بطل عمله بتقديم الخبر على المبتدأ، وإلا لغو؛ لأن الاستثناء مفرغ، والمستثنى حال من الضمير المستتر في الظرف. والوجه أن يقال: «مولود» فاعل الظرف لاعتماده على حرف النفي، والمستثنى منه أعم عام الوصف، يعني: ما وجد من بني آدم مولود متصف بشيء من الأوصاف إلا بهذا الوصف، كأنه عليه الصلاة والسلام يرد من زعم أن بعض بنى آدم ـ مثل الأنبياء، والأولياء المخلصين ـ لا يمسه الشيطان، فهو من باب قصر القلب. وفي التصريح بالصراخ إشارة بأن المس عبارة عن إصابة ما يؤذيه ويؤلمه، لا كما زعمت المعتزلة: أن مس الشيطان تخييل، واستهلاله صارخًا من مسه تصوير لطمعه فيه. كأنه يمسه ويضرب بيده عليه، ويقول: هذا ممن أغويه.

وأما قول ابن الرومي:

لما تؤذن الدنيا به (*) من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
إذا أبصر الدنيا استهل كأنه بما هو لاق من أذاها يهدد
وإلا فما يبكيه منها وإنه لأوسع مما كان فيه وأرغد[1]

فمن باب حسن التعليل، فلا يستقيم تنزيل الحديث عليه على أنه لا ينافيه.

«قض»: مس الشيطان: تعلقه بالمولود وتشويش حاله، والإصابة بما يؤذيه ويؤلمه أولا، كما قال الله تعالى حكاية عن أيوب: ﴿أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾[2] والاهتمام بحصول ما يصير ذريعة، (ومتسلقًا)(**) في إغوائه، والاستهلال والإهلال رفع الصوت، والصراخ هو الصوت، واستثناء مريم وابنها لاستعاذة أمها حيث قالت: ﴿إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾[3].

أقول: قوله: «يؤلمه» ظاهر في أن المس حقيقي، ويعضده الحديث الذي يليه، وهو أيضًا من رواية أبي هريرة «صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان» فإن النزغ نخس بالعود، وتفرد عيسى وأمه بالعصمة عن المس، لايدل على فضلهما على نبينا عليه الصلاة والسلام؛ لأن لنبينا(***) فضائل ومعجزات لم تكن لعيسى ولا لغيره من الأنبياء، ولا يلزم أن يكون فى الفاضل خصال المفضول.

---

(١) الأبيات عزاها الطيبي لابن الرومي في التبيان ٢/ ٣٨٧، وكذا ابن معصوم في أنوار الربيع ٢/ ١٥٢

(٢) ص: ٤١

(٣) آل عمران: ٣٦.

(*) من ك، وفي (ط)«لأن يؤذن الدنيا بها».

(**) فى ط (ومستلقًا) وما أثبتناه من (ك) وهو الأوفق للسياق.

(***) فى ط (لنينا) وهو خطأ.

٧٠ـ * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «صِياحُ المولودِ حينَ يَقعُ نَزْغَةٌ مِنَ الشيطانِ». متفق عليه.

٧١ـ * وعن جابرٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ إبليسَ يضعُ عرشَهُ على الماء، ثم يبعثُ سَرَاياه يَفْتِنونَ الناسَ، فأدناهم منه مَنْزِلةً أعظمُهم فِتْنَةً يجيءُ أحدُهم فيقولُ:

الحديث الثامن عن أبي هريرة رضي الله عنه: **قوله**: «صياح المولود» الحديث غني عن الشرح لوضوحه.

الحديث التاسع عن جابر: **قوله**: «يضع عرشه على الماء» يحتمل بأن يجرى على ظاهره، ويكون من جملة تمرده وطغيانه جعل عرشه على الماء، كما في قوله تعالى: «وكان عرشه على الماء»[1]، وأن يجرى على الكناية الإيمائية، عبر عن استيلائه على إغوائه الخلق، وتسلطه على إضلالهم بهذه العبارة.

قال صاحب الكشاف[2] في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[3]: لما كان الاستواء على العرش، وهو سرير الملك مما يردف[*] الملك، جعلوه كناية عن الملك، فقالوا: استوى فلان على العرش، يريدون الملك ـ وإن لم يقعد على السرير البتة. و«السرايا» جمع سرية، وهي قطيعة من الجيش يوجهها حاكم إلى جهة؛ لأن ينال من العدو. «نه»: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو سموا بذلك؛ لأنهم يكونون خالصة العسكر وخيارهم، من الشيء السري النفيس. وقيل: سموا بذلك؛ لأنهم ينفذون سرًا وخفية، وليس بالوجه؛ لأن لام السر راء وهذه ياء.

قوله: «فتنة» الفتنة الابتلاء والامتحان، وأصله من فتنت الفضة إذا أدخلتها على النار؛ لتعرف جيدها من رديئها، وفتن فلان بفلانة أي بلي بهواها، وسميت بها المعاصي. «ويجيء أحدهم» جملة مبينة لقوله: «أعظمهم فتنة» وقولهم: «نعم أنت» أي نعم العون أنت، «أراه» أظنه، المضمر المرفوع فيه راجع إلى الأعمش، والمنصوب إلى جابر، «فيلتزمه» أي يعانقه ويعززه، من غاية حبه التفريق بين الزوجين، وهو يحتمل أن يكون عطفًا على «فيدنيه» ويجوز أن يكون بدله، وذلك أن النكاح عقد شرعي يستحل به التزوج، وهو يريد حل ما عقده الشرع؛ ليستبيح ما حرمه فيكثر الزنا، وأولاد الزنا، فيفسدوا في الأرض، ويهتكوا حدود الشرع،

---

(١) هود: ٧.

(٢) الكشاف: ٢ / ٤٢٧ ويلاحظ أن الطّيبي إنما استدل بهذا على احتمال ورود الكناية في وضع إبليس عرشه على الماء، لا على أن استواءه سبحانه على العرش كناية، ويدل على ذلك أنه احتمل في وضع إبليس عرشه على الماء أن يكون على ظاهره كما في قوله تعالى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾.

(٣) طه: ٥.

(*) في ط (يرد)، والصحيح ما أثبتناه كما في الكشاف للزمخشري.

فعلتُ كذا وكذا. فيقولُ: ما صَنعتَ شيئًا. قال: ثمَّ يجيءُ أحدُهم فيقولُ: ما تركتُه حتى فرَّقتُ بينه وبين امرأتِه. قال: فيُدنيه منه، ويقول: نعم أنت». قال الأعمشُ: أراه قال «فيلتزمُه». رواه مسلم.[٧١]

٧٢ـ * وعنه، قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطانَ قد أيِسَ من أن يعبدَهُ المصلون في جزيرة العَرَب، ولكن في التحريش بينهم». رواه مسلم.[٧٢]

ويتعدوا حدود الله؛ ومن ثم ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة ولد زانية»(١) رواه الدارمي في سننه؛ لأن ولد الزنا يتعسر عليه اكتساب الفضائل الحسنة، ويتيسر له رذائل الأخلاق، والله أعلم بالصواب.

الحديث العاشر عن جابر: **قوله**: «إن الشيطان» تكلم في الحديث الشارحون، واختصره القاضي وقال: عبادة الشيطان عبادة الصنم، بدليل قوله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿**يا أبت لا تعبد الشيطان**﴾(٢) وإنما جعل عبادة الصنم عبادة الشيطان، لأنه الآمر به والداعي إليه، و«المصلون» المؤمنون، كما في قوله ﷺ «نهيت عن قتل المصلين» وإنما سمي المؤمن بالمصلي؛ لأن الصلاة أشرف الأعمال، وأظهر الأفعال الدالة على الإيمان. ومعنى الحديث: أن (*) الشيطان أيس أن يعود من المؤمنين أحد إلى عبادة الصنم، ويرتد إلى شركه في جزيرة العرب. ولا يرد على هذا ارتداد أصحاب مسيلمة، ومانعي الزكاة، وغيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ لأنهم لم يعبدوا الصنم. و«جزيرة العرب» من حفر (**) أبي موسى الأشعري إلى أقصى اليمن طولا، ومن رمل يبرين إلى منقطع السماوة ـ وهي بادية في طريق الشام ـ عرضًا، هكذا ذكره أبو عبيد معمر بن المثنى؛ وإنما سميت «جزيرة العرب» لأنها واقعة بين بحر فارس، والروم، ونيل، ودجلة، وفرات. وقال مالك بن أنس رضي الله عنه: «جزيرة العرب» مكة، والمدينة، واليمن. «تو»: وإنما خص جزيرة العرب بالذكر؛ لأن الدين يومئذ لم يتعد عنها.

أقول: ولعله عليه الصلاة والسلام أخبر عما يجري فيها بعده من التحريش الذي وقع بين أصحابه عليه الصلاة والسلام، أي أيس الشيطان أن يعبد فيها، لكن طمع في التحريش بين ساكنيها، وكان كما أخبر، وكان معجزة. والتحريش الإغراء على الشيء بنوع من الخداع، من

---

[٧١] أخرجه مسلم / ك صفة القيامة والجنة والنار / باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ح/ ٢٨١٣

[٧٢] أخرجه مسلم / ك صفة القيامة والجنة والنار باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ح/ ٢٨١٢

(١) رواه أبو نعيم عن أبي هريرة مرفوعا، وأعله الدارقطني بأن مجاهدًا لم يسمعه من أبي هريرة. قال في المقاصد: وأخرجه أبو نعيم والطبراني والنسائي لكن باضطراب. انظر كشف الخفاء ٢/ ٣٧٢، ح : ٣١١٤.

(٢) مريم : ٤٤.

(*) سقطت في (ط) وأثبتناها من (ك). (**) في ط (جفر) وما أثبتناه من (ك).

الفصل الثانى

٧٣ـ * عن ابن عباس: أن النبي ﷺ جاءه رجلٌ، فقال: إني أحدِّثُ نفسي بالشيء لأن أكون حُمَمةً أحبُّ إليَّ من أن أتكلم به. قال: «الحمد لله الذي ردَّ أمرَهُ إلى الوسوسة». رواه أبو داود.[٧٣]

٧٤ـ * وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للشيطان لَمَّةً بابن آدم، وللملَك لَمَّةً: فأما لَمَّةُ الشيطان فإيعاد بالشر، وتكذيبٌ بالحق. وأما لَمَّةُ الملَك فإيعاد

حرش الصياد الصيد إذا خدعه، أي يخدعهم ويغري بعضهم على بعض. أقول: لما ذكر العبادة سماهم المصلين تعظيما لهم، وحيث ذكر الفتنة أخرجه مخرج التحريش ـ وهو الإغراء بين الكلاب ـ توهينًا وتحقيرًا لهم.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما: **قوله**: «بالشيء» «شف»: الشيء في قوة النكرة معنى ـ وإن كان معرفة لفظًا ـ ويكون **قوله**: «لأن أكون حممة» مبتدأ و«أحب» خبره، والجملة صفة له، أي شيء كوني حممة أحب إلى من التكلم به ـ انتهى كلامه. ونظيره قول الشاعر:

ولقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت ثمة، قلت: لا يعنينى

«الحمم» الفحم والرماد، وكل ما احترق بالنار، والواحد حمة.

وقوله: «رد أمره» الضمير فيه يحتمل أن يكون للشيطان ـ وإن لم يجر له ذكر ـ لدلالة السياق عليه، والأمر يحتمل أن يكون واحد الأوامر؛ لقوله تعالى: **﴿ولآمرنهم فليبتكنَّ آذان الأنعام﴾**(١) يعني: كان الشيطان يأمر الناس بالكفر قبل هذا، وعبادة الأوثان، وأما الآن فلا سبيل له إليهم سوى الوسوسة. ويجوز أن يكون بمعنى الشأن، ويحتمل أن يكون للرجل، والأمر بمعنى الشأن لاغير، أي رد شأن هذا الرجل من الكفر إلى الوسوسة التي سبقت من نحو قوله(*): «من خلق الله» ونحو معرفة كيفية الله تعالى من التشبيه والتجسيم والتعطيل.

الحديث الثاني عن ابن مسعود رضي الله عنه: **قوله**: «لمة» «تو»: اللمة من الإلمام وهي كالخطرة والزورة، ومعناه: النزول به والقرب منه أي يقرب من الإنسان لهذين السبيلين. وقيل:

[٧٣] صحيح: أخرجه الإمام أحمد فى المسند (١/ ٢٣٥)، وأبو داود في سننه (٥١١٢) وغيرهما، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر فى شرحه للمسند (٣/ ٣٥١، ح: ٢٠٩٧)، والشيخ الألبانى فى صحيح سنن أبي داود (٤٢٦٤).

(١) النساء: ١١٩

(*) فى ط (قوله تعالى) والصحيح ما أثبتناه من (ك).

بالخير وتصديقٌ بالحق. فمن وجد ذلك؛ فلْيعلمْ أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى؛ فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم». ثم قرأ: ﴿الشيطانُ يعِدكُم الفقر ويأمُرُكُم بالفَحْشاءِ﴾. رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب. [٧٤]

«اللمة» الهمة تقع في القلب، والإيعاد في اللمتين من باب الإفعال، والوعيد في الاشتقاق كالوعد، إلا أنهم خصوا الوعد بالخير، والوعيد بالشر. ولما كان المبتدأ بذكره في هذا الحديث «لمة الشيطان» ذكره بلفظ الإيعاد ثم أجرى الوعد بالخير مجرى الأول اتباعًا ومشاكلة.

أقول: والأظهر أن الحديث والآية المستشهد بهما جاريان على الاستعمال اللغوي؛ لما نيط بكل واحد ما لا يلبس على السامع المراد، فاستعمل في الحديث بالإفعال، وفي الآية بفعل، نعم! لو أطلق ميز بينهما. وتطبيق الآية على الحديث، هو أن يقال: خصت «لمة الشيطان» بالفقر وهو الحاجة، وأصله كسر الفقار، وبالأمر بالفحشاء، وهما تفسيران للشر، وخصت «لمة الملك» بوعد المغفرة. وبوعد الفضل، وهما المعنيان بالخير، وقوبل الفقر بالفضل، والأمر بالفحشاء بالمغفرة، نبه سبحانه وتعالى على ما عسى أن يمنع المكلف من الإنفاق والبذل، والعصمة من الذنوب، من تسويل الشيطان، وإغوائه النفس الأمارة خوف الفقر والإعدام، وتزيينه المعاصي والفواحش، ثم [ذيله](*) بما هو العمدة فيه، وهو قوله: ﴿والله واسع عليم﴾(١) المشتمل على سعة الإفضال والغفران، ووفور العلم بأحوال العباد ومصالحهم، وما هو خير لهم في الدارين؛ ليكون تمهيدًا لذكر ما هو أجل المواهب وأسنى المطالب، من إيتاء الحكمة، ومعرفة مكائد النفس الأمارة، وخطرات الشيطان، ومعرفة لمة الملك ولمة الشيطان، فعند ذلك يتنبه الطالب على أمر خطير، فاضطر إلى السؤال بلسان الحال ـ إلى أن قال ـ هذه الموهبة عامة، أو هي مختصة ببعض دون بعض، فنودي من سرادقات الجلال ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾(١) أي خصه الله تعالى بالحكمة، ووفقه للعلم والعمل، ثم أتبعه بقوله: ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾(٢) [تعريضًا](**) بمن لا يتفطن بهذا البيان الشافي، ولم يفرق بين اللمتين، ووهم أن الحكمة غير العلم والعمل.

وبهذا الاعتبار قال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص السهروردي قدس الله سره: إنما يطلع على معرفة اللمتين وتمييز الخواطر طالبٌ مريدٌ يتشوق لذلك تشوق العطشان إلى الماء لما يعلم من موضع ذلك، وخطره، وصلاحه، وفساده. وليعلم أن الخواطر بمثابة البذر، فمنها ما هو بذر السعادة، ومنها ما هو بذر الشقاوة، وسبب اشتباه الخواطر أربعة أشياء لاخامس لها: إما ضعف

---

[٧٤] ضعيف: أخرجه الترمذي في سننه (٢٩٨٨ ـ بترتيب الشيخ شاكر)، والنسائي في تفسيره عند الآية (٢٦٨) من سورة البقرة، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٨/ ٤١٧، ح: ٤٩٩٩) وغيرهم، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (١٩٦١)، وفي تخريجه للمشكاة (١/ ٢٨).

(١) البقرة: ٢٦٨، ٢٦٩. (٢) آل عمران: ٧.

(*) التذييل: هو أن يقطع الكلام بما يشتمل على معناه توكيدا لا محل له. وهو على أقسام، منها: أن يعقب بجملة خرجت غير مخرجها كقوله تعالى: ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها... وكذلك يفعلون﴾ أي كذلك عادة الملوك، وهجيراهم. انظر التبيان للطيبي بتحقيقنا (٢/ ٤١٦ - ٤١٩).

(**) انظر السابق (١/ ٣٣٦)

٧٥ـ * وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «لايزال الناسُ يتساءلون، حتى يقال: هذا خلَقَ اللهُ الخلقَ، فمن خَلَقَ اللهَ؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا: اللهُ أحدٌ، الله الصمدُ، لم يَلدْ ولم يولَد، ولم يكن له كفوًا أحدٌ، ثم ليَتفُل عن يساره ثلاثًا، وليستعذْ باللهِ من الشيطان الرجيم». رواه أبو داود. وسنذكر حديث عمرو بن الأحوص في باب خطبة يوم النحر إن شاء الله تعالى. [٧٥]

الفصل الثالث

٧٦ـ * عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يبرحَ الناسُ يتساءلون، حتى

اليقين، أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها، أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى، أو محبة الدنيا جاهها ومالها، وطلب الرفعة والمنزلة عند الناس؛ فمن عصم عن هذه الأربعة، يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومن ابتلي بها لايعلمهما ولا يتطلبهما ـ وإن كشف بعض الخواطر دون بعض ـ لوجود بعض هذه الأربعة دون البعض، وأقوم الناس بتمييز الخواطر أقومهم بمعرفة النفس، ومعرفة عشر المثال لايكاد يتيسر إلا بعد الاستقصاء في الزهد والتقوى.

قال: واتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام، لا يفرق بين الإلهام والوسوسة. قال أبوعلي الدقاق: [من كان قوته معلومًا، لا يفرق بين الإلهام والوسوسة]*

الحديث الثالث عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «الله أحد» «مظ»: يعني: قولوا في رد هذه الوسوسة: الله تعالى ليس مخلوقًا، بل هو أحد، و«الأحد» هو الذي لا ثاني ولا مثل له في الذات والصفة، و«التفل» إسقاط البزاق من الفم، أي ليلق البزاق من الفم ثلاث مرات، وهو عبارة عن كراهة الرجل الشيء ونفوره عنه، مراغمًا للشيطان، وتبعيدًا له. و«الاستعاذة» طلب المعاونة من الله الكريم على دفع الشيطان الرجيم.

أقول: الصفات الثلاث منبهة على أن الله تعالى لا يجوز أن يكون مخلوقًا، أما «أحد» فمعناه: الذي لا ثاني له ولا مثل، فإذا جعل مخلوقًا لم يكن أحدًا على الإطلاق؛ لأن خالقه أولى بالأحدية، والصمد هو السيد الذي يرجع الناس فى أمورهم وحوائجهم إليه فيكون ذلك الخالق أولى منه «ولم يولد» تصريح في المنفي. «ولم يلد، ولم يكن له كفوًا أحد» يناديان بأنه إذا لم يكن له الكفو الذي هو المساوي، والولد الذي هو دونه في الإلهية، فأحرى بأن لا يكون فوقه شيء، والفرق بين الواحد والأحد مر في الحديث السابع عشر من الباب الأول.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أنس: قوله: «لن يبرح» «غب»: برح ثبت في البراح، وهو المكان المتسع

---

[٧٥] حسن: أخرجه بنحوه أبو داود فى سننه (٤٧٢٢) وغيره، وحسن إسناده الشيخ الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (٣٩٥١)، والصحيحة (١١٨).

* كذا في (ك) ، (ط) ولعلها: (من لم يكن قوته معلومًا).

يقولوا: هذا اللهُ خَلَقَ كلَّ شيء، فمن خلقَ اللهَ عزَّ وجل؟» رواه البخاري، ولمسلم: «قال: قال الله عزَّ وجل: إنَّ أمتك لايزالون يقولون: ما كذا؟ ما كذا؟ حتى يقولوا: هذا اللهُ خلَقَ الخلقَ، فمن خلق اللهَ عزَّ وجل؟»».

٧٧ـ * وعن عثمان بن أبي العاص، قال: قلت: يارسول الله! إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يُلَبِّسُها عليَّ، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقالُ له خِنْزَب، فإذا أحسستَه فتعوذ بالله منه، واتفلْ على يسارك ثلاثًا» ففعلتُ ذلك فأذهبه الله عني. رواه مسلم. [٧٧]

٧٨ـ * وعن القاسم بن محمد: أن رجلا سأله فقال: إني أهِمُ في صلاتي فيكثرُ ذلك عليَّ، فقال له: امضِ في صلاتك، فإنه لن يذهبَ ذلك عنك حتى تنصرفَ وأنت تقول: ما أتممتُ صلاتي. رواه مالك. [٧٨]

الظاهر، ومنه قولك: لا أبرح، وخص بالإثبات؛ لأن برح وزال اقتضيا معنى النفي، و«لا» للنفي، والنفيان يحصل منهما الإثبات. قوله: «هذا الله» مبتدأ وخبره و«خلق الخلق» استئناف، أو حال، وقد مقدرة، والعامل معنى اسم الإشارة، أو «هذا» مبتدأ و«الله» عطف بيان، و«خلق الخلق» خبره، ومعنى الحديث سبق في الفصل الأول.

الحديث الثاني عن عثمان: قوله: «حال» أصل الحول تغير الشيء، وانفصاله من غيره باعتبار التغير. وقيل: حال الشيء يحول حؤولا واستحالة تهيأ لأن يحول، وباعتبار الانفصال قيل: حال بيني وبينك كذا. قوله: «يلبسها»(١) يخلطها ويشككني فيها، والجملة بيان لقوله: «حال» وما يتصل به.

وقوله: «خنزب» بخاء معجمة مكسورة، ثم نون ساكنة ثم زاي مكسورة أو مفتوحة، ويقال أيضًا: بفتح الخاء والزاى، حكاه القاضي عياض، ويقال أيضًا: بضم الخاء وفتح الزاى على ما (٢) في النهاية.

الحديث الثالث عن القاسم بن محمد: قوله: «فإنه لن يذهب» الضمير للشأن، والجملة بيان

---

[٧٧] أخرجه مسلم / كتاب السلام / باب التعوذ من شيطان الوسوسة فى الصلاة ح/ ٢٢٠٣

[٧٨] أخرجه الإمام مالك فى الموطأ (١/ ١٢١ ـ تنوير الحوالك) فى العمل فى السهو

(١) قال مصحح «ط»: كذا في الأصل، وفي «المرقاة»: «يلبسها علي» بالتشديد للمبالغة، وفي نسخة صحيحة ظاهرة بفتح أوله وكسر ثالثه، أي يخلطني ويشككني فيها ـ أي الصلاة، أو القراءة، أو كل واحد ـ والجملة بيان لقوله: «حال» وما يتصل به.

(٢) قال مصحح «ط» : زيد من المرقاة .

باب الإيمان بالقدر

الفصل الأول

٧٩ـ * عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب اللهُ مقادير الخلائق قبل أن يخلُق السموات والأرضَ بخمسين ألف سنة» قال: «وكان عرشُه على الماءِ». رواه مسلم[٧٩].

له، والمشار إليه بقوله: «ذلك الوهم» المعني به الوسوسة، المعنى: لا تذهب عنك تلك الخطرات الشيطانية، حتى تقول للشيطان: «صدقت» ما أتممت صلوتي؛ لكن لا أقبل قولك، ولا أتمها إرغامًا لك ونقضًا لما أردته مني. وهذا أصل عظيم لدفع الوساوس وقمع هواجس الشيطان في سائر الطاعات، قال الجوهري: وهمت بالشيء ـ بالفتح ـ أهم وهما إذا ذهب وهمك إليه وأنت تريد غيره، ووهمت في الحساب أوهم وهما إذا غلطت فيه وسهوت.

باب الإيمان بالقدر

الفصل الأول

الحديث الأول عن عبدالله بن عمرو: قوله: قوله: «مقادير الخلائق» المقادير جمع مقدار، وهو الشيء الذي يعرف به قدر شيء كالميزان والمكيال. ويستعمل بمعنى المقدر. «قض»: قوله: «كتب الله» معناه أجرى القلم على اللوح المحفوظ بتحصيل ما بينهما من التعلق، وأثبت فيه مقادير الخلائق، على وفق ما تعلقت به إرادته أزلا، إثبات الكاتب ما في ذهنه بقلمه على لوحه، أو قدر وعين مقاديرهم تعيينًا ثابتًا لا يتأتى خلافه. وقوله: «بخمسين ألف سنة» معناه طول الأمد، وتمادي ما بين التقدير والخلق من المدد، أو تقديره ببرهة من الدهر الذي يوم منه «كألف سنة مما تعدون» وهو الزمان، أو من الزمان نفسه.

فإن قلت: كيف يحمل على الزمان ولم يخلق الزمان، ولا ما يتحدد به من الأيام والشهور، والسنين؟ قلت: يحمل الزمان على مقدار ما هو عليه الآن عند حصول ما يتجدد به، كقوله تعالى: ﴿**إن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون**﴾.(١)

«حس»: الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد خيرها وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن خلقهم، قال الله تعالى: ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾(٢) فالإيمان، والكفر، والطاعة، والمعصية كلها بقضاء الله وقدره، وإرادته ومشيئته،

---

[٧٩] أخرجه مسلم / ك القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ح/ ٢٦٥٣.

(١) الحج: ٤٧.

(٢) الصافات: ٩٦.

٨٠ ـ * وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدرٍ حتى العَجْز والكَيْس» رواه مسلم[٨٠].

غير أنه يرضى الإيمان والطاعة، ووعد عليهما الثواب، ولا يرضى الكفر والمعصية، وأوعد عليهما العقاب، قال الله تعالى: ﴿ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾(١). والقدر سر من أسرار الله تعالى لم يطلع عليه ملكًا مقربًا، ولا نبيا مرسلا، لا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن الله تعالى خلق الخلق فجعلهم فريقين: أهل يمين خلقهم للنعيم فضلا، وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلا، قال الله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾(٢) وقد: سأل رجل على بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن القدر، قال: طريق مظلم لا تسلكه. فأعاد السؤال، فقال: سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه.

الحديث الثاني عن ابن عمر رضي الله عنه: **قوله:** «كل شيء بقدر» والقدر بالفتح والسكون ما يقدره الله من القضاء، وبالفتح اسم لما صدر مقدوراً على فعل القادر، كالهدم لما صدر عن فعل الهادم، يقال: قدرت الشيء خفيفةً وثقيلةً بمعنى فهو قدر أي مقدور، والتقدير تبيين الشيء.

قوله: «حتى العجز والكيس» قوبل الكيس بالعجز على المعنى؛ لأن المقابل الحقيقي للكيس البلادة، وللعجز القوة، وفائدة هذا الأسلوب تقييد كل من اللفظين بما يضاد الآخر، يعني: الكيس، والقوة، والبلادة، والعجز من قدر الله، فهو رد على من يثبت القدرة لغير الله مطلقًا، ويقول: إن أفعال العباد خيرها وشرها مستندة إلى قدرة العبد واختياره؛ لأن مصدر الفعل الداعية، ومنشأها القلب الموصوف بالكياسة والبلادة، ثم القوة والضعف، ومكانهما الأعضاء والجوارح إذا كانت بقدر الله وقضائه، فأي شيء يخرج منهما.

«تو»: «الكيس» جودة القريحة، وإنما أتى به في مقابلة العجز؛ لأنه هو الخصلة التي تفضي بصاحبها إلى الجلادة، وإتيان الأمور من أبوابها، وذلك نقيض العجز؛ ولهذا المعنى كنوا به عن الغلبة فقالوا: كايسته فكسته أي غلبته، والعجز هاهنا عدم القدرة، وقيل: ترك ما يجب عليه فعله بالتسويف والتأخير له. و«العجز، والكيس» يروى بالرفع فيهما عطفا على «كل» وبالخفض على «شيء»، والأوجه أن يكون «حتى» في الكسر حرف خفض بمعنى إلى، ومعنى الحديث يقتضي الغاية؛ لأنه أراد بذلك أن اكتساب العباد وأفعالهم كلها بتقدير خالقها، حتى الكيس الذي يوصل صاحبه إلى البغية، والعجز الذي يتأخر به عن درك البغية.

---

[٨٠] أخرجه مسلم / ك القدر باب كل شيء بقدر ح/ ٢٦٥٥.

(١) إبراهيم : ٢٧.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

٨١ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجَّ آدمُ وموسى عند ربِّهما، فحجَّ آدمُ موسى؛ قال موسى: أنت آدمُ الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحِه، وأسجَدَ لك ملائكتَه، وأسكنك في جنته، ثم أهبطتَ الناس بخطيئتك إلى الأرض؟ قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواحَ فيها تِبيانُ كلِّ شيء، وقرَّبك نجيًّا، فبكم وجدتَ اللهَ كتب التوراة قبل أن

«مظ»: الكيس والكياسة كمال العقل، وشدة معرفة الرجل الأمور، وتمييز ما فيه النفع مما فيه الضر، يعني: من كان عاجزًا وضعيفًا في الجثة، أو الرأي والتمييز، أو ناقص الخلقة لا يعير، فإن ذلك بتقدير الله وخلق الله تعالى إياه على هذه الصفة، ومن كان كامل العقل بصيرًا بالأمور، تام الجثة فهو أيضًا بتقدير الله وخلقه تعالى إياه على هذه الصفة، وليس ذلك بقوته وقدرته؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله. أقول: الوجه الذي يقتضيه سياق الحديث ما ذهب إليه التوربشتي.

الحديث الثالث عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «احتج آدم وموسى» أي تحاجا. وقوله: «فحج آدم موسى» عليهما السلام، أي غلب عليه بالحجة، بأن ألزمه أن جملة ما صدر عنه لم يكن هو مستقلا بها، متمكنًا من تركها، بل كانت أمرًا مقضيًا.

وقوله: «قال موسى: أنت آدم» إلى آخره، جملة مبينة لمعنى «فحج آدم موسى» ومفسرة للجملة ثم أعاد «فحج آدم موسى» آخر الحديث، فذلكة للتفصيل تقريرًا وتثبيتًا للأنفس على توطين هذا الاعتقاد.

وقوله: «أنت آدم الذي خلقك الله» والظاهر خلقه ليعود إلى الموصول، لكن عدل إلى الخطاب مطابقة لقوله: «أنا الذي سمتني أمي حيدرة» أي سمته، و«خلقك الله» تعالى «بيده» [أي بقدرته]*، خصه بالذكر إكرامًا وتشريفًا له، وأنه خلق إبداعًا من غير واسطة أرحام، فإن هذا نوع إكرام له لقوله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾(١). و«من روحه» أضاف الروح إلى الله تعالى تخصيصًا وتشريفًا، أي من الروح الذي هو مخلوقه، ولا يد لأحد فيه، «اصطفاك الله» أي جعلك خالصًا صافيًا عن شائبة ما لا يليق بك وبكلامه، فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليمًا﴾(٢) وقوله تعالى ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من

(١) البقرة: ١١٧

(٢) النساء: ١٦٤.

* إثبات اليدين لله تعالى ، هو مذهب أهل السنة، يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه كما في قوله تعالى: ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ وما أثبته له رسوله ﷺ، فيما تواتر عنه، وفي الصحيح «وكلتا يديه يمين» وكلّ ذلك من غير تكييف ولا تشبيه، ولا تعطيل، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾

أُخلق قال: موسى بأربعين عامًا . قال آدمُ : فهل وجدت فيها (وعصى آدمُ ربه فغوى)؟ قال: نعم. قال: أفتلومُني على أن عملتُ عملا كتبه الله عليَّ أن أعمَله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟» قال رسول الله ﷺ: «فحجَّ آدمُ موسى». رواه مسلم. [٨١]

كلم الله﴾(١). «فيها تبيان كل شيء» أي أعطاك التوراة فيها تبيان لكل شيء من الإخبار بالغيوب، والقصص، والحلال، والحرام، والموعظة، وغير ذلك، وهو من قوله تعالى: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء﴾(٢). «وقربناه نجيًا» أي خصك بالنجوى، النجي المناجي الواحد والجمع سواء، هو من يخاطب الإنسان ويحدثه سرًا، هو من قوله تعالى: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا﴾(٣). و«فبكم وجدت» أي فبكم زمانًا وجدت الله أمر بكتبه التوراة قبل أن يخلقني.

«تو»: ليس معنى قول آدم عليه السلام: «كتب الله على» ألزمه إياي وأوجبه على، فلم يكن لي في تناول الشجرة كسب واختيار، وإنما المعنى: إن الله تعالى أثبته في أم الكتاب قبل كوني، وحكم بأن ذلك كائن لا محالة لعلمه السابق، فهل يمكن أن يصدر عني خلاف علم الله؟ فكيف تغفل عن العلم السابق، وتذكر الكسب الذي هو السبب، وتنسى الأصل الذي هو القدر؛ وأنت ممن اصطفاك الله من المصطفين الأخيار، الذين يشاهدون سر الله من وراء الأستار؟

واعلم أن هذه القصة تشتمل على معاني محررة لدعوى آدم عليه السلام، مقررة لحجته، منها: أن هذه المحاجة لم تكن في عالم الأسباب الذي لم يجوز فيه قطع النظر عن الوسائط والاكتساب وإنما كانت في العالم العلوي عند ملتقى الأرواح. ومنها: أن آدم احتج بذلك بعد اندفاع موجب الكسب منه، وارتفاع أحكام التكليف عنه. ومنها: أن اللائمة كانت بعد سقوط الذنب، ووجوب المغفرة.

أقول ـ والعلم عند الله ـ : مذهب أهل الجبر إثبات التقدير لله تعالى ونفي القدرة عن العبد أصلا، والمعتزلة بخلافه، كما سبق. وكلا الفريقين من الإفراط والتفريط على شفا جرف هار، والمنهج القويم والصراط المستقيم، القصد بين الأمرين، كما هو مذهب أهل السنة، إذ لا يقدر أحد أن يسقط الأصل الذي هو القدر، ولا أن يبطل الكسب الذي هو السبب، فلما جعل موسى عليه السلام مساق كلامه وقصته إلى الثاني، بأن صدر الجملة بحرف الإنكار والتعجب وصرح

---

[٨١] أخرجه مسلم / ك القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ح/ ٣٣٠٩

(١) البقرة: ٢٥٣

(٢) الأعراف: ١٤٥

(٣) مريم: ٥٢

٨٢ ـ * وعن ابن مسعود، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إنَّ خلْقَ أحدِكُم يجمعُ في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقةً مثل ذلك،

باسم آدم ووصفه بصفات أربع كل واحدة منها مستقلة. . . في عِلية عدم ارتكابه الخطيئة، ثم جاء بكلمة الاستبعاد في قوله: «ثم أهبطت» فأسند الإهباط إليه على الحقيقة، والله سبحانه وتعالى هو المهبط في الحقيقة لقوله تعالى: ﴿قلنا اهبطوا﴾(١) وقرن الإهباط بالأرض، والإهباط لا يكون إلا إليها؛ ليؤذن بسفالتها التي تورث الخساسة والرذالة، كما قال الله تعالى: ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله﴾(٢) الآية، بل الغرض الأول من ذلك الإنكار البليغ هذا لقوله: «ثم أهبطت الناس» كأنه ﷺ قال: ما أبعد هذه السفالة عن تلك المعالي والمناصب! أجاب عنه ﷺ بما يقابلها، بل أبلغ من تصدير الجملة بالهمزة، وتصريح اسم موسى ووصفه أيضًا بصفات أربع كل واحدة منها مستندة في عليَّة عدم ذلك الإنكار عليه، ثم رتب العلم الأزلي على ذلك، ثم أتى بدل كلمة الاستبعاد بهمزة الإنكار في قوله: «أفتلومني» وحذف ما تقتضيه الهمزة، والفاء العاطفة من الفعل أي أتجد في التوراة هذا النص الجلي، فتلومني على ذلك؟ فما أبعده من إنكار! وفي هذا التقرير تنبيه على ما قصدناه، من أن تحري قصد الأمور هو الصواب، ثم إنه ﷺ ختم الحديث بقوله: «فحج آدم موسى» بعد افتتاحه وبيانه بقوله: «قال موسى: أنت آدم» إلى آخر الحديث مجملا أولا، ومفصلاً ثانيًا، ومعيدًا له ثالثًا تنبيهًا على أن بعض أمته من المعتزلة ينكر حديث القدر، فاهتم لذلك وبالغ في الإرشاد، ويحتمل أن يقال: إنه عليه الصلاة والسلام صدر الحديث بقوله: «فحج» تحريمًا للدعوى، وختمه به إثباتًا لها، فعلى هذا تكون الفاء في الأول للعطف، وفي الآخر للنتيجة. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الحديث الرابع عن ابن مسعود رضي الله عنه: قوله: «وهو الصادق المصدوق» الأولى أن تجعل الجملة الأولى اعتراضية لا حالية؛ ليعم الأحوال كلها، وأن يكون من عادته ودأبه ذلك فما أحسن موقعه هنا. قوله: «إن خلق أحدكم» أي ما يخلق منه أحدكم يقرر ويحرز في بطنها.

وقال في النهاية: ويجوز أن يكون يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم أربعين يومًا، أي تمكث النطفة في الرحم تتخمر فيها، حتى تتهيأ للخلق. «خط»(٣): روي عن ابن مسعود في تفسير هذا الحديث: «إن النطفة إن وقعت في الرحم، فأراد الله أن يخلق منها بشرًا، طارت في بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعر، ثم تمكث أربعين ليلة، ثم تنزل دمًا في الرحم، فذلك جمعها». والصحابة أعلم الناس بتفسير ما سمعوه، وأحقهم بتأويله، وأولاهم بالصدق فيما يتحدثون به، وأكثرهم احتياطًا للتوقى عن خلافه، فليس لمن بعدهم أن يرد عليهم.

---

(١) البقرة: ٣٨.

(٢) الأعراف: ١٧٦.

(٣) في (ط) «تو» وما أثبتناه من (ك) وهو الصواب.

ثمَّ يكون مضْغةً مثل ذلك، ثم يبعث اللهُ إليه ملكًا بأربع كلمات: فيكتبُ عملَهُ وأجلَه ورزقَه، وشقيٌّ أو سعيد، ثم ينفخُ فيــه الروح، فوالذى لا إله غيره إن أحدَكم ليعمَلُ بعمل أهل الجنة حتى ما يكونَ بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبِقُ عليه الكتاب، فيعملُ بعمل أهلِ النار فيدخلُهــا. وإنَّ أحدَكم ليعمل بعمل أهل النار حــتى ما يكونَ بينَه وبينها إلا ذراع، فيسبقُ عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».متفق عليه.

وقوله: «علقة» وهى الدم الغليظ الجامد، و«ذلك» إشــارة إلى محذوف أى مثل ذلك الزمان. «والمضغة» هى قطعــة من اللحم قدر ما يمضغ. و«النطفة» الماء القــليل. وفى الحديث «جاء رجل بنطفة فى إداوة» وبه سمى المنى نـطفة لقلتها. وقيل: سمـيت بها لنطافتها ـ أى سـيلانها، من قولهم: ماء ناطف أى سيــال ـ و«الكلمات» القضايا المقدرة، وكل قضية تســمى كلمة، قولاً كان أو فعلاً.

«قض»: «ثم يبـعث الله إليه مـلكًا» أى يبعث إليــه الملك فى الطور الرابع حــينمــا يتكامل بنيانه، وتتشكل أعضاؤه، فيعين وينقش فيــه ما يليق به من الأعمال والأعمار والأرزاق حسب ما اقتضــته حكمته، وسبقت كلمــته، فمن وجده مســتعدًا لقبول الحق واتباعــه، ورآه أهلاً للخير، وأسباب الصلاح متوجها إليه أثبته فى عداد السعداء، وكتب له أعمالاً صالحةً تناسب ذلك ومن وجده كذا جافيًا، قاسى القلب، ضاريًا بالطبع، متنائيًا عن الحق، أثبت ذكره فى ديوان الأشقياء الهالكين، وكــتب له ما يتــوقع منه من الشرور والمعــاصي. هذا إذا لم يعلم من حاله وقــوع ما يقتضى تغيــر ذلك، وإن علم من ذلك شيئًا كتب له أوائل أمره وأواخــره، وحكم عليه وفق ما يتم به عمله؛ فإن ملاك العمل خواتمه، وهو الذى يسبق إليه الكتاب، فيعمل عمل أهل الجنة.

«مظ»: اعلم أن الله تعالى يحول الإنسان فى بطن أمــه حالة بعد حالة، مع أنه قادر على أن يخلقه فى لمحة البصــر؛ وذلك أن فى التحويل فوائد وعبراً، منها: أنــه لو خلقه دفعة لشق على الأم؛ لأنها لم تكن معتادة لذلك، وربما يظن علة، فجعلت أولاً نطفــة لتعتاد بها مدة، ثم علقة مدة، وهلم جرا إلى الولادة. ومنها: إظهار قدرة الله تعالى ونعــمته ليعبدوه ويشكروا له، حيث قلبهم من تلك الأطوار، إلى كــونهم إنسانًا حسن الصــورة، متحليًا بالعــقل والشهامة، مــتزينًا بالفهم والفطانة. ومنها: إرشــاد الناس وتنبيههم على كمال قدرتــه على الحشر والنشر؛ لأن من قدر على خلق الإنســان من ماء مهين، ثم من علقــة، ومضغة مــهيأة لنفخ الروح فيــه يقدر على تصييره ترابًا، ونفخ الروح فيه، وحشره فى المحشر للحساب والجزاء.

قوله: «حتــى ما يكون» «حتى» هى الناصبــة، و«ما» نافية ولفظة «يكون» منصــوبة بـ«حتى» و«ما» غير مانعة لها من العــمل و«ذراع» مثل يضرب بمعنى المقاربة إلى الدخول. قوله: «شقى أو

٨٣ - * وعن سهل بن سعـد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليـعمل عملَ أهل النار وإنـه من أهل الجنة، ويعــمل عــملَ أهل الجنة وإنه من أهـل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم». متفق عليه.

سعيد» كان من حق الظاهر أن يقال: تكتب سـعادته، وشقاوته، فعدل إما [حكاية] (١) لصورة ما يكتـبه، لأنه يكتب شقى أو سـعيد، أو التـقدير: أنه شقى أو سـعيد، فـعدل؛ لأن الكلام مسوق إليـهما، والتفصيل وارد عليهـما. و«الفاء» فى «فسبق» للتعقـيب على حصول السبق بلا مهلة، ضـمن «يسبق» معنى يغلب أى يغلب عليـه الكتاب وما قدر عليـه سبقًا بلا مـهلة، فعند ذلك يعمل عمل أهل الجنة، أو أهل النار.

«خط»: فيه بيان ظاهر أن الأعـمال من الحسنات والسيئات أمارات، وليـست بموجبات؛ فإن مصير الأمور فى العاقبة إلى ما سبق به القضاء، وجرى به القدر فى البداية.

الحديث الخامس عن سهل: قـوله: «إنما الأعمال بالخواتيم» هذا [تذييل](*) للكلام السابق، مشتمل على معناه لمزيد التقرير، كـقولهم: حدثت الحوادث والحوادث جمة، وفلان ينطق بالحق والحق [أبلج](٢)، وفيه أن العمل الســابق ليس بمعتبر، وإنما المعتبر العـمل الذى ختم به، كما لوح به حديث ابن مـسعود حيث قال: «فـيسبق عليه الكتـاب» إلى آخره. [شف]:(٣) وفى هذا حث على مواظبة الطاعات، ومراقبة الأوقات، وعلى حفظها عن معاصى الله تعالى خوفًا عن أن يكون ذلك آخر عمره، وفـيه زجر عن العجب والفرح بالأعمال، فرب مـتكل هو مغرور؛ [فإن العبد لا يدرى مـاذا يصيبه فى العاقبـة. وفيه أنه لا يجوز لأحد أن يشـهد لأحد بالجنة أو النار] (٤) فإن أمور العبد بمشيئة الله وقدره السابق؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله عنها: «أو غير ذلك؟» لما قالت على سبيل القطع: «طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة» تم كلامه.

وفيه أيضًا أن الله تعالى يتصرف فى ملـكه ما يشاء وكيف يشاء، وكل ذلك عدلٌ وصوابٌ، وليس لأحد اعتراض عليه؛ لأنه مالك والخلق مملوك، واعتراض المملوك على المالك قبيح موجب للتعذيب، قال الله تعالى: ﴿**لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾(٥) ومن ثَم لما نزل ﴿**وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخـفوه يحاسبكم به الله**﴾(٦) اشتد ذلك على المؤمـنين، وقالوا: يارسول الله! كيف نطيق دفع ما يجرى فى قلوبنا؟ فقال رسول ﷺ: «فلعلكم تقولون كما قالت بنو إسرائيل: ﴿**سمعنا وعصينا**﴾(٧)، قولوا: سـمعنا وأطعنا» واشـتد ذلك عليـهم ومكثوا زمـاناً، فانزل الله تعالى فرجًا بقوله: ﴿**لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها**﴾(٨) فلما أسلموا سهل الله عليهم الأمر، فإذًا لا خلاص ولا نجاة إلا بالتسليم لقضاء الله وقدره.

---

(١) من (ك).
(٢) فى (ط) [أملح] وما أثبتناه من (ك).
(٣) من (ك).
(٤) سقط من (ط) وأثبتناه من (ك).
(٥) الأنبياء: ٢٣ .
(٦) البقرة: ٢٨٤ .
(٧) البقرة: ٩٣ .
(٨) البقرة: ٢٨٦ .
(*) سبق تعريفه ص : ٥٢٦ .

٨٤ ـ * وعن عـائشةَ، رضـى الله عنها، قـالت: دُعى رسـول الله ﷺ إلى جَنازة صبيٍّ من الأنصار، فقـلت: يارسول الله! طوبى لهذا عُصفورٌ من عـصافير الجنة، لم يعمل السـوءَ ولم يُدركه. فـقال: «أو غيـر ذلك ياعائشـة! إن الله خلق للجنة أهلاً،

الحديث السادس عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «طوبى» فُعلى من الطيب، قلب الياء واواً للضمة قبلها، قيل: معنى طوبى له أطيب المعـيشة له، وقيل: معناه أصيب خيرًا على الكناية؛ لأن إصـابة الخيـر مسـتلزم لطيب العـيش له، فأطلـق اللازم وأراد الملزوم. فإن قلت: قـوله: «عصفور من عصافير الجنة» فيه إشكال؛ لأنه ليس من باب التشبيه، كما تقول:هذا كعصفور من عصافـير الجنة، إذ ليس المراد أن ثمة عصـفورًا، وهذا مشابه به، ولا من باب الاسـتعارة؛ لأن المشبـه والمشبه به مـذكوران، لأن التقـدير هو عصفـور، والمقدر كالملـفوظ؟ قلت: هو من باب الادعاء؛ كـقولهم: تحـية بينهم ضربٌ وجـيع، وقولهم: القلم أحـد اللسانين، جـعل بالادعاء التحية والقلم ضربين، أحدهما المتعارف مـن الضرب واللسان [والآخر غير المتعارف من الضرب واللسان]، فـبيَّن فى الأول بقوله: ضـرب وجيع، أن المراد غير المتـعارف، كمـا بين فى الثانى بقوله: أحـد اللسانين، أن المراد منه غيـر المتعارف، جـعلت رضى الله عنها العصـفور صنفين، أحدهما: المتعارف، وثانيهما: الأطفـال من أهل الجنة، وعنيت بقولها: «من عصافير الجنة» أن المراد الثاني، وقولها: «لم يعـمل السوء» بيان لإلحاق الطفل بالعصفور وجـعله منه، كما جعل القائل القلم لسانًا بواسطة إفصاحهما عن الأمر المضمر.

وقوله: «أو غير ذلك؟» «الفـائق»: إن «الهمزة» للاستفهام، و«الواو» عـاطفة على محذوف، و«غير» مرفـوع بعامل مضمر تقديره: أوقع هذا أو غيـر ذلك؟ ويجوز أن يكون «أو» التى لأحد الأمرين: أى الواقع هذا، أو غير ذلك.

أقول: ويجوز أن يكون «أو» بمعنى «بل» أنشد الجوهري:

بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى وصورتها أو أنـت فـى العين أملح

يريد بل أنت، وقـوله تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مـائة ألف أو يزيدون﴾[1] بل يزيدون، كأنه عليه الصلاة والسلام لم يرتض قـولها رضى الله عنها، فأضرب عنه، وأثبت ما يخـالفه؛ لما فيه من الحكم بالغـيب، والجزم بتعين إيمان أبوى الـصبى أو أحدهمـا، إذ هو تبع لهمـا، ومرجع معنى الاستفهام إلى هذا؛ لأنه لإنكار الجزم، وتقرير لعدم التعيين.

ولعل الرد كان قـبل إنزال ما أنزل عليه فى وِلدان المؤمنين، وكرر «خلقـهم» لإناطة أمر زائد عليه، وهو قوله: «وهم فى أصلاب آبائهم» اهتمامًا بشأنه، كما قال زهير:

---

(١) الصافات: ١٤٧.

خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم، وخلق للنارِ أهلاً، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم» رواه مسلم[٨٤] .

٨٥ ـ * وعن علي، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتب مقعدُه من النار ومقعدُه من الجنة». قالوا: يارسول الله! أفلا نتَّكل على

من يلـق يومًا على علاته هرمـًا يلق السماحة منه والندى خلقًا

علاته بكسر العين أى كل حال، وهرمًا اسم رجل، وكرر (يلق)، وعلق به السماحة والندى اهتمامًا به.

«قض»: فى الحديث إشارة إلى أن الثواب والعقاب لا لأجل الأعمال، وإلا لزم أن لا تكون ذرارى المسلمين والكافرين من أهل الجنة والنار، بل الموجب لهما هو اللطف الرباني، والخذلان الإلهى المقدر لهم، وهم فى أصلاب آبائهم، بل هم وآباؤهم وأصول أكوانهم بعد فى العدم، فالواجب التوقف وعدم الجزم على شيء من ذلك.

«مح» : أجمع من يعتد به من علماء المسلمين، على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة؛ لأنه ليس مكلفًا، وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به لهذا الحديث، وأجابوا عنه: لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع، ويحتمل أنه عليه الصلاة والسلام قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين فى الجنة.

قوله: «لم يعمل سوءًا» «مظ»: أى لم يعمل ذنبًا يتعلق بحقوق الله تعالى، وأما إذا كان من حقوق العباد، كإتلاف مال، وقتل مسلم فيؤخذ منه الغرم والدية، وإذا سرق يؤخذ منه المال، ولم تقطع يده؛ لأنه من حقوق الله تعالى. ويحتمل أن يراد بقوله: «وهم فى أصلاب آبائهم» خلق الذرية فى ظهر آدم عليه السلام، وإخراجها ذرية بعد ذرية من صلب كل والد إلى انقراض العالم.

الحديث السابع عن على رضى الله عنه: قوله: «مقعده» أى موضع قعوده، كنى عن كونه من أهل الجنة أو النار باستقراره فيها، و«الواو» المتوسطة بينهما لا يمكن أن تجرى على ظاهرها؛ فإن «ما» النافية و«من» الاستغراقية تقتضيان أن يكون لكل أحد مقعد من النار، ومقعد من الجنة ـ وإن ورد فى حديث آخر هذا المعنى ـ لأن التفصيل الآتى يأبى حمله على ذلك، فيجب أن يقال: إن «الواو» بمعنى أو. «مظ»: قد ورد فى هذا الحديث بلفظ «أو» فى بعض الروايات، وليس فى شرح السنة إلا بلفظ «أو».

---

[٨٤] أخرجه مسلم / ك القدر باب معنى: «كل مولود يولد على الفـطرة » ح(٢٦٦٢) بروايـة أخـرى (٣٢٤).

كتابنا وندَع العمل؟ قال: «اعملوا فكلٌّ ميسَّر لما خُلق له؛ أما من كان من أهل السعادة فسييسَّر لعمل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسيُيسَّر لعمل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فأما مَنْ أعطَى واتَّقى وصَدَّقَ بالحُسْنى﴾ الآية». متفق عليه.

«أفلا نتكل» أفلا نعتمد على ما كتب لنا فى الأزل، ونترك العمل؟ يعني: إذا سبق القضاء لكل واحد منا بالجنة أو النار، فأى فائدة فى السعي؛ فإنه لا يرد قضاء الله وقدره؟ وأجاب عليه الصلاة والسلام بقوله: «اعملوا» وهو من الأسلوب الحكيم، منعهم ﷺ عن الاتكال وترك العمل، وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من امتثال أمر مولاه، وهو عبوديته عاجلاً، وتفويض الأمر إليه آجلاً، يعني: أنتم عبيد، ولا بد لكم من العبودية، فعليكم بما أمرتم به، وإياكم والتصرف فى الأمور الإلهية، لقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(١) فلا تجعلوا العبادة وتركها سببًا مستقلا لدخول الجنة والنار، بل أمارات وعلامات لها، ولا بد فى الإيجاب من لطف الله وكرمه، أو خذلانه كما ورد «ولا يدخل أحدكم الجنة بعمله» الحديث، فالفاء فى «فسيُيسّر» تفصح عن هذه المقدرات.

«خط»: إن قول الصحابى هذا مطالبة بأمر يوجب تعطيل العبودية فلم يرخص ﷺ له. وذلك أن إخبار الرسول عن سابق الكتاب إخبار عن غيب علم الله تعالى فيهم، وهو حجة عليهم، فرام القوم أن يتخذوه حجة لأنفسهم فى ترك العمل، فأعلمهم النبى ﷺ أن هاهنا أمرين محكمين، أحدهما لا يبطل الآخر، باطن: وهو الحكمة الموجبة فى حكم الربوبية، وظاهر: وهو السمة اللازمة فى حق العبودية، وهو أمارة ومخيلة غير مفيدة حقيقة العلم. ويشبه أن يكون - والله أعلم - إنما عوملوا بهذه المعاملة، وتعبدوا بهذا التعبد؛ ليتعلق خوفهم ورجاؤهم بالباطن، وذلك من صفة الإيمان(٢)، وبيّن عليه الصلاة والسلام لهم أن «كل ميسر لما خلق له» وأن عمله فى العاجل دليل مصيره فى الآجل، وتلا قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾(٣) ﴿وأما من بخل واستغنى﴾(٣). وهذه الأمور فى حكم الظاهر، ومن وراء ذلك حكم الله تعالى فيهم «وهو الحكيم الخبير»، ﴿لايُسأل عما يفعل وهم يسألون﴾(٤). واطلب نظيره من أمرين: الرزق المقسوم مع الأمر بالكسب، ومن الأجل المضروب مع المعالجة بالطب،

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) قال محقق (ط) وفى نسخة أخرى: ليتعلق خوفهم بالباطن الغيب عنهم ورجاؤهم بالظاهر البادى لهم - والخوف والرجاء مدرجا الربوبية - ليستكملوا بذلك صفة الإيمان.

(٣) الليل: (٥،٦،٨).

(٤) الأنبياء: ٢٣.

٨٦ ـ * وعن أبي هريرة، قـال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كـتب على ابن آدمَ حظَّهُ من الزِّنا، أدركَ ذلك لامـحالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسـان النطق، والنفسُ تَمنَّى وتشتهي، والفرجُ يصدق ذلك ويكذبه» متفق عليه.

فإنك تجد المعتبر فيهما علة موجبـة، والظاهرَ البادى سبباً مخيلاً، وقد اصطلح الناس ـ خواصهم وعوامهم ـ على أن الظاهر منها لا يترك بالباطن. وقوله: «وكل ميسر» أى مهيأ ومصروف إليه.

الحديث الثـامن عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «حظه من الزنـا» «من» البيانيـة مع ما يتصل بهـا حال من «حظه». «أدرك» أصاب ووصل. «لامحـالة» «لا» لنفى الجنس، الجوهرى: حال لونه أى تغيـر وحال عن العهد حولا انقلب، وحال الشىء بينى وبينـك حجز، والمحالة الحيلة، يقـال: المرء يعجز لا المحالة، وقـولهم لامحالة: أى لابد، يقال: الموت آت لامـحالة ـ والجملة الثـانية مرتـبة على الأولى بلا حرف التـرتيب، تفويضًا لاستـفادتـه إلى ذهن السامع، والتقدير: كـتب الله تعالى وما كتبه لابد أن يقع. «كـتب» يحتمل أن يراد به أثبت، أى أثبت فيه الشـهوة والميل إلى النساء، وخلق فيه العيـنين، والأذنين، والقلب، والفرج، وهى التى تجد لذة الزنا، وأن يراد به قـدر أى قدر فى الأزل أن يجـرى على ابن آدم الزنا، فإذا قـدر فى الأزل أدرك ذلك لامحالة.

قوله: «زنا العين النظر» إلى آخره، سـمى هذه الأشياء باسم الزنا؛ لأنها مقـدمات له مؤذنة بوقوعه، ونسب التصديق والتكذيب إلى الفرج؛ لأنه منشؤه ومكانه، أى يصدقه بالإتيان بما هو المراد منه، ويكذبه بالكف عنه والترك.

«فا» فى قوله: «كذب عليك الحج»: «كذب» كلمـة جرت مجرى المثل فى كلامهم، وهى فى معـنى الأمر، كأنـه يريد أن «كذب» ههنا تمثـيل لإرادة معنى: اترك مـاسولت لك نفـسك من التوانى فى الحج، ثم استأنف بقـوله: «اقصد الحج» فشبه إيجاب الحج عليه بسـبب تهيؤ أسبابه ووجوب اسـتطاعته، ثم تقـاعده عنه، كأنه يقـول: لم يجب عليك الحج؟ فقـيل: كذب عليك الحج، على سبـيل التأكيد، وكذا مـا نحن بصدده من **الاستعارة التمثيلية**، شبهـت صورة حال الإنسان، من إرساله الطرف ـ الذى هو رائد القلب ـ إلى النظر إلى المحارم، وإصغائه الأذن إلى السماع، ثم انبـعاث القلب إلى الاشتهاء والتمني، ثم اسـتدعائه منه قصارى ما يشـتهى ويتمنى باستعمال الرجلين فى المشي، واليدين فى البطش، والفرج فى تحقيق مشتهاه، فإذا مضى الإنسان على ما استدعاه القلب حقق متمناه، وإذا امتنع عن ذلك خيبه فيه، بحالة رجل(*) يخبره صاحبه بما يزينه له ويغريه عليه، فـهو إما يصدقه بذلك ويمضى إلى مـا أراده منه، أو يكذبه ويأبى عما دعاه إليه، ثـم استعمل فى حـال المشبه ما كان مـستعمـلاً فى جانب المشبه به، من الـتصديق والتكذيب؛ ليكون قرينة للتمثيل، وكأن الحُماسى نظر إلى هذا المعنى حيث قال:

(*) كذا في الأصل، ولعله من اسـتخدام الطيبي ـ رحمـه الله ـ للإيجاز في كتابتـه، وعلى ذلك يكون مراده: ويُمثَّل ما سبق بحالة رجل.... إلخ.

وفي رواية لمسلم قال: «كُتب على ابن آدم نصيبُه من الزنا، مدركٌ ذلك لامحالة، العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليدُ زناها البطش، والرجلُ زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصَدق ذلك الفرجُ ويكذبه».

٨٧ ـ * وعن عمرانَ بن حصين: أنّ رجلين من مُزَيْنَة قالا: يارسول الله! أرأيتَ ما يَعْملُ الناسُ اليومَ ويكدَحون فيه؟ أشيءٌ قُضِيَ عليهمْ ومضى فيهم من قَدَرٍ سَبَقَ، أو

وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

رأيت الذى لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

الإسناد فى قوله: «والفرج يصدقه أو يكذبه» مجازي؛ لأن الحقيقى هو أن يسند إلى الإنسان، فأسنده إلى الفرج؛ لأنه مصدر الفعل والسبب القوي.

الحديث التاسع عن عمران: قوله: «أرأيت» معناه أخبرني، من إطلاق السبب على المسبب؛ لأن مشاهدة الأشياء طريق الإخبار عنها، و«الهمزة» فيه مقررة أى قد رأيت ذلك فأخبرني. «الكدح» جهد النفس فى العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها، من كدح جلده إذا خدشه، كذا فى الكشاف. و«من» فى «من قدر» يجوز أن تكون بيانًا «لشيء» فيكون القضاء والقدر شيئًا واحداً، وأن تكون ابتدائية متعلقة بـ«قضي» أى قضى عليهم لأجل قدر سبق، وقضاء نشأ وابتدأ من قدر، فيكون القدر سابقًا على القضاء.

«نه»: المراد بالقدر التقدير، وبالقضاء الخلق، كقوله تعالى ﴿فقضاهن سبع سموات فى يومين﴾[1] أى خلقهن، فالقضاء والقدر أمران متلازمان لاينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام التفصيل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه.

«غب»: القضاء من الله أخص من القدر؛ لأن الفصل بين التقدير والقدر هو التقدير، والقضاء، هو الفصل والقطع، وقد ذكر بعض العلماء: أن القدر بمنزلة المعد للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل؛ ولهذا لما قال أبو عبيدة لعمر رضى الله عنهما لما أراد الفرار من الطاعون بالشام: «أتفر من القضاء؟ قال: أفر من قضاء الله إلى قدر الله» تنبيهًا على أن القدر ما لم يكن قضاء فمرجو أن يدفعه الله، فإذا قضى فلا مدفع له، ويشهد بذلك قوله عز وجل: «كان على ربك حتمًا مقضيا» تنبيهًا على أنه صار بحيث لايمكن تلافيه.

وأقول: يؤيد هذا حديث الرقى كما سيجئ، وهذا البيان هو الذى وعدناه فى حديث جبريل

---

(١) فصلت: ١٢.

فيما يَستقبلون به مما أتاهم به نبيُّهم وثبتتِ الحجةُ عليهم؟ فقال: «لا، بل شيءٌ قُضِي عليهم ومَضَى فيهم، وتصديقُ ذلك في كتاب الله عزَّ وجل: (ونَفْسٍ وما سَوَّاها فألْهَمَهَا فُجورَها وتقواها)»رواه مسلم. [٨٧]

٨٨ - * وعن أبى هريرة، قال: قلت: يارسول الله! إنى رجلٌ شابٌّ، وأنا أخافُ على نفسى العنت، ولا أجدُ ما أتزوج به النّساء، كأنه يستأذنه فى الاختصاء،

ـ عليه السلام ـ، ونقلنا عن القاضى خلاف ذلك. ومما يؤاخيه أن عبدالله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل فقال: أشكل على قوله تعالى: ﴿كل يوم هو فى شأن﴾(١) وقال النبى ﷺ: «جف القلم بما أنت لاق» فأجاب: إنها شئون يبديها، لا شئون يبتديها، فقام عبدالله وقبل رأسه.

قال بعض العارفين: إن القدر كتقدير النقاش الصورة فى ذهنه، والقضاء كرسمه تلك الصورة للتلميذ بالأسرب*، ووضع التلميذ الصبغ عليها متبعًا لرسم الأستاذ هو الكسب والاختيار، والتلميذ فى اختياره لايخرج عن رسم الأستاذ، كذلك العبد فى اختياره لا يمكنه الخروج عن القضاء والقدر، ولكنه متردد بينهما.

قوله: «أو فيما يستقبلون به مما آتاهم به نبيهم» كذا فى صحيح مسلم، وكتاب الحميدي، وجامع الأصول، ووقع فى نسخ المصابيح «أم فيما يستقبلون؟» فقال: «لا، بل شىء قضى عليهم».

أقول: على كلتا الروايتين ليس السؤال عن تعيين أحد الأمرين، إذ الجواب ـ وهو قوله ـ عليه الصلاة والسلام: «لا، بل» ـ غير مطابق له، وإذا تقرر هذا فـ«أم» منقطعة، و«أو» بمعنى بل، وتحريره: أن السائل لما رأى الرسل يأمرون أممهم وينهونهم، اعتقد أن الأمر أنف، كما زعمت المعتزلة، فسأل أولا عن الأمر أهو شىء مقدر؟ ثم بدا له وأضرب عن ذلك، واستأنف فقال: أهو واقع فيما يستقبلون به؟ والهمزة للتقرير؛ فلذلك نفى رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما أثبته، وقرره وأكده بـ«بل» ولو كان السؤال عن التعيين لقال: أشىء قضى عليهم، أم شىء يستقبلونه بالتكلم، بل غير العبارة وعدل إلى الغيبة، وعمم الأمم كلها وأنبياءهم، فدل ذلك على صحة ما قلناه، من إضرابه عن السؤال الأول إلى الثاني.

الحديث العاشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «العنت» العنت الإثم، قال الله

[٨٧] أخرجه مسلم/ك القدر، باب كيفية خلق الآدمى فى بطن أمه ...ح/(٢٦٥٠)، والآيتان من سورة الشمس: ٧.٨ .

(١) الرحمن: ٢٩.

* أى الرصاص، انظر اللسان مادة (س ر ب) .

قال: فسكت عني، ثم قلتُ مثلَ ذلكَ، فسكتَ عني، ثم قلت مثل ذلك، فسكتَ عني، ثم قلت مثلَ ذلك، فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة! جفَّ القلم بما أنت لاقٍ، فاختص على ذلك أو ذَر» رواه البخاري.

تعالى: ﴿ذلك لمن خشي العنت﴾[1] يعنى - الفجور والزنا- قوله: «فى الاختصاء» خصيت الفحل خصاء- ممدوداً - إذا سللت خصيته. و«جف القلم» يقال: جف الثوب وغيره يجف بالكسر جفافًا وجفوفًا إذا ابتل ثم جف، وفيه نداوة. «تو»: وهو كناية عن جريان القلم بالمقادير وإمضائها والفراغ منها، أقول: هذا من باب إطلاق اللازم على الملزوم؛ لأن الفراغ بعد الشروع يستلزم جفاف القلم عن مراده.

«مظ»: والمعنى: إن ما كان ومايكون قدر فى الأزل فلا فائدة فى الاختصاء، فإن شئت فاختص، وإن شئت فاترك، وهذا ليس منه إذنًا له، بل هو توبيخ ولوم على استئذانه قطع العضو من غير فائدة، كقوله تعالى: «**اعملوا ما شئتم**».

«تو»: لم نجد هذا اللفظ أى «جف القلم» مستعملا على هذا الوجه فيما انتهى إلينا من كلام العرب، إلا فى كلام رسول الله ﷺ، فأراها من الألفاظ المستعارة التى لم يهتد إليها البلغاء، فاقتضتها الفصاحة النبوية. وما ذكر ﷺ فى هذا الحديث «فاختصر على ذلك أوذر»، فالصواب «فاختص» بتخفيف الصاد من الاختصاء، وكذلك يرويه المحققون من علماء النقل، وقد صحفه بعض أهل النقل فرواه على ماهو فى كتاب المصابيح، ولايكاد يتلبس ذلك إلا على عوام أصحاب الرواية، أو على من انتهى إليه الحديث مختصرًا على ما هو فى المصابيح، وأما من كان معتنياً بضبط الألفاظ، واتباع المعانى فلا يخفى عليه وجه الصواب، إذا استوعب طرق هذا الحديث. وقد روى هذا الحديث مستوفى فى كتب أهل العلم من وجوه. قال المؤلف: الحديث فى صحيح البخارى ، وفى الجمع بين الصحيحين للحميدى، وفى شرح السنة، وفى بعض نسخ المصابيح مذكور- كما ذكر التوربشتي- بصاد مكسورة بغير ياء بعدها.

«شف»: معنى الرواية بالراء بعد الصاد الاختصار، وهو حذف المطولات من الكلام، والاقتصار على الألفاظ القليلة الدالة على المعنى، فإذاً المعنى: اعلم أنه قد سبق في علم الله تعالى جميع ما يصدر عنك ويأتيك فاقتصر على ذلك؛ فإن الأمور مقدرة فيما سبق، أو ذر ودع ولا تخض فيه.

«قض»: «أو» للتسوية، ومعناه: إن الاختصار على التقدير والتسليم له، وتركه والإعراض عنه سواء؛ فإن ماقدر لك من خير أو شر فهو لامحالة لاقيك، وما لم يكتب فلاحيلة ولاطريق إلى حصوله لك. وأقول: على ذلك فى رواية: «اختصر» متعلق بالفعل على تضمين

---

(١) النساء: ٢٥.

٨٩- * وعن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قلوبَ بنى آدم كلَّها بين إصْبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفُهُ كيف يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ مصرفَ القلوب صرِّف قلوبَنا على طاعتك» رواه مسلم. [٨٩].

«اختصر» لمعنى «اقتصر»، أى اقتصر على ما ذكرت لك، واترك الاختصاء، وارض بقضاء الله، أو رد ما ذكرته، وامض لشأنك، واختص، فيكون تهديدًا، وعلى رواية «اختص على» متعلق بمحذوف هو حال من المستكن فى اختص؛ والمعنى اختص فى حال عرفانك أن القلم جف بما هو كائن، فيكون حالك مخالفًا للمؤمنين، أو ذر الاختصاء، وأذعن وأسلم لقضاء الله ؛ فعلى هذا يكون الأول للتهديد على عكس السابق، و«أو» على التقديرين للتخيير.

الحديث الحادى عشر عن عبدالله بن عمرو: قوله: «بين إصبعين» «تو»: هذا الحديث ليس من جملة ما يتنزه السلف عن تأويله، كأحاديث السمع، والبصر، واليد وما يقاربها فى الصحة والوضوح؛ فإن ذلك يحمل على ظاهره، ويجرى بلفظه الذى جاء به من غير أن يشبه بمسميات الجنس، أو يحمل على معنى الاتساع والمجاز، بل يعتقد أنها صفات الله تعالى لاكيفية لها؛ وإنما تنزهوا عن تأويل هذا القسم، لأنه لايلتئم معه، ولايحمل ذلك على وجه يرتضيه العقل، إلا ويمنع منه الكتاب والسنة من وجه آخر. وأما ماكان من قبيل هذا الحديث، فإنه ليس فى الحقيقة من أقسام الصفات؛ ولكن ألفاظه مشاكلة لها فى وضع الاسم، فوجب تخريجه على مايناسب نسق الكلام، وعلى ما يقتضيه من المعنى؛ ليقع الفصل بين هذا الضرب وبين مالايدخل فيه المجاز والاتساع. وقد أجرى بعض الأولين «الإصبع» فى الحديث مجرى قول العرب للراعى على ماشيته: إصبع حسن أى أثر حسن، وذكر فى قول القائل:

ضعيف القفا بادى العروق يرى له ... عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا.

وهذا من باب التعسف فى التأويل؛ لأنه لايناسب نسق الكلام، انتهى كلامه.

واعلم أن للناس فيما جاء من صفات الله مما يشبه صفات المخلوقين تفصيلاً، وذلك أن المتشابه قسمان: قسم يقبل التأويل، وقسم لايقبله، بل علمه مختص بالله تعالى، ويقفون عند قوله: **﴿لايعلم تأويله إلا الله﴾**(١) كالنفس فى قوله تعالى: **﴿تعلم مافى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك﴾**(٢) والمجئ فى قوله: **﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾**(٣) وتأويل فواتيح السور، مثل «حم» و«الم» من هذا القبيل.

---

[٨٩] أخرجه مسلم / ك القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء ح(٢٦٥٤).

(١) آل عمران: ٧. (٢) المائدة: ١١٦. (٣) الفجر: ٢٢.

وذكر شيخنا شيخ الإسلام شهاب الدين أبو حفص السهروردى ـ قدس الله سره ـ فى كتاب العقائد: أخبر الله عز وجل أنه استوى، فقال الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾(١) وأخبر رسوله عليه الصلاة والسلام بالنزول، وغير ذلك مما جاء فى اليد، والقدم، والتعجب، والتردد وكل ماورد من هذا القبيل دلائل التوحيد، فلا يتصرف فيها بتشبيه وتعطيل، فلولا إخبار الله تعالى وإخبار رسوله، ماتجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى، وتلاشى دون ذلك عقل العقلاء، ولب الألبَّاء.

أقول: هذا المذهب هو المعتمد عليه، وبه يقول السلف الصالح، ومن ذهب إلى القسم الأول شرط فى التأويل أن مايؤدى إلى تعظيم الله تعالى وجلاله وكبريائه فهو جائز، فعلى هذا معنى الحديث: أنه سبحانه وتعالى متصرف فى قلوب عباده وغيرها كيف شاء، لايمتنع منها شئ ولايفوته ما أراده، كما يقال: فلان فى قبضتى أى فى كفى، لايراد به أنه حال فى كفه، بل المراد تحت قدرتى، ويقال: فلان بين إصبعى أقلبه كيف شئت أى أنه هين عليَّ قهره والتصرف فيه كيف شئت. ومالا تعظيم فيه فلا يجوز الخوض فيه، فكيف بما يؤدى إلى التشبيه والتجسيم؟ وهذا التقسيم خاص(*). وأما قول التوربشتى: وهذا من باب التعسف فى التأويل، فجوابه أنهم يطلقون اليد على القدرة؛ لأنها مصدرها ومنشؤها؛ وإنما يستعملونها فيها إرادة للمبالغة فى مزاولة العمل، فإذا نظروا فى دقة العمل وحسن الصنع قالوا: إن له فيه إصبعاً؛ لأن الأصابع منشؤها الحذق فى الصناعة واللطف فيها، كالكتابة والصناعة ونحوهما.

ولما كانت داعيتا الخير والشر مصدرهما القلوب، وتقلبهما فى الإيمان والكفر والطاعة والمعصية أمر تتحير فيه العقول، ولا تنتهى إليها الأوهام، وليس ذلك إلا بتصرف الملك العلام، ناسب ذكره نسق الكلام، والله أعلم.

قالوا: المراد بالإصبعين صفتا الله تعالى وهما صفتا الجلال والإكرام، فبصفة الجلال يلهمها فجورها، وبصفة الإكرام يلهمها تقواها، أى يقلبها تارة من فجورها إلى تقواها، بأن يجعلها تقية بعد أن كانت فاجرة، ويعدلها أخرى عن تقواها إلى فجورها، بأن يجعلها فاجرة بعد أن كانت تقية، قال الله تعالى: «فألهمها فجورها وتقواها»(٢). (**)

«قض»: نسب تقلب القلوب إلى الله تعالى إشعاراً بأن الله تعالى إنما تولى بنفسه أمر قلوبهم، ولم يُكله إلى أحد من ملائكته، وخص «الرحمن» بالذكر إيذانًا بأن ذلك التولى لم يكن إلا بمحض رحمته وفضل نعمته؛ كيلا يطلع أحد غيره على سرائرهم، ولايكتب عليهم ما فى ضمائرهم.

---

(١) طه: ٥. (٢) الشمس: ٨.

(*) كذا في (ط) وفي (ك): «حاصروه».

(**) لا حاجة بنا إلى هذه التأويلات التي هي من باب التكهن والرجم بالغيب لأننا متفقون على نفي التشبيه والتجسيم عنه سبحانه، ومن ثم فمهما أثبتنا له من الصفات التي أثبتها لنفسه سبحانه أو أثبتها له رسوله ﷺ فإنما نثبت له الصفة كاليد والإصبع والرجل والعين وغير ذلك بغير تشبيه ولا تجسيم، بل على الوجه اللائق به سبحانه، وهذا لا يمنع القول بلوازم هذه الصفات بعد إثباتها لله تعالى بشرط أن تكون تلك اللوازم ثابتة لله تعالى بالنصوص الصحيحة =

وقوله: «كقلب واحد» قالوا: يعنى كما أن أحدكم يقدر على شئ واحد، الله تعالى يقدر على جميع الأشياء دفعة واحدة، ولايشغله شأن عن شأن. أقول: ليس المراد أن التصرف فى القلب الواحد أسهل عليه تعالى من التصرف فى القلوب كلها؛ فإن ذلك عند الله سبحانه وتعالى سواء، وقال الله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون﴾ (١) ولكن ذلك راجع إلى العباد وإلى ماشاهدوه وعرفوا ذلك فيما بينهم، كقوله سبحانه: ﴿وهو أهون عليه﴾(٢) أى أهون فيما يجب عندكم، وينقاس على أصولكم، ويقتضيه معقولكم، وإلا فالإبداء والإنشاء سواء عند الله تعالى. و«كيف يشاء» يجوز أن يكون حالاً على التأويل أى هينًا سهلاً سريعًا لايمنعه مانع؛ لأنه جواب كيف، وأن يكون مصدرًا محذوفًا على التأويل أى يقلبها تقليبًا سريعًا سهلاً لايمنعه من التصرف فيها مانع.

و«اللهم» الميم فيها عوض من ياء؛ ولذلك لايجتمعان، قال الزجاج فى قوله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك﴾(٣): زعم سيبويه أن هذا الاسم لايوصف؛ لأنه قد ضمت إليه الميم. وما بعده منصوب بالنداء. والقول عندى: أنه صفة فكما لايمتنع الصفة مع يا فلا يمتنع مع الميم. قال أبو على: قول سيبويه عندى أصح؛ لأنه ليس فى الأسماء الموصوفة شئ على حد «اللهم» ولذلك خالف سائر الأسماء، ودخل فى حيز مالايوصف نحو حيهل؛ فإنهما صارا بمنزلة صوت مضموم إلى اسم فلم يوصف.

أقول: ويساعد قول سيبويه مقام التضرع والابتهال؛ فإنه استغاث أولاً بقوله: يا الله، ثم أعاد النداء مقررًا لمعنى الاستغاثه، ولذلك أطنب فى الكلام، إذ لو قيل: «اللهم صرف قلوبنا على طاعتك» لكان كافيًا فى الظاهر، وفى جمع القلوب إشعار برأفته ورحمته على الأمة ـ عليه الصلاة والسلام ـ ويجوز أن يكون معنى الدعاء فى هذا المقام، أنه ﷺ لما قال: «إن قلوب بنى آدم» أخطر فى خلده ـ عليه الصلاة والسلام ـ ماعسى أن يتوهم متوهم خلاف الشمول، وأن مثل الأنبياء خارجون عن هذا الحكم، فأزيل التوهم بكلمة الشمول، ثم خص نفسه بالتضرع والابتهال إعلامًا بأن نفسه القدسية الطاهرة المصطفوية إذا كانت مفتقرة إلى اللجأ منه إليه، كما قال: «أعوذ بك منك» كان غيره أولى وأحرى.

الحديث الثانى عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «مامن مولود» مبتدأ و«يولد» خبره؛ لأن «من» الاستغراقية فى سياق النفى يفيد العموم، كقولك: ما أحد خير منك،

= الصريحة وذلك كما يدل اسم الخالق على صفة القدرة والحياة وغيرها بدلالة الالتزام مع ثبوت صفتى القدرة والحياة كذلك بالنصوص المستفيضة، وهذا لا يلزم عنه بطلان صفة الخالق، بل نقول بإثبات الصفة وما يلزم عنها، فمن ثم لامانع من إثبات صفة الإصبع مثلا، وإثبات اللازم لها من الإبداع وحسن التصرف وغيره فكل ذلك ثابت لله تعالى.

(١) يس: ٨٢. (٢) الروم: ٢٧. (٣) آل عمران: ٢٦.

الفطرة ، فأبواه يُهَودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنْتج البهيمةُ بهيـمةً جمعاء، هل تُحِسون فيها من جَدْعاء؟ ثم يقول: (**فطرةَ الله التى فَطَر الناسَ عليهـا لاتبديلَ لخَلْقِ الله ذلك الدينُ القيِّم**) » متفق عليه.

والتقدير: مـامن مولود يوجد على أمر من الأمـور إلا على هذا الأمر. و«الفطرة» تدل على نوع منها وهو الابتداء(*) والاختراع، كالجلسة والقـعدة، والمعنى بها هاهنا تمكن الناس من الهدى فى أصل الجبلة، والتهيؤ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها؛ لأن هذا الدين حسنه مـوجود فى النفوس، وإنمـا يعدل عنه لآفة من الآفـات البشرية والتـقليد، كقوله تعالى: ﴿**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى**﴾ (١) والفاء فى «فأبواه» إما للتعقيب وهو ظاهر، وإما للتسبيب أى إذا تقرر ذلك فمن تغير كان بسبب أبويه.

وقوله: «كما» إما حال من الضمير المنصوب فى «يهودانه» مثلاً، فالمعنى: يهودان المولود بعد أن خلق على الفطرة شبـيهًا بالبـهيمة التي جُـدعت بعد أن خلقت سليمـة، وإما صفة مـصدر محذوف أي يغيران تغييرًا مثل تغـييرهم البهيمة السليمة(**)، فالأفعال الثلاثة أعنى: يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه، تنازعت فى «كمـا » على التقديرين، و«تنتج» يروى على بناء المفعول. فى المغرب عن الليث: وقد نتج الناقة ينتـجها نتجًا إذا تولى نتاجها حـتى وضعت فهو ناتج، وهو للبهائم، كالقابل للنساء، والأصل: من نتجها، ولذا يعدى إلى مفعولين، وعليه بيت الحماسة:

وهم نتجوك تحت الفيل سقياً

فإذا بنى للمفعول الأول قيل: نتجت ولدًا إذا وضـعته، وعليه حديث الحارث «كنا إذا نتجت فرس أحدنا فلوًا- أى مهرًا» الحديث.

و«الجمعاء» البـهيمة التى لم يذهب من بدنها شئ، سمـيت بها لاجتماع سلامـة أعضائها، لاجدع بها ولاكى. و«هل تحسون فيها من جدعاء؟» فى موضع الحال على التقديرين، أى بهيمة سليمـة مقولاً فى حقـها هذا القول، وفـيه نوع من التأكـيد، بمعنى كل من نظر إليهـا قال هذا القـول؛ لظهور سـلامتهـا. و«الجدعـاء» البهـيمـة التى قطعت أذنها، من جـدع إذا قطع الأذن والأنف. وتخصيص ذكر الجدع إيماء إلى أن تصميمـهم على الكفر إنما كان بسبب صممهم عن الحق، وأنه كان خليقًا • فيهم.

«ثم يقول» والظـاهر ثم قرأ، فعـدل إلى القول وأتى بالمضـارع على حكاية الحال الماضـية؛ استحـضارًا له فى ذهن السامع، كأنه يسـمع منه عليه الصلاة والسلام، إلا أن قـوله: «لاتبديل» لايجوز أن يكون إخبارًا محضًا، لحصول التبديل، بل يُؤوّل بأن يقال: من شأنه أن لايبدل، أو يقال: إن الخبر بمعنى النهى، قال حمـاد بن سلمة فى معنى الحديث: هذا عندنا حيث أخذ الله عز وجل عليهم العهد فى أصلاب آبائهم فقال: «**ألست بربكم قالوا بلى**»(٢).

---

(١) البقرة: ١٦.

(٢) الأعراف: ١٧٢.

(*) في ط «الإبداع» وما أثبتناه من (ك).

(**) سقط من (ط) وأثبتناه من (ك).

• كذا في ط ، وفي ك «خلقيًا»

«مظ»: معنى قول حماد فى هذا حسن، فكأنه ذهب إلى أنه لاعبرة بالإيمان الفطرى فى أحكام الدنيا، وإنما يعتبر الإيمان الشرعى المكتسب بالإرادة والفعل، إلا أنه يقول: «فأبواه يهودانه» فى حكم الدنيا، فهو مع وجود الإيمان الفطرى فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين.
أقول- والعلم عند الله- : ويؤيد هذا وجوه.

أحدها : أن التعريف فى قوله عليه الصلاة والسلام: «يولد على الفطرة» إشارة إلى معهود، وهو قوله تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التى فطر الناس عليها**﴾(١) لأن معنى المأمور به بقوله: «**فأقم وجهك**» اثبت على العهد القديم، المعني به فى قوله تعالى: ﴿**وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى**﴾(٢).

وثانيها: ماجاء فى طرق هذا الرواية «ما من مولود إلا وهو على الملة» وكذا أورد الترمذى هذا الحديث فى كتابه بغير لفظة الفطرة ولفظه «كل مولود يولد على الملة» لأن الدين فى قوله تعالى: «**فأقم وجهك للدين حنيفًا**» هو عين الملة؛ لقوله تعالى: ﴿**دينا قيما ملة إبراهيم حنيفاً**﴾(٣) وقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله: «إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم(٤) عن دينهم» الحديث، أخرجه مسلم عن عياض المحاسبى.

وثالثها: التشبيه بالمحسوس المعاين؛ ليفيد أن ظهوره بلغ فى الكشف والبيان مبلغ هذا المحسوس المشاهد، ثم قيده بقوله: «هل تحسون» تقريراً لذلك، كما سبق، تلخيصه أن العالم إما عالم الغيب، وإما عالم الشهادة، فإذا نزل الحديث في عالم الغيب أشكل معناه، وإذا صرف إلى عالم الشهادة الذى عليه مبنى ظاهر الشرع سهل تعاطيه، كما قال الخطابى.

وتحريره: أن الناظر إذا نظر إلى المولود نفسه من غير اعتبار عالم الغيب، وأنه ولد على الخلقة التى خلق الله تعالى الناس عليها من الاستعداد للمعرفة وقبول الحق، والتأبي عن الباطل، والتمييز بين الخطأ والصواب- حكم بأنه لو ترك على ماهو عليه، ولم يعتوره من الخارج ما يصده عن النظر الصحيح، من فساد التربية، وتقليد الأبوين، والإلف بالمحسوسات، والانهماك فى الشهوات، ونحو ذلك- استمر على ماكان عليه من الفطرة السليمة، ولم يختر عليه(*) شيئاً، ولم يلتفت إلى جنبه سواها، لكن يصده عن ذلك أمثال هذه العوائق. فإن قلت: أمر الغلام الذى قتله الخضر ينقض عليك هذا البناء؛ لأنه لم يلحق بأبويه، بل خيف إلحاقهما به لقوله تعالى: ﴿**فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفراً**﴾(٥) ولقوله عليه الصلاة والسلام فى حديث

---

(١) الروم: ٣٠ . (٢) الأعراف: ١٧٢ .

(٣) الأنعام: ١٦١ .

(٤) فى ط فاحتالتهم، والتصويب من ك، وصحيح مسلم، واجتالتهم أي أبعدتهم.

(٥) الكهف: ٨٠.

(*) كذا في الأصول، والأصوب: (عليها).

٩١ - * وعن أبى موسى ، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال:

موسى والخضر- عليهما السلام- : «الغلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً» وهذا الحديث مخرج فى الصحيح. قلت: لاينقضه، بل يرفعه ويشيد بنيانه؛ لأن الخضر- عليه السلام- نظر إلى عالم الغيب، وقتل الغلام، وموسى- عليه السلام- اعتبر عالم الشهادة وظاهر الشرع فأنكر عليه؛ ولذلك لما اعتذر الخضر ـ عليه السلام ـ بالعلم الخفى الغائب أمسك موسى عليه السلام.

واعلم أن الشيخ التوربشتى ذكر فى الحديث وجوهًا، اختارها من وجوه كثيرة استنبطها العلماء، ونحن اخترنا منها هذا الوجه؛ لكونه أظهر وإلى التحقيق أقرب، و﴿ **الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله**﴾(١).

الحديث الثالث عشر عن أبى موسى: قوله: «قام فينا» فيه ثلاثة أوجه من الإعراب، أحدها: أن يكون «فينا، وبخمس» حالين مترادفين، أو متداخلتين، وذلك أن يكون الثانى حالا من الضمير المستتر فى الحال الأولى، أى قام خطيبًا فينا مذكرًا بخمس كلمات.

وثانيها: أن يكون «فينا» متعلقاً بـ«قام» بأن يضمن معنى «خطب» والثانى حالاً أى خطب فينا قائمًا مذكرًا بخمس، و«قام» فى الوجهين بمعنى القيام ، على ماورد فى حديث أوس بن حذيفة الثقفى رضى الله عنه «كان النبى ﷺ ينصرف إلينا بعد العشاء، فيحدثنا قائمًا على رجليه، حتى يراوح بين قدميه من طول القيام».

وثالثها: أن تعلق «بخمس» بـ «قام» ويكون «فينا» بيانًا، كأنه لما قيل: قام بخمس، فقيل: فى حق من؟ أجيب: فى حقنا وجهتنا، كقوله تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا**﴾ (٢).

«الكشاف»(٣) فى قوله تعالى ﴿**فلما بلغ معه السعى**﴾(٤). قيل مع من؟ قيل: معه، وكذلك قدر فى قوله سبحانه: ﴿**لمن أراد أن يتم الرضاعة**»(٥). فعلى هذا «قام» بمعنى قام بالأمر أى تشمر وتجلد له، فالمعنى: أنه قام بحفظ تلك الكلمات فينا؛ لأن القيام بالشئ هو المراعاة والحفظ له، قال الله تعالى: ﴿**كونوا قوامين بالقسط**﴾(٦) وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت**﴾(٧). الشارحون: «بخمس كلمات» أى بخمس فصول.

---

(١) الأعراف: ٤٣.
(٢) العنكبوت: ٦٩.
(٣) الكشاف: (٣ / ١٩٦).
(٤) الصافات: ١٠٢.
(٥) البقرة: ٢٣٣.
(٦) النساء: ١٣٥.
(٧) الرعد: ٣٣

«إن الله لاينامُ، ولاينبغى لـه أن ينام، يخفضُ القسطَ ويرفـعه، يُرفع إليـه عملُ الليل قبلَ عـمل النهار، وعمل النهـار قبل عمل الليل، حـجابهُ النور، لو كشفـه لأحرقت سبُحَاتُ وجهِهِ ما انتّهى إليه بصره من خلقه» رواه مسلم [٩١].

«تو»: وهم يطلقون الكلمـة، ويعنون الجملة المركبـة المفيدة؛ ولهذا يسـمون القصيـدة كلمة، وإحدى الكلمـات منها «إن الله لاينام» والثـانية «لاينبغى له أن ينام» والـثالثة «يخـفض القسط ويرفـعه» والرابعـة «يرفع إليه عـمل الليل قبل عـمل النهـار، وعمل النهـار قبل عـمل الليل» والخامسـة «حجابه النور». «شف»: لما كانت الكلمة الأولى تدل بـظاهرها على عدم صدور النوم عنه تعالى أكدها بذكـر الكلمة الثانية الدالة على نفى جواز صدور النوم عنـه، فقال: ﴿ولاينبغى له أن ينام﴾ ولا يلزم من عدم الصدور عنه عدم جواز الصدور.

قوله ﷺ : «يخفض القسط» «تو»: فسر بعـضهم «القسط» فى هذا الحديث بالرزق أى يقتره ويوسعه، وإنما عبر عن الرزق بالقسط؛ لأنه قسط كل مخلوق؛ وفسره بعضهم بالميزان، ويسمى الميزان قـسطًا لما يقع به من المعدلة فى القسـمة، وهذا أولى القولين بالتقـدم، لما فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه «يرفع الميزان ويخفضـه» ويجوز أن يكون المراد من رفع الميزان ما يوزن من أرزاق العباد النازلة من عنده، وأعمالهم المرتفعة إليه.

ويحتمل أنه أشار إلى أن الله ﴿كل يوم هو فى شأن﴾(١) وأنه يحكم فى خلقه بميزان العدل، وبين المعنى بما شوهد مـن وزن الوزان الذى يزن فيخـفض يده ويرفعهـا، وهذا التأويل يناسب الفصل الثانى أعنى قوله: «ولاينبغى له أن ينام» أى كـيف يجوز عليه ذلك، وهو الذى يتصرف أبدًا فى ملكه بميزان العدل؟.

قوله ﷺ «يرفع إليـه» «قض» : أى إلى خزانته، كمـا يقال: حمل المال إلى الملك فيـضبط إلى يوم الجزاء، ويعـرض عليه- وإن كان هو أعلم به - ليـأمر ملائكتـه إمضاء ماقـضى لفاعله جزاء له على فـعله. «قبل عـمل النهار» قـبل أن يؤتى بعمل النهـار، وهو بيان لمسـارعة الكرام الكتبة إلى رفع الأعمال، وسرعة عروجهم إلى مافوق السموات، وعرضهم على الله تعالى، فإن الفاصل بين الليل والنهار آن لايجزى ، وهو آخر الـليل وأول النهار، وقيل: قبل أن يرفع إليه عمل النهار، والأول أبلغ، وهو اختصار كلام التوربشتى.

«شف»: الثانى أبلغ؛ لأنه فى بيان عظم شأن الله، وقوة عـباده المكرمين، وحسن قيامهم بما أمروا؛ ولأن لفظ العـمل مصدر فكأنه قال: يرفع إليـه عمل الليل، أى المعمـول فى الليل قبل عمل النهار، فلاحاجة إلى تقدير لفظة الشروع، كاحتياجه إلى تقدير الرفع فى المعنى الأول.

---

[٩١] أخرجـه مسلم / ك الإيمان باب فى قوله عليـه السلام: إن الله لا ينام. وفى قوله: حـجابه النور ....ح / (١٧٩).

(١) الرحمن: ٢٩.

قوله ﷺ : «حجابه النور» «تو»: أشار بذلك إلى أن حجابه خلاف الحجب المعهودة، فهو محتجب عن الخلق بأنوار عزه وجلاله، وأشعة عظمته وكبريائه، وذلك هو الحجاب الذى تدهش دونه العقول، وتذهب الأبصار، وتحير البصائر، ولو كشف ذلك الحجاب فتجلى لما وراءه من حقائق الصفات وعظمة الذات، لم يبق مخلوق إلا احترق، ولامفطور إلا اضمحل، وأصل الحجاب الستر الحائل بين الرائى والمرئى، وهو ههنا راجع إلى منع الأبصار من الإصابة بالرؤية له بما ذكر، فقام ذلك المنع مقام الستر الحائل، فعبر به عنه. وروى «حجابه النور، أو النار» وقد تبين لنا من أحاديث الرواية، وتوفيقات الكتاب على التجليات الإلهية، أن الحالة المشار إليها فى هذا الحديث، هى التى نحن بصددها فى هذه الدار المستعدة المعدة للفناء، دون الذى وعدنا بها فى دار البقاء، والحجاب المذكور فى هذا الحديث وغيره يرجع إلى الخلق؛ لأنهم المحجوبون عنه.

وقوله: «سبحات وجهه» أى جلالته، كذا فسرها أهل اللغة، وقال أبو عبيدة: نور وجهه، و«سبحات» بضم السين والباء جمع سبحة، كغرفة وغرفات، فقد قال بعض أهل التحقيق: إنها الأنوار التى إذا رآها الراءون من الملائكة سبحوا وهللوا ، لما يروعهم من جلال الله وعظمته، انتهى كلامه.

أقول - والله أعلم- : ويعضد قول أهل التحقيق ماروى ابن الأثير فى النهاية أنه قال رسول الله ﷺ: «النظر إلى وجه عليّ عبادة»(*) قيل: معناه إن عليًا رضى الله عنه كان إذا برز قال الناس: لا إله إلا الله ما أشرق هذا الفتى ! لا إله إلا الله ما أعلم هذا الفتى! لا إله إلا الله ما أشجع هذا الفتى! وكانت رؤيته تحملهم على كلمة التوحيد، فعلى هذا «سبحان الله» كلمة تعجب وتعجيب.

«الكشاف»: فيه معنى التعجب، والأصل فى ذلك أن يسبح الله فى رؤية العجب من صنائعه، ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه. «مح»: ذهبوا إلى أن معنى «سبحات وجهه» نوره وجلاله وبهاؤه، وأما الحجاب فأصله فى اللغة المنع والستر وحقيقة الحجاب إنما تكون للأجسام المحدودة، والله تعالى منزه عن الجسم والحد، والمراد ههنا مجرد المنع من رؤيته، وسمى نورًا أو نارًا؛ لأنهما يمنعان من الإدراك فى العادة لشعاعهما. والمراد «بالوجه» الذات، وبـ«ما انتهى إليه بصره من خلقه» جميع المخلوقات؛ لأن بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات، ولفظة «من» لبيان الجنس، وكذا فى شرح السنة.

وذهب المظهر وغيره إلى أن الضمير فى «بصره» راجع إلى الخلق، و«ما» فى «ماانتهى» بمعنى من، و«من خلقه» بيان له، والأول هو الوجه، وإليه أشار التوربشتى بقوله: «ولو كشف ذلك الحجاب فتجلى لما وراءه لم يبق مخلوق إلا احترق، ولا مفطور إلا اضمحل». ومعنى إثبات البصر لله تعالى مذكور فى شرح السنة مستقصى. وهاهنا وجوه متعلقة بلطائف المعانى ومحسنات البدائع، لابد من ذكرها.

(*) موضوع باطل، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/٣٥٨)، والشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الضعيفة. والموضوعة ح/١٠٩٣.

أحدها: أن قوله: «ولاينبغى له أن ينام» جملة معترضة واردة على التتميم صوناً للكلام عن المكروه؛ فإن قوله: «لاينام» لاينفى جواز النوم، كما قال الأشرف، فعقب به لدفع ذلك التجوز. قال أبو الطيب:

وتحقر(*) الدنيا احتقار مجرب ترى كل مافيها وحاشاك فانيا

فإن حاشاك تتميم فى غاية الحسن، ومعنى «لاينبغى» لايصح، ولايستقيم النوم؛ لأنه مناف لحال رب العالمين.

وثانيها: «يخفض ويرفع، وعمل الليل، وعمل النهار» من باب التضاد والمطابقة، والخفض والرفع فى القرينتين مستعاران للمعانى من الأعيان.

وثالثها: «لو كشفه» من الشرط، والجزاء استئنافية مبينة للكلام السابق، كأنه لما قيل: إن حجابه النور، وعرف الخبر المفيد للتخصيص اتجه للسائل أن يقول: لم خص الحجاب بالنور؟ أجيب: أنه لو كان من غيره لاحترق.

ورابعها: الجملة الفعلية فى النفى والإثبات كلها واردة على صيغة المضارع لإرادة الاستمرار، فالمنفيان فيها يدلان على الدوام من غير انقطاع، والأربع المثبتة على التجدد مع الاستمرار، وأما الجملة الاسمية فدلالتها على سبيل الثبات والدوام فى هذا العالم، والشرطية منبئة عن ذلك، لما دلت على أنها مخالفة للنور المتعارف، فإذا انقلبت إلى النور لم يكن كذلك. وفيه دليل على أن نبينا عليه الصلاة والسلام رأى ربه تعالى لقوله فى الدعاء: «اللهم اجعل فى قلبى نوراً، وفى بصرى نوراً» وسيجئ إن شاء الله تعالى دلائل على ذلك. وأما المؤمنون إذا صفت بشريتهم عن الكدورات فى دار الثواب فيرزقون هذه المنحة السنية، والرتبة العلية.

وخامسها: أن معنى الحديث بأسره مسبوك من معنى آية الكرسى؛ فإن قوله سبحانه: ﴿**لا إله إلا هو** - إلى قوله- **من ذا الذى يشفع**﴾[1] مشعر بصفة الإكرام، ومنه إلى الخاتمة مشير إلى صفة الجلال، لما فيه من المنع عن الشفاعة إلا بإذنه، ومن ذكر الكرسى الذى هو سرير الملك، وهو مناسب لحديث الحجاب، وكذلك الحديث إلى قوله: «حجابه النور» منبئ عن صفة الإكرام، ومنه إلى آخره عن صفة الجلال، فتكون صفة الجلال محتجبة بصفة الإكرام، فلو كشف حجاب الإكرام لتلاشت الأشياء، وتفنى بتجلى صفات الجلال الكائنات ﴿**ويبقى وجه ربك ذى الجلال والإكرام**﴾[2]. ومن أسماء الله الحسنى وصفاته العظمى النور، قال الله تعالى: ﴿**وأشرقت الأرض بنور ربها**﴾[3] وبيانه أن قوله: ﴿**لاتأخذه سنة**﴾ [1] مقرر للكلام السابق.

---

(١) البقرة: ٢٥٥. (٢) الرحمن: ٢٧. (٣) الزمر: ٦٩.

(*) كذا في (ط)، وفي ك: «وتحتقر».

٩٢- * وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يد الله ملأى لاتغيضها نفقةٌ، سحاءُ الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماءَ والأرضَ؟ فإنه لم يَغِض مافي يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الميزانُ يخفِض ويرفع» متفق عليه.

«الكشاف»: وهو تأكيد« للقيوم» لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون «قيومًا» وهو مثل قوله: «لاينام، ولاينبغى له أن ينام» وقوله: ﴿ما فى السموات وما فى الأرض﴾ (١) كالتعليل لمعنى القيومية أى كيف ينام، وهو مالك ما فى السموات وما فى الأرض ومربيهم، ومدبر أمور معاشهم ومعادهم؟ إلى الأول الإشارة بقوله: «يخفض القسط ويرفعه» وإلى الثانى بقوله: «يرفع إليه عمل الليل» إلى آخره. فإن قلت: فأين معنى قوله تعالى: ﴿يعلم مابين أيديهم﴾(٢) الآية، فى الحديث؟ قلت: تخصيص ذكر البصر الذى هو نوع من طريق العلم ملوح إليه، فما أجمعه من كلمات! فما أفصحه من عبارات! ولعمرك إن هذا الحديث سيد الأحاديث، كما أن آية الكرسى سيدة الآيات، والله أعلم.

الحديث الرابع عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «يد الله ملأى» أى نعمة الله غزيرة(*)، كقوله تعالى: ﴿يداه مبسوطتان﴾(٣). «الكشاف»: بسط اليد مجاز عن الجود، ولايقصد من يتكلم به إثبات يد ولابسط، ولافرق بين هذا الكلام وبين مايقع مجازًا عنه كأنهما عبارتان عن معبر واحد(*). ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزيلا لقالوا: ما أبسط يده بالنوال! وقال فى سورة «طه»: إنها كناية، وصرح هنا بأنها مجاز، لعله لما كانا متساويين فى اللزوم أجاز إطلاق المجاز تارة، والكناية أخرى.

«مظ»: «يد الله» أى خزائن الله، أقول: أطلق اليد على الخزائن لتصرفها فيها، وهو المجاز المرسل، والقرينة الإضافية «وملأى» كالترشيح للمجار، والمعني بالخزائن قوله: ﴿كن فيكون﴾(٤) على ماورد «عطائى كلام، وعذابى كلام، وإنما أمرى لشئ إذا ما أردت أن أقول: كن فيكون». ولذلك لاينقص أبدًا بأن يصب الرزق على عباده دائمًا. «لايغيضها» استعارة تبعية للتغيض؛ لأن الحقيقة تغيض الماء، قال الله تعالى: ﴿وغيض الماء﴾(٥) وكذلك «سحاء»؛ لأنه من صفة الماء، يقال: سح يسح سحًا فهو ساح، والمؤنث سحاء وهى فعلاء لا أفعل لها، كهطلاء. و«الليل والنهار» ظرفان أى وقتهما، ويجوز أن يكون «ملأى، وتغيضها، وسحاء، وأرأيتم» على تأويل مقول فيه أخبارًا مترادفة لـ «يد الله» وأن تكون الثلاثة الأخيرة وصفًا

---

(١) البقرة: ٢٨٤. (٢) البقرة: ٢٢٥. (٣) المائدة: ٦٤. (٤) يس: ٨٢. (٥) هود: ٤٤.

(*) هذا التأويل الذي ذكره الطِّيبي ونقله عن الزمخشري متأثر فيه بالزمخشري ومذهبه في الصفات المخالف لما عليه أهل السنة والجماعة، والأولى عندي في ذلك كله إثبات الصفة بغير تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل كما هو مذهب أهل السنة، ثم لا حرج بعد في بيان لوازم تلك الصفة؛ لأن قوله أي نعمة الله غزيرة، ليس مرادفًا في الحقيقة لكلام النبي ﷺ فالنعمة ليست مرادفة لليد، بل هي مجاز عنها، والأصل حمل الكلام على الحقيقة، فلا يجوز حمله =

وفى رواية لمسلم: «يمين الله ملأى- قال ابن نُمَيْر ملآن- سحاء لايَغيضُها شئ الليل والنهار».

٩٣ - * وعنه قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن ذَراري المشركين، قال: «الله أعلمُ بما كانوا عاملين» متفق عليه.

للملأى، وأن تكون «أرأيتم» استئنافًا، وفيه معنى الترقى؛ فإنه لما قيل: «ملأى» أوهم جواز النقصان فأزاله بقوله: «لم يغضها» وربما يمتلىء الشىء ولم يغض، فقيل: «سحاء» ليؤذن بالغيضان، وقرنها بما يدل على الاستمرار من ذكر الليل والنهار، ثم أتبعها بما يدل على أن ذلك مقررًا، غير خاف على كل ذى بصر وبصيرة بعد أن انتقل من ذكر الليل والنهار إلى المدة المتطاولة بقوله: «أرأيتم» مستأنفًا؛ لأنه خطاب عام ذو خطر، والهمزة فى «أرأيتم» للتقرير أى أرأيتم ذلك كذلك ولو كان للإنكار لكن الظاهر أن يقال غاض بدل «لم يغض» والكلام إلى ههنا إذا أخذته بجملته وزيادته من غير نظر إلى المفردات كان كناية إيمائية، وإليه ينظر قول التوربشتى حيث قال: كل ذلك ألفاظ استعيرت لفضل الغنى، وكمال السعة، والنهاية فى الجود، وبسط اليد فى العطاء وإن صرح بذكر الاستعارة.

قوله: «وكان عرشه على الماء» حال من ضمير «خلق»، وكذا «وبيده الميزان» منه أو من الضمير فى «خبر» كان؛ لأنه خلاف فى اسم كان هل يقع منه حال أم لا؟ وسيأتى الكلام في تحقيق «وكان عرشه على الماء» فى باب «بدأ الخلق» فى الحديث الأول من الفصل الأول.

«مح»: فى شرح صحيح مسلم: «ملآن» هكذا وقع فى رواية عبدالله بن نمير، قالوا: هذا غلط منه، وصوابه «ملأى» بلا نون، كما فى سائر الروايات. وأقول: إن أرادوا مما ذكروا رد هذه الرواية نقلاً فلا نزاع، وإن أرادوا معنى لعدم مطابقة الخبر المبتدأ تأنيثًا وتذكيرًا فلا؛ لأن معنى «يد الله» إحسانه وإفضاله، فاعتبر المعنى وذكر، وأنشد صاحب الكشاف:

تبيت نعمى على الهجران عاتبة ... سقيًا ورعيًا لذاك العاتب الزارى

ابن جنى عن الأصمعى عن ابن عمرو قال: سمعت رجلاً يقول: فلان لعوب جاءته كتابي فاحتقرها، فقلت: أتقول: جاءته كتابى؟ فقال: أليس بصحيفة؟ والله أعلم.

الحديث الخامس عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «ذرارى المشركين» الذرية من الذر بمعنى التفريق؛ لأن الله تعالى ذرهم فى الأرض، وقيل: هو من ذرأ الله الخلق، فتركت همزته.

= على المجاز إلا عند استحالة الحقيقة، والحقيقة هنا غير مستحيلة لأنا لانثبت له يدًا كالأيدي الحادثة، بل يدًا تليق بذاته وجلاله سبحانه؛ على أنا نقول: إن الوصف بامتلاء يديه، يلزم عنه كثرة نعمه، ووفور خيره وبركته سبحانه، مع إثبات صفة اليد وعدم تعطيلها، فلا يبقى بعد ذلك لنفى الصفة لأجل التأويل معنى والله تعالى أعلم، ولنا رسالة في ذلك، يسّر الله نشرها.

الفصل الثانى

٩٤- * وعن عُبادةَ بن الصامــت، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أولَ ماخلق الله القَلَمُ، فقال له: اكتُب فقــال: ما أكتـب؟ قال: اكتُب القدَر. فكتب مــاكــان ومــاهو كــائـن إلى الأبـد». رواه التـرمـذي، وقــال: هــذا حـديثٌ غــريبٌ إسنادًا[٩٤].

الفصل الثانى

الحـديث الأول عن عـبادة رضي الله عنه: قـوله: «إن أول مـا خلق الله القلم» قـال بعض المغاربة: وهو برفع القلم- وإن صحت الرواية بنصبه- فـيكون منصوبًا على لغة من ينصب خبر إن. قال المالكى: يجوز على مذهب الكسـائى أن يكون منصوبًا بكان المقدرة أى أن أول ماخلق الله كان القلم، وأنشد : ياليت أيام الصبا رواجعا! أى كانت رواجعا.

وقال المغربى: لايجوز أن يكون « القلم» مفعول «خلق» لأن المراد أن القلم أول مخلوق خلقه الله تعالى ، ولو جـعل مفـعولا لوجب أن يقال: إن اسم «إن» ضـميـر الشأن، و«أول» ظرف منصوب بـ «إن» فينبغى سقوط الفاء من قوله: «فقال» فرجع المعنى إلى قوله: «فقال له: اكتب» حين خلقه، فـلا يكون في الحديث إخبـار بأن القلم أول مخلوق[1]، كما يقتضيه معنى الرواية الصحيحة، ورفع القلم. ولو صحت الرواية بالنصب لم تمنع الفاء من تنزيل الحديث على ذلك المعنى، وذلك أن يقدر قبل «فـقال»: أمره بالكتابة «فقال اكـتب» فيكون هو العامل فى الظرف، والجملة مفسرة للضمير.

قوله: «ما كان» ليس حكاية عما أمر القلم بكتـبه، إذ لو كان كذلك لقال: اكتب مايكون، وإنما هو إخبار باعتبار حاله عليه الصلاة والسلام.

---

[٩٤] صحـيح: أخرجـه بنحوه الترمـذى فى جامـعه (٦/ ٣٦٨ ـ ٣٧٠ ،ح: ٢٢٤٤ ـ أحوذى) وفـيه قـصة، و (٩/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣،ح: ٣٣٧٥ ـ أحوذى) مـختصرًا، وأحـمد فى المسند (٥/ ٣١٧)، وأبو داود فى سننه (٤٧٠٠)، وغـيرهـم، وصـحـحه الشيـخ الألبـانى فى صحـيح سنن التـرمـذى (١٧٤٩)، (٢٦٤٥)، وصحـيح سنن أبى داود (٣٩٣٣)، وفى تخـريـج الطحـاوية (ص: ٢٦٤، هامش: ٢٧١)، وقـال فـى تخـريج المشكاة عنـد هذا الحـديث: (فالحديث صحيح بلا ريب)، وانظر الصحيحة (١٣٣).

(١) أى إذا قدرنا أن (القلم) مفعول (خلق) وهو لايجوز كما قال المغربى.

٩٥ - * وعن مسلم بن يسار، قال: سُئل عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] عن هذه الآية: (وإِذ أخَذَ ربك مِنْ بني آدم من ظُهورِهم ذُريتهم)● الآية، قال عمر:

الحديث الثاني عن مسلم رضى الله عنه: قوله: «فقال» تفسير لمحذوف، فالتقدير: سمعت جواب رسول الله ﷺ حال سؤال السائل عنه فقال، نحو قوله تعالى: ﴿سمعنا مناديًا ينادي﴾(١) والأصل سمعنا نداء مناد، حذف المضاف وجعل «ينادى» حالا من المفعول، ثم فسر النداء بقوله: «أن آمنوا» لأن النداء فى معنى القول. فإن قلت: كيف يصح أن يكون «فقال» تفسيراً مع وجود الفاء؟ قلت: الفاء غير مانعة من ذلك؛ لأن المفسر يعقب المفسر، كما فى قوله تعالى: ﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم﴾ (٢) على أن يكون القتل عين التوبة.

قوله: «مسح» «قض»: يحتمل أن يكون الماسح هو الملك الموكل على تصوير الأجنة وتخليقها، وجمع موادها، وإعداد عددها؛ وإنما أسند إلى الله من حيث هو الآمر به، كما أسند إليه التوفى فى قوله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ (٣) والمتوفى لها هو الملائكة؛ لقوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ (٤) ويحتمل أن يكون الماسح البارى تعالى، والمسح من باب التمثيل. وقيل: هو من المساحة بمعنى التقدير، كأنه قال: قدر مافى ظهره من الذرية، وقال فى معنى الآية: نزل تمكين بنى آدم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل، وخلق الاستعداد فيهم، وتمكينهم من معرفتها، والإقرار بها منزلة الإشهاد والاعتراف تمثيلاً وتخييلاً، لاقول ثمة ولاشهادة حقيقة.

قال الإمام فخر الدين الرازى: أطبقت المعتزلة على أنه لايجوز تفسير الآية بالحديث؛ لأن قوله: «من ظهورهم» بدل من قوله: «بنى آدم» فالمعنى: وإذ أخذ ربك من ظهور بنى آدم، فلم يذكر أنه أخذ من ظهر آدم شيئًا،؛ ولأنه لو كان المراد أنه أخرج من ظهر آدم لما قال: «من ظهورهم»، بل يجب أن يقول: من ظهره ذريته. وأجاب الإمام: أن ظاهر الآية يدل على أنه تعالى أخرج الذرية من ظهور بنى آدم، وأما أنه أخرج تلك الذرية من صلب آدم، فليس في لفظ الآية ما يدل على ثبوته ولا على نفيه، إلا أن الخبر قد دل عليه، فثبت إخراج الذرية من ظهور بنى آدم بالقرآن، وإخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر، ولامنافاة بينهما، فوجب المصير إليهما معًا، صونًا للآية والخبر عن الاختلاف.

---

(١) آل عمران: ١٩٣ . (٢) البقرة: ٥٤.
(٣) الزمر: ٤٢. (٤) النحل: ٣٢.

● الأعراف: ١٧٢

سمعت رسـول الله ﷺ يُسأل عنها فقال: «إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهـره بيمينه، فاستخرج منه ذُريةً، فقال: خلقتُ هؤلاءِ للجنة، وبعملِ أهل الجنةِ يعملون، ثُم مَسح ظهرهُ فاسـتخرجَ منه ذريةً ، فقال: خلقتُ هؤلاء للنار، وبـعمل أهل النار يعملون». فقال رجل: ....

«قض»: والتوفيق بينهـما أن يقال: المراد من بنى آدم فى الآية آدم وأولاده،وكأنه صـار اسمًا للنوع كـالإنسان، والمراد من الإخراج توليـد بعضـهم من بعض على مر الزمـان، واقتـصر في الحديث على ذكر آدم اكتفاء بذكر الأصل عن ذكر الفرع.

وأقول: ونظيـر معنى الآية على هذا قـوله تعالى: ﴿**ولقـد خلقناكم ثـم صورنـاكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا**﴾[1] فإن قوله: «ثم صورناكم» شـامل لآدم أيضًا؛ لقوله: ﴿**قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾[2] ويعضده ما رويناه عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «أخذ الله الميثاق مـن ظهر آدم بنعمان- يعنى عـرفة- فأخرج من صلبـه كل ذرية ذرأها، فنشرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم، فتلا: ﴿**ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**﴾ [3] أخرجه أحمد بن حنبل، والنسائى[4].

ورواه محيي السنة فى مـعالم التنزيل عن مقـاتل وغيره وفى آخـره: «ثم أعادهم جميـعًا فى صلبه، فأهل القبور محبوسـون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال [5] ، وأرحام النساء». ويجئ من الأحاديث في الفـصل الثالث ما يزيل الشك ويقطع الريب فى أن المراد من هذا الحديث هذا ، ولأن السائل كـان أشكل عليه معنى الآية. فطلب منه عليـه الصلاة والسلام حل إشكاله، فلما فسره عليه الصلاة والسلام بما فسر، وكشف له ما أبهم عليه سكت؛ لأنه كان بليغًا عارفًا بصناعة الكلام، وإلا لما سكت، وأما تأويل الإمام فينزل على ماتقرر فى حديث «ما من مولود إلا يولد على الفطرة»[6] أن العالم إما عالم الغيـب، أو الشهادة، فالحديث وارد فى عالم الغـيب، والآية فى عالم الشهـادة، فتحـقيق ذلك ما نقل عن المولى العـلامة قطب الدين الشيـرازى - رحمه الله- أنه تـقرر فى بداية العقـول أن بنى آدم من ظهر آدم، فـيكون كل ما

(١) الأعراف: ١١.

(٢) الأعراف: ١١ .

(٣) الأعراف: ١٧٢ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى المسند (١/ ٢٧٢) وقال الشـيخ أحمد شاكر فى تحقيق المسند (ح/ ٢٤٥٥، ٤/ ١٥١) إسناده صحيح وكذا قال الشيخ الألبانى فى تعليقه على المشكاة ح/١٢١ .

(٥) فى ط (الرجل) والتصويب من (ك).

(٦) متفق عليه، وقد مرَّ برقم (٩٠).

أخرج من ظهور بنى آدم فى الإنزال [١] إلى يوم القيامة، هم الذر [٢] قد أخرجهم الله تعالى فى الأزل من صلب آدم، وأخذ منه الميثاق الأزلى؛ ليعرف منه أن هذا النسل الذى يخرج فى الإنزال[٣] من أصلاب بنى آدم، هو الذر الذى أخرج فى الأزل من صلب آدم، وأخذ منه الميثاق الأول، وهو المقالى [٤] الأزلى، كما أخذ منه فيما لايزال بالتدريج حين أخرجوا الميثاق الثانى، وهو الحالى[٥] (الإنزالى) [٦].

والحاصل: أن الله تعالى لما كان له ميثاقان مع بني آدم، أحدهما: تهتدى إليه العقول من نصب الأدلة الباعثة على الاعتراف الحالى. وثانيهما: المقالى الذى لايهتدى إليه العقل، بل يتوقف على توقيف واقف على أحوال العباد من الأزل إلى الأبد، كالأنبياء عليهم السلام أراد النبى عليه الصلاة والسلام أن يعلم الأمة، ويخبرهم أن وراء الميثاق الذى يهتدون إليه بعقولهم ميثاقًا آخر أزليًا، فقال ما قال من مسح ظهر آدم فى الأزل ، وإخراج الذرية، والميثاق الآخر، انتهى كلامه.

فإن قلت: فكيف يتطابق السؤال عن معنى الآية، والجواب عن معنى الحديث، وبينهما هذا الاختلاف؟ قلت: يتطابق من حيثية **الأسلوب الحكيم** [٧] على منوال قوله تعالى: ﴿ **يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين**﴾ [٨] سألوا عن بيان ماذا ينفقونه، وأجيبوا ببيان المصرف، وضمن بيان ماينفقونه، كذا هاهنا سأل الصحابى عن بيان الميثاق الحالى ، فأجيب عن المقالى، وضمن فيه الحالى على ألطف وجه، كأنه قيل: الميثاق المسئول عنه ظاهر مكشوف بنصب الدلائل على ربوبيته ووحدانيته فى العقول والبصائر، وجعلها مميزة بين الحق والباطل، لكن هنا ميثاق آخر خفى عن العقول لايعلمه أحد إلا من أرشده الله إليه، فاسأل[٩] عن ذلك، وفائدته توكيد الميثاقين والقيام على العهدين، والله أعلم.

«شف»: قال عليه الصلاة والسلام فى حق أهل الجنة: «ثم مسح ظهره بيمينه » لأن الخير ينسب إلى اليمين، وفي حق أهل النار «بيده» ليفرق بين القبيلين من أهل الجنة والنار، وأعرض عن ذكر الشمال تأديبًا على ماورد «كلتا يدى الرحمن يمين».

(١) فى (ط) (فيما لايزال) والتصويب من(ك) .

(٢) فى (ط) (الذر الذى قد. . . .) وفى(ك) بدون (الذى).

(٣) فى (ط) (فيما لايزال) والتصويب من (ك).

(٤) أى بلسان المقال.

(٥) أى بلسان الحال.

(٦) فى(ط) (اللايزالى) والتصويب من (ك).

(٧) الأسلوب الحكيم فن من فنون البديع بينه الطيبى فى كتاب التبيان فانظره بتحقيقى ط المكتبة التجارية بمكة المكرمة (٢/٣٥٧).

(٨) البقرة: ٢١٥.

(٩) فى (ط) (فسأل).

ففـيم العمَلُ؟ يارسول الله؟ ! فـقال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا خلق العـبد للجنة؛ استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموتَ على عملٍ من أعمال أهل الجنة فيدخلهُ به الجنةَ، وإذا خلق العبدَ للنار؛ استعمله بعـمل أهل النار حتى يموتَ على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار» رواه مالك، والترمذى ، وأبو داود [٩٥].

٩٦- * وعن عبدالله بن عـمرو، قال: خرج رسول الله ﷺ ، وفـي يديه كتابان،

قوله: «فـفيم العمل» وقع فى مـوقع لام الغرض؛ لأن غرض كل شئ غـايته، وظرف الشئ غاية حصـوله فيه؛ ولهذا «حيث» و«إذ» يقـعان علة، أى فى أى شئ يفيد العـمل إذا كان كون الرجل من أهل الجنة أو من أهل النار مقدرًا قبل هذا؟.

قوله: «استعمله» «مظ»: استعمله من قولهم: استعمل إذا ألزم العمل على أحد، وتحقيقه قد مضى في الفصل الأول.

الحديث الثالث عن عبدالله : قوله: «خرج» «تو»: قول الراوى هذا إخـبار لتقرير صدقه عما يخبر عنه صلوات الله عليه، واسـتقصاء فى تحقيقه. قـوله: «وفى يديه كتابان» تمثيل، وذلك أن المتكلم إذا أراد تحقيق قوله، وتفـهيم غيره، واستحضار المعنى الدقيق الخـفى فى مشاهدة السامع حتى كأنه ينتقل إليـه رأى العين صورة لصورة، وأشار إليه إشارته إلى المحـسوس، فالنبى عليه الصلاة والسلام لما كوشف بحقيقة هذا الأمر، وأطلعه الله تعالى عليه إطلاعًا لم يبق معه خفاء،

---

[٩٥] صـحيـح: أخرجـه بنحـوه الإمـام مالك فـى الموطأ فى (النهى عن القـول بالقـدر) (٣/ ٩٢ ـ ٩٣، تنوير الحوالـك)، وأحمد فى المسند (١/ ٤٤ ـ ٤٥)، والترمـذى فى جامعه فى التـفسـير من سـورة الأعراف (٣٠٧٧ ـ بترتيب الشيخ شاكر)،وأبو داود فى سننه (٤٧٠٣)، والحاكم فى المستـدرك (١/ ٢٧) مختصرًا، (٢/ ٥٤٤) بتمامه، وقال عند الموضعين: « هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى إلا أنه قال عند الموضع الأول (فيـه إرسال) والبـغوى فى شـرح السنة (١/ ١٣٨ ـ ١٣٩، ح: ٧٧) وغيـرهم، قال الشيخ أحـمد شـاكر فى شـرحه للمسند (١/ ٢٨٩) عند هذا الحديث (٣١١): أسانيده صحاح وإن كـان ظاهره الانقطاع، وصححه الشيخ الألبانى فى صـحيـح سنن أبى داود (٣٩٣٦) إلا أنه لم يذكـره فى صحيـح سنن الترمـذى، وقال فى تـخريجـه للمـشكاة: «ورجال إسناده ثقـات، رجال الشـيخين، غيـر أنه منقطع بين مسلم بن يسـار وعمـر، لكن له شواهد كثيرة سيأتى بعضها» ا.هـ.وكذلك قال فى تخريجـه للطحاوية عند هذا الحديث ص: (٢٤٠) هامش: (٢٢٠): (صحيح لغيره، إلا مسح الظهـر، فلم أجد له شاهـدًا) ا.هـ، وصححـه أيضًا محقـقا شرح السـنة زهير الشاويش وشـعيب الأرناؤط (١/ ١٣٩).

فقال: «أتدرون ماهذان الكتابان؟» قلنا: لا، يارسول الله ! إلا أن تخبرنا فقال للذي في يده اليمنى: «هذا كتابٌ من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم ، فلا يُزاد فيهم ولايُنْقَصُ منهم أبدًا». ثم قال للذي في شماله: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهلِ النار، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم؛ فلا يزادُ فيهم ولايُنْقصُ منهم أبدًا». فقال أصحابه: ففيم

مثل المعنى الحاصل فى قلبه بالشىء الحاصل فى يده ،هذا ونحن لا نستبعد إطلاق ذلك على الحقيقة؛ فإن الله عز وجل قادر على كل شىء، والنبى عليه الصلاة والسلام مستعد لإدراك المعانى الغيبية، ومشاهدة الصور الموضوعة لها.

وقوله: «إلا أن تخبرنا» استثناء منقطع، أى لانعلم، ولكن إذا أخبرتنا نعلم، كأنهم طلبوا بالاستدراك إخباره إياهم، ويجوز أن يكون متصلاً مفرّغًا، أى لانعلمه بسبب من الأسباب إلا بإخبارك. قوله: «وقال للذى بيده» أى لأجله. وخص ذكر« رب العالمين» من بين الأسماء، دلالة وتنبيهًا على أنه مالكهم، وهم له مملكون يتصرف فيهم كيف شاء وأراد، فيسعد من يشاء، ويشقي من يشاء، كل ذلك عدل منه وصواب فلا اعتراض لأحد عليه.

قوله: «وفيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم» «شف»: إن أهل الجنة مكتوب أسماؤهم، وأسماء آبائهم، وقبائلهم الذين هم أهل النار فى الكتاب الذى باليمين، وفي عكسه أهل النار، ويكتب أسماء آبائهم، وقبائلهم من أهل الجنة فى الذى بالشمال، وإلا فالآباء والقبائل إذا كانوا من جنس الأبناء فى كونهم من أهل الجنة، أو من أهل النار فلا حاجة إلى إفراد ذكرهم لدخولهم تحت قوله: «فيه أسماء أهل الجنة، وفيه أسماء أهل النار».

أقول: ولعل الظاهر أن كل واحد من أهل الجنة ومن أهل النار يكتب أسماء آبائهم وقبائلهم- سواء كان من أهل الجنة أو من أهل النار - للتمييز التام، كما يكتب في الصكوك، وهو أنسب بالكتاب، وضمن «أجمل» معنى أوقع، فعدى بعلى أى وقع الإجمال على ما انتهى إليه التفصيل. ويجوز أن يكون حالا، أى أجمل فى حال وقوع انتهاء التفصيل إلى آخرهم، ومن عادة المحاسبين أن يكتبوا الأشياء مفصلات، ثم يوقعون فى آخرها **فذلكة** (١) ترد التفصيل إلى الجملة، «فلا يزاد» جزاء شرط محذوف، أى إذا كان الأمر على ماتقرر من التفصيل، والتعيين، والإجمال بعد التفصيل فى الصك، فلا يزاد ولاينقص.

---

(١) الفذلكه: هى مجمل أو خلاصة مافصل أولاً، حسابًا كان أو غيره. المنجد.

العملُ يارسول الله إِن كان أمر قد فرغ منه؟ فقال: «سَدّدوا وقاربوا؛ فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عملٍ وإِن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإِن عمل أي عمل».

فإن قلت: قد ذكرتم أن حكم الله تعالى لايتغير فما القول فى «**يمحو الله ما يشاء ويثبت**»[1]؟ قلت: قوله: «**لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت**» إشارة إلى القضاء «**وعنده أم الكتاب**» إلى القدر، المعنى: لكل انتهاء مدة وقت مضروب، فمن انتهى أجله يمحوه، ومن بقى من أجله يبقيه على ماهو مثبت فيه، وكل ذلك مثبت عند الله تعالى فى «**أم الكتاب**».

وقوله: «سددوا» اجعلوا أعمالكم مستقيمة على طريق الحق، «وقاربوا» اطلبوا قربة الله وطاعته بقدر ماتطيقونه، هذا الجواب من **الأسلوب الحكيم**[2]، أى فيم أنتم من ذكر القدر، وإنما خلقتم للعبادة فاعملوا، وسددوا، وقاربوا، وإليه لمح ما قال الشاعر:

أتت تشتكى عندى مزاولة القرى ... وقد رأت الضيفان ينحون منزلى

فقلت كأنى ما سمعت كلامها ... هم الضيف جِدّى فى قراهم وعَجِّلى[3]

قوله: «فرغ ربكم» «شف»: أي قدر أمرهم، وذلك أنه لما قسم العباد قسمين، وقدر لكل قسم على التعيين أن يكون من أهل الجنة، أو من أهل النار، وعينهم تعيينًا لايقبل التغيير والتبديل، فكأنه فرغ من أمرهم، وإلا فالفراغ لا يجوز على الله تعالى.

قوله: «قال بيده» أي أشار، «نه»: العرب تجعل القول: عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان فتقول: «قال بيده» أي أخذ، و«قال برجله» أي مشى:

وقالت له العينان سمعًا وطاعة ... وحدرتا كالدر لما يثقب

أي أومأت، و«قال بالماء على يده» أي قلب، و«قال بثوبه» أي رفعه.

---

(١) الرعد: ٣٨- ٣٩

(٢) انظر التعليق السابق (ص ٢٣٦) هامش (٧).

(٣) في ط (عَجّلى) بلدون (واو) وهو خطأ.

ثم قال رسول الله ﷺ بيـديه فنبذهما، ثم قال: «فـرغ ربكم من العباد (فريقٌ في الجنة وفريق في السعير)(*)» رواه الترمذي [٩٦].

٩٧ ـ* وعن أبي خـزامـة، عن أبيـه، قـال: قلت: يارسـول الله! أرأيت رُقىً

أقول: قوله: «قال بيده فنبذهما» أي نبذ الكتابين، هذا كـ«جف القلم بما أنت لاق» كناية عن أن هذا الأمر قد فـرغ منه، فصار بمنزلة ما تخلفـه وراء ظهرك فيكون قوله: «فرغ ربكم» تفـسيراً لهذا الفعل.

الحديث الرابع عن أبي خزامـة رضي الله عنه: قوله: «رقىً نسترقيها» رقى ومـا عطف عليها منصوبات، والأفـعال أوصاف لها، والمتـعلق معنى «أرأيت» أي أخبـرني عن «رقى نسترقيـها» فنصب على نزع الخافض، ويجوز أن يتعلق بلفظ «أرأيت» والمفعول الأول الصفة مع الموصوف، والثاني الاستفـهام على تقديرك مقولاً في حقهـا هل ترد هذا؟ ليس هذا بتعليق؛ إنما التعليق أن يوقع بعده ما يسد مسـد المفعولين جميعًا، كقولك: علمت أيهـما عمرو، وعلمت أزيد منطلق، ذكره صاحب الكشـاف في قوله تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾(١). رقى جمع رقـية، كظُلَم وظُلْمَة، وهي ما يقرأ من الدعاء لطلب الشفاء.

---

[٩٦] حديث حسن: أخرجه الترمذى فى جامعه (٦/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢، ح: ٢٢٢٧ ـ أحوذى) بلفظ: « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وفى يده كتابان، فقال:... الحديث». قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح غريب، وبنحوه أحمد فى المسند (٢/ ١٦٧) وغيرهما، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر فى شرحه للمسند (١٠/ ٦٨، ح: ٦٥٦٣)، كذا صنع الشيخ الألبانى فى تخريجه للمشكاة (١/ ٣٦)، إلا أنه اقتصر على تحسين الحديث فى صحيح سنن الترمذى (١٧٤٠)، وفى الصحيحة (٨٤٨)، قال العلامة القارى فى مرقاة المفاتيح (١/ ٢٩٤): (فى يديه): وفى بعض النسخ: (وفى يده) كما فى أكثر نسخ المصابيح فيراد بها الجنس ا.هـ، قال العلامة أحمد شاكر فى شرحه للمسند (١٠/ ٧٠) بعد سوقه لكلام العلامة القارى السابق: (ولست أدرى من أين أتى صاحبا المصابيح والمشكاة برواية التثنية؟ فإن صاحب المشكاة نسبه للترمذى فقط، وهو فيه بالإفراد، وهو كذلك بالإفراد فى جميع الروايات التى أشرت إليها هنا فى تخريجه!!) ا. هـ.

(١) الملك : ٢.

(*) الشورى : ٧.

نسترقيها، ودواءً نتداوى به، وتُقَاةً نَتَّقِـيها، هل تَرُدُّ من قدَرِ الله شيئًا؟ قال: «هي من قدر الله» رواه أحمد والترمذي، وابن ماجه[٩٧].

قوله: «التقاة» أصلـه الوقاة، قلبت الواو تاء، أو هو اسم مـا يلتجيء به النـاس من خوف الأعداء. «نه»: وقي يقي وقـاية إذا حفظ، ويجـوز أن يكون تقاة مصـدر بمعنى الاتقاء فحـينئذ الضمير فـي «نتقيها» للمصـدر، أي نتقي تقاة بمعنى اتقاء وهي من قدر الله سبـحانه وتعالى أي هذه الأسباب يعني: كـما أن الله تعالى قدر الداء مثـلا قدر زواله بالدواء. ومن تداوى ولـم يبرأ فاعلم أنه لم يقـدر أن يكون التداوي نافعًـا في ذلك الداء ـ وإن اجتمع عليـه الأطباء ـ. «تو»: كأن السائل عرف أنه من حق الإيمان أن يعتقـد أن المقدور كائن لا محالة ووجد الشرع يرخص في الاسترقاء، ويأمر بالتداوي، والاتقاء عن مـواطن المهلكات، فأشكل عليه الأمر، كما أشكل على الصحـابة حين أخبروا أن الكتـاب يسبق على الرجل، فقالـوا: «ففيم العمل؟» فـبين عليه الصلاة والسلام بقوله: «هي من قدر الله».

«نه»: وقد جاء في بعض الأحاديث جواز الرقية كقـوله ﷺ: «استرقوا لها؛ فإن بها النظرة» أي اطلبوا لهـا من يرقيـها، وفي بعـضها النهي عنهـا، كقـوله عليه الصـلاة والسلام في باب التوكل: «الذين لايسترقـون، ولا يكتوون» والأحاديث في القسمين كثيرة. ووجـه الجمع بينهما أن الرقية يكره منها: ما كان بغير أسماء الله، وصـفاته وكلامه في كتبه المنزلة، أو بغير اللسان العربي، وما يعتقد منها أنها نافعة لا مـحالة، فيتكل عليها، وإياها أراد عليه السلام بقوله: «ما توكل من استـرقى»، ولا يكره منها ما كان على خـلاف ذلك، كالتعوذ بالقـرآن، وأسماء الله تعالى، والرقية المروية؛ ولذلك قال عليه السلام للذي رقى بالقرآن، وأخذ عليه أجرًا: «من أخذ برقية باطل فـقد أخذت برقية حق» وقـال في الآخر: «خذوه، واضربوا لي بسـهم». وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «لا رقـية إلا من عين، أو حمة» فمعناه: لا رقـية أولى وأنفع، وهذا كما قيل: لا فـتى إلا علي، وقد أمر النبي عليـه الصلاة والسلام غيـر واحد من الصحابة بالرقـية، وسمع عليه الصـلاة والسلام جماعة يرقـون ولم ينكر عليهم(١). وفي اسم الراوي أبي خـزامة خلاف للمحدثين.

---

[٩٧] ضعيف: أخرجه بنحوه الترمذى فى جامعه (٦/ ٣٦٠ ـ ٣٦١، ح: ٢٢٣٨ ـ أحوذى) عن ابن خزامة عن أبيه: «أن رجـلا أتى النبى ﷺ فقـال: أرأيت رقًى نسترقـيها؟ ...... الحـديث» وبنحوه ابن مـاجه فى سننه (٣٤٣٧)، والحاكم فى المسـتدرك (٤/ ٤٠٢) وسكت عليه وتابعه الذهـبى، وضعفه الشـيخ الألبانى فى ضعيف سنن ابن مـاجه (٧٤٩).

(١) انظر النهـاية مادة (رقي) (٢/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥) مـع تصرف يسـير للـطيبي في نصِّ النهـاية، أولعـله من فـعل النّساخ.

٩٨ ـ * وعن أبي هريرة. قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمرَّ وجهه، حتى كأنما فُقِيء في وجنتيه حبُّ الرمان، فقال: «أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟! إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه». رواه الترمذي[٩٨].

٩٩ ـ * وروى ابن ماجه نحوَه عن عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جده [٩٩].

الحديث الخامس عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: قوله: «نتنازع» أي نتناظر ونتخاصم في أن يقول أحد الخصمين: إذا كان جميع ما يجري في العالم بقدر الله تعالى فلم يعذب المذنبين، ولم ينسب الفعل إلى العباد، كما قالت المعتزلة؟ والآخر يقول: فما الحكمة في تقدير بعض العباد للجنة، وبعضهم للنار، وما أشبه ذلك؟ وإنما غضب رسول الله عليه الصلاة والسلام لأن القدر سر من أسرار الله تعالى وطلب سر الله تعالى منهي عنه؛ ولأن من يبحث في القدر لم يأمن أن يصير قدريًا، أو جبريًا، بل العباد مأمورون بقبول ما أمرهم الشرع، من غير أن يطلبوا سر ما لايجوز طلب سره.

قوله: «عزمت عليكم» أي أقسمت عليكم، وأصله عزمت بإلقاء اليمين وإلزامها عليكم، لا تبحثوا في القدر بعد هذا. قوله: «فقيء» شق، من فقأت البهمى إذا شققت لفائفها عن ثمرها، والبهمى نبت. و«حتى» الثانية غاية «احمر»، والأولى غاية «غضب»، والهمزة في «أبهذا» للإنكار، قدم الجار والمجرور على العامل، لمزيد الاهتمام بشأن المشار إليه، وكونه منكراً جدًا، و«أم» منقطعة، والهمزة فيه أيضًا للإنكار ترقيًا من الأهون إلى الأغلظ، وإنكاراً غب إنكار «وإنما هلك» جملة مستأنفة جواب عما اتجه لهم من أن يقولوا: لم ينكر هذا الإنكار البليغ؟ فأجيب بقوله: «إنما هلك» يعني: أن ذلك الإنكار البليغ بسبب هذا العذاب البليغ الذي لا إمهال فيه.

وقوله: «حين تنازعوا في هذا» القيد إشارة إلى أن غضب الله تعالى وإهلاكه إياهم كان من غير إمهال يعني: من تكلم من الأمم الماضية في القدر عجل الله تعالى إهلاكهم بخلاف سائر المهلكات.

---

[٩٨] حديث حسن: أخرجه بنحوه الإمام أحمد فى المسند (٢/ ١٩٦)، والترمذى فى سننه (٦/ ٢٣٤، ح: ٢٢١٦ ـ أحوذى) وابن ماجه فى سننه (٨٥)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر فى شرحه للمسند (١١/ ٧٣) ح(٦٨٤٥) وانظر الأحاديث (٦٦٦٨، ٦٧٠٢، ٦٧٤١، ٦٨٠١)، وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (١٧٣٢)، ثم قال عنه فى صحيح سنن ابن ماجه (٦٩): (حسن صحيح).

[٩٩] حسن صحيح: انظر التخريج السابق.

١٠٠ ـ * وعن أبي موسى، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق آدم من قبضة قبَضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدْرِ الأرض، منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهلُ والحَزنُ، والخبيث والطيِّب» رواه أحمد والترمذي وأبو داود [١٠٠].

١٠١ ـ * وعن عبدالله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق خلْقَهُ في ظلمة، فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى،

الحديث السادس عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: قوله: «من قبضة» وهي ما يضم عليه الكف من كل شيء، و«من» إذا كان متعلقًا بـ«خلق» تكون ابتدائية أي ابتداء خلقه من قبضة، وإذا كان حالاً من «آدم» يكون بيانية، والقبضة هاهنا مطابقة لما في قوله تعالى: ﴿والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة﴾(١) في بيان تصور عظمة الله سبحانه وتعالى وجلالة قدره، وأن المكونات الآفاقية والأنفسية منقادة لإرادته، ومسخرات بأمره، فإذا ورد عليها «كن» فكانت بما شوهد من الإنسان، وقبضة الشيء على السهولة تسخيرًا له.

قوله: «على قدر الأرض» أي مبلغها من الأكوان، ولما كانت الأوصاف الأربعة من الأمور الظاهرة في الإنسان، والأرض أجريت على حقيقتها، وتركت الأربع الأخيرة مفتقرة إلى تأويل؛ لأنها من الأخلاق الباطنة؛ فإن المعني بـ«السهل» الرفق واللين، وبـ« الحزن» الخرق والعنف، وبـ«الطيب» الذي يعني به الأرض العذبة المؤمن الذي نفع كله، وبـ«الخبيث» الذي يراد به الأرض السبخة الكافر الذي هو ضر وخسران في الدارين، قال الله تعالى: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا﴾(٢) والذي سيق له الكلام في الحديث هو الأمور الباطنة؛ لأنها داخلة في حديث القدر «من الخير والشر» وأما الأمور الظاهرة من الأكوان وإن كانت مقدرة فلا اعتبار لها فيه، والله أعلم.

الحديث السابع عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه: قوله: «خلق خلقه» أي الثقلين ـ من الجن، والإنس ـ «في ظلمة» أي كائنين في ظلمة النفس الأمارة بالسوء المجبولة بالشهوات

---

[١٠٠] صحيح: أخرجه بنحوه أحمد فى المسند (٤/ ٤٠٠، ٤٠٦)، والترمذى فى جامعه (٢٩٥٥ ـ بترتيب الشيخ شاكر)، وأبو داود فى سننه (٤٦٩٣) وغيرهم، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٢٣٥٥)، وفى صحيح سنن أبى داود (٣٩٢٦)، وانظر السلسلة الصحيحة (١٦٣٠)، وكذا فى تخريجه للمشكاة (١/ ٣٧).

(١) الزمر: ٦٧ . (٢) الأعراف: ٥٨ .

ومن أخطأهُ ضلَّ، فلذلك أقول: جفَّ القلم على علم الله» رواه أحمد والترمذى[١٠١].

المردية، والأهواء المضلة، كقوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾(١) والنور الملقى عليهم ما نصب من الشواهد والحجج، وما أنزل إليهم من الآيات والنذر، وإلى هذا المعنى أشير بقوله سبحانه: ﴿ الله نور السموات والأرض - إلى قوله - يهدي الله لنوره من يشاء﴾(٢) ومن يشاء هدايته هو الذى أصابه ذلك النور فتخلص من تلك الظلمة واهتدى ومن لم يشأ هدايته بقي في ظلمات الطبيعة مخبطاً(*) في الظلمات كالأنعام، بل هم أضل، مثل حال الكفرة المنهمكين في الشهوات، المعرضين عن الآيات.

ويمكن أن يحمل قوله: «خلق خلقه» على خلق الذر المستخرج في الأزل من صلب آدم عليه السلام، فعبر بالنور عن الألطاف التي هي تباشير صبح الهداية، وإشراق لمعات برق العناية، ثم أشار بقوله: «أصاب وأخطأ» إلى ظهور أثر تلك العناية فيما لا يزال من هداية بعض، وإضلال بعض. و«الإلقاء» في الأصل طرح الشيء حيث تلقاه، ثم صار في المتعارف اسماً لكل طرح. و«أخطأه» جاوزه وتعداه لشقاوته حيث لم تتعلق المشيئة بهدايته، «فلذلك» يعني من أجل عدم تغير ما جرى في الأزل تقديره من الإيمان، والطاعة، والكفر، والمعصية.

أقول: قوله: «جف القلم» «شف»: في هذا تنبيه على أن الإنسان خلق على حالة لاينفك عن الظلمة إلا من أصابه من النور الملقى عليهم. أقول - والعلم عند الله - : هذا التوفيق بين هذا المعنى وبين حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة» أن يقال بأن الإنسان مركب من الروحانية التي تقتضي العروج إلى عالم القدس، هي مستعدة لقبول فيضان نور الله الهادي، ومهيأة للتجلي تجلية الدين، ومن النفسانية المائلة إلى الخلود في الأرض، والإنهماك في الشهوات، والركون إلى المرديات، لاحظ في هذا الحديث لكون الكلام مسوقاً في القدر؛ لقوله: «جف القلم» معنى ما ذكره. «شف»: وفي ذلك الحديث لمح إلى القضاء بقوله: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة» فأجرى الكلام على ما أجراه كما مر بيانه.

---

[١٠١] صحيح: أخرجه بنحوه الإمام أحمد فى المسند (٢/ ١٧٦، ١٩٧)، والترمذى فى سننه (٧/ ٤٠١، ح: ٢٧٨٠ - أحوذى) واللفظ له، وقال: «هذا حديث حسن» ا. هـ وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٢١٣٠) وفى الصحيحة (١٠٧٦)، وكذا صنع فى تخريجه للمشكاة (١/ ٣٧).

(١) البلد: ٤.

(٢) النور: ٣٥.

(*) فى (ط) [محيطًا] وما أثبتناه من (ك).

١٠٢ ـ * وعن أنس، قال كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يامقلِّب القلوب! ثبِّتْ قلبي على دينك» فقلت: يانبيَّ الله: آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعمْ؛ إن القلوب بين أُصبعين من أصابع الله، يُقلِّبها كيف يشاء» رواه الترمذي وابن ماجه[١٠٢].

١٠٣ ـ * وعن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القلب كريشةٍ بأرض فلاة يقلبها الرياحُ ظهرًا لبطن» رواه أحمد[١٠٣].

الحديث الثامن عن أنس رضي الله عنه: قوله: «يامقلب القلوب» فإن قلت ما الفائدة في تقديم هذه الكلمات في هذا الحديث، وتأخيرها في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما في الفصل الأول، وتخصيصه هنا بـ«ثبت»، وهناك بـ«صرف» وأضاف القلب إلى نفسه هنا، وهناك مع الجماعة؟ قلت ـ وبالله التوفيق ـ: قدم ههنا، وخص بذكر ثبت، وأضاف القلب إلى نفسه تعريضًا بأصحابه؛ لأنه عليه الصلاة والسلام مأمون العاقبة[1] فلا يخاف على نفسه وعلى استقامتها؛ لقوله تعالى: «إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم»[2] ومن ثم خص الدين بالذكر، ولذلك سأل أنس «هل نخاف على ديننا» وأخر هناك، وخص بـ«صرف» وجمع القلب؛ لأن سوق الكلام لبيان القدر، وكان ذكر الدعاء مستطردًا له كما سبق.

فإن قلت: لم خص ذكر «الله» في هذا الحديث، و«الرحمن» في ذلك؟ قلت: كان ذكر «الرحمن» هناك؛ لأنه في مطلع الحديث، ورحمته هي السابقة، وهنا جواب عن التعريض، والمقام مقام الهيبة والجلال أي الإلهية مقتضية لأن يخص كل واحد بما يخصه من الإيمان، والطاعة، والكفر والمعصية.

الحديث التاسع عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: قوله: «مثل القلب» المثل ههنا

---

[١٠٢] صحيح: أخرجه الترمذى فى سننه (٦/ ٣٤٩ح، ٢٢٢٦ ـ أحوذى) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وبنحوه ابن ماجه فى سننه (٣٨٣٤)، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (١٧٣٩)، وصحيح سنن ابن ماجه (٣٠٩٢)، وقال فى تخريجه للمشكاة (١/ ٣٧): «وهو على شرط مسلم».

[١٠٣] صحيح: أخرجه بنحوه الإمام أحمد فى المسند (٤/ ٤٠٨، ٤١٩)، وابن ماجه فى سننه (٨٨)، وبلفظه البغوى فى شرح السنة (١/ ١٦٤، ح: ٨٧) وفيه «تقلبها بدل «يقلبها»، وغيرهم، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح سنن ابن ماجه (٧١)، وفى تخريجه للمشكاة (١/ ٣٧)، وكذا فعل محققا (شرح السنة) زهير الشاويش وشعيب الأرناؤط (١/ ١٦٤، هامش١).

(١) فى (ط) [العافية] وما أثبتناه من (ك).

(٢) يس: ٣، ٤.

١٠٤ ـ * وعن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «لايؤمنُ عبدٌ حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إِلا الله وأني رسولُ الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، والبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر» رواه الترمذي، وابن ماجه[١٠٤].

بمعنى الصفة لا القول السائر؛ لأن المعني صفة القلب العجيبة الشأن، وورد ما يرد عليه من عالم الغيب من الدواعي، وسرعة تقلبها بسبب الدواعي، كصفة ريشة واحدة تقلبها الرياح بأرض خالية عن العمران؛ فإن الرياح أشد تأثيراً فيها في العمران، وجمع الرياح لدلالتها على التقلب ظهراً لبطن؛ إذ لو استمر الريح على جانب واحد لم يظهر القلب، كما يظهر من الرياح المختلفة، ولفظ «الأرض» مقحمة؛ لأن في ذكر الفلاة استغناء عنها، وهو كقولك: أخذت بيدي ونظرت، يعني تقريراً ورفعًا للتجوز، وأن يتوهم متوهم خلافه، ولا يسلك إلا في أمر خطير، و«يقلبها» صفة أخري لـ«ريشة».

«مظ»: «ظهراً لبطن» ظهر بدل البعض من الضمير في «يقلبها» واللام في «لبطن» بمعنى إلي، كقوله: ﴿منادِيًا ينادي للإيمان﴾(١) ويجوز أن يكون «ظهراً لبطن» مفعولا مطلقًا أي يقلبها تقليبًا مختلفًا، وأن يكون حالا أي يقلبها مختلفة؛ ولهذا الاختلاف سمي القلب قلبًا.

«غب»: قلب الشيء تصريفه، وصرفه عن وجه إلى وجه، وسمي القلب قلبًا لكثرة تقلبه، ويعبر بالقلب عن المعاني التي يختص به من الروح، والعلم، والشجاعة وغيرها.

الحديث العاشر عن على رضي الله عنه: قوله: «لا يؤمن عبد» هذا نفي أصل الإيمان لا نفي الكمال، فمن لم يؤمن بواحد من هذه الأربعة لم يكن مؤمنًا، أحدها: الإقرار بأن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، بعثه بالحق إلى كافة الجن والإنس. الثاني: أن يؤمن بالموت حتى يعتقد أن الدنيا وأهلها تفنى، كما قال تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾(٢) و﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾(٣). وهذا احتراز عن مذهب الدهرية؛ فإنهم يقولون: العالم قديم باق. ويحتمل أن يراد بـ« الإيمان بالموت» أن يعتقد الرجل أن الموت يحصل بأمر الله لابالطبيعة، خلافًا للطبعي؛

---

[١٠٤] صحيح: أخرجه الترمذى فى جامعه (٦/ ٣٥٧، ح: ٢٢٣٢ ـ أحوذى) وفيه: «ويؤمن بالبعث» بدل «والبعث»، وبنحوه ابن ماجه فى سننه (٨١)، والحاكم فى المستدرك (١/ ٣٢-٣٣) وقال: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبى، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (١٧٤٤)، وابن ماجه (٦٦)، وفى تخريجه للمشكاة (١/ ٣٧).

(١) آل عمران: ١٩٣.

(٢) الرحمن: ٢٦.

(٣) القصص: ٨٨.

فإنه يقـول: يحصل الموت بفـساد المزاج. الثـالث: أن يؤمن بالبعث بعـد الموت. والرابع: أن يؤمن بالقدر، يعني يعتقد أن جميع ما في العالم بقضاء الله وقدره، كما ذكر قبل هذا.

أقول: إن «حتى» في قـوله: «حتى يؤمن» للتدرج، كما في قوله عليـه الصلاة والسلام: «إن الرجل ليصدق حتى يكتب صـديقًا» يعني لا يعتبر التصديق بالقلب حـتى يتمكن منه التصديق إلى أن يبلغه إلى هذه الأوصاف الأربعة.

وقوله: «بعثنى بالحق» استئناف، كأنه قيل: لم يشهد بذلك؟ فأجيب «بعثني بالحق» أي لأن الله بعثني بالحق. ويجوز أن يكون حـالا مؤكدة، أو خبرًا بعد خبـر، فعلى هذا يدخل في حيز الشهادة. وقـوله ﷺ حكاية معنى قول الشاهد لا قوله؛ فـإن قوله: «أن محمدًا رسـول الله بعثه بالحق».

فإن قلت: لم ذكر في الثلاث الأخيرة لفظة: «يؤمن» وذكر في الأولى لفظة «يشهد»؟ قلت: «يشهد» إلى آخره تفصيل لقوله: «حتي يؤمن بأربع» فلن يكون التـفصيل مخالفًا للمجمل، كأن أصل الكلام أن يقـال: يؤمن بالله بأن الله واحد لاشـريك له، وبأني رسـول الله عليه الصـلاة والسلام حـقا، ويؤمن بكذا، ويؤمن بكذا، فعـدل إلى لفظ الشهادة أمنًا من الالتـباس، ودلالة على أن النطق بالشهادتين أيضًا ركن من الأركـان؛ ولأن هذه الشهادة غاية للإيمان، ويتدرج منه إليه، فلا يتصور الشهادة باللسان دون التصديق بالقلب، كأنه قيل: يشهد باللسان بعد التصديق الراسخ في القلب.

قـولـه: «يؤمن بالموت» أي يؤمن أن الموت حـق، وأن البـعث حق، وتـكريم الموت إيذان باهتمـام شأنه، فهـو مثل قـوله تعالى: ﴿ثم إنكم بعـد ذلك لميـتـون * ثم إنكم يوم القيـمـة تبعثون﴾(١) في أن المراد اهتمـام شأن الموت، ثم الذي يليـه من البعث؛ فـإن الموت ذريعة إلى وصول السعادة الكبرى، ووسيلة إلى ارتقاء الدرجة العليا.

«غب»: «الموت» أحـد الأسبـاب الموصـلة إلى النعـيم، فـهـو وإن كـان في الـظاهر فناءً واضمحلالا، لكـن في الحقيقة ولادة ثانية، وهو باب من أبواب الجنة، منه يتـوصل إليها، ولو لم يكن لم تكن الجنة من الله تعالى على الإنسان، فقال: ﴿خلق الموت والحياة﴾(٢) قدم «الموت» على «الحيـاة» تنبيهًـا على أنه يتوصل منه إلى الحيـاة الحقيـقية، وعده عـلينا من الآلاء في قوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾(٣) ونبه الله تعالـى بعد قوله: ﴿ثم أنشأناه خلقًا آخـر فتبارك الله أحسن الخـالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميـتون * ثم إنكم يوم القيـامة تبعـثون﴾(٤) علـى أن هذه التغـييرات لخلق أحـسن، فنقض هذه البنية لإعـادتها على وجه أشـرف، كالنوى المزروع الذي

---

(١) المؤمنون: ١٥- ١٦.
(٢) الملك: ٢.
(٣) الرحمن: ٢٦ .
(٤) المؤمنون: ١٤-١٦.

١٠٥ ـ * وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيبٌ: المُرْجئةُ والـقَدرِيَّة». رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب [حسن صحيح] [١٠٥].

لايصير نخلاً مثمرًا إلا بعد فساد حبتها، وكذلك البر إن أردنا أن نجعله زيادة في أجسادنا نحتاج إلى أن يطحن، ويعجن، ويطبخ، ونأكل، فهذه تغيرات كثيرة، هي فسادات في الظاهر، وكذا البذر إذا ألقى في الأرض يعده من لايتصور حاله فسادًا، فالنفس لاتحب البقاء في هذه الدار إلا إذا كانت قذرة راضية بالأعراض الدنيئة، رضئ الجعل بالحش، أو تكون جاهلة نجاتها في المآل، والله أعلم.

الحديث الحادي عشر عن ابن عباس رضي الله عنه: قوله: «صنفان من أمتي» «تو»: الصنف النوع، و«المرجئة» بهمزة، من الإرجاء وهو التأخير، قيل: «المرجئة» هم الذين يقولون: «الإيمان قول بلا عمل» فيؤخرون العمل عن القول، وهذا غلط منهم؛ لأنَّا وجدنا أكثر أصحاب الملل والنحل ذكروا أن «المرجئة» هم «الجبرية» الذين يقولون: «إن إضافة الفعل إلى العبد كإضافته إلى الجمادات» فالجبرية خلاف القدرية، وبعض القدرية ألحقوا هذا النبز بالسلف ظلمًا وعدوانًا، وسميت «الجبرية» مرجئة؛ لأنهم يؤخرون أمر الله، ويرتكبون الكبائر، وهم يذهبون في ذلك إلى الإفراط، كما تذهب القدرية إلى التفريط، وكلا الفريقين على شفا جرف هار.

و«القدرية» إنما نسبوا إلى القدر ـ وهو ما يقدره الله تعالى ـ لأنهم يدعون أن كل عبد خالق فعله من الكفر والمعصية، ونفوا أن ذلك بتقدير الله وهؤلاء الضُّلَّال يزعمون أن القدرية هم الذين يثبتون القدر. والجواب: ونحن لانثبت هذا السر من طريق القياس حتى تقابلونا بدعواكم هذه، وإنما أخذناه من النصوص الصحيحة فمنها: «إنا كل شيء خلقناه بقدر»(١) ومنها قوله عليه الصلاة والسلام: «وأن يؤمن بالقدر خيره وشره»(٢) ومنها قوله عليه الصلاة والسلام: «كل شيء بقدر»(٣) ومنها «القدرية مجوس هذه الأمة»(٤) في أحاديث لاتحصى كثرة.

---

[١٠٥] ضعيف: أخرجه الترمذي في جامعه (٦/ ٣٦٢ ـ أحوذي) وقال: «هذا حديث حسن غريب» كذا في طبعة قرطبة لتحفة الأحوذي، قال الشيخ الألباني تعليقًا على عبارة (حسن صحيح) الواردة عقب الحديث:

(لم ترد هذه الزيادة في شيء من نسخ الكتاب التي وقفنا عليها، ولكنها ثابتة في سنن الترمذي (٢/ ٢٢)، وهو عنده من طريقين ضعيفين عن عكرمة عن ابن عباس، وقد رويت له شواهد، ولكنها واهية كلها، حتى عده بعضهم من الموضوعات، قال العلائي: «والحق أنه ضعيف لا موضوع») أ. هـ كلام الشيخ الألباني من تخريجه للمشكاة (١/ ٣٨) عند الحديث (١٠٥).

(١) القمر: ٤٩ .

(٢) سبق في حديث جبريل - عليه السلام - وهو الحديث رقم [٢] [مخرج في الصحيحين].

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٥) .

(٤) سيأتي برقم [١٠٧].

١٠٦ ـ * وعن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون في أمتي خسفٌ ومسخٌ، وذلك في المكذبين بالقدَر» رواه أبو داود، وروى الترمذي نحوه[١٠٦].

وقال في قوله: «ليس لها في الإسلام نصيب»: ربما يتمسك به من يكفر الفريقين، والصواب أن لايسارع إلى أن يكفر أهل الأهواء المتأولين؛ لأنهم لايقصدون بذلك اختيار الكفر، وقد بذلوا وسعهم في إصابة الحق فلم يحصل لهم غير ما زعموه، فهم إذًا بمنزلة الجاهل، أو المجتهد المخطئ. وهذا القول هو الذي يذهب إليه المحققون من علماء الأمة نظراً واحتياطًا، فيجري قوله: «لا نصيب لهم» مجرى الاتساع في بيان سوء حظهم، وقلة نصيبهم من الإسلام: نحو قوله للبخيل: ليس له من ماله نصيب وأما قوله ﷺ: «يكون في أمتي خسف ومسخ» وقوله: «ستة» لعنهم الله» وأمثال ذلك؛ فإنها تحمل على المكذب به إذا أتاه من البيان ما ينقطع العذر دونه، أو على ما يفضي به المعصية إلى تكذيب ماورد فيه من النصوص، أو إلى تكفير من خالفه. وأمثال هذه الأحاديث واردة على التغليظ والتشديد زجرًا وردعًا.

الحديث الثاني عشر عن ابن عمر رضي الله عنه: قوله: «خسف» خسف المكان ذهب في الأرض، وخسف الله به خسفًا أي غاب به في الأرض، و«المسخ» تحويل صورة إلى ما هو أقبح منها. «شف»: معنى الحديث: إن يكن خسف ومسخ يكونا في المكذبين، أقول: لعله اعتقد أن هذه الأمة المرحومة مأمونة من الخسف والمسخ فأخرج الكلام مخرج الشرطية.

وقوله: «ذلك» يؤذن أن الذي قبله إنما يستحق العذاب بسبب ما ذكره بعده من التكذيب على عكس قوله تعالى: ﴿أولئك كالأنعام﴾(١) ﴿بل هم أضل سبيلا﴾ (٢) وقد سبق عن التوربشتي أن الحديث من باب التغليظ والتشديد فلا يفتقر إلى تقدير الشرط. وأبو سليمان الخطابي ذهب إلى وقوع الخسف والمسخ في هذه الأمة، قال: «المسخ» قد يكون في هذه الأمة، وكذلك «الخسف» كما كانا في سائر الأمم، خلاف قول من زعم: أن ذلك لايكون؛ إنما مسخها بقلوبها، ذكره في أعلام السنن.

---

[١٠٦] حسن: أخرجه الترمذى فى جامعه (٦/ ٣٦٧، ٣٦٨ ـ أحوذى) بلفظ: «فى هذه الأمة أو فى أمتي ـ الشك منه ـ خسف أو مسخ أو قذف فى أهل القدر»، وأبو داود بنحوه فى سننه (٤٦١٣)، وغيرهما، وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (١٧٤٨)، وصحيح سنن أبى داود (٣٨٥٧).

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) الفرقان: ٤٤.

١٠٧ ـ * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «القَدَرِيَّة مجوسُ هذه الأمة، إِن مرضوا فلا تعودوهم، وإِن ماتوا فلا تشهدوهم» رواه أحمد، وأبو داود [١٠٧].

١٠٨ ـ * وعن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتجالسوا أهل القدَر ولا تفاتحوهم» رواه أبو داود [١٠٨].

الحديث الثالث عشر عن ابن عمر رضي الله عنه: قوله: «القدرية مجوس هذه الأمة» هذا التركيب من باب قولهم: «القلم أحد اللسانين» كما مر فى حديث عائشة رضى الله عنها «عصفور من عصافير الجنة». ولفظ «هذه» إشارة إلى تعظيم المشار إليه، وإلى النعى إلى القدرية، والتعجب منهم، أن انظروا إلى هؤلاء، كيف امتازوا من هذه الأمة المكرمة بهذه الهيئة الشنيعة حيث نزلوا من أوج تلك المناصب الرفيعة إلى حضيضِ السفالة والرذالة. وخص النهى عن حقوق المسلمين على المسلمين بهاتين الخصلتين، لأنهما ألزم وأولى، وذلك أن المرض والموت حالتان مفتقرتان إلى الدعاء له بالصحة، والصلاة عليه بالمغفرة.

«تو»: إنما قال لهم «مجوس هذه الأمة»؛ لأنهم أحدثوا فى الإسلام مذهبًا يضاهى مذهب المجوس من وجه، وهو أن المجوس يضيفون الكوائن فى دعواهم الباطلة إلى إلهين اثنين يسمون أحدهما يزدان، والآخر أهرمن، ويزعمون أن يزدان يأتى منه الخير والسرور وأن أهرمن يأتى منه الغم والشرور، ويقولون ذلك فى الأحداث والأعيان، فيضاهى قولهم الباطل فى إضافة الخير إلى الله، وإضافة الشر إلى غيره، (مذهب المجوس)(١) غير أن القدرية يقولون ذلك فى الأحداث دون الأعيان.

أقول: هذا تقرير كلام الخطابي، ومذهب المعتزلة بخلاف ذلك، قال الزمخشرى فى «كتاب المنهاج»: فإن قلت: الحسنة والسيئة من الله أم من العبد؟ قلت: الحسنة التى هى الخصب ﴿والسعة من الله﴾(٢) والصحة من الله، وأما الطاعات فمن العبد، ولكن الله قد لطف به فى أدائها وبعثه عليها، والسيئة التى هى [الخطب والقحط](٣) والمرض من الله تعالى، وهو صواب وحكمة، وأما المعصية فمن العبد، والله تعالى برىء منها.

الحديث الرابع عشر عن عمر رضى الله عنه: قوله: «ولا تفاتحوهم» الفتاحة ـ بضم الفاء وكسرها ـ الحكم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾(٤) أى احكم، وقيل: لاتبتدءوهم بالمجادلة والمناظرة، و«لا تفاتحوهم» وهو من (باب)(٥) عطف الخاص على العام؛ لأن المجالسة تشتمل على المؤاكلة، والمؤانسة، والمحادثة

---

[١٠٧] حسن بطرقه: انظر صحيح سنن أبي داود (٣٩٢٥)، والصحيحة)٢٧٤٨)، وتخريج المشكاة (١/ ٣٨).

[١٠٨] ضعيف: انظر ضعيف الجامع (٦٢٠٦)، وتخريج الطحاوية (٢٤٢).

(١) غير موجودة فى (ط) والنقل من (ك).
(٢) زيادة من (ك).
(٣) زيادة من (ك).
(٤) الأعراف: ٨٩.
(٥) زيادة من (ك).

١٠٩ ـ * وعن عائشة [رضي الله عنها] قالت؛ قال رسول الله ﷺ: «ستةٌ لعَنتُهُمْ ولعنَهُم اللهُ وكل نبي يُجابُ: الزائدُ في كتاب الله، والمكذب بقدَر الله، والمتسلِّط بالجبروت ليعز من أذله الله ويُذلَّ من أعزه الله، والمستحلُّ لِحَرم الله، والمستحلُّ من عترتي ما حرم الله، والتاركُ لسنَّتي». رواه البيهقي في «المدخل» ورزينٌ في كتابه[١٠٩].

وغيرها، وفتح الكلام في حديث القدر أخص من ذلك. «مظ»: لاتفاتحوهم» لاتناظروهم، ولا تبحثوا معهم عن الاعتقاد؛ فإنهم يوقعونكم في الشك، ويشوشون عليكم اعتقادكم.

الحديث الخامس عشر عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «لعنهم الله» فيه وجهان، أحدهما: أنه إنشائى دعاء عليهم، فيكون «وكل نبى يجاب» حالا من فاعل «لعنتهم»(١) والجملة معترضة بين الحال وصاحبها. وثانيها: أن يكون إخباريًا استئنافًا، كأنه لماقيل: «لعنتهم» سئل فماذا بعد؟ فأجيب «لعنهم الله» فيكون الثانية مسببة عن الأولى. ويحتمل العكس، وذلك أنه حين قال: «لعنتهم» سأل سائل لم ذا؟ فأجاب لأنه «لعنهم الله» فعلى هذا يكون قوله: «وكل نبى يجاب» معترضًا بين البيان والمبين، يعنى من شأن كل نبى أن يكون (مستجابًا)(٢).

«تو»: لايصح عطف «وكل نبى يجاب» على فاعل «لعنتهم» وصححه الأشرفى لوجود الفاصل ـ وإن لم يؤكد بالضمير ـ وفيه نظر؛ لأن المانع هو عطف الجملة على المفرد. فإن قلت: لم لا يجوز أن يكون «يجاب» صفة لا[خبرًا]؟(٣) قلت: يلزم من ذلك أن لايكون بعض الأنبياء مجاب الدعوة، ومنه فر التوربشتي، وأبطل رواية الخبر فى «يجاب» [فيكون المعنى على هذا التقدير: ولعنهم كلٌّ مجاب](٤).

قوله: «الزائد فى كتاب الله» يجوز أن يراد به من يدخل فى كتاب الله ما ليس منه، أو أن يأوّل بما يأبى عنه اللفظ ويخالف المحكم، كما فعلت اليهود بالتوراة من التبديل والتحريف. والزيادة فى كتاب الله كفر، وتأويله بما يخالف الكتاب والسنة بدعة.

«تو»: «الجبروت» فعلوت، من التجبر، وإنما يطلق ذلك فى صفة الإنسان على من يجبر نقيصته بادعاء منزلة من التعالى لايستحقها. أقول: «اللام» فى قوله «ليعز» إذا كان للتعليل يلزم منه جواز التسلط بالجبروت لغير ذلك ظاهرًا، فيجب أن تحمل اللام على مثلها فى قوله: «لدوا للموت، وابنوا للخراب» وهى التى تسمى بلام العاقبة.

---

[١٠٩] ضعيف: انظر ضعيف الجامع (٣٢٤٨)، وتخريج الشيخ الألبانى للمشكاة (١/ ٣٩).

(١)من (ك) وفى (ط) «لعنهم الله».

(٢) فى (ك) «مستجاب الدعوة».

(٣) فى (ك) (خبرًا) وفى «ط» «خبر» والأول هو الصواب.

(٤) زيادة من المطبوع ليست فى «ك».

١١٠ ـ * وعن مطَر بن عُكام، قال: قال رسـول الله ﷺ: «إذا قضى اللهُ لعَبدٍ أن يموت بأرضٍ جعل له إليها حاجة». رواه أحمد، والترمذي [١١٠].

١١١ ـ * وعن عـائشـة، رضي الله عنـهـا، قـالت: قلت: يارسـول الله! ذراري المؤمنين؟ قال: «مِنْ آبائهم». فقلت: يارسول الله بلا عمَل؟ قال: «الله أعلم بما كانوا

وقـوله: «المستـحل لحرم الله» حـرم مكة يعنى من فـعل فى حرم مكة مـا لايجوز فـعله من الاصطياد، وقطع الشجر، ودخولها بغير إحرام. «والعترة» القرابة، يعنى من فعل بأقارب رسول الله عليه الصلاة والسلام ما لا يجوز فعله من إيذائهم، وترك تعظيمهم. وتخصيص ذكر «الحرم» «والعترة» لشرفهما؛ لأن أحـدهما منسوب إلى الله، والآخر إلى رسول الله، فعلى هذا «من» فى «من عترتي» ابتدائية متعلقة بالفـعل. قيل: يجوز أن تكون بيانية، وأن يراد بهذا «المستحل» من يستحل من أولاد رسول الله عليه الصلاة والسلام شيئًا من «مستجاب الدعوة».

وفيه تعظيم الجرم منهم كتعظيم الجرم الصادر عنهن ـ أزواج الرسول ـ فى قوله: «من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين»(١).

قوله: «والتـارك لسنتي» استخفـافًا بها وقلة مـبالاة، فهو كـافر ملعون، ومن تركهـا تهاونًا وتكاسلا لا عن استخفاف بها فهو عاص، واللعنة عليه من باب التغليظ.

الحديث السادس عشر عن مطر بن عكام رضى الله عنه: ظاهر.

الحديث السابع عشر عن عـائشة رضى الله عنها: قوله: «ذرارى المؤمنين» أى ما حكم ذرارى المؤمنين؟ «من آبائهم» «من» فيها اتصالية كما فى قوله تعالى: ﴿**المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض**﴾(٢)، وقـوله ﷺ: «ما أنا من دد، ولا الدد مني» وقـولهم: «فـإنى لست منك، ولست مني». «الكشاف: فى انتسابه ، فالمعنى: هم متصلون بآبائهم.

قولها: «بلا عمل» وارد على سبيل التـعجب فى أنهم متصلون بآبائهم بلا عمل يوجب لهم الثواب والعقاب. وقوله عليه الصلاة والسلام: «الله أعلم بما كـانوا عاملين» رد لتعجبها، وإشارة إلى القدر؛ ولهذا وضعه محيي السنة فى باب القدر.

«تو»: «قال: من آبـائهم» أى معدودين مـن جملتهم؛ لأن الشـرع يحكم عليـهم بالإسلام لإسلام أحد الأبوين، ويأمر بالصلاة عليهم، وبمراعاة أحكام المسلمين فيهم، وكذلك يحكم على

---

[١١٠] صحيح: انظر صحيح سنن الترمذى (١٧٤٥).

(١) الأحزاب: ٣٠.

(٢) التوبة: ٦٧.

عاملين». قلت: فذراري المشركين؟ قال: «مِنْ آبائهم». قلت: بلا عمل؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين». رواه أبو داود[١١١].

ذرارى المشركين بالاسترقاق، وبمراعاة أحكام المشركين فيهم قبل ذلك، وبانتفاء التوارث بينهم وبين المسلمين، فهم ملحقون فى ظاهر الأمر بآبائهم.

قوله: «[و](١) الله أعلم بما كانوا عاملين» ومن ثمة قال النواوى فى شرح صحيح مسلم: اختلف العلماء فيمن مات من أطفال المشركين، فمنهم من يقول: هم تبع لآبائهم فى النار، ومنهم من توقف فيهم، والثالث - وهو الصحيح الذى ذهب إليه المحققون - : أنهم من أهل الجنة، واستدل بأشياء، منها حديث إبراهيم خليل الله عليه السلام حين رآه النبى ﷺ «وحوله أولاد الناس، قالوا: يارسول الله؛ وأولاد المشركين؟ قال: وأولاد المشركين» رواه البخارى فى صحيحه، ومنه قوله تعالى: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا»(٢) ولا يتوجه على المولود التكليف حتى يبلغ فيلزم الحجة، وهذا متفق عليه.

أقول - والعلم عند الله - : والحق الأول؛ يعنى التوقف، لما ورد فى مسند أحمد بن حنبل عن على فى حديث خديجة فى أولادها كما سيجىء فى الفصل الثالث من هذا الباب، وحديث الوائدة والموءودة فى النار» مخالف لحديث إبراهيم عليه السلام، فالوجه أن يبنى الكلام على حديث عائشة رضى الله عنها. وقولها: «عصفور من عصافير الجنة» فى شأن ولد من المسلمين، كما سبق أن إنكار الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: «أو غير ذلك كان»؛ لأن حكمها على الصغير حكم على أبويه، و[الجزم](٣) بأنهما من أهل الجنة؛ لأن الصغير تابع لهما، فعلى هذا أولاد المشركين الذين كانوا بين يدى إبراهيم الخليل عليه السلام هم المشركون الذى لم يسلموا حينئذ، ثم فى المآل آمنوا. وأما ولد خديجة، والموءودة، [فهم](٤) الذين مات آباؤهم على الكفر، وأما قوله تعالى: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» فيحتمل أن يراد بالعذاب الاستئصال فى الدنيا؛ لأن «حتى» تقتضي ظاهراً أن يكون العذاب فى الدنيا، ويعضده ما أتبعه من قوله: **﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾**(٥) وقد يشتمل عذاب الاستئصال فى الدنيا الظالم وغيره قال الله تعالى: «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة»(٦) وحديث الخسف بالزوراء «يخسف بهم جميعًا، ويحشرون على قدر نياتهم» معلوم، فحينئذ لايتم الاستدلال بالآية.

---

[١١١] صحيح: انظر صحيح سنن أبى داود (٣٩٤٣).

(١) «الواو» ليست فى لفظ الحديث، وهى فى «ط» و«ك».

(٢) الإسراء: ١٥ .

(٣) فى «ط» «والخبر» والتصويب من «ك».

(٤) فى «ط «وهم» والمثبت من «ك».

(٥) الإسراء: ١٦ .

(٦) الأنفال: ٢٥ .

١١٢ ـ * وعن ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الوائدةُ والموءودة في النار». رواه أبو داود[١١٢].

«قض»: الثواب والعقاب ليسا لأحد بالأعمال، وإلا لزم أن لا يكون ذرارى المسلمين والكفار من أهل الجنة والنار، بل الموجب لهما هو اللطف الرباني، والخذلان الإلهى المقدر لهم وهم فى أصلاب آبائهم، بل هم [وآباؤهم][١] وأصول أكوانهم بعد فى العدم، فالواجب فيها التوقف وعدم الجزم بشيء من ذلك، فإن أعمالهم موكولة إلى علم الله تعالى فيما يعود إلى أمر الآخرة من الثواب والعقاب؛ لأن السعادة والشقاوة ليستا معللتين [عندنا][٢]، بل الله تعالى خلق من شاء سعيدًا، ومن شاء شقيًا، وجعل الأعمال دليلا على السعادة والشقاوة، وأنت تعلم أن عدم الدليل وعدم العلم به ـ لا يوجبان عدم المدلول والعلم بعدمه، وكما أن البالغين منهم شقى وسعيد، وأما الذين شقوا، فهم مستعملون بأعمال أهل النار حتى يموتوا عليها، فيدخلوا النار فأما الذين سعدوا فهم موفقون للطاعات وصالح الأعمال، حتى يتوفوا عليها فيدخلوا الجنة، فأطفال منهم من سبق القضاء بأنه سعيد من أهل الجنة، فهو لو عاش عمل أعمال أهل الجنة، ومنهم من جف القلم بأنه شقى من أهل النار، فهو لو أمهل لاشتغل بالعصيان وانهمك فى الطغيان.

الحديث الثامن عشر عن ابن مسعود رضى الله عنه: قوله: «الوائدة» وأد ابنته يئدها وأدًا [فهى][٣] موءودة: إذا دفنها فى القبر وهى حية. «قض»: كانت العرب فى جاهليتهم يدفنون البنات حية، فالوائدة فى النار لكفرها وفعلها، والموءودة فيها لكفرها، وفى الحديث دليل على تعذيب أطفال المشركين، ولعل المراد بـ«الوائدة» القابلة، وبـ«الموءودة» الموءودة لها ـ وهى أم الطفل ـ فحذفت الصلة، إذ كان من دينهم أن المرأة إذا أخذها الطلق حفر لها حفرة عميقة فجلست عليها، والقابلة وراءها تترقب الولد، فإن ولدت ذكرًا [أمسكت][٤]، وإن ولدت أنثى ألقتها فى الحفرة وأهالت التراب عليها. قلت: هذا الحديث والذى قبله إنما أورد فى هذا الباب استدلالاً على إثبات القدر، وتعذيب أطفال المشركين، ومن أراد تأويلهما بغير هذا فيجب عليه أن يخرجهما من هذا الباب.

وأما قولهم: ورد هذا الحديث فى قصة خاصة، وهى أن ابنى مليكة أتيا رسول الله ﷺ يسألانه عن أم لهما، كانت تئد، فقال عليه الصلاة والسلام: «الوائدة والموءودة فى النار» فلا يجوز حمله على العموم. فجوابه: أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب عند قيام الشواهد، روينا فى كتاب جامع الصحيح لأبى محمد الدارمى عن الوضين: «أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله! إنا كنا أهل جاهلية، وعبدة أوثان، وكنا نقتل الأولاد، وكانت عندى ابنة لي، فلما أجابت، وكانت مسرورة بدعائى إذا دعوتها، ودعوتها يومًا فاتبعتنى فمررت حتى أتينا

[١١٢] صحيح: انظر صحيح سنن أبى داود (٣٩٤٨)، وتخريج المشكاة (١/ ٣٩ ـ ٤٠).
(١) فى «ط» «وآبائهم» التصويب من «ك».
(٢) فى «ك» «من عندنا»
(٣) فى (ط) [هو] والتصويب من (ك).
(٤) فى «ط» «أمسك» والتصويب من «ك».

الفصل الثالث

١١٣- * عن أبي الدَّرداء، قال: قال رسـول الله ﷺ: «إن الله عزَّ وجل فرغَ إلى كل عبـد من خلقه من خَمْسٍ: من أجَله، وعـمله، ومضجعِـه، وأثرِه، ورزقِه» رواه أحمد[١١٣].

١١٤ ـ * وعن عائشـة، رضي الله عنها، قـالت: سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «من تكلم في شيء من القدَرِ سئِل عنه يوم القيامة، ومن لم يتكلم فيه لم يُسأل عنه» رواه ابن ماجه[١١٤].

بئرًا من أهلى غير بعيد، فأخذت بيدها، فـرديت بها فى البئر، وكان آخر عهدى بها أن تقول: يا أبتاه! يا أبتاه! فبكى رسول الله ﷺ حتى وكف دمع عينيه، فقال رجل من جلساء النبى ﷺ: أحزنت رسول الله ﷺ؟ فقـال له: كف، فإنه يسأل عما أهمه، ثم قـال له: أعد على حديثك، فأعاده فبكى حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته، ثم قال له: إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا، إذًا فاستأنف عملك».

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أبى الدرداء رضى الله عنه: قوله: «فرغ إلى كل عبـد» فرغ يستعمل باللام يقال: فرغ لكذا، واستعماله بإلى إما للتضمين، أو يكون حالا، انتهى تقديره فى الأزل من تلك الأمور إلى تدبير العبد بأبدانها، كما سبـق من قوله: «شئون يبديها لا يبتديها»(١). ويجوز أن يكون «إلى» بمعنى اللام، يقـال: هداه إلى كذا، أو لكذا. و«من» فى «من خلقـه» صلة «فرغ»، أى من خلقتـه، ومما يختص به، ومـا لابد منه من الأجل، والعمل وغـيرهمـا، و«من خمس» عطف عليه، ولعل سقوط الواو من الكاتب، ويمكن أن يقال: إنه بدل منه بإعادة الجار، والوجه أن يذهب إلى أن «خلقـه» بمعنى مخلوقه، و«من» فـيه بيانيـة، و«من» فى «من خمس» مـتعلق بـ«فرغ» أى فرغ إلى كل عبد كائن من مخلـوقه من خمس، و«أثره» أى أثر مِشيته فى الأرض، لقوله تعالى: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾(٢) جمع بين مضجعـه وأثره، وأراد سكونه وحركته، ليشتمل جميع أحواله من الحركات والسكنات.

الحديث الثانى عن عـائشة رضى الله عنها: قوله: «من تكلم فـى شىء من القدر» قال: «فى

---

[١١٣] أخرجه أحمد فى المسند (٥/ ١٩٧) وهو فى السنة لابن أبى عاصم.
[١١٤] ضعيف: انظر ضعيف ابن ماجه (١٦)، وضعيف الجامع (٥٥٤١).
(١) في (ط) (لا يبتدي بها) والتصويب من (ك).
(٢) يس: ١٢.

١١٥ ـ * وعن ابن الديلمي، قال: أتيتُ أبيَّ بن كعب، فقلت له: قد وقع في نفسي شيءٌ من القَدَر، فحدثني لعل اللهَ أن يذهبَه من قلبي. فقال: لو أن الله عزّ وجل عذب أهل سماواته وأهلَ أرضه؛ عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفَقْتَ مثل أحُد ذهبًا في سبيل الله ما قَبِلَهُ الله منك حتى تؤمن بالقدَر، وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليُخْطئَك، وأن ما أخطأكَ

شيء» ولم يقل: «في القدر» ليفيد المبالغة في القلة، وفي النهى عنه، أي من تكلم بشيء يسير منه يسأل عنه يوم القيامة، فكيف بالكثير منه؟ فالسؤال للتهديد.

الحديث الثالث عن ابن الديلمي: قوله: «في نفسي شيء» أي حرارة واضطراب عظيم أريد منك الخلاص منه، فحدثني بحديث يزيل ذلك مني، قال: أولاً «في نفسي» وثانيًا «في قلبي» إشعارًا بأن ذلك تمكن منه، وأخذ بمجامعه من ذاته وقلبه.

وقوله: «أن يذهبه» أدخل «أن» في خبر «لعل» تشبيهًا لها بعسى. وقوله: «ولو أن الله عذب» إرشاد عظيم وبيان شاف لإزالة ما طلب منه؛ لأنه هدم به قاعدة القول بالحسن والقبح عقلاً؛ لأنه مالك السموات والأرض وما فيهن، ويتصرف في ملكه كيف يشاء، ولا يتصور فيه الظلم؛ لأنه لايتصرف في ملك غيره. ثم عطف عليه «لو رحمهم» إيذانًا بأن رحمته على الخلق ليست من إيجابهم عليه سبب أعمالهم، بل هو فضل ورحمة منه ولو شاء أن يصيب برحمته الأولين والآخرين، لا يخرج ذلك من حكمة وراء ما يحيط علمنا به.

ـ وقوله: «ولو أنفقت» تمثيل على سبيل الفرض، لا تحديد، إذ لوفرض الإنفاق ملء السموات والأرض كان كذلك. وقوله: «تعلم أن ما أصابك» شروع في التخصيص بعد التعميم، وقوله: «لم يكن ليخطئك» وضع موضع المحال، كأنه يقول: محال أن يخطئك، كقوله تعالى: ﴿**وما كان الله ليطلعكم على الغيب**﴾[1] أي لاينبغي ولا يصح، ومحال أن يطلعكم عليه؛ لأن فيه ثلاث مبالغات، أحدها: دخول اللام المؤكدة للنفي في الخبر، وثانيها: تسليط النفي على الكينونة، وثالثها: سرايته في الخبر. قال بعض المغاربة: فائدة دخول «كان» المبالغة في نفس الفعل الداخلة هي عليه؛ لتعديد جهته؛ لنفيه عمومًا باعتبار الكون، وخصوصًا باعتبار الخبر، فهو نفي مرتين، تم كلامه. [كأنه أشير](*) إلى أن هذا الفعل من الشئون التي عدمها راجح على الوجود، وأنها من قبيل المحال، ومنه قوله تعالى: ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**﴾[2].

---

(١) آل عمران: ١٧٩. (٢) الأنفال: ٣٣.

(*) في «ك [ثم إنه أشار].

لم يكن ليصيبَك. ولو متَّ على غير هذا لدخلتَ النار. قال: ثم أتيتُ عبدالله بن مسعود، فقال مثلَ ذلك. قال: ثم أتيت حذيفةَ بنَ اليمان، فقال مثل ذلك. ثم أتيتُ زيدَ بنَ ثابت فحدَّثني عن النبي ﷺ مثل ذلك. رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه[١١٥].

١١٦ ـ * وعن نافع، أن رجلاً أتى ابن عُمَر فقال: إن فلانًا يقرأ عليكَ السلام. فقال: إنه بلغني أنه قد أحدث، فإن كان قَدْ أحْدَث فلا تُقْرِئْهُ مني السلام؛ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يكون في أمتي ـ أو في هذه الأمة ـ خَسْفٌ، أو مَسْخٌ، أو قَذْفٌ في أهل القَدَر». رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب[١١٦].

قوله: «ما أخطأك» «غب»: الخطأ العدول عن الجهة، ومن أراد شيئًا واتفق غيره، يقال: أخطأ، وإن وقع منه كما أراده، يقال: أصاب. واستعماله فى الحديث مجاز، وفى سؤاله عن الصحابة واحدًا بعد واحد، واتفاقهم فى الجواب من غير تغيير، ثم انتهاء السؤال إلى حضرة الرسالة ـ حفت بالصلوات التامات ـ دليل على الإجماع المستند إلى النص الجلي. انظر إلى هذه التشديدات والمبالغات، ثم احكم على من خالفها بالمكابرة والعناد. ثم فى قوله: «وتعلم أن ما أصابك» على الخطاب العام حثٌّ على التوكل، والتسليم، والرضى، ونفى الحول والقوة إلا بالله، وبعثٌ على التصلب فى دين الله مع [الأعداء](*)، والمضى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من غير مبالاة بأحد، ولزوم القناعة والصبر على المصيبات من الأهل والمال والولد، وعلى المرابطة للنفس الأمارة بالسوء فى طريق السلوك، والعروج إلى معارج القدس ـ رزقنا الله، ووفقنا لإدراكه.

الحديث الرابع عن نافع: قوله: «إنه» الضمير المنصوب فيه للشأن، والجملة بعده مفسرة له، وهو الخبر. قوله: «أحدث» أى أحدث فى الدين ما ليس منه، من التكذيب بالقدر. قوله: «فلا تقرئه منى السلام» كناية عن عدم قبول إسلامه.

قوله: «والقذف» الرمى بالحجارة، يريد عذاب الرمي، كقوله تعالى: ﴿**وأمطرنا عليهم حجارة**﴾(١) [من السماء] (**) والعطف بـ«أو» إما لشك الراوي، أو لتنويع العذاب. قوله: «فى أهل القدر» بدل للبعض من قوله: «فى أمتي» بإعادة العامل.

---

[١١٥] صحيح: انظر صحيح سنن أبي داود (٣٩٣٢)، وصحيح سنن ابن ماجه (٦٢).
[١١٦] حسن: انظر صحيح ابن ماجه (٣٢٨٢) وقد تقدم تخريجه تحت حديث (١٠٦).
(١) الحجر (٧٤).

(*) فى «ط» «الاعتداء وهو تصحيف، والمثبت من «ك».
(**) فى «ك» رسمت «من السماء» فوق «حجارة» فكأنه أراد أن الحجارة من السماء تفسيرًا، وقد جاءت فى«ط» موصولة وهو خطأ، فليس فى القرآن الكريم آية هكذا، وإنما فى الأنفال قوله تعالى: «وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» الأنفال: ٣٢، وهى سياق آخر غير الآية المذكورة.

١١٧ ـ * وعن علي، رضي الله عنه، قال: سألتْ خديجةُ النبيَّ ﷺ، عن ولدين ماتا لها في الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: «هما في النار». قال: فلمَّا رأى الكراهةَ في وجهها قال: «لو رأيتِ مكانهما لأبغضتِهما». قالت: يارسولَ الله! فولدي منك؟ قال: «في الجنة». ثم قال رسول الله ﷺ: (والذينَ آمَنوا واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِيتهم [بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم]) رواه أحمد[١١٧].

الحديث الخامس عن على رضى الله عنه: قوله: «عن ولدين» أى سألت عن شأنهما، وأنهما فى الجنة أم فى النار؟ فقال: «هما فى النار» وفيه دليل على أن الأولاد تابعة لآبائهم فى الآخرة دون أمهاتهم؛ ولذلك استشهد ﷺ لذلك بقوله: ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾(١). وأما طريق الاستشهاد لإلحاق أولاد الكفار بهم بالآية، أن يقال: لا ارتياب أن هذا الإلحاق لكرامة الآباء، ومزيد سرورهم وغبطتهم فى الجنة، وإلا فينغص عليهم كل نعيم، ومن ثم قالوا: «والذين آمنوا» فى موضع نصب، على تقدير: وأكرمنا الذين آمنوا ألحقنا بهم ذريتهم على شريط التفسير. الكشاف(٢): «والذين آمنوا» مبتدأ، و«إيمان» (خبر)(*)، والتنكير فى «إيمان» للتعظيم. والمعنى بسبب إيمان عظيم، رفيع المحل، وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم ـ وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم، ليتم سرورهم، ويكمل نعيمهم، وهذا المعنى مفقود فى حق [الكفار و](**) أولاد الكفار.

وقوله: «لو رأيت» أى لو رأيت منزلتهما من الحقارة والبعد عن نظر الله، لرأيت الكراهة، وأبغضتهما. ومنه حديث إبراهيم عليه السلام مع أبيه فى القيامة، ورؤيته إليه [بصفة](***) ذبح ملطخ. أو لو علمت «مكانهما» أى منزلتهما، وبغض الله إياهما، لأبغضتهما، وتبرأت منهما تبرأ إبراهيم [عن](٦) أبيه حيث تبين أنه عدو الله.

---

[١١٧] قال الشيخ الألبانى فى مشكاة المصابيح (١/ ٤١): عزوه لأحمد خطأ، وإنما رواه ابنه عبد الله فى زوائد المسند (١/ ١٣٤ ـ ١٣٥)، وإليه عزاه الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٧/ ٢١٧) وقال: وفيه محمد بن عثمان، ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. قلت: قال الذهبى في ابن عثمان هذا: لا يدرى من هو، فتشت عنه فى أماكن، وله خبر منكر» ثم ساق هذا الحديث، وذكره الأزدى فى الضعفاء. وأما ابن حبان، فأورده فى الثقات! ورواه الطبرانى وأبو يعلى عن خديجة، وسنده منقطع.

(١) الطور: ٢١.

(٢) الكشاف: (٤/ ٣٤).

(*) لعل المراد بقوله (خبر) هنا بمعنى إخبار عن نوع الاتباع، لا خبر المبتدأ؛ إذ لا يستقيم إعرابها خبرًا، والله أعلم.

(**) سقطت من «ط» وهى فى «ك».

(***) فى «ك» «بصورة».

(٦) كذا فى المخطوط والمطبوع ولعله أراد أن يُضمِّن الفعل معنى التباعد، والله أعلم.

١١٨ ـ * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق اللهُ آدم مَسَحَ ظهره فسقط عن ظهره كلُّ نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عَيْنَي كل إنسان منهم وبيصًا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب! مَنْ هؤلاءِ؟ قال: ذريّتُك. فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيصُ ما بين عينيه، قال: أي ربّ! من هذا؟ قال: داود. فقال: رب! كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة. قال: ربّ زده من عمري أربعين سنةً». قال رسول الله ﷺ: «فلما انقضى عمر آدم إلا أربعين جاءه ملك الموت، فقال آدم: أولم يبق من عمري أربعون سنةً؟ قال: أو لم تُعْطِها ابنَك

الحديث السادس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «نسمة» النسمة كل ذى روح، وقيل: كل ذى نفس، مأخوذة من النسيم، و«هو خالقها» صفة لـ«نسمة»، ذكرها ليتعلق به «إلى يوم القيامة». «الوبيص» البريق واللمعان. وفى هذا دليل على أن إخراج الذرية كان حقيقيًّا وتفسير قوله: ﴿ألست بربكم﴾(١) بالحديث كما ذكرنا عن القاضى فى الوجه الأول من ذلك الحديث أظهر من الوجه الآخر.

وقوله: «وجعل بين عينى كل إنسان منهم وبيصًا» إيذان بأن الذرية كانت في صورة الإنسان على مقدار الذرة، وفى ذكر «الوبيص» تنبيه على الفطرة السليمة الأصلية كما مر، وفى تخصيص التعجب من وبيص داود عليه السلام إظهار لكرامة من كراماته، ومدح له، فلا يدل على تفضيله على الغير؛ فإن فى الأنبياء من هو أفضل منه، وأكثر كرامة. وفيه إشارة إلى ما رواه الشيخان «يهرم ابن آدم، ويشب فيه اثنان: الحرص على المال، والحرص على العمر». و«نسى آدم» وارد على سبيل الاستطراد، وابن آدم مجبول من أصل خلقته على الجحد، والنسيان، والخطأ، إلا من عصمه الله بتوفيقه. و«بين عيني» ثانى مفعول «جعل» أى جعل وبيصًا علامة بين عينيه، ويجوز أن يكون جعل بمعنى خلق، وحينئذ يكون «بين عيني» «ظرفًا له»، و«كم» مفعول مقدم؛ لكونه استفهامًا، أى كم سنة «جعلت عمره» و«أربعين» ثانى مفعولى «زد» كقوله تعالى: ﴿وقل رب زدنى علما﴾(٢). قال أبو البقاء: زاد يستعمل لازمًا كقولك زاد الماء، ويستعمل متعديًا إلى مفعولين، كقوله: زدته درهما، وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿فزادهم الله مرضًا﴾(٣). و«من عمري» صفة «أربعين» فقدم، فصار حالا.

فإن قلت: ما الفرق بين قوله: «انقضى عمر آدم إلا أربعين» وبينه إذا قيل: بقى من عمر آدم أربعون؟ قلت: فى الاستثناء توكيد ليس فيه. قال الزجاج فى قوله: ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا﴾(٤): الاستثناء يستعمل فى كلامهم، وتأويله تأكيد العدد وكماله، لأنك قد تذكر الجملة ويكون الحاصل أكثرها، وإذا أردت التوكيد فى تمامها قلت: كلها، وإذا أردت التوكيد فى

---

(١) الأعراف: ١٧٢.   (٢) طه: ١١٤.
(٣) البقرة: ١٠.   (٤) العنكبوت: ١٤.

داود؟! فجحد آدمُ، فجحدت ذريتهُ، ونسي آدم فأكَلَ من الشجرة، فنسيت ذريتُه، وخَطَأَ وخَطَأَت ذُرِّيَّتُه». رواه الترمذي[١١٨].

١١٩ ـ * وعن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «خلق اللهُ آدمَ حين خَلَقَه، فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذرُّ، وضَربَ كتفه اليُسرى فأخرج ذريةً سوداء كأنهم الحُمَمُ، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كتفه اليُسرى: إلى النار ولا أبالي». رواه أحمد [١١٩].

١٢٠ ـ * وعن أبي نَضْرَةَ، أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ ـ يقال له: أبو عبدالله

نقصانها أدخلت الاستثناء، تقول: جاءني إخوتك، يعني: أن جميعهم جاءوك، وجائز أن يعني؛ أن أكثرهم جاءوك، فإذا قلت: كلهم أكدت معنى الجماعة، وأعلمت أنه لم يتخلف منهم أحد، وإذا قلت: إلا زيدًا، أكدت أن الجماعة تنقص زيدًا، ولهذا السر صارت هذه الصيغة أصلا في الاعتبار، ومقيسًا عليها، فافهم.

الحديث السابع عن أبي الدرداء رضي الله عنه: قوله: «حين خلقه» ظرف لقوله: «فضرب» ولا يمنع «الفاء» من العمل؛ لأنه ظرف، على أن «الفاء» السببية أيضًا غير مانعة لعمل ما بعدها فيما قبلها؛ فإن ﴿لإيلاف قريش﴾(١) متعلق بقوله: «فليعبدوا» على تقدير الشرط، أي إما «لإيلاف قريش» متعلق بقوله: «فليعبدوا» على تقدير الشرط، أي إما لا فليعبدوا، كذا في الكشاف، يقول العرب: افعل هذا إما لا، أي إن كنت لاتفعل غيره فافعل هذا. أو تقديم الظرف مع وجود فاء التعقيب للدلالة على أن الإخراج لم يتخلف عن خلقه ﷺ. «الحمم» جمع حمة، يقال: حمت الجمرة تحم ـ بالفتح ـ إذا صارت فحما؛ «وإلى الجنة» خبر مبتدأ محذوف أي لأجل الذي في يمينه هؤلاء أوصلهم إلى الجنة، و«لا أبالي» حال من الضمير المستتر في الخبر، وهو نحو قوله: «وإن رغم أنف أبي ذر»، فإنه تعالى علم من بعض المبتدعة القول بخلافه. [وأما ذكر اليمين والكتف فلتصوير عظمة الله وجلالته من غير تشبيه] (٢)، كما مر.

---

[١١٨] قال الشيخ الألباني: وقال (٢/ ١٨١) حديث حسن صحيح، وقد روى من غير وجه عن النبي ﷺ قلت: وسنده حسن، وصححه الحاكم (٢/ ٥٨٥، ٥٨٦)، انظر مشكاة المصابيح (١/ ٤٢).

[١١٩] قال الألباني في المشكاة (١/ ٤٣): (في المسند (٦/ ٤٤١) وكذا ابنه في الزوائد وإسناده صحيح، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٨٥): رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجاله رجال الصحيح»، فإن عنى رجالا غير رجال أحمد فقد يكونون كما ذكر، وإلا فرجاله ليسوا رجال الصحيح بل هم ثقات فقط.

(١) قريش: ٠١

(٢) أما اليمين والكتف، فليس في الحديث ما يشير إلى نسبتهما إلى الله جل وعلا، بل فيه التصريح بأنهما لآدم عليه السلام نعم في الحديث الآتي تصريح بإثبات اليدين لله – عز وجل – وهو مذهب أهل السنة والجماعة كما قال تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ وفي الصحيح«وكلتا يديه يمين» هذا من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل، بل نثبتهما على ما يليق بذاته عز وجل.

ـ دخل عليه أصحـابه يعودونه وهو يبكي، فقالوا له: مـايُبْكيكَ؟ ألم يَقُل لك رسول الله ﷺ: «خُذْ من شاربك ثم أقِـرَّهُ حتى تلقاني؟» قال: بلى، ولكن سـمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل قبض بيمينه قبضة وأخرى باليد الأخرى وقال: هذه لهذه، وهذه لهذه، ولا أبالي» ولا أدري في أي القبضتين أنا. رواه أحمد [١٢٠].

١٢١ ـ * وعن ابن عبـاس، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله الميـثاق من ظهر آدم بنَعْمان ـ يعني عرفَـة ـ فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه

الحديث الثامن عن أبي نضرة رضي الله عنه: قوله: «ألم يقل لـك» دخلت همزة الاستفهام على حرف النفي فأفـادت التقرير والتعجب، أي كيف تبكي وقـد تقرر أن رسول الله ﷺ وعد بأنك تلقاه لامحـالة؟ وأجاب بأني أخاف من عدم الاحتفال والاكـتراث في قوله: «ولا أبالي». و«خذ من شاربك» أي قـصه، «ثم أقر» على هذا ودم عليه «حتى تلقاني» فـي الحوض أو غيره، وفيه إشـارة إلى أن قص الشارب من السنن، والمداومة عليه موصلة إلـى هذه المرتبة السنية، وهو القرب إلى دار النـعيم في جوار نبي الله وأن من ترك سـنة أيَّ سنةٍ حرم خيـراً كثـيراً، فكيف المواظبة على ترك سائرها؟ فإن ذلك يؤدي إلى الزندقة.

الحديث التاسع عن ابن عـباس رضي الله عنه: قوله: «بنعمـان» الجوهري: بالفتح، واد في طريق الطائف يخـرج إلى العرفـات. قوله: «ذرأها» «غب»: الذرأ إظهـار الله تعالى مـا أبدأ، يقال: ذرأ الله الخلق أي أوجد أشخـاصهم، قال الله تعالى: **﴿ولقد ذرأنا لجهنم كـثيراً من الجن والإنس﴾**(١) والمعنى أخرج كل ذرية خلقها إلى يوم القيامة.

وقال الجوهري: رأيـته قُبلا وقِبـلا بالضم مقابلة وعيـانًا، وقبلا بكسر القـاف كذلك، وهو حال. «نه»: إن الله تعالى كلمهم قبلا أي عيـانًا ومقابلة لا من وراء حجاب، من غير أن يولي أمره أو كـلامه أحدًا من ملائكتـه. و«شهدنا» تقـرير لقوله: **﴿وأشهدهم على أنـفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾**(٢) أي أنت ربنا شهدنا على أنفسنا، وأقررنا بوحدانيتك، وقوله: «أن تقولوا» مفعول له، أي فعلنا ذلك كراهة أن يقولوا يوم القيامة: **﴿إنا كنا عن هذا غافلين﴾**(٢) لم ننتبه إليه، أو كراهة أن يقولوا: «إنما أشرك آباؤنا من قبل»(٣).

«تو»: هذا الحديث مخـرج في كتاب أبي عبـدالرحمن النسائي، ولا يحتـمل من التأويل ما يحتمل حديث عمر رضي الله عنه لظهور المراد منه، ولا أراهم يقابلون هذه الحجة، إلا بقولهم:

---

[١٢٠] قال الألباني في المسند (١٧٦/٤ , ١٧٧، ٦٨/٥): وسنده صحيح. وله شواهد كثيرة في المجمع.

(١) الأعراف: ١٧٩ .

(٢، ٣) الأعراف: ١٧٢، ١٧٣.

كالذر، ثم كلمهم قُـبُلاً قال: (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقـولوا يوم القيامة إِنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إِنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذريَّة من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)» رواه أحمد [١٢١].

إن حديث ابن عباس من جملة الآحاد فلا يلزمنا أن نترك به ظاهر الكتاب، وقال: إنما جدوا فى الهرب عن القول فى معنى الآية بما يقتضى ظاهر الحديث، لمكان قوله سبحانه: ﴿**أن تقولوا يوم القيـامة إنا كنا عن هذا غـافلين**﴾(١) فقـالوا: إن كان هذا الإقرار عن اضـطرار، حيث كوشـفوا بحقيقة الأمر وشاهدوه عين اليقين فلهم يوم القيامة أن يقولوا: شهدنا يومئذ، فلما زال عنا علمنا علم الضرورة، ووكلنا إلى رأينا كـان منا من أصاب، ومنا من أخطأ ـ وإن كان عن اسـتدلال ـ ولكنهم عـصموا عنده من الخطأ، فـلهم أيضًا أن يقولوا: أيـدنا يوم الإقرار بتوفـيق وعصـمة، وحرمناها من بعد، ولو مددنا بهما أبدًا لكانت شهادتنا فى كل حين كشهادتنا اليوم الأول. فقد تبين أن الميثاق ما ركز الله فيهم من العقول وآتاهم وآبـاءهم من البصائر؛ لأنها هى الحجة الباقية المانعة لهم عن قولهم: ﴿**إنا كنا عن هذا غافلين**﴾ لأن الله تعالى جعل هذا الإقرار حجة عليهم فى الإشراك كما جـعل بعث الرسل حجة عليهم في الإيمان بما أخبـروا عنه من الغيوب. ولهم فى ذلك كلام كثير اكتفـينا عنه بهذا المقدار، والغرض منه توفيق الطالبين على موضع الإشكال. والتوفيق بين الآية وحديث عمر على ما ذكرناه متعـسر، والتوفيق بينهما وبين حديث ابن عباس على الوجـه الذى لايعارضـه حجة أخـرى من الكتاب مـشكل جدًا، إلا أن يعلل الحـديث بما عللوه، انتهى كلامه.

وأيضًا الاستدلال الذى بسـببه حصل لهم العلم بالوحدانية يوم الميثـاق إن كان حاصلا لهم فى الدنيا وقت التكليف كـان كافيًا فى المحجـوجية، فلا فائدة فى الميثاق السابق، وإن لم يكن حاصلا لهم فى وقت التكليف لم يصيروا محجوجين بما فقدوه، كما لا يخفى تأمل.

وأقول: خلاصة ما قالوا: أنه يلزم أن لا يكونوا مـحجوجين يوم القيامة. والجواب: أنهم إذا قالوا: شـهدنا يومـئذ، فلما زال علم الضـرورة ووكلنا إلى رأينا كان منا مـن أصاب، ومنا من أخطأ ـ إلى تمام مـا ذكرنا ـ قـيل لهم: كـذبتم، إنكم ما وكلتم إلـى رأيكم، بل أرسلنا رسلنا تترى يوقظونكم عن سنـة الغفلة؛ فإن الرسل بعثـوا لينبهوا عن الغـفلة، وليبعـثوا على النظر. وتناسيـهم، وعدم حـفظهم لايسقط الاحتـجاج بعد إخـبار المخـبر الصادق. وأمـا الجواب عن قولهم: فلهم أن يقولوا: فإذا حرمنا اللطف والتوفيق فأى منفعة لنا فى العقل، والبصيرة؟ والذى

---

[١٢١] قال الألبانى (فى المشكاة (١/ ٤٣): فى المسند (١/ ٢٧٢) وإسناده صحيح.

(١) الأعراف: ١٧٢.

١٢٢ ـ * وعن أبيّ بن كـعب في قول الله عز وجل: (وإذ أخـذ ربك من بني آدم من ظهورهـم ذريتهم) قال: جـمعـهم فجـعلهم أزواجًا، ثم صـوَّرهم فاستنـطقهم، فتكلمـوا، ثم أخذ عليـهم العهد والميـثاق، (وأشـهدهم على أنفسـهم ألست بربكم)

يقتـضى منه العجب، أن الشيخ شـهاب الدين التوربشتى كـيف قرر مذهب المعـتزلة، ولم يرد عليهم مـع رسوخ علمه وعلو مـرتبتـه، وكيف جعل حـديث عمر رضى الله عـنه ـ المذكور فى الفصل الثاني، وهو من المتشابه ـ أصلا فى الاعـتبار، وفسره بما يوافق مذهب الخصم، ورد هذا الحديث وهو محكم نص جلي، بأنه من الآحاد؟ وهلا جـعل المحكم أصلا، ورد عليه التشابه، وأوله بما نقلناه عن المفسرين وعن القاضـي؟ لأن الحديث النبوى مـبين للتنزيل، كمـا قال الله تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب لتـبين للناس ما نزل إليهم**﴾[1] ولعمـري! إنى لمنكر جدًا لمن إذا ورد عليـه حديث لايوافق مـذهبه، شـمر فى الـرد بأنه من الآحاد. والغـرض من هذا الإطناب الإرشاد إلى الـتفادى عن القـول فى الأحاديث الصـادرة عن منبع الرسـالة عن الثقات، بـأنها متـروكة العمل، لعلة كـونها من الآحـاد؛ لأن ذلك يؤدى إلى سد باب كثـير من الفتـوحات الغيبية، ويحرم قائله كثيرًا من المنح الإلهية.

روى الإمام البيهقى فى المدخل عن الشافعى رضى الله عنه: الذين لقيناهم كلهم مثبتون خبر واحد عن واحـد عن النبى عليه الصلاة والسـلام ويجعلونه سنة، حمـد من تبعهـا، وعيب من خالفها، وقال الشافعي: من فارق هذا المذهب كان عندنا مفارقًا لسبيل أصحاب رسول الله ﷺ، وأهل العلم بعدهم، وكان من أهل الجهالة، فقال الشـافعي: فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل، فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولي. وجعل يردده.

وروى الدارمى عن الشعبى قال: ما حدثك هؤلاء عن النبى ﷺ فخذ بيده، وما قالوا برأيهم فألقه فى الحش[2]. وذكر ابن الصلاح عن أبى داود أنـه قال: لأن أعمل بحديث ضعـيف خير من أن أعمل بآراء هؤلاء الرجال. لفظ هذا معناه، ﴿**والله يقول الحق وهو يهدى السبيل**﴾[3].

الحديث العاشر عن أبى بن كعب رضـى الله عنه: قوله: فى قول الله عز وجل» أى ذكر فى تفسيره قول الله عز وجل: أزواجًا» أصنافًـا، «غب»: يقال: زوج لكل ما يقترن بآخر، قال الله

---

(١) النحل: ٤٤ والصواب (وأنزلنا إليك الذكر..

(٢) الحش مكان قضاء الحاجة.

(٣) الأحزاب: ٤.

قالوا: بلى. قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبعَ والأرضين السبعَ ، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة: لم نعلم بهذا. اعلموا أنه لا إله غيري، ولا ربَّ غيري، ولا تشركوا بي شيئًا. إني سأرسل إليكم رسُلي يُذكّرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتُبي. قالوا: شهدنا بأنك ربُّنا وإلهنا. لاربَّ لنا غيرُك، ولا إله لنا غيرك. فأقرّوا بذلك، ورُفع عليهم آدم عليه السلام ينظر إليهم، فرأي الغنيَّ والفقيرَ، وحسَنَ الصورة ودون ذلك. فقال: ربِّ لولا سوّيتَ بين عبادك! قال: إني أحببتُ أن أُشكَر ورأي فيهم الأنبياء مثل السُّرُج عليهم النور، خصُّوا بميثاق آخر في الرسالة والنبوة، وهو قوله تبارك وتعالى (وإذ أخَذْنا من النبيين ميثاقهم) إلى قوله:

تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنابه أزواجًا منهم﴾[1] أي أشباها وأقرانًا، وبيَّن الأصناف بقوله: «فرأى الغني، والفقير» إلى آخره، وقوله: «فجعلهم أزواجًا» أي أراد أن يجعلهم أصنافًا فصورهم، كقوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾[2].

قوله: «فإنى أشهد عليكم السموات السبع» إشارة إلى نصب الدلائل الظاهرة، والآيات الباهرة، و«أشهد عليكم آباءكم» - أي يذكرونكم عهدى - إشارة إلى النصوص الشاهدة، والتنبيهات من الرسل المبعوثين إليهم، فعلى هذا ينبغى أن يحمل حديث عمر رضى الله عنه؛ لأن الأحاديث يفسر بعضها بعضا. و«رفع» أي أشرف و«ينظر» حال، ويجوز أن يكون مفعولا له، و«أن مقدرة، أى لأن ينظر إليهم، كقول الشاعر(*): ألا أيهذا اللائمى أحضر الوغى. و«لولا» للتحضيض[3] أى هلا سويت بينهم الغنى والفقير وغير ذلك، «أن أشكر» أى ما سويت بينهم حتى ينظر الغنى إلى الفقير، فيشكر نعمتى عليه، وينظر الفقير إلى دينه فيرى نعمته فوق الغنى فيشكر نعمتى عليه، ويرى حسن الصورة إلى جماله فيشكر، وقبيح الصورة فيرى حسن خصاله فيشكر، وعلى هذا. «ورأى الأنبياء» يعنى أن الأنبياء بعد الميثاق العام خصهم الله بميثاق آخر «من فيها» أى دخل الروح من فى مريم عليها السلام، وذكر الروح على تأويل المنفوخ، أو فى عيسى، وكذا فى «أرسله» فكأنه أراد قوله تعالى: ﴿ومريم بنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾[4] أى فيها، وقرأ ابن مسعود «فيها»ﷺ كما قرئ فى سورة الأنبياء، وتقييده بقوله: «ودخل من فيها» تسجيل على النصارى بركاكة عقولهم، أى كيف يتخذ إلهًا من دون الله من هذا حاله؟ كقوله: ﴿وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾[5].

---

(١) طه: ١٣١.

(٢) النحل: ٩٨ بالفاء وليست بالواو كما في (ط).

(٣) وردت فى (ط) [للتخصيص] والتصويب من (ك)..

(٤) التحريم: ١٢. (٥) المائدة: ٧٥.

(*) هو طرفة بن العبد، والبيت من معلقته الشهيرة، وعجزه: وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

(عيسى بن مريم) كان في تلك الأرواح، فأرسله إلى مريمَ عليهما السلام فحُدِّث عن أبيٍّ: أنه دخل مِنْ فيها. رواه أحمد[١٢٢].

١٢٣ ـ * وعن أبي الدرداء، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ نتذاكر ما يكون، إذ قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم بجبل زالَ عن مكانه فصدقوه، وإذا سمعتم برجل تغير عن خلُقِه فلا تُصدقوا به، فإنه يصير إلى ما جُبل عليه». رواه أحمد[١٢٣].

١٢٤ ـ * وعن أم سلمة، قالت: يارسول الله! لايزال يُصيبك في كل عامٍ وجعٌ من الشاة المسمومة التي أكلت. قال: «ما أصابني شيء منها إلا وهو مكتوبٌ عليَّ وآدم في طينته». رواه ابن ماجه[١٢٤].

الحديث الحادى عشر عن أبى الدرداء رضى الله عنه: قوله: «ما يكون» «ما» موصولة أى الذى يحدث من الحوادث أهو شيء مقضي، أو شيء يتجدد آنفًا؟ ومن ثم قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «وإنه يصير إلىّ ما جبل عليه» يعني: الأمر على ما قدر وسبق، حتى العجز والكيس، فإذا سمعتم أن الرجل الكيس يصير بليدًا أو بالعكس، وأن العاجز يرجع قويًا وبالعكس فلا تصدقوا به، وضرب زوال الجبال مثلا تقريبًا؛ فإن هذا ممكن، وزوال الخلق المقدر عما كان فى القدر غير ممكن.

الحديث الثانى عشر عن أم سلمة رضى الله عنها: قوله: «آدم فى طينته» مثل للتقدير السابق لا تعيين؛ فإن كون آدم فى طينته مقدر أيضًا قبله، ونحوه قوله تعالى: «وأن عليك لعنتى إلى يوم الدين»(١). «الكشاف»: هو قول لأبعد غاية يضربها الناس فى كلامهم، وكذا قولهم فى التأبيد: ما دام تغار، وما أقام ثبير، وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد ـ وإن لم تكن مؤبدة حقيقة.

---

[١٢٢] قال الألبانى: كلا بل رواه ابنه عبدالله فى «زوائد المسند» (٥/ ١٣٥) وسنده حسن موقوف، ولكنه في حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأى.

[١٢٣] ضعيف: ضعفه الألبانى فى المشكاة لانقطاعه، وفى سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ح١٣٥.

[١٢٤] ضعيف: ضعفه الألبانى فى المشكاة (١/ ٤٤)، وضعيف سنن ابن ماجه ح (٣٥٤٦) والضعيفة (٤٤٢٢).

(١) ص: ٧٨.

(٤) باب إثبات عذاب القبر

الفصل الأول

١٢٥ ـ * وعن البراءِ بن عازب، عن النبي ﷺ، قال: «المسلم إذا سئل في القبر؛ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله: (يثبِّتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة)»(*).

وفي رواية عن النبي ﷺ، قال: «(يُثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربُّك؟ فيقول: ربي الله، ونبيى محمد». متفق عليه.

باب إثبات عذاب القبر

الفصل الأول

الحديث الأول عن البراء بن عازب رضى الله عنه: قوله: «المسلم إذا سئل» المسئول عنه محذوف أى عن ربه، وعن نبيه، ودينه، و«الفاء» فى «فذلك» سببية، ولفظة «ذلك» إشارة إلى سرعة الجواب التى يعطيها، جعل الظرف معمولا «ليشهد» يعني: إذا سئل لم يتلعثم، ولم يتحير كالكافر، بل يجيب بديهًا بالشهادتين، وذلك دليل على ثباته عليه، واستقراره على كلمة التوحيد فى الدنيا، ورسوخها فى قلبه؛ ولذلك أتى بلفظ الشهادة؛ لأنها لا يصدر إلا عن صميم القلب، ومطابقة الظاهر بالباطن، ونظير هذه «الفاء» «الباء» فى قوله تعالى: ﴿**بالقول الثابت في الحياة الدنيا**﴾(١) والتعريف فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء**﴾(٢) وهى كلمة التوحيد. وعن ابن عباس: «هى شهادة أن لا إله إلا الله» وثبوتها تمكنها فى القلب واعتقاد حقيقتها، واطمئنان القلب بها. وتثبيتهم فى الدنيا: إنهم إذا فتنوا لم يزالوا عنها ـ وإن ألقوا فى النار ـ ولم يرتابوا بالشبهات، وتثبيتهم فى الآخرة: أنهم إذا سئلوا فى القبر لم يتوقفوا فى الجواب، وإذا سئلوا في الحشر، وعند مواقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يبهتوا من أهوال الحشر، وأعاد الجار «فى الدنيا وفى الآخرة»؛ ليدل على استقلاله فى التثبت. فإن قلت: ليس فى الآية ما يدل على عذاب المؤمن، فما معنى قوله: «نزلت فى عذاب القبر»؟ قلت: لعله سمى أحوال العبد فى القبر بعذاب القبر على تغليب فتنة الكافر على فتنة المؤمن ترهيبًا وتخويفًا؛ لأن القبر مقام الهول والوحشة؛ ولأن ملاقاة الملكين مما يهيب المؤمن .

---

(١) إبراهيم : ٢٧.   (٢) إبراهيم : ٢٤

(*) إبراهيم ـ ٢٧.

١٢٦ ـ * وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِن العبد إِذا وُضع في قبره، وتولى عنه أصحابه [و] إِنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيُقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله. فيقال له: انظر إِلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا. وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كُنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري! كنت أقول ما يقول الناس! فيقال: لا دَرَيتَ ولا تلَيت، ويُضربُ بمطارقَ من حديد ضربةً، فيصيح صيحةً يسمعُها من يليه غير الثقلين». متفق عليه، ولفظه للبخاري.

الحديث الثاني عن أنس رضى الله عنه: قوله: «إذا وضع» شرط، «أتاه» جزاءه، والجملة خبر «إن»، و«إنه ليسمع قرع نعالهم» إما حال بحذف الواو كأحد الوجهين فى قوله تعالى: ﴿**ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة**﴾(١) أى ووجوههم، على أن الرؤية بمعنى الإبصار، ونحو كلمة «فوه» إلى «في» ذكره شارح اللباب، أو يكون جوابًا للشرط على إضمار «الفاء» فيكون «أتاه» حالا من فاعل «ليسمع» و«قد» مقدرة، ويحتمل أن يكون «إذا» ظرفًا محضًا.

قوله: «إنه» تأكيد لقوله: «إن العبد» كقوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع**﴾(٢) فى أحد الوجهين. قوله: «إنه ليسمع قرع نعالهم» «شف»: ظاهره دال على تعلق الروح ببدن الميت عند سؤال منكر ونكير فى القبر عن الميت، إذا قالوا له: «من ربك؟» «فيقعدانه» وفى حديث البراء «فيجلسانه». «تو»: هذا اللفظ أولى من اللفظين بالاختيار؛ لأن الفصحاء إنما يستعملون القعود فى مقابلة القيام، فيقولون: القيام والقعود، لا نسمعهم أن يقولوا: القيام والجلوس، يقال: قعد الرجل عن قيامه، وجلس عن ضجعه واستلقائه.

وحكى أن نضر بن شميل دخل على المأمون عند مقدمه مرو فمثل بين يديه وسلم، فقال له المأمون: اجلس، فقال: يا أمير المؤمنين، لست بمضطجع فأجلس، فقال: كيف أقول؟ قال: قل: اقعد. فعلى هذا المختار من بين الروايتين هو الإجلاس لما أشرنا إليه من دقيق المعنى وفصيح الكلام، وهو الأحق والأجدر ببلاغة الرسول ﷺ، ولعل من روى «فيقعدانه» ظن أن اللفظين ينزلان من المعنى بمنزلة واحدة؛ ومن هذا الوجه أنكر كثير من السلف رواية الحديث بالمعنى خشية أن يزل فى الألفاظ المشتركة، فيذهب عن المراد جانبًا.

---

(١) الزمر: ٦٠.

(٢) الكهف: ٣٠.

أقول: لا ارتياب أن الجلوس والقعود مترادفان، وأن استعمال القعود مع القيام والجلوس مع الاضطجاع مناسبة لفظية، ونحن نقول بموجبه إذا كانا مذكورين، كقوله تعالى: «**دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا**»* لكن لم قلت: إنه إذا لم يكن أحدهما منه مذكورًا كان كذلك؟ ألا ترى إلى حديث جبريل عليه السلام «حتى جلس إلى النبى ﷺ» بعد قوله: «إذ طلع علينا»؟ ولا خفاء أنه عليه السلام لم يضطجع بعد الطلوع عليهم، وكذلك لم يرد فى هذا الحديث الاضطجاع ليوجب أن يذكر معه الجلوس، وأما الترجيح بما رواه عن النضر وهو من رواة العربية على رواية الشيخين الثقتين فبعيد عن مثله، وهو من مشاهير المحدثين.

قوله: «فى هذا الرجل لمحمد» «محمد» بيان من الراوى للرجل، أى لأجل محمد عليه الصلاة والسلام، دعا له بالرجل من كلام الملك، فعبر بهذه العبارة التى ليس فيها تعظيم؛ امتحانًا للمسئول؛ لأن لايتلقن تعظيمه عن عبارة القائل، ثم «يثبت الذين آمنوا». قوله: «فيراهما جميعًا» فيزداد فرحًا إلى فرح، ويعرف نعمة الله عليه بتخليصه من النار، وإدخاله الجنة، وأما الكافر فيزداد غمًا إلى غم، وحسرة إلى حسرة، بتفويت الجنة وحصول النار.

قوله: «لا دريت ولا تليت» أى اتبعت الناس بأن تقول شيئًا يقولونه، ويجوز أن يكون من قولهم: تلا فلان تلو غير عاقل، إذا عمل عمل الجهال، أى لا علمت ولا جهلت، يعنى هلكت فخرجت من القبيلتين. وقيل: لا قرأت، فقلبت الواو ياء للازدواج**، معناه ما علمت بنفسى بالنظر والاستدلال، ولا اتبعت العلماء بالتقليد وقراءة الكتب.

قوله: «ضربة» أفرد «الضربة» وجمع «المطارق» على نحو قوله: «معًا جياعًا»(1) ليؤذن بأن كل جزء من أجزاء تلك المطرقة مطرقة برأسها مبالغة، و«الثقلان» الإنس والجن، سميا به لثقلهما على الأرض، وإنما عزلا عن السماع لمكان التكليف والابتلاء، ولو سمعا ارتفع الابتلاء والامتحان، وصار الإيمان ضروريًا، لأعرضوا عن التدابير والصنائع ونحوهما مما يتوقع عليه بقاء الشخص والنوع، فينقطع معاشهم.

«مح»: اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة إثبات عذاب القبر، وقد تظاهرت عليه الدلائل من الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿**النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًا**﴾(2) الآية، وأما الأحاديث فلا تحصى كثرة، ولا مانع فى العقل أن يخلق الله تعالى الحيوة فى جزء من الجسد أو فى جميعه ـ على الخلاف بين الأصحاب ـ فيثيبه ويعذبه، وإذا لم يمنعه العقل وورد الشرع به وجب قبوله واعتقاده. ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تفرقت أجزاؤه، كما يشاهد فى العادة، أو أكلته السباع والطيور وحيتان البحر، كما أن الله تعالى يعيده للمحشر، وهو سبحانه قادر على ذلك.

---

(1) حيث أفرد الأمعاء، وجمع وصفها جياعًا.

(2) غافر: ٤٦

* يونس : ١٢. ** أي إن معنى (لا تليت): (لا قرأت) بتقدير أن الأصل (لا تلوت) فقلبت الواو ياء.

١٢٧ - * وعن عبدالله بن عمر، قال: قال: رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عُرِض عليه مقعَدُه بالغداة والعشيِّ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان

فإن قيل: نحن نشاهد الميت على حاله فكيف يسأل، ويقعد، ويضرب، ولا يظهر أثر؟ فالجواب: أن ذلك غير ممتنع بل له نظير في الشاهد وهو النائم؛ فإنه يجد لذة أو ألما يحسه ولا تحسه، وكذا يجد اليقظان لذة وألما يسمعه، أو يتفكر فيه ولايشاهد ذلك جليسه، وكذا كان جبريل عليه السلام يأتي النبي عليه الصلاة والسلام فيوحي إليه بالقرآن المجيد ولا يدركه الحاضرون، وكل ذلك دليل ظاهر جلي.

«قض»: من مات وتفرقت أجزاؤه في الشرق والغرب، فإن الله تعالى يعلق روحه بجزئه الأصلي الباقي في أول عمره إلى آخره، المستمر على حاله - حالتي النمو والذبول - الذي يتعلق به الروح أولا فيحي ويحيي بحيوٰته سائر أجزاء البدن، ليسأل فيثاب أو يعذب. ولا يستبعد ذلك؛ فإن الله تعالى عالم بالجزئيات كلها حسب ما هي عليها، فيعلم الأجزاء بتفاصيلها، ويعلم مواقعها ومحالها، ويميز بين ماهو أصل وما هو فضل، ويقدر على تعليق الروح بالجزء الأصلي منها حال الانفراد، وتعليقه به حال الاجتماع؛ فإن البنية عندنا ليست شرطًا للحيوٰة، بل لايستبعد تعلق روح الشخص الواحد في آن واحد بكل واحد من تلك الأجزاء المتفرقة في المشارق والمغارب؛ فإن تعلقه ليس على سبيل الحلول حتى يمنعه الحلول في جزء من الحلول في آخر، والحديث ورد على ما هو الغالب.

«حس»: في الحديث دليل على جواز المشي بالنعال بحضرة القبور وبين ظهرانيها، والله أعلم.

قوله: «من يليه» لايذهب فيه إلا المفهوم في أن من بعد منه لايسمعه، لما ورد نصًا في الفصل الثاني في حديث البراء بن عازب من أنه «يسمعها ما بين المشرق والمغرب» والمفهوم لايعارض المنطوق و«من» لذوي العقول من الملائكة والثقلين، فغلب هاهنا على غير ذوي العقول، و«غير الثقلين» منصوب على الاستثناء.

الحديث الثاني عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: قوله: «إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة» «تو»: تقدير الكلام إن كان من أهل الجنة فمقعده من مقاعد أهل الجنة يعرض عليه، وفيه «حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة» و«الهاء» يرجع إلى المقعد، ويجوز أن يعود الضمير إلى الله، وهذا لفظ المصابيح، وقد روي أيضًا في الأحاديث الصحاح «حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة» أي محشر يوم القيامة، فحذف المضاف.

أقول: ويجوز أن يكون المعنى: فمن كان من أهل الجنة فيبشر بما لا يكتنه كنهه، ويفوز بما

من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة».
متفق عليه.

١٢٨ ـ * وعن عائشة، رضي الله عنها، أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذابَ القبر، فقالت لها: أعاذكِ الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن

لايقادر قدره، وإن كان من أهل النار فبالعكس؛ لأن هذا المنزل طليعة تباشير السعادة الكبرى، ومقدمة تباريح الشقاوة العظمى؛ لأن الشرط والجزاء إذا اتحدا دل الجزاء على الفخامة، كقولهم: من أدرك الضمان فقد أدرك المرعى، وضع الضمان موضع كثير العشب، والضمير في «يبعثك الله إليه» إما أن يرجع إلى المقعد فالمعنى: هذا مقعدك تستقر فيه حتى تبعث إلى مثله من الجنة أو النار كقوله تعالى: «هذا الذي رزقنا من قبل»[1] أي مثل الذي، وقولهم: أبو يوسف، أبو حنيفة، أو يرجع إلى الله أي إلى لقاء الله، أو إلى يوم المحشر، أي هذا الآن مقعدك إلى يوم المحشر، فيرى عند ذلك كرامة أو هوانًا ما تنسي عنده هذا المقعد، كقوله تعالى: «وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين». «الكشاف»: أي إنك مذموم ومدعو عليك باللعنة في السموات والأرض إلى يوم الدين، فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما تنسي اللعن معه. ونظيره قوله تعالى: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشيًّا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾[2]. «الكشاف»[3]: عرضهم عليها إحراقهم بها، يقال: عرض الإمام الأساري على السيف إذا قتلهم و«حتى» في الحديث كحتى في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الفصل الثاني «حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك».

الحديث الرابع عن عائشة رضي الله تعالى عنها: قوله: «فما رأيت رسول الله ﷺ بعد» أي بعد سؤالي. «تو»: المشكل لاندري أكان النبي عليه الصلاة والسلام يعلم ذلك ولا يتعوذ، أو كان يتعوذ ولم تشعر به عائشة رضي الله عنها، أو سمع ذلك من اليهودية فتعوذ؟ قال: ثم إني وجدت نقلا من الإمام الطحاوي أنه ﷺ سمع اليهودية بذلك فارتاع عليه الصلاة والسلام، ثم أوحي إليه بعد ذلك بفتنة القبر، ووجدت في حديث آخر أن عائشة رضي الله عنها قالت: «لا أدري أكان رسول الله ﷺ يتعوذ قبل ذلك ولم أشعر به، أو تعوذ لقول اليهودية» ثم إنه ﷺ لما رأى استغرابها حيث سمعت من اليهودية، وسألت رسول الله ﷺ أعلن بعد لما كان يسر ليترسخ ذلك في عقائد أمته ويكونوا من فتنة القبر على خيفة.

---

(١) البقرة: ٢٥.
(٢) غافر: ٤٦.
(٣) الكشاف: المجلد٣ ص ٣٧٣.

عذاب القبر. فقال: «نعم، عذاب القبر حق». قالت عائشةُ: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ بالله من عذاب القبر. متفق عليه.

١٢٩ - * وعن زيد بن ثابت، قال: بينا رسول الله ﷺ في حائط لبني النجَّار على بغلة له ونحن معه، إذ حادَتْ به وكادت تُلقيه. وإذا أقبرٌ ستةٌ أو خمسة، فقال: «مَنْ يعرف أصحاب هذه الأقبر؟» قال رجل: أنا. قال: «فمتى ماتوا؟» قال: في الشرك.

وأقول: فيه إرشاد للخلق وتواضع منه ﷺ، فإن مثله حين سمع من مثل تلك اليهودية الحق ما استنكف من ذلك، وعمل بما يوجب ما قال عليه الصلاة والسلام: «كلمة الحكمة ضالة كل حكيم» ونعم ما قال على رضي الله عنه: «فانظر إلى ما قال، ولا تنظر إلى من قال».

الحديث الخامس عن زيد رضي الله عنه: قوله: «في الحائط» الحائط البستان، و«بنو النجار» قبيلة من الأنصار، و«على بغلة» حال من الضمير المستتر في الخبر، و«نحن معه» حال متداخلة؛ لأنه حال من الضمير في الحال، و«إذا» للمفاجأة، وقد سبق في أول الكتاب إعرابه، وهو أيضًا حال، كقول أبي الطيب: تدوس بنا الجماجم والتريبا، أي حادت ونفرت ملتبسة به عليه الصلاة والسلام. و«إذا أقبر» «إذا»، للمفاجأة والواو للحال أي نحن على ذلك مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، «وإذا أقبر» أي ظهرت لنا قبور متعددة فاجأناها.

قوله: «في الشرك» لا بد من تقدير ليطابق الجواب السؤال، أي متي ماتوا في الجاهلية مشركين أم بعدها مؤمنين؟ فأجاب: في أيام الشرك، أو يقال: متي ماتوا؟ فأجاب أي منذ سنة في الشرك. و«إن هذه الأمة» أي جنس الإنسان. «غب»: الأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما، إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرًا أو اختيارًا. و«هذه» إشارة إلى ما في الذهن، والخبر بيان له، كقوله: هذا أخوك. قوله: «أن يسمعكم» مفعول ثان لقوله: «دعوت» على تضمين سألت.

«تو»: هذا كلام مجمل، وما يسبق إلى الفهم هو أنهم لو سمعوا ذلك لتركوا التدافن حذرًا من عذاب القبر. وفيه نظر؛ لأن المؤمن لايليق به ذلك، بل يجب عليه أن يعتقد أن الله تعالى إذا أراد تعذيب أحد عذبه - ولو في بطون الحيتان، وحواصل الطيور - وسيان دون القدرة الأزلية بطن الأرض وظهرها، وبعد ذلك فإن المؤمنين أمروا بدفن الأموات فلا يسعهم ترك ذلك إذا قدروا عليه. والذي نهتدي إليه بمقدار علمنا، وهو أن الناس لو سمعوا ذلك لهم كل واحد منهم خويصة نفسه، وعمهم من ذلك البلاء العظيم حتى أفضى بهم إلى ترك التدافن، وخلع الخوف أفئدتهم حتى لايكادوا يقربوا جيفة ميت. مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرًا». وفيه أن الكشف بحسب الطاقة، ومن كوشف بما لايسعه يطيح

فقال: «إن هذه الأمـة تبتلى في قبورها، فلولا أن لاتدافنوا لدعـوت الله أن يُسمعكم من عذاب القـبر الذي أسمـع منه»، ثم أقبل بوجهـه علينا، فقـال: «تعوَّذوا بالله من عذاب النار». قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. قال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر». قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: «تعوَّذوا بالله من الفتن ماظهر منها ومابطن». قـالوا: نعوذ بـالله من الفتن ما ظهـر منهـا ومـا بطن. قال: «تعـوَّذوا بالله من فـتنة الدجال». قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.رواه مسلم[١٢٩].

الفصل الثاني

١٣٠ ـ * وعن أبي هريرة، قال: قـال رسول الله ﷺ: «إذا قُبِـر الميتُ أتاه ملكان

ويهلك. قوله: «الذي» مفعـول و«أن يسمعكم من عذاب القبر» بيان له، حال منه مـتقدم عليه، و«بوجهه» تأكيد لقـوله: «أقبل» كقولك: نظرت بعيني، لمزيد الاهتمام بشـأن التذكير. وقوله: «ما ظهر منهـا وما بطن» عبارة عن شـمولها؛ لأن الفتنة لا تخلو من هذين الأمـرين، عمم بعد التخصيص تأكيدًا وتقريرًا، ثم خص ذكر الرجال كالمستدرك لما فاته، والله أعلم بالصواب.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنـه: قوله: «إذا أقبر» أي أدفن، «أسـودان أزرقان» الشارحون: أراد بالسواد سـواد منظرهما، والزرقة زرقة أعينهمـا، وذلك لما في لون السواد وزرقة العين من الهول والـنكير، والزرقة أبغض ألوان العـيون إلى العـرب؛ لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون، ولذلك قالوا في صفة العـدو: أسود الكبد أزرق العينين. ويحتمل أن يكون المراد قبح المنظر وفظاعة الصورة، يقال: كلمت فلانًا فـما رد على سوداء ولا بيضاء، أي فما أجابني بكلمة قبيحة ولاحسنة. والزرقة تقليب البصر وتحديد المنظر، يقال: زرقت عيناه إذا انقلبت وظهر بياضـها، وهي كناية عن شدة الغضب؛ فـإن الغضبـان ينظر إلى المغضوب عليه شـزرًا بحيث تنقلب عـينيه. ويحـتمل أن يراد بـالزرقة العـمى؛ فإن العين إذا ذهب نورها أزرقت، قـال الله تعالى: ﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقًا﴾(١) أي عمـيًا عيونهم لانور لهـا، ويؤيده قوله ﷺ في حديث آخر: «فيقيض له أعمى وأصم».

---

[١٢٩] أخرجه مسلم (٢٨٦٧) كتـاب الجنة وصفة نعيمها ،وأهلها، باب عـرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(١) طه: ١٠٢.

أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النَّكير. فيقولان: ماكنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبدالله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم ينوَّر له فيه، ثم يقال له: نَمْ. فيقول: أرجعُ إلى أهلي فأخبرهم. فيقولان: نَمْ كنومة العروس الذي لايوقظه إلا أحبُّ أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله، لا أدري. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم

«خط»: النكير فعيل بمعنى مفعول من: نكر بالكسر، والمنكر مفعول من: أنكر، كلاهما ضد المعروف، سميا به؛ لأن الميت لم يعرفهما ولم ير صورة مثل صورتهما، وإنما صور بتلك الصورة القبيحة ونكر ليخاف الكافر ويتحير في الجواب، وأما المؤمنون فيريهم الله تعالى كذلك امتحانًا، ويثبتهم بالقول الثابت امتنانًا، فلا يخافون؛ لأن من خاف الله تعالى في الدنيا، وآمن به، وبرسله، وبكتبه لم يخف في القبر. وقال في قوله: «قد كنا نعلم إنك تقول هذا»: يعني قد رأينا فيك سيماء أهل الإيمان وشعاع أهل اليقين، فعلمنا فيك السعادة، وأن تجيبنا على وجه يحبه الله تعالى، وعكسه الكافر.

قوله: « يفسح له في قبره سبعون ذراعًا» والأصل فيه: يفسح له قبره مقدار سبعين ذراعًا، فجعل القبر ظرفًا للسبعين، وأسند الفعل إلى سبعين مبالغة. قوله: «العروس» يستوي فيه الرجل والمرأة ما داما في أعراسهما، يقال: رجل عروس، وامرأة عروس، وإنما مثل بنومة العروس؛ لأن الإنسان أعز ما يكون في أهله وذويه، وأرغد وأنعم وهو في ليلة الإعراس.

«مظ»: «لا يوقظه إلا أحب أهله» عبارة عن عزته وتعظيمه عند أهله، يأتيه غداة ليلة زفافه من هو أحب وأعطف فيوقظه، على الرفق واللطف. و«حتى» متعلقة بمحذوف، يعني ينام طيب العيش حتى يبعثه الله تعالى، و«التأم» إذا اجتمع، «والاختلاف» إدخال شيء في شيء، يعني يؤمر قبره حتى يقرب كل جانب منه إلى الجانب الآخر ويضمه ويعصره. وقوله: «سمعت الناس» أي المسلمين يقولون: إنه نبي، فقلت مثل قولهم وما شعرت غير ذلك.

أقول: قوله: «هو عبدالله ورسوله» هو الجواب إيجازًا وإبهامًا، وقوله: «الشهادتين» إطناب وبسط للكلام إظهارًا لنشاطه وافتخارًا به، كما عكسه جواب الكافرين «نعبد أصنامًا فنظل لها عاكفين»(1) عن سؤال ما تعبدون؟ ولأجل وفور نشاطه قال أيضًا: «أرجع إلى أهلي فأخبرهم» كما قال الله تعالى: ﴿يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾(2). ويجوز أن يكون «حتى» في قوله: «حتى يبعثه الله» متعلقة بـ«هم» على الالتفات، أي نم كما ينام العروس حتى يبعثك الله، فالتفت وقال: حتى يبعثه.

---

(1) الشعراء : ٧١ .

(2) يس: ٢٦ ـ ٢٧.

عليه ، فتـختلف أضلاعه، فلا يزال فـيها معذبًا حـتى يبعثه الله من مضـجعه ذلك».

رواه الترمذي [١٣٠].

١٣١ ـ * وعن البـــراء بن عــازب، عن رســـول الله ﷺ، قــال: «يأتيـــه ملكان فيُجْلِسانه، فـيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان لـه: مادينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فـيقــولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكـم؟ فيقــول: هو رسول الله. فيقولان له: ومـا يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فـآمنتُ به وصدقتُ؛ فذلك قوله: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الآية. قــال: فينادي مُنَادٍ من السماء: أن صَدَقَ عبدي فأفـرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتـحوا له بابًا إِلى الجنة، ويفـتح. قال:

الحديث الثاني عن البراء رضي الله عنه: قوله: «ما هذا الرجل؟» أي ما وصف هذا الرجل؛ لأن «ما» يسـأل به عن الوصف أي أرسول هو أم ما تقول في حـقه؟ فإن قيل: قـوله: «قرأت كتاب الله فآمنت به» يدل على أن الإيمان بالنـبي عليه الصلاة والسلام مسبوقًا بقـراءته كتاب الله فهو غير مستقيم؛ لأنـه ما لم يعرف صدق الرسول لم يعرف أن القرآن حق؟ قلنا: المراد قرأت كتاب الله، ورأيت ما فيه من الفصاحة والبلاغة ما يعجز عنه البشر، ويفوت دونه القوى والقدر ـ فعلمت أنه ليس من كلام البشر فآمنت به، أو تفكرت فيما فيه من البعث على مكارم الأخلاق، وفواضل الأعمال، ومـا فيه من ذكر الغيوب والإخـبار عن الأمم السالفة عن غير أن يـسمعه من واحد، أو يقرأ كتابًا ـ فعلمت أنه من عند الله، وآمنت به، وذلك قوله: **﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثـابت في الحيوة الدنيـا وفي الآخرة﴾**[1] قد سـبق في الحديث الأول من هـذا الباب أن ذلك إشارة إلى سرعة الجـواب، وأنها مسببة عن تثبـيت الله إياه، وههنا إشارة إلى السرعة مع السؤال المكرر، والجواب المبسوط من غير انقباض ودهشة، بل مع وفور نشاط واستبشار.

قوله: «فأفرشوه» بألف القطع أي اجعلوا له فرشًا من فرش الجنة، ولم نجد الإفراش على هذا المعنى في المصادر، وإنما هو أفـرش أي أقلع عنه وأقفل، فأفرش بـهذا اللفظ على هذا المعنى من الباب القيـاسي الذي ألحق الألف بثلاثيه، ولو كان من الباب الثـلاثى لكان من حقه أن يروى بألف الوصل، والمعنى ابسطوا له، ولم يجد الرواية إلا بالقطع.

---

[١٣٠] سنده حسن: قـال الألباني: وقـال ـ يعني الترمـذي ـ (١/ ١٩٩): حديث حسن غـريب. قلت: وسنده حسن، وهو على شرط مسلم.

(١) إبراهيم: ٢٧.

فيأتيه من رَوْحها وطيبها، ويفسح له فيها مد بصره. وأما الكافر فذكر موته، قال: ويعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان: من ربك؟ فيقول: هَاه هَاه، لا أدرى! فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هَاه هَاه، لا أدري! فيقولان: ما هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فيقول: هَاه هَاه، لا أدري! فينادي منادٍ من السماء: أن كذب فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار. قال: فيأتيه من حَرِّها وسمومها. قال: ويُضيق عليه قبره حتى يختلف فيه أضلاعه، ثم يُقيض له أعمى أصم، معه مرزبَّةٌ من حديد، لو ضُرب بها جبل لصار ترابًا، فيضربه بها ضربةً يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين ، فيصير ترابًا، ثم يعاد فيه الروح» رواه أحمد ، وأبو داود [١٣١].

قوله: «فيأتيه من روحها» أى فيأتيه روحها على مذهب الأخفش، أو بعض روحها أو شيء من روحها، فلم يؤت به إلا ليفيد أنه مما لا يقادر قدره ولا يوصف كنهه.

قوله: «ويفسح له فيها مد بصره» أى مداه، وهى الغاية التى ينتهى إليها بصره فإن قيل: كيف التوفيق بين قوله: «ويفسح له فى قبره سبعون ذراعًا فى سبعين» وبين قوله: «ويفسح له مد بصره»؟ قلنا: إنما عبر بقوله: «ويفسح له» عن توسيع مرقده عليه، ويقول: يفسح مد بصره عما يعرض عليه وينظر إليه من رياض الجنة وروحها، ويحتمل أن تكون الكلمتان عبارتين عن فسحة القبر.

قوله: « فذكر موته» يريد الراوى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام ذكر ألفاظًا فى شأن موت الكافر، ثم قال: «ويعاد روحه» «مظ»: «هاه هاه»: هذه الكلمة يقولها المتحير في الكلام من الخوف والدهشة، و«أن كذب» أى كذب فيما قاله: «لا أدرى» لأن دين الله ، ونبوة رسوله ﷺ كان ظاهرًا فى مشارق الأرض ومغاربها، وتغلغل فى كل بيت مدر ووبر. و«أن» يجوز أن تكون مفسرة لما فى «ينادى» من معنى القول، وأن تكون مصدرية مجرورة لـ«أن كذب» فالعامل «فأفرشوه» والفاء مثلها فى قوله تعالى: ﴿لإيلاف قريش ـ إلى قوله ـ فليعبدوا﴾ (١) وهى جواب شرط محذوف، وكذلك فى«أن صدق عبدى» سمى المؤمن عبدًا، وأضافه إلى نفسه تعالى

---

[١٣١] إسناده صحيح : وصححه فى صحيح سننه الترمذى ح ٢٤٩٥ بلفظ مختصر ، وصحيح سنن النسائى ح ١٩٤٤، وابن ماجه ح٤٢٦٩.

(١) قريش: ١: ٣.

١٣٢ ـ * وعن عثمان، رضي الله عنه، أنه كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبُلَّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكى، وتبكى من هذا؟! فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أولُ منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد منه». قال: وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه» رواه الترمذي، وابن ماجه. وقال الترمذى: هذا حديث غريب[١٣٢].

١٣٣ ـ * وعنه، قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال:

تشريفًا له، بخلاف الكافر، قال الله تعالى: **﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾**(١).

«تو»: «ثم يقيض» أى يقدر، وأصل الكلمة من القيض وهو القشر الأعلى من البيض، فقولك: قيض الله لى فلانًا أى أباحه فاستولى على استيلاء القيض على البيض، و«أعمى وأصم» أي من لا يرى عجزه فيرحمه، ولا يسمع عويله فيرق له. وأما «المرزبة» فإن المحدثين يشددون الباء منها، والصواب تخفيفها، وإنما يشدد الباء إذا أبدلت الهمزة من الميم وهى الإرزبة، وهى التى يكسر بها المدر، وأنشد [الفراء](*): ضربك بالمرزبة عود الشجر انتهى كلامه. وكرر إعادة الروح فى الكافر لبيان شدة العذاب وفظاعته، ولأنه كان ينْكر الإعادة فى الدنيا، فيقال له: ذق هذا جزاء ما كنت تنكره؛ إلزامًا له وتبكيتًا، ولا يبعد أن يتمسك به من يقول: إن فى القبر إماتتين وإحيايين، في تفسير قوله: **﴿أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل﴾** (٢).

الحديث الثالث عن عثمان رضي الله عنه: قوله: «إلا والقبر» الواو للحال، والاستثناء مفرغ، أى ما رأيت منظراً وهو ذو هول وفظاعة «إلا والقبر أفظع منه» يقال: فظع الأمر بالفم فظاعة فهو فظيع أى شديد شنيع جاور المقدار، وعبر بالمنظر عن الموضع مبالغة؛ فإنه إذا نفى الشىء مع لازمه ينتفى الشىء بالطريق البرهان، و«قط» كلمة يؤكد بها النفي في الفعل الماضي، كما أن عوض يؤكد بها النفي فى المستقبل.

الحديث الرابع عن عثمان رضى الله عنه: قوله: «الميت» التعريف للجنس، وهو قريب من

---

[١٣٢] حسن: حسنه الألبانى فى المشكاة (٤٨/١)، وصحيح سنن الترمذى ح ١٨٧٨ وصحيح ابن ماجه (٤٢٦٧).

(١) محمد: ١١ .   (٢) غافر: ١١.

(*) ما بين المعكوفين من «ك».

«استغفروا لأخيكم، ثم سلوا له بالتثبيتِ، فإنه الآن يُسأل» رواه أبو داود [١٣٣].

١٣٤ ـ * وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيُسلَّطُ على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينًا، تَنْهَسُهُ وتَلدغه حتى تقوم الساعة، لو أن تنينًا منها نَفَخ فى الأرض

النكرات. «سلوا له بالتثبيت» اطلبوا من الله أن يثبته على جواب الملكين بالقول الثابت، وضمن«سلوا» معنى الدعاء، كما قال الله تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب﴾ (١) أي ادعوا له بدعاء التثبيت، أى قولوا: ثبته الله تعالى بالقول الثابت.

«خط»: فى هذا الحديث دليل على أن الدعاء نافع للميت، وليس فيه دلالة على التلقين عند الدفن كما هو العادة، ولا نجد فيه أيضًا حديثًا مشهورًا، ولا بأس به؛ لأنه ليس فيه إلا ذكر الله تعالى، وعرض الاعتقاد على الميت، والحاضرين، والدعاء له وللمسلمين، والإرغام لمنكري الحشر، وكل ذلك حسن.

«مح»: اتفق كثير من أصحابنا على استحباب التلقين، منهم القاضى حسين نص فى تعليقه ونقله عن الأصحاب، وصاحبه أبو سعيد المتولى في التتمة، والشيخ أبو الفتح نصر المقدسى، والإمام الرافعى وغيرهم، قال النصر فى(كتاب التهذيب): إذا دفن الميت يقف رأس القبر ويقول: يا فلان بن فلان! اذكر العهد الذى خرجت عليه من الدنيا، شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، قل: رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وبالكعبة قبلة، وبالقرآن إمامًا، وبالمسلمين إخوانًا، ربي الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم. وروى الخراسانيون فيه حديثًا عن أبى أمامة ليس بالقائم إسناده، ولكن اعتضد بشواهد، منها الحديث المذكور، وأهل الشام يعملون به قديمًا، وقال: لا يلقن الصغير إلى أن يبلغ الحنث، وذكر فى الأذكار عن الشافعى وأصحابه: أنه يستحب أن يقرأ عنده شيء من القرآن، قالوا: وإن ختموا القرآن كله كان حسنًا، وفى سنن البيهقى أن ابن عمر استحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول سورة البقرة وخاتمتها.

الحديث الخامس عن أبي سعيد رضي الله عنه: قوله: «تنينًا ينهسه» التنين نوع من الحيات كثير السم كبير الجثة. النهس واللدغ هنا بمعنى كرر للتأكيد أو لبيان أنواع العذاب. «تو»: الوقوف على تخصيص فائدة العدد إنما يحصل بطريق الوحى، ويتلقن من قبل الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم إنا نجد فيه وجهًا من طريق الاحتمال. روينا أن النبى عليه الصلاة والسلام قال: «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن، والإنس، والبهائم، والهوام، فبها

---

[١٣٣] صحيح: صححه الألبانى فى المشكاة، وصحيح أبى داود فى (٣٢٢١) وغيرهما.

(١) المعارج: ١.

ما أنبتت خَضِراً» رواه الدارمي، وروي الترمذي نحوه، وقال: «سبعون» بدل «تسعة وتسعون». [١٣٤].

الفصل الثالث

١٣٥ ـ * عن جابر، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى سعد بن مُعاذٍ حين توفى، فلما صلى عليه رسول الله ﷺ وَوُضع فى قبره وسُوِّيَ عليه، سبَّح رسول الله ﷺ، فسبَّحنا طويلاً، ثم كبَّر، فكبرنا. فقيل: يارسول الله! لم سبحتَ ثم كَبَّرْتَ؟ قال: «لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه» رواه أحمد[١٣٥].

يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها يعطف الوحش على ولدها، وأخر تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده» والكافر لما كذب أوامر الله تعالى ولم يؤد حق العبودية، أعد له مكان كل رحمة تنينًا تنهسه. ويحتمل أن يقال: إن لله تسعة وتسعين اسمًا كل اسم منها دال على صفة يجب الإيمان بها، والكافر لما كفر بها حرم الله بها عليه أقسام رحمته في الآخرة، وسلط عليه مكان كل عدد منها تنينًا في قبره. وإن ذهب إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام عبر عما يلحق به من التبعات، وينزل به من المكروهات بالتنانين، ففيه من طريق العربية مساغ، ولكن الأخذ بالظواهر فى أمثال هذا أولى بأولى الألباب. وأما استحالة ذلك من طريق المعقول؛ فإنها سبيل من لا خلاق له فى الدين، والله يعصمنا من عثرة العقل، وفتنة الصدر، ويوفقنا السلوك بحجة الكتاب والسنة.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن جابر رضي الله عنه: قوله: «على هذا العبد الصالح» «هذا» إشارة إلى كمال تميزه ورفع منزلته، ثم وصفه بـ«العبد» ونعته بـ«الصلاح» لمزيد التخويف، والحث على الالتجاء إلى الله تعالى من هذا المنزل الفظيع، يعنى إذا كان حال هذا العبد الصالح هذا فما بال غيره ـ تعريضًا بالمؤمنين ـ و«حتى» متعلق بمحذوف، أى ما زلت أكبر وأسبح ويكبرون ويسبحون ويكبرون حتى فرجه الله عنه.

---

[١٣٤] ضعيف: قال الألباني: «فى الرقائق» وسنده ضعيف، فيه دراج أبو السمح وهو صاحب مناكير، ومن طريقه أخرجه أحمد أيضا فى المسند (٣/ ٣٨) وأما الترمذى فأخرجه (٢/ ٧٥) من طريق أخرى عن أبى سعيد نحوه وفيه ضعيفان.

[١٣٥] ضعيف: قال الألباني: فى المسند (٣/ ٣٦٠ و ٣٧٧) وسنده ضعيف، فيه محمود بن عبدالرحمن ابن عمرو الجموح، ترجمة ابن حجر فى (التعجيل) بما يتلخص منه أنه لا يعرف.

١٣٦ ـ * وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضُمَّ ضمةً ثم فُرج عنه» رواه النسائي[١٣٦].

١٣٧ ـ * وعن أسماء بنت أبي بكر، قالت: قام رسول الله ﷺ خطيبًا، فذكر فتنةَ القبر التي يُفْتَنُ فيها المرءُ، فلما ذكر ذلك، ضج المسلمون ضجةً. رواه البخاري هكذا، وزاد النسائي: حالت بيني وبين أن أفهم كلامَ رسول الله ﷺ، فلما سكنَت ضَجَّتُهم قلت لرجلٍ قريبٍ مني: أي بارك الله فيك! ماذا قال رسول الله ﷺ في آخر قوله؟ قال: «قد أُوحي إِليَّ أنكم تُفْتنون في القبور قريبًا من فتنة الدجال» [١٣٧].

الحديث الثانى عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «هذا الذى» المشار إليه سعد بن معاذ، و«هو» للتعظيم كما سبق فى الحديث الأول. قوله: «تحرك» وفي آخر: «اهتز» أى اهتز العرش لموت سعد، وأصل الهز الحركة، واهتز إذا تحرك، واستعمله في معنى «الارتياح» أي ارتاح بصعوده واستبشر لكرامته على ربه، وكل من خف لأمر وارتاح له فقد اهتز له. وقيل أراد فرح أهل العرش بموته.

وأقول: يمكن أن يقال: إن تحرك العرش لفقده على طريقة قوله تعالى: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾(١).

«الكشاف»: إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه: بكت عليه السماء والأرض، وأظلمت له الشمس، ورثى ابن جرير لعمر بن عبد العزيز وقال:

نعى النعاة أمير المؤمنين لنا ... يا خير من حج بيت الله واعتمرا
حملتَ أمرًا عظيمًا فاصطبرتَ له ... وقمتَ فيه بأمر الله ياعمرا
الشمس طالعة ليست بكاسفة ... تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

و«شهده» أى حضر جنازته، ولقد ضم اللام فيه جواب القسم ، والتنكير فى «ضمة» يحتمل التفخيم والتقليل والأول أظهر؛ لدليل تسبيح رسول الله ﷺ وتكبيره، واقتداء المؤمنين به، فعلى هذا«ثم» فى قوله: «ثم فرج عنه» لتراخى مدة الضم.

الحديث الثالث عن أسماء: قوله: «التى يفتن» صفة للفتنة وبيان له، يعنى ذكر الفتنة

---

[١٣٦] صحيح: قال الألباني: وسنده صحيح على شرط مسلم.

[١٣٧] صحيح: قال الألباني: وسنده صحيح أيضًا يعني زيادة النسائي.

(١) الدخان: ٢٩.

١٣٨ ـ * وعن جابر ، عن النبي ﷺ قال: «إذا أُدخل الميْتُ القبرَ مُثِّلتْ له الشمس عند غروبها، فيجلس يمسح عينيه، ويقول: دَعُوني أُصلي» رواه ابن ماجه[١٣٨].

١٣٩ ـ * وعن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال: «إن الميت يصير إلى القبر، فيُجلس الرجل في قبره من غير فزعٍ ولا مشغوبٍ، ثم يقال: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام. فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله، فصدقناه. فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله، فيفرج

بتفاصيلها كما يجرى على المرء فى قبره، ومن ثم ضج المسلمون، وصاحوا ، وجزعوا، و«أى» نداء يعنى يا فلان بارك الله فيك، و«قريبًا» صفته مصدر محذوف أى فتنة قريبة وذكر كما في قوله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾(١) يريد فتنة عظيمة، إذ ليس فيه أعظم من فتنة الدجال.

الحديث الرابع عن جابر: قوله: «مثلت له» أى صورت وخيلت، وذلك لا يكون إلا في حق المؤمن، ولعل ذلك عند نزول الملكين إليه. ويمكن أن يقال: إن ذلك بعد السؤال والجواب، تنبيهًا على رفاهيته. وفي قوله: «يمسح عينيه» إيماء إليها كأنه يظن أنه بعد فى الدنيا، ويؤدى ما عليه من الفرائض، ويمنعه من قيامه بعض الأصحاب وذلك من رسوخه في أدائه ومداومته عليه في الدنيا، وإما لتخصيص ذكر الغروب[*]؛ فإنه مناسب للغريب؛ فإن أول منزل ينزله عند الغروب، والله أعلم بالمراد[قوله: «عند غروبها» حال من الشمس لا ظرف لمثلت، و«يمسح» حال من الضمير فى يجلس ، أى يجلس ماسحًا][*].

الحديث الخامس عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «غير فزغ» هو حال، و«فزع» صفة مشبهة يدل على المبالغة، ثم أكده بقوله: «ولا مشغوب» من الشغف وهو تهيج الشر والفتنة وقوله: «وكنت في الإسلام» دليل على غاية تمكنه من الجواب لأن الجواب[الظاهر][*] أن يقول: في الإسلام، و«ما» استفهام مبتدأ، و«هذا الرجل» الصفة والموصوف خبره، وقد سبق أن«ما» يسأل به عن الوصف، ولذلك سماه ووصفه، أي صاحب ذلك الاسم المفخم المشتهر لا يخفى على كل أحد، وهو أنه رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقوله: «رسول الله» يحتمل أن يكون خبرًا، و«جاءنا» جملة استئنافية مبينة للجملة الأولى، وأن يكون صفة و«جاءنا» خبرًا، والأول أوجه.

---

[١٣٨] حسن: حسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجه ح (٣٤٤٧)، والظلال ٨٦٧ وغيرهما.

(١) الأعراف: ٥٦.

(*) مابين المعكوفين من «ك».

له فرجة قِبَل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يُفرج له فرجة قبل الجنة ، فينظر إلى زَهْرَتِها ومافيها، فيقال له: هذا مقعدك، على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى. ويُجلس الرجل السوء في قبره فزعًا مشغوبًا، فيقال: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري! فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولا فقلتُه، فيفرج له قبل الجنة، فينظر إلى زَهرتها ومافيها، فيقال له : انظر إلى ما صرف الله عنك، ثم يفرج له فرجة إلى النار، فينظر إليها يحطم بعضُها بعضًا، فيقال له: هذا مقعدك، على الشك كنتَ، وعليه متَّ، وعليه تُبعثُ إن شاء الله تعالى» رواه ابن ماجه[١٣٩].

و«هل رأيت الله؟» هذا السؤال إنشاء من قوله: «من عند الله» أى كيف تقول: من عند الله؟ هل رأيت الله فى الدنيا؟ ومن ثم أجاب بقوله: «ما ينبغى لأحد أن يرى الله». «فيفرج له» أى يكشف له فرجة ، ويطرح ما يمنعه من النظر، ذكر ضمير البارز في «إليه» بتأويل العذاب وأنثها في قوله: «بعضها» نظرًا إلى اللفظ و«الحطم» الحبس فى الموضع المتضايق الذي يتحطم فيه الخيل، أى يدوس بعضها بعضًا. و«إلى زهرتها» حسنها وبهجتها وكثرة خيرها، و«على اليقين» حال، والعامل ما في حرف التنبيه من معنى الفعل المتضمن لصاحب الحال، أى أنبهك، والتعريف فى «اليقين» للجنس، و«كنت» صفة له، وعلى هذا ينزل قوله على الشك والتقدير: أنبهك حال كونك ثابتًا أو مثبتًا على يقينك. ويمكن أن يقال: إن معنى«على» فى الموضعين للوجوب،[يعنى هذا موضعك ، مقعدك حال كذبه واجبًا على الله تعالى وعدًا ووعيدًا لسبب اليقين والشك ومعنى][*] «إن شاء الله» فى الموضعين للتبرك، و التحقيق كقوله تعالى: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾[1] والله أعلم بالصواب.

---

[١٣٩] صحيح: صححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه ح (٤٢٦٨)، والمشكاة، والتعليق الرغيب (٤/ ١٨٧).
(١) الفتح: ٢٧.
(*) من «ك».

(٥) باب الاعتصام بالكتاب والسنة

الفصل الأول

١٤٠ - * عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ» متفق عليه.

باب الاعتصام بالكتاب والسنة

العصمة المنعة، والعاصم المانع الحامي، والاعتصام الاستمساك بالشيء، افتعال منه، قال الله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعًا**﴾(١) أي تمسكوا بالقرآن والسنة.

الفصل الأول

الحديث الأول عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «من أحدث فى أمرنا» «قض»: الأمر حقيقة فى القول الطالب للفعل، مجاز في الفعل، والشأن والطريق، وأطلق ههنا على الدين، من حيث إنه طريقه، أو شأنه الذى يتعلق به، وهو مهتم بشأنه بحيث لا يخلو عن شيء من أقواله وأفعاله. والمعنى أن من أحدث فى الإسلام رأيًا لم يكن له من الكتاب والسنة سند ظاهر أو خفى، ملفوظ أو مستنبط - فهو مردود عليه.

أقول: فى وصف الأمر بـ«هذا» إشارة إلى أن أمر الإسلام كمل واشتهر، وشاع وظهر ظهور المحسوس، بحيث لا يخفى على كل ذى بصر وبصيرة، كقوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينًا**﴾(٢)، فمن رام الزيادة عليه حاول آمرًا غير مرضي؛ لأنه من قصور فهمه رآه ناقصًا. فعلى هذا يناسب أن يقال: قوله: «فهو» راجع إلى «من» أى من ابتغى الزيادة على الكمال فهو ناقص مطرود. وفى قوله: «ما ليس منه» إشارة إلى أن إحداث ما لا ينازع الكتاب والسنة - كما سنقرره بعد - ليس بمذموم. روى محيي السنة عن يحيى بن سعيد سمعت أبا عبيد رضي الله عنه يقول: جمع النبى ﷺ جميع أمر الآخرة في كلمة: ﴿**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**﴾(٣)، وجميع أمر الدنيا في كلمة: ﴿**إنما الأعمال بالنيات**﴾(٣)، فإنهما يدخلان فى كل باب.

قوله: «ما ليس منه» هكذا فى البخارى، والمسلم، والحميدى، والجامع، وشرح السنة، وفى بعض نسخ المصابيح. وفى بعضها، وفى المشارق: «ما ليس فيه».

---

(١) آل عمران: ١٠٣. (٢) المائدة: ٣.

(٣) متفق عليه.

١٤١ ـ * وعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أما بعد، فإن خير الحديث كتابُ الله ، وخيـرَ الهَدْى هَدْىُ محـمدٍ، وشر الأمور مـحدثاتُها، وكلُّ بدعـة ضلالة» رواه مسلم [١٤١].

الحديث الثـانى عن جابر رضي الله عنه: قوله: «أمـا بعد» هاتان الكلمتـان يقال لهمـا فصل الخطاب، وأكثر استعمالهما بعد تقدم قصة، أو حمد لله تعالى، والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، والأصل أن يقال: أمـا بعد حمد الله تعالى، و«بعـد» إذا أضيف إلى شيء ولم يقدم عليه حرف جر فهو منصوب على الظرف، وإذا قطع عنه المضاف إليه يبنى على الضم، والمفهوم منهما أنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك في أثناء خطبته ووعظه، وأنشد التوربشتى لسحبان:

لقـد علم الحى الـيـمـانون أنني ... إذا قلت: «أمـا بعـد» أنـى خطيـبـهـا

«تو» : والفاء لازمة لما بعد« أما» من الكلام ، لما فيها من معنى الشرط.

أقول: «أما » وضع للتفصيل، فلابد من التعدد، روى صاحب المرشد عن أبي حاتم: أنه لا يكاد يوجد فى الـتنزيل«أما» وما بعـدها إلا وتثنى أو تثلث، كقـوله تعالى: ﴿**أما السفينة**﴾(١)، و﴿**أما الغلام**﴾ (١)، و﴿**أما الجدار**﴾(١) وعامله مقدر أى مهـما يكن من شيء بعد تلك القصة؛ فإن خير الحديث كتاب الله ، فالذى يتضمن القرينة السابقة قول الراوى في الحديث: «إذا خطب احمرت عيناه، وعـلا صوته، واشتد غضبـه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبـحكم ومساكم، ويقول: بعثت أنا والساعـة كهاتين ـ ويفرق بين إصبعيه السبـابة والوسطى ـ ويقول: «أما بعد» إلى آخره.

و«الهدى» السيرة، يقال: هدى هدى زيد ، إذا سار سيرته، من: تهادت المرأة فى مشيها إذا تبخترت. ولا يكاد يطلق إلا على طريقة حسنة، وسنة مرضية، ولذلك حسن إضافة الخير إليه، والشر إلى الأمور. واللام فى«الهـدى» للاستغراق؛ لأن أفعل التفـضيل لا يضاف (إلا)(*) إلى متعدد وهو داخل فـيه؛ ولأنه لو لم تكن للاستغراق لم تفد المعنى المقـصود، وهو تفضيل دينه وسنته على سائر الأديان والسنن. وروى «شـر الأمور» بالنصب، عطفًا على اسم«إن» وبالرفع، عطفًا على محل«إن» مع اسمه.

و«المحدثات» ـ بالفـتح ـ جمع محدثة، والمراد بهـا البدع والضلالات من الأفـعال والأقوال. يعنى كل خصلة أتى بها جديدًا فـهى مخالفة للسنة، وكل مخالفة للسنة ضـلالة؛ فحينئذ يكون

---

[١٤١] أخرجه مسلم (٨٦٧) ك الجمعة، باب تخـفيف الصلاة والخطبة، قال الألبانى فى المشكاة: ورواه النسائى وزاد «وكل ضلالة فى النار» وسندها صحيح، ومن أنكرها فقد وهم.

(١) الكهف: ٨٠، ٨٢ .

(*) فى (ط) [تو] وما أثبتناه من (ك).

قوله عليه الصلاة والسلام: «وكل بدعة ضلالة» [عطف على محذوف. «مج»: قوله: «كل بدعة ضلالة»](*)عام مخصوص، كقوله تعالى: ﴿تدمر كل شيء﴾(١) وقوله: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾(١)، والمراد بها غالب البدعة.

و«البدعة» كل شيء عمل على غير مثال سابق، وفي الشرع: إحداث ما لم يكن فى عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام. قال الشيخ المجمع على إمامته وجلالته أبو محمد عز الدين بن عبد السلام ـ رحمه الله ـ فى آخر كتاب القواعد: البدع منقسمة على خمسة: واجبة، كالاشتغال بعلم النحو الذى يفهم به كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ؛ لأن حفظ الشريعة واجب، ولا يتأتى إلا بذلك، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وكحفظ غريب الكتاب والسنة، وكتدوين أصول الفقه، والكلام فى الجرح والتعديل ، وتمييز الصحيح من السقيم.

ومحرمة كمذاهب الجبرية، والقدرية ، والمرجئة، والمجسمة. والرد على هؤلاء من البدع الواجبة(**)؛ لأن حفظ الشريعة من هذه البدع فرض كفاية.

ومندوبة، كإحداث الربط، والمدارس، وكل إحسان لم يعهد فى العصر الأول، وكالتراويح، والكلام في دقائق التصوف، وكمجمع المحافل للاستدلال فى المسائل إن قصد بذلك وجه الله تعالى.

ومكروهة، كزخرفة فى المساجد وتزويق المصاحف.

ومباحة، كالمصافحة عقيب الصبح، والعصر، والتوسيع في لذيذ المآكل، والمشرب، والملابس، والمساكن، وتوسيع الأكمام.

وقد اختلف فى كراهية بعض ذلك، روى البيهقى عن الشافعى فى كتاب مناقبه: المحدثات من الأمور ضربان: ما أحدث مما يخالف كتابًا، أو سنة ، أو أثرًا، أو إجماعًا فهذه البدعة الضلالة. وما أحدث من الخير مما لا خلاف فيه لواحد من المذكورات فهذه محدثة غير مذمومة، وقد قال عمر رضي الله عنه فى قيام شهر رمضان: «نعمت البدعة هذه» يعنى أنها محدثة لم تكن، وإذا كانت ليس فيها رد لما مضى. هذا آخر كلام الشافعى رضى الله عنه. وهذا أيضًا آخر كلام الشيخ محيي الدين ـ رحمة الله عليه ـ فى كتاب تهذيب الأسماء واللغات، والله أعلم.

الحديث الثالث عن ابن عباس رضى الله عنه: قوله: «أبغض الناس» المراد بالناس المسلمون؛ لقوله: «ومبتغ فى الإسلام» يعنى أبغض المسلمين إلى الله تعالى هؤلاء الثلاثة؛ لأنهم جمعوا بين الذنب وما يزيد به قبحًا من الإلحاد، وكونه في الحرم، وإحداث البدعة في الإسلام، وكونها من أمر الجاهلية، وقتل نفس لا لغرض من الأغراض، بل لمطلق كونه قتلا، كما يفعل شطار

---

(١) الأحقاف: ٢٥ . (٢) النمل: ٢٣ (*) من (ك).

(**) معنى كلامه أن الرد على هؤلاء فى هذه الأمور المبتدعة من البدع، ولكن الجأت إليها الحاجة لحفظ الدين، فارد على المبتدعة وإن جاز تسميته بدعة لغة، إلا أنه أمر واجب شرعًا، ولذا جعله العز بن عبد السلام من البدع الواجبة لحفظ الدين؛ إذ لو ترك المبتدعة وبدعهم لهلك الناس بذهاب السنن وفساد الدين.

ثلاثة: مُلْحدٌ في الحـرم، ومُبْتغٍ في الإسلام سـنَّة الجاهليَّة، ومُطَّلبٌ دمَ امرىء بغـير حق ليهريق دمه» رواه البخارى

١٤٣ ـ * وعن أبي هريرة، قـال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ أُمـتي يدخلون الجنة إِلا من أبى» قيل: ومن أبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عَـصاني فقد أبى». رواه البخارى.

زماننا، وإليـه الإشارة بقوله: «ليـهريق دمه» ومزيد القـبح فى الأول باعتبـار المحل، وفي الثانى باعتبـار الفاعل، وفى الثالث باعتبـار الفعل وفى كل من لفظى المطلب والمبتغى مبـالغة أخرى، وذلك أن هذا الوعيد إذا ترتب على الطالب والمتمنى فـكيف بالمباشر للفعل؟ وإطلاق السنة على فعل الجاهلية إما وارد على أصل اللغة، أو على التهكم، وهي مثل النياحة، والميسر، والنيروز.

«قض»: الإلحاد الميل عن الصواب، ومنه اللحد، والملحد في الحرم من أحدث فيه جناية، أو أتى فيه بمعصيـة، فهو مخالف لأمر الله، وهاتك لحرمته من وجـهين، فهو أحق بالغضب على الإطلاق ومزيد البغضاء، وكذا الطالب فى الإسلام سنة الجاهلية. وأما القاصد لقتل امرىء بغير حق فهـو يقصد مـا يكرهه الله تعالى من وجهين: من حـيث أنه ظلم ، والظلم على الإطلاق مكروه مبغـوض، ومن حيث أنه يتضمن موت الـعبد، وهو يسوءه، والله سبـحانه وتعالى يكره مساءته، فيستحق مزيد المقت.

و«ليهـريق» أصله ليـؤريق من أراق على الأصل، فأبدلت الهـمزة هاء، يقـال: هرقت الماء وأرقته، كما يقال: هردت الشيء وأردته. قال سيبويه: وقد أبدلوا من الهمزة هاء، ثم التزمت، فصارت كـأنها من نفس الحرف، ثم أدخلت الألف على الهاء، ـ وتركت به الهـاء ـ عوضًا عن حذفهم حركة العين؛ لأن الأصل أهرق أريق.

الحديث الـرابع عن أبى هريرة رضي الله عنه: قوله: «كل أمـتى يدخلون الجنة» يحـتمل أن يراد بالأمة أمة الدعوة، أى كلهم يدخلون الجنة على التـفصيل السابق فى باب الإيمان، و«الآبى» هو الكافر. أو يراد بهـا أمة الإجابـة، فـ«الآبى» هو العاصى من أمتـه، استثناه تغلـيظًا عليهم، وزجراً عن المـعاصى «ومن أبى». عطف على مـحذوف، أى عـرفنا الذين يدخلون الجنة، ومن الذي أبى ؟ أى والذى أبى لا نعرفه، وكان من حق الجواب أن يقـال: من عصانى، فعدل إلى ما هو عليه تنبيهًا به على أنهم ما عرفوا ذلك ولا هذا، إذ التقدير: من أطاعنى وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة، ومن اتبع هواه، وزلَّ عن الصـواب، وضل عن الطريق المستقيم ـ فـقد دخل النار. فوضع «أبى» موضعه وضعًا للسـبب موضع المسبب. ويشد هذا التأويل إيراد محيى السنة هذا الحديث فى باب الاعتـصام بالكتاب والسنة، والتصريح بذكـر الطاعة؛ فإن المطيع هو الذى يعتصم بالكتاب والسنة ، ويجتنب عن الأهواء والبدع.

١٤٤ ـ * وعن جابر، قال: جاءت مـلائكة إلى النبى ﷺ وهو نائم، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلًا. قال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمةٌ والـقلب يقظان. فقالـوا: مَثَلُه كمـثل رجلٍ بنَى دارًا وجعل فـيها مـأدُبة وبَعَث داعيًا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل معه من المأدُبة، ومن لم يجب الداعي لم

الحـديث الخامـس عن جابر: قـوله: «مـأدبة» «فـا»: المأدبة ـ بالضم ـ اسم للصنيع نـفسـه كالوليـمة، وشبهـها سيبـويه بالمشربة، وغرضه أنهـا ليست كفـعلة ومفعلة في كونهـما بنائين للمصادر والظروف. و«المأدبة» ـ بالفتح ـ مصدر بمعنى الأدب، وهو الدعـاء إلى الطعام، كالمعتبة بمنزلة العـتب، أبو عـبيـدة: «المأدبة» المدعـاة، وهى صنيع الرجل لضـيـفه يدعـو إليـه الناس. «قض»(*): الحديـث يحتـمل أمرين: أحـدهما أن يكون حكاية سـمعـها جـابر عن النبي ﷺ فحكاها، وثانيهما أن يكون إخبارًا عما شاهده هو نفسه وانكشف له. وقول بعضهم: «إنه نائم»، وقول بعضهم: «إن العين نائمة، والقلب يقظان» مناظرة جرت بينهـما بيانًا وتحقيقًا لما أن النفوس القدسية الكاملة لا يضعف إدراكها بضعف الحواس، واستراحة الأبدان.

و«أولوها» أى فسروا الحكاية أو التمثيل بمـحمد عليه الصلاة والسلام، من: أول تأويلاً ، إذا فسر بما يؤول إليه الشيء والتأويل في اصطلاح العلماء تفسير اللفظ بما يحتمله احتمالا غير بين. والفاء فى «فمن أطاع محمدًا» فاء السببية، أى لما كان الرسول يدعوهم إلى الله بأمره، وهو سفير من قبله، فـمن أطاعه فقـد أطاع الله، ومن عصاه فقـد عصى الله. و«فرق» روى بالتـشديد على صيغـة الفعل، وبالسكون على المصدر، وصف به للمـبالغة كالعـدل، أى هو الفارق بين المؤمن والكافر، والفاسق والصالح، إذ به تميز الأعمال والعمال.

أقول ـ وبالله التـوفيق ـ: قوله: «مثله كـمثل رجل» مطلع للتشبيه، وهو مـبنى على أن هذا التشبيه ليس من التشبيهات المفرقة، كقول امرىء القيس:

كـأن قلوب الطيـــر رطبًـا ويابسًـا لدى وكـرها العنـاب، والحـشف البـالى

شبه القلوب الرطبة بالعناب، واليابسة بالحشف على التفريق؛ بل هو من التمثيل الذي ينتزع فيه الوجـه من أمور متعـددة متوهمة منضم بعضـها مع بعض، إذ لو أريد التفريق لـقيل: مثله كمـثل داع بعثـه رجل، ومن ثم قدمت المـلائكة في التأويل الدار على الداعى وعلى المـضيف. روعي في التأويل أدب حـسن، حيث لم يصـرح المشبه بالرجل، لكن لمـح فى قوله: «من أطاع الله» ما يدل على أن المشبه من هو؟ ونظيره في التمثيل قوله تعالى: ﴿إنما مثل الحيوة الدنيا كماء

(*) في (ط) [تو] وما أثبتناه من (ك).

يدخل الدارَ ولم يأكل من المأدُبة. فقالوا: أوِّلوها له يَفْقَهْـها. قال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا: الدارُ الجنةُ، والداعي محمَّدٌ، فمن أطاع محمَّدًا فقد أطاع الله، ومن عصى محمَّدًا فقد عصى الله، ومحمَّدٌ فَرقٌ بين الناس رواه البخاري.

أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾[1]، «الكشاف»[2]: ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل، لتقديره ومما هو؟ بين في هذا قول لبيد:

وما الناس إلا كالديار وأهلها وبها يوم خلوها وغدوا بلاقع[3]

لم يشبه الناس بالديار؛ وإنما شبه وجودهم فيها وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها، ووشك نهوضهم عنها وتركها خلا خاوية. وتحريره أن الملائكة مثلوا سبق رحمة الله تعالى على العالمين بإرساله الرحمة المهداة إلى الخلق، كما قال تعالى: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»[4] ثم إعداده الجنة للخلق، ودعوته صلوات الله عليه إياهم إلى الجنة ونعيمها وبهجتها، ثم إرشاده الخلق لسلوك الطريق إليها واتباعهم إياه بالاعتصام بالكتاب والسنة المدليان إلى العالم السفلي، وكأن الناس واقعون في هواة طبيعتهم[5] ومشتغلون بشهواتها، وأن الله يريد بلطفه رفعهم؛ فأدلى حبل القرآن والسنة إليهم ، ليخلصهم من تلك الورطة؛ فمن تمسك بهما نجا وحصل في الفردوس الأعلى والجناب الأقدس عند مليك مقتدر، ومن أخلد إلى الأرض هلك وأضاع نصيبه من رحمة الله، بحال مضيف كريم بنى دارًا وجعل فيها من ألوان الأطعمة المستلذة والأشربة المستعذبة ما لا يحصى ولا يوصف، ثم بعث داعيًا إلى الناس يدعوهم إلى الضيافة، إكرامًا لهم - فمن اتبع الداعي نال من تلك الكرامة، ومن لم يتبع حرم منها.

ثم إنهم وضعوا مكان حلول سخط الله بهم ونزول العقاب السرمدي عليهم قولهم: «لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة» لأن فاتحة الكلام سيق لبيان سبق الرحمة على الغضب، فلم يطابق إن لو ختم بما يصرح بالعذاب والغضب، فجاءوا بما يدل على المراد على سبيل الكناية.

«محمد فرق بين الناس» كالتذييل للكلام السابق، لأنه مشتمل على معناه ومؤكد له. ثم في حضور الملائكة، ورجع بعض الكلام على بعض ، وتمثيلهم ذلك، ووضعهم المظهر موضع المضمر في مواضع من الحديث، وتكرير الألفاظ مرة بعد أخرى، وفي تقديم المجمل ممثلا به وتأويله - دلالة على الإرشاد التام، وإزاحة [العلل][*]، وإيقاظ السامعين من رقدة الغفلة وسنة الجهالة، وحث لهم على الاعتصام بالكتاب والسنة، والإعراض عما يخالفهما من البدعة والضلالة، والله أعلم.

---

(١) الكهف: ٤٥ . (٢) الكشاف: ٢/ ٢٩٢ .

(٣) ديوان لبيد ص ٨١ ط دار القاموس

(٤) قال محقق (ط) وفي نسخة الشيخ إدريس : هواة طبايعهم - بالجمع - (المصحح).

(*) في (ط) [العلك] والتصويب من (ك).

١٤٥ ـ * وعن أنس قال: جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبىّ ﷺ يسـألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا بها كـأنهم تقالُّوها؛ فقـالوا: أين نحن من النبي ﷺ ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! فقال أحدهم:

الحديث السـادس عن أنس: قوله:«ثلاثة رهط»«فا»: الرهط العـصابة دون العشـرة، ويجمع على أراهيط، وقـيل: هو يجمع على أراهط. وإنما جـاء الرهط تمييـزًا للثلاثة، لأنه فى مـعنى الجماعة، كأنه قال: ثلاثة أنفس. وقيل: هم على، وعثمان بن مظعون، وعبد الله بن رواحة.

وقوله:«تقـالوها» أى وجدوها قليلة، وهو تفاعل من القلة بمعنى استقلوها.«مظ»: ظنوا أن وظائف رسول الله ﷺ كثيرة، فلما سمعـوا عدوها قليلة، وقد راعوا الأدب حيث لم ينسبوه إلى القصير، بل أظهروا كماله ولاموا أنفسهم في مقابلتهم إياها بالنبى ﷺ. وفيه تعليم للمريد بأن لا ينظر إلى الشيخ بعين الاحتقار، وإن رأى عبادته قليلة يظهر عذره، ولئلم نفسه إن جرى منها إنكار على شيخه؛ لأنه من اعترض على شـيخه لن يفلح. وفيه أن قلة وظائف النبي ﷺ كانت رحمة على الأمة وشفقة عليهم، كيلا يتضرروا؛ فإن لأنفسهم عليهم حقًا، ولأزواجهم حقًا؛ لأن الله تعالى خلق الإنسان محتاجًا إلى الطعام ليتقوى صلبه به، فيقوم على عبادة الله تعالى، ولابد للرجال من النساء لبقـاء النسل، فيكثر به عباد الله تعالى ، ويحصن دينه، وينفق عليـها فيؤجر به.

«قض»:«أين نحن من النبى ﷺ» أي بيننا وبينه بون بعـيد، فإنا على صدد التـفريط وسوء العاقبة، وهو مـعصوم مأمون العاقبـة واثق بقوله تعالى:**﴿ليغـفر لك الله مـاتقدم من ذنبك وما تأخر﴾**(١). **وقوله**:«أمـا والله» أى إنى أعلم به وبما هو أعـز لديه وأكـرم عنده، فلو كـان مـا استأثرتموه من الإفـراط في الرياضة أحسن مما أنا عليه من الاعتـدال فى الأمور لما أعرضت عنه. والذنب ماله تبعة دنيـوية أو أخروية، مأخوذ من الذنب. ولما كان النبى ﷺ معـاتبًا بترك ماهو أولى تأكيدًا للعصمة أطلق عليها اسم الذنب.

«رغب عن سنتى» أى مال عـنها استهـانة وزهدًا فيهـا لا كسلا وتهـاونًا«فليس منى» أى من أشياعى. وأقول: قوله:«أما أنا» قد سبق أن«أما» للتفصيل، فلابد من تقدير قرينتها، كأنه قال: أما رسول الله ﷺ فممن خصه الله بالمغفرة فلا عليه أن لا يكثر العبادة، وأما أنا فلست كهيئته؛ فأصلى أبدًا.

---

(١) الفتح: ٢.

أما أنـا فأصلي الليل أبدا. وقـال الآخر: أنا أصـوم النهار أبدًا، ولا أفطـر. وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فـجاء النبي ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكـذا؟! أما والله إنـي لأخشاكـم لله، وأتقاكم له، لكني أصـوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» متفق عليه

١٤٦ ـ * وعن عـائشة، رضـي الله عنها، قـالت: صنع رسـول الله ﷺ شـيئًـا، فرخَّص فـيه، فـتنزَّه عنه قومٌ، فـبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ؛ فـخطب فحَـمِدَ اللهَ، ثم

وقوله: «أنا أعتـزل النساء» من باب إطلاق المسبب على السبب، أى أنا أقصد اعـتزال النساء ومجانبـتها، فلا أتزوج أبدًا، وكذا التـقدير فى«أنا أصوم» أى أنا أقصـد الصوم وأدوم عليه ولا أفطر في النهار. و«فـقال» عطف على محذوف، أي فجـاء إلى أهله فأخبروه بما قـالوا فقال، أو التقدير: فأوحى إليه بما جرى، فجـاء إليهم فقال. وقوله: «أنتم الذين» أي أأنتم الذين، حذفت همزة الإنكار التي وليت الفـاعل المعنوى المزال عن مقره، لمزيد الإنكار، كقـوله تعالى: **﴿أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين﴾**[1]. فكما أكد هذه الفقرة أكد قرينتها، وهى قوله: «أما والله إنى لأخشاكم» حيث صدرها بحرف التنبيه التى هى من طلائع القسم ومقدماتها، وقرنها بالقسم لتحـقيق ما بعـدها وإثباته فى خلد السـامع. و«لله» مفعـول به«لأخشاكم» وأفـعل لا يعمل فى الظاهر إلا في الظرف. «ولكني أصـوم» المسـتدرك مـقدر أى أخـشاكم لله فـينبغى أن أقـوم فى الرياضة والعبادة إلى أقصى مداه، لكنى أقصد مـنها فأصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، لتقتدى بى الأمة رحمة من الله.

قوله: «فمن رغب عن سنتي» كان من حق الظاهر: من رغب عن ذلـك، فعم ليشمل كل ما جاء به وما أمـر به ونهى عنه، و«الفاء» فى«فمن رغب» متعلـق بمحذوف، أى لكنى أفعل ذلك لأسن للناظـر الطريقـة المثلى والـسنة الكملى، فـمن رغـب عنهـا فليس منـى و«من» فى«منى» اتصالية، كما سبق فى قوله: «لست منك ولست منى».

الحديث السابع عن عائشة: قوله: «صنع رسول الله ﷺ» «غب» : الصنع إجادة الفعل؛ وكل صنع فـعل ولا ينعكس. ولا ينـسب إلى الحـيوانـات والجـمـادات كـمـا ينسب إليـهـا الفعل. «خط»: «يتنزهون» يتبـاعدون ويحترزون. و«أعلمهم بالله» أى بعذاب الله وغـضبه، يعنى أنا أفعل شـيئًا من المباحـات، كالنوم، والأكل فى النهار والـتزوج، وقوم يحتـرزون عنه، فإن احترزوا عنه لخوف عذاب الله تعالى فإنى أعلم بقدر عذاب الله تعالى منهم، فأنا أولى أن أحترز

---

(١) المائدة: ١١٦.

قال: «ما بالُ أقوامٍ يتنزَّهونَ عن الشيء أصنعُه؟! فوَالله إنّي لأعلَمُهم بالله، وأشدُّهم له خَشيةً» متفق عليه

١٤٧ - * وعن رافعِ بن خديج، قال: قدِم نبيُّ الله ﷺ وهم يُؤبرون النخل، فقال: «ما تصنَعون؟»، قالوا: كنَّا نصنعُه. قال: «لعلَّكم لو لم تفعلوا كان خيراً». فتركوه؛ فنقصت. قال: فذكروا ذلك له. فقال: «إنما أنا بشَر؛ إذا أمرتُكم بشيء من

عنه «شف»: «أصنعه» في موضع النصب على الحال من «الشيء» ويجوز أن يكون مجروراً وصفًا له، لأنه منكر معنى كقوله ﷺ: «يأتيه الأمر من أمري» أي أمر من أموري. وفيه بحث، لأن التعريف في «الشيء» للعهد وهو إشارة إلى قوله: «شيئًا» وهو فعل مخصوص تنزهوا عنه. فالحال أولى.

قوله: «وأشدهم له خشية» القياس وأخشاهم له، لأن التوصل بأشد إنما يكون في الممتنع، وهذا الفعل غير ممتنع بناء أفعل منه. أقول: هو كقوله تعالى: ﴿فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾(١) وفيه مبالغة، ذكر في الكشاف. وقوله: «فخطب فحمد الله» تقديره: أراد أن يخطب فحمد الله. و«يتنزهون» صفة «أقوام» وفي معناها الحال في قولك: مالك قائمًا؟ وقوله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾(٢). و«فوالله» وقع موقع ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾(٣) فإنه حال من الضمير في «لا ترجون» مقررة لجهة الإشكال، أي ما لكم غير آملين لله وقاراً والحالة هذه؟ كذلك «ما بالهم» أي ما بالهم يتنزهون وأنا بين أظهرهم وأعلم بالله منهم؟ فهذه الفاء نظيره في قوله تعالى: ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾(٤) وكان ينبغي لهم أن يجعلوا عدم تنزههم عن الرخص مسببًا عن عمله صلوات الله عليه فعكسوا، فأنكر عليهم. والله أعلم بالصواب.

الحديث الثامن عن رافع: قوله: «يؤبرون» الجوهري: أبر فلان نخله أي لقحه وأصلحه، وفي رواية طلحة بن عبيد الله «يلقحونه» يجعلون الذكر في الأنثى بلقح. وقوله: «كنّا نصنعه» أي هذا دأبنا وعادتنا. وقوله: «كان خيراً» أي تتبعون فيما لا ينفع، كما جاء في تلك الرواية «ما أظن» يعني ذلك شيئًا، وأضاف الدين إليهم؛ لأن المراد إذا أمرتكم بما ينفعكم في أمر دينكم فخذوه، كقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾(٥). وأوقع قوله: ﴿فإنما أنا بشر﴾(٦) جزاء الشرط على تأويل وإذا أمرتم بشيء من رأى وأخطيء فلا تستبعدوه، فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب. كما جاء

---

(١) البقرة: ٥٤.
(٢) نوح: ١٣.
(٣) نوح: ١٤.
(٤) آل عمران: ١٤٤.
(٥) الحشر: ٧.
(٦) الكهف: ١١٠.

أمـــرِ دينِكم فـــخـذوا بـه؛ وإذا أمـرتُكـم بشيء من رأيي ، فـــإنما أنا بشَـــر» رواه مسلم[١٤٧].

١٤٨ ـ * وعن أبي موسى، قـال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مَثَلي ومثَلُ مـا بعثني اللهُ به كمثَل رجُلٍ أتى قومًا، فـقال: يا قوم! إني رأيتُ الجيشَ بعينَّي ، وإني أنا النَّذيرُ العُريانُ! فـالنَّجاء النجاء. فـأطاعَه طائفةٌ مـن قومِه فأدلجـوا، فانطلَقـوا على مَهَلِهم،

في رواية أحمد: «والظن يخطيء ويصيب». وفي الحديث دلالة على أن رسول الله ﷺ ما التفت إلى الأمور الدنيوية قط، وما كان على بال منه، سوى الأمور الأخروية

الحديث التاسع عن أبي موسى : قوله: «إنما مثلي» «قض»: المثل الصـفة العجيبة الشأن، أي صفتي وصفة مـا بعثني الله به من الأمر العجيب الشأن كصفـة رجل أتى قومًا وشأنه. و«النذير العريان» مـثل سائر يضرب لشدة الأمـر، ودنو المحذور، وبراءة المحذر عن التهـمة، وأصله أن الرجل إذا رأى العدو قد هجم على قومه وأراد أن يفاجئهم وكان يخشى لحقوهم عند لحوقه تجرد عن ثوبه وجعله على رأس خشبة وصاح، ليأخذوا حـذرهم، ويستعدوا قبل لحوقهم. و«النجاء» ـ بالمد ـ مصدر نجا إذا أسرع، يقال ناقة ناجية أي مـسرعة، ونصبه على المصدر، أي انجوا النجاء، أو على الإغراء. و«أدلجوا» أي ساروا في الدلجة ـ وهي الظلمـة ـ والدلجة أيضًا السير في الليل. وكذا الدلج ـ بفـتح اللام ـ وادلجوا ـ بتـشديد الدال ـ سـاروا آخر الليل. والمهل ـ بالتـحريك ـ الهينة والسكون، وبالسكون الإمهـال. و«اجتاحهم» استأصلهم وأهلكهـم. و«الجائحة» الهلاك، وسمي بها الآفة لأنها مهلكة.

روى الشيخ محيي الدين عن القاضي عياض: المعـروف في صحيح البخـاري إذا أفرد النجاء مد، وحكى أبو زيد فيه القـصر أيضًا. أما إذا كرر ففيه المد والقصـر أيضًا. وقال محيي الدين: في جمـيع نسخ مـسلم: «مهلتـهم» بضم الميم وإسكان الهاء وبتـاء بعد اللام، وفي الجـمع بين الصحيحين: «مهلهم» بحذف التاء وفتح الميم والهاء، وهما صحيحان.

أقول: التشبيه من التـشبيهات المفرقة، شبه ذاته عليه الصـلاة والسلام بالرجل، وما بعثه الله من إنذار القوم بعـذاب الله القريب بإنذار الرجل قومـه: بالجيش المصبح، وشبـه من أطاعه من أمته ومن عصاه بمن كذب الرجل في إنذاره وصدقه. وفي قول الرجل: أنا النذير إلى آخره أنواع من التأكيد، أحدها بعيني؛ لأن الرؤية لا يكون إلا بها. وثانيها قوله: «وأنا»، وثالثها العريان؛ فـإنه دل على بلوغ النهايـة في قرب العـدو، وفي ذلك تنبيـه على أنه الذي يخـتص في إنذاره بالصدق، والذي لا شبهـة فيه، وهو الذي يحرص جدًا على خلاص قـومه من الهلاك. قال في

[١٤٧] أخرجـه مسلم (٢٣٦٢) كـتاب الفـضائل، باب وجـوب امـتـثال مـا قاله شـرعًا دون مـا ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي.

فنجَوا. وكذَّبتْ طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيشُ فأهلكَهم واجتاحَهم. فذلك مثَلُ من أطاعني فـاتَّبعَ ما جئتُ به، ومن عصاني وكـذَّب ماجئتُ به من الحق». متفق عليه.

١٤٩ ـ * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلى كـمثَلِ رجلٍ استَوْقدَ نارًا، فلمَّـا أضاءتْ ما حـولَها، جـعلَ الفَراشُ وهذه الدوابُّ التي تقعُ في النـار يقَعْنَ فيهـا، وجعل يحجُزُهنَّ ويغلِبْنه فـيَتقَحَّمْنَ فـيها، فأنا آخذٌ بحُـجَزكم عن النار، وأنتم

القرينة الأولى: فـأطاعنى، وقابله فى الثانيـة: بكذب؛ ليؤذن بأن الإطاعة مـسبوقة بالتـصديق، ويشعـر أن التكذيب مستـتبع للعـصيان، كـأنه جمع فى كل من الفقـرتين بين المعنيين، وإلى المعنيين أشـار بقوله عليـه الصلاة والسـلام: «من أطاعنى» إلى آخره. وأتبع قـوله: «اجتـاحهم» قوله: «أهلكهم» إعلامًا بأنه أهلكهم عن آخرهم، فلم يبق منهم أحد. «شف»: ذكر العينين إرشاد إلى أنه ﷺ تحقق عنده جـميع ما أخـبر عنه تحقـق من رأى شيئًـا بعينيه، لا يعـتريه وهم ولا يخالطه شك. والله أعلم.

الحديث الـعاشر عن أبى هريـرة رضي الله عنه: قوله: «اسـتوقد» بمعنى أوقـد، ولكن الأول أبلغ، كعف واستعف. «والإضاءة» فرط الإنارة ، واشتقاقه من الضوء، وهو ما انتشر من الأجسام النيرة، ويقال: أضاءت النار، وأضاءت غيرها، يتعـدى ولا يتعدى، فإن جعل متعديًا يكون«ما حوله» مـفعولا به، وإن جـعل لازمًا يجوز أن يكون «مـا حوله» فاعلا لـه على تأويل الأماكن، ويجوز أن يكون فاعله ضمير النار، «وما حوله» ظرف، فيجعل حصول إشراق النار في جوانبها بمنزلة حصولهـا نفسها فيها مـبالغة. وحول الشيء جانبه الذى يمكنه أن يـحول إليه، أو سمى بذلك اعتبـارًا بالدوران والإطافة، ويقال للعام حول؛ لانه يدور. وفى رواية مسلـم: «ما حولها» فيكون الضمير راجعًا إلى النار. وفى رواية البخاري: «ما حوله» كما في التنزيل، والضمير راجع إلى المستوقد. والفراش ما يتعاقب في النار.

قوله: «فيتقحمن فيها» التقحم الإقدام والوقوع فى الأمور الشاقة من غير تثبت. قوله: «أنا آخذ بحجزكم» الحجز جمع حجزة، وهى معقد الإزار والسراويل. قال الشيخ الإمام محيي الدين: «أنا آخذ بحـجزكم» يروى بوجهين: أحـدهما اسم فاعل بكـسر الخاء وتنوين الذال، والثـانى فعل مضارع بضم الخاء، والأول أشهر، وهما صحيحان.

---

[١٤٩] أخرجه مسلم (٢٢٨٤) كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته، ومبالغته فى تحذيرهم مما يضرهم.

تَقَحَّمونَ فيها». هذه رواية البُخاري، ولمسلم نحوُها، وقال في آخرها: قال: «فذلك مثَلي ومثَلُكم، أنا آخُذُ بحُجزكم عن النار: هَلم عن النار، هَلم عن النار! فتغلبوني. تَقَحَّمونَ فيها». متفق عليه.

قوله: «هلم عن النار» قال الخليل: أصله لم، أي لم أنفسكم إلينا بالقرب مناه، و«هاء» للتنبيه، وإنما حذفت ألفها لكثرة الاستعمال، وجعل اسمًا واحدًا يستوى فيه الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث فى لغة أهل الحجاز، قال الله تعالى: ﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا﴾[1]. وقيل: أصله هل أم، أى هل لك في كذا، أمه ـ أى قصد؟ فركب [الكلمتان][*]، فقيل: هلم ومعناه هلم إلى،أعزب عن النار. ومحل«هلم» نصب على الحال من فاعل«آخذ» أى آخذ بحجزكم قائلا هلم.

قوله: «فتغلبونى» النون مشددة منه؛ لأن أصله فتغلبوننى، فأدغم أحد النونين فى الأخرى، والفاء فيه سببية على التعكيس، كالكلام فى قوله: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنًا﴾[2] وتقديره: أنا آخذ بحجزكم لأخلصكم عن النار، فعكستم وجعلتم الغلبة مسببة عن الأخذ. وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل بوقوع الفراش إلى النار لجهله بما يعقبه التقحم فيها من الاحتراق والهلاك.

أقول: ولتحقير شأنها قال: «وهذه الدواب» ، كقوله تعالى: ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾[3]، وقول عائشة رضي الله عنها في حق عبد الله بن عمرو رضى الله عنه: «عجبت لابن عمرو هذا». وتخصيص ذكر الدواب والفراش لا يسمى دابة عرفًا لبيان جهلها، كقوله تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم﴾[4] كل ذلك تعريض لطالب الدنيا المتهالك فيها، والتأنيث فى«هذه» باعتبار الخبر لأنه جمع، ويجوز أن يراد بالفراش الجنس فيؤنث كما فى قوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتًا﴾.[5] وفى جعل رسول الله ﷺ المهلكات نفس النار فى قوله: «فأنا آخذ بحجزكم عن النار» وضع للمسبب موضع السبب، كما فى قوله تعالى: «الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارًا»[6].

واعلم أن تحقيق هذا التشبيه موقوف على معرفة معنى قوله تعالى: ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾[7]وذلك أن حدود الله هى محارمه ونواهيه، كما ورد: «ألا! إن حمى الله محارمه، ورأس المحارم حب الدنيا وزينتها، واستيفاء لذاتها وشهواتها» شبه إظهار تلك الحدود ببياناته الشافيه الكافية من الكتاب والسنة باستيقاد الرجل

---

(١) الأحزاب: ١٨. (٢) القصص: ٨ . (٣) المدثر: ٣١.
(٤) الأنفال: ٢٢ . (٥) النحل: ٦٨ . (٦) النساء: ١٠.
(٧) البقرة: ٢٢٩.
(*) الكلمتان: نائب فاعل مرفوع بالألف لأنه مثنى، والفعل (رُكب) ترك تأنيثه جوازاً.

النار، وشبه فشو ذلك الكشف فى مشارق الأرض ومغاربها بإضاءة تلك النار ما حول المستوقد، وشبه الناس وعدم مبالاتهم بذلك البيان والكشف، وتعديهم حدود الله، وحرصهم على استيفاء تلك اللذات والشهوات، ومنع رسول الله ﷺ إياهم عنه بأخذ حجزهم ـ بالفراش التي يقتحمن فى النار، ويغلبن المستوقد على دفعه إياها عن الاقتحام، وكما أن المستوقد كان غرضه من فعله انتفاع الخلق به من الاهتداء والاستدفاء وغير ذلك، والفراش بجهلها جعلت له سببًا لهلاكها ـ كذلك كان القصد بتلك البيانات اهتداء الأمة وانتهاؤها عما هو سبب هلاكهم، وهم مع ذلك لجهلهم جعلوها موجبة لترديهم. وفى قوله: «آخذ بحجزكم» استعارة مثلت حالة منعه الأمة عن الهلاك بحالة رجل أخذ بحجزة صاحبه الذى يهوى أن يهوى في قعر بئر مردية.

وفى رواية البخارى: «فأنا آخذ» بالفاء، فالفاء فيه فصيحة، كما في قوله تعالى: ﴿**أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه**﴾[1] فإنه تعالى لما سأل بقوله: «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا» وأجابوا: لا، قال: فإذا كان كذلك«فكرهتموه» وكذلك أنه عليه الصلاة والسلام لما قال: «مثلي ومثل الناس» أى صفتى وصفة الناس، ثم شرع في بيان المشبه به بقوله: «مثل رجل» إلى آخره، وعلم أنه ما يقابله على ما بيناها آنفًا ـ أتى بما هو أهم وأولى منها، وهو قوله: «فأنا آخذ بحجزكم» بالفاء، كأنه قيل: إذا صح هذا التمثيل، وأنا مثل المستوقد، وأنتم كالفراش تقتحمون في النار ـ فأنا آخذ بحجزكم، ولهذه الدقيقة التفت من الغيبة فى قوله: «مثل الناس» إلى الخطاب في قوله: «فأنا آخذ بحجزكم» كما أنك إذا أخذت فى حديث من لك عناية بشأنه، والحال أنه مشتغل بشيء يورطه في الهلاك، ثم أنك من غاية رأفتك عليه وشدة حرصك على نجاته تجد في نفسك أنه حاضر عندك فتتحرى خلاصه.

وفيه إشارة إلى أن الإنسان إلى النذير أحوج منه إلى البشير، ولذلك أفرده فى قوله تعالى: ﴿**تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا**﴾[2] وذلك أن جبلة الإنسان مائلة إلى الحظوظ العاجلة دون الآجلة، كما قال الله تعالى: ﴿**كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة**﴾[3] فأوجب قلعها أولا ليتمكن من تحري ما يزلفه إلى الله تعالى، ومن ثم قيل: التحلية بعد التخلية. وفى الحديث إظهار لرأفته ورحمته على الأمة، وحرصه على نجاتهم، كما قال الله تعالى: ﴿**عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾[4].

---

(١) الحجرات: ١٢..

(٢) الفرقان: ١.

(٣) القيامة: ٢٠ ـ ٢١.

(٤) التوبة: ١٢٨.

١٥٠ ـ * وعن أبي موسى، قـال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَثَلُ مـا بعثَني اللهُ به من الهُدى والعِلم كمثَلِ الغَـيثِ الكثير أصابَ أرضًا، فكانت منها طائفـةٌ طيّبة قَبِلت الماء، فأنبَتت الكلأ والعُشب الكثير، وكانت منها أجادبُ أمسكت الماء، فنفع اللهُ بها الناسَ، فشربوا وسقَوا وزَرَعوا، وأصابَ منهـا طائفةً أخرى، إنما هي قيعانٌ لا تمسك ماءً، ولا

الحـديث الحادى عـشـر عن أبي مـوسى: قوله: «الهـدى والعلم» أي الطريـقة والعـمل. روى: «من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد مـن الله إلا بعدًا». و«الغيث» المطر، وإنما اختـير الغيث على سائر أسماء المطر ليؤذن باضطرار الخلق إليه حينئذ، قال الله تعالى: ﴿**هو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا**﴾ (١) وقد كان الـناس في الزمان الأول قبل المبعث وهم على فـترة من الرسل، وقد امتـحنوا بموت القلب ونضوب العلم، حتى أصابهم الله برحمـة من عنده، فأفاض عليهم سـجال الوحي السماوى، فـأشبهت حـالهم حال من توالت عليهم السنون، وأخلفـتهم المحامل، حتى تداركهم الله بلطفه، وأرخت عليهم السماء، غير أنه كان حظ كل فريق من تلك الرحمـة على ما ذكره من الأمثلة والنظائر، وإنما ضـرب المثل بالغيث للمشـابهة التى بينه وبين العلم، فإن الغيث يحيى البلد الميت، والعلم يحيى القلب الميت.

قوله: «وكانت منها طائـفة طيبة» الطائفة من الشىء قطعة منه. قـال الشيخ محى الدين: كذا هو في جميع نسخ مسلم: «طائفة طيبة». ووقع فى البخارى: «وكانت منها نقية» قلبت الطاء بنون مفتوحة، ثم قاف مكسورة، ثم ياء مـثناة من تحت مشددة، وهو بمعنى طيبة، هذا هو المشهور في روايات البخـارى. و«العشب والكلأ والحـشيش» كلهـا اسم للنبات، لكن الحـشيش مـختص باليابس، والعشب والكلا ـ مقصورًا ـ مخـتصان بالرطب، والكلأ ـ بالهمزة ـ يقع على اليابس والرطب، و«الأجـادب» ـ بالجيم، والدال المهـملة ـ هى الأرض التى لا تنبت كـلأ. «خط»: هي الأرض التى تمسك الماء، فلا يسرع فيه النضوب.

وقال الشيخ محى الدين عن بعضهم: إنما هي «أخاذات» بالخاء والذال المعجمتين جمع أخاذة، وهى الغدير الذى يمسك الماء، والضـمير فى «بهـا» يرجع إلى أجادب. قال المظهر: وفـيه بحث يذكر. و«القيـعان» بكسر القاف جمع قـاع، وهو الأرض المستوية. «فقه» بضم القـاف وكسرها، والمشهور الضم، إذا فهم وأدرك الكلام.

[مظ](*): اعلم أنه ذكر في تقسيم الأرض ثلاثة أقسام، وفي تقسيم الناس باعتبار قبول العلم قسـمين: أحدهمـا «من فقه فى دين الله ـ إلى آخـره»، «والثانى من لم يرفع بذلـك رأسًا» يعنى تكبر ولم يقبل الدين، يقـال: لم يرفع فلان رأسه بهذا، أى لم يلتفت إليـه من غاية تكبره، وإنما ذكره كـذلك لأن القسم الأول والثانى من أقسـام الأرض كقسم واحد من حـيث إنه منتفع

---

(١) الشورى: ٢٨.

(*) فى «ط» (تو) وما أثبتناه من «ك».

تُنبتُ كلأً. فذلك مَثَلُ من فقُهَ في دين اللهِ ونفَـعَه ما بعَثني اللهُ به فعَلِم وعَلَّم، ومثَلُ من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقْبلْ هُدى اللهِ الذي أُرسِلتُ به». متفق عليه.

به، وكذلك الناس قسـمان: أحدهما من يقبل العلم وأحكام الدين، والثانى من لا يقـبلهما هذا يوجب جعل الناس فى الحـديث على قسمين: أحدهـما ينتفع به، والثانى: لا ينتـفع. وأما فى الحقـيقة الناس عـلى ثلاثة أقسام: فـمنهم من يقبل العلم بقـدر ما يعمل بـه ، ولم يبلغ درجة الفتوى والتدريس وإفادة الناس، فهو القسم الأول، ومنهم من يقبل من العلم بقدر ما يعمل به، ويبلغ أيضًا درجة الفتوى والتدريس وإفادة الناس، وهو القسم الثانى، ومنهم من لا يقبل العلم، وهو القسم الثالث.

أقول: اتفق الشارحون على الوجه الثانى، وظاهر الحديث ينصر الأول؛ لأن شطره الأول من التمثيل مـركب من أمرين، وذلك أن«أصاب منها طائفة» معطوف على«أصاب أرضًـا» والضمير فى«منهـا» يرجع إلى مطلق الأرض المدلول عليـه بقـوله: «أرضًـا»، ثم قسـمت الأرض الأولى - بحرف التـعقيب فى «فكانت» ، وعطف«كـانت» على«كانت» - قسـمين، فيلزم اشتـمال الأرض الأولى على الطائفة الطيـبة وعلى الأجادب، والثانيـة على عكسها، فالواو فى« وكـانت» ضمت وترًا إلى وتر، وفى«أصابت» شـفعًا إلى شـفع. نظيره قـوله تعالى: ﴿**وما يستـوى الأعمى و البصير ولا الظلمات ولا النور**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**إن المسلمين والمسلمات**﴾[2].

«الكشاف»[3]: الفـرق بين عطـف الإناث على الذكـور، وعطف الزوجـين على الزوجين أن الإناث والذكور جنسان مختلفان، إذا اشتـركا في حكم لم يكن بد من توسطة العاطف بينهما، وأما العطـف الثانى فمن عـطف الصفة على الـصفة بحـرف الجمع، وكـان معناه أن الجـامعين والجامعات لهذه الطاعات أعد الله لهم.

وأيضًا أن أصل التـمثيـل مركب من أمرين: الهـدى ، والعلم، لتغـايرهما في الاعتـبار، ويعضده مراعاة معنى التقـابل بين الكلامين، من إثبات إنبات الكلأ، وإمساك الماء في أحدهما، ونفيهـما فى الآخر على سبيل الحصـر بقوله عليه الصلاة والسلام، ثـم تعقبهما بالتـفصيل فى قوله: «فـذلك مثل من فقـه فى دين الله ونفعه» إلى آخر الحـديث؛ لأنه ذكر المثل فيـه مرتين. ويؤيده ما ذكـره الشيخ محـيى الدين النواوى: أن«رعوا» بالراء من الرعى، هكذا هو في جـميع نسخ مسلم، ووقع في البخارى: «وزرعوا» وكلاهما صحيح - انتهى كلامه.

وإنما قلنا: هذه الرواية تـؤيد ما ذكـرنا؛ لأن فى الكلام لفًـا ونشرًا، فـإن«رعـوا» مناسب لـ «أنبت الكلأ، وفشـربوا، وسقوا الأجادب، وأمـسكت الماء»، فيكون الضمير فى «نفع الله بها» لأرض ومعنى كلاهـما صحيح؛ لأن«زرعوا» أيضًـا متعلق بالأول لا بالأجادب، فـإنها لا تكفى الشرب والسقى فـضلا عن الزرع، فعلى هذا قد ذكر فى الحديث الطرفـان: العالى فى الاهتداء، والغالى فى الضلال، فعبر عمن قبل هدى الله والعلم بقوله: «فقه فى دين الله - إلى آخره» وكنى عمن أبى قبولها بقوله: «لـم يرفع بذلك رأسًا» وبقوله: «لم يقبل هدى الله» ؛ لأن الثانى عطف

---

(١) فاطر: ١٩- ٢٠.　(٢) الأحزاب: ٣٥.

(٣) الكشاف: (٣/ ٢٣٦).

١٥١ ـ * وعن عائشة ، قالت: تلا رسولُ الله ﷺ: (هو الذي أنزلَ علَيْكَ الكتابَ منهُ آياتٌ مُحكمَاتٌ)، وقرأ إلى: (وما يذَّكَّرُ إلا أولو الألْباب). قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت ـ وعند مسلم: رأيتم ـ الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سماهم الله، فاحذروهم» متفق عليه .

تفسيرى للأول، وترك الوسط، وهو قسمان: أحدهما الذى انتفع بالعلم في نفسه فحسب، والثانى الذى لم ينتفع هو بنفسه، ولكن نفع الغير.

وفى الحديث إشعار بأن الاستعدادات ليست بمكتسبة، بل هي مواهب ربانية يختص بها من يشاء، وكمالها أن يفيض الله عز وجل عليها من المشكاة النبوية، فإذا وجد من يشتغل بغير الكتاب والسنة وما والاهما علم أن الله لم يرد به خيرًا، فلا يعبأ باستعداده الظاهر، وأن الفقيه هو الذى علم وعمل ثم علم، وفاقد أحدهما فاقد هذا الاسم، وأن العالم العامل ينبغى أن يفيد الناس بعمله، كما يفيد بعلمه، ولو أفاد بالعمل فحسب لم يحظ منه بطائل، كأرض معشبة لا ماء فيها، فلا يمرأ مرعاها، ولو اقتصر على القول لأشبه السقى مجردًا عن الرعى، فيشبه آخذه المستسقى، ولو منعهما معًا كان كأرض ذات ماء وعشب حماها بعض الظلمة عن مستحقيها. قال:

ومن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم.

الحديث الثانى عشر عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «هن أم الكتاب» سميت بها لأنها بينة فى نفسها، مبينة لما عداها من المتشابهات، فهي كالأصل لهما، كما سميت مكة أم القرى لدُحوّ الأرض منها. قد افتقرنا في بيان هذا الحديث إلى الكشف عن المراد بالمحكم والمتشابه، فيتضح المحق من المبطل من أبواب التأويل، فنقول ـ وبالله التوفيق ـ: المراد بالمحكم ما اتضح معناه، والمتشابه بخلافه؛ لأن اللفظ الذى يفيد معنى إما أن يحتمل غيره أو لا، الثانى النص، والأول إما أن تكون دلالته على ذلك المعنى راجحة أو لا، والأول هو الظاهر، والثانى إما أن تكون مساوية أو لا، والأول هو المجمل، والثانى المؤول؛ فالمشترك بين النص والظاهر هو المحكم، وبين المجمل والمؤول هو المتشابه. هكذا ينبغى أن يقسم؛ لأنه تعالى أوقع المحكم مقابلا للمتشابه فى قوله تعالى: «منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات» وهو ما لم يتضح معناه، فالواجب أن يفسر المحكم بما يقابله مما يتضح معناه.

ويعضد ما ذكرنا أسلوب الآية، وهو الجمع بين التفريق والتقسيم. وذلك أنه تعالى لما فرق ما جمع في معنى الكتاب بأن قال: ﴿**منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات**﴾(١) أراد أن يضيف إلى كل منهما ما يناسبهما من الحكم، قال أولا: ﴿**فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه**﴾ وثانيًا: ﴿**والراسخون في العلم يقولون آمنا**﴾(١) وكان من الظاهر أن

---

(١) آل عمران: ٧.

١٥٢ ـ * وعن عبد الله بن عمرو، قال: هجَّرتُ إلى رسول الله ﷺ يومًا، قال:

يقال: فأما الذين في قلوبهم استقامة فيتبعون المحكم. فوضع موضع ذلك: «الراسخون في العلم يقولون آمنا» وإنما وضع «يقولون آمنا» موضع «يتبعون المحكم» لإيثار لفظ الرسوخ في الابتداء، لأن الرسوخ في العلم لا يحصل إلا من بعد التتبع التام، والاجتهاد البليغ، فإذا استقام القلب على سبيل الرشاد، ورسخ القدم في العلم ـ أفصح صاحبه النطق بالقول الحق إرشادًا للخلق، وكفى بدعاء الراسخين في العلم: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ [(١)] شاهدًا على أن ﴿والراسخون في العلم﴾[(٢)] مقابل لقوله: ﴿الذين في قلوبهم زيغ﴾[(٢)].

وفيه أيضًا إشارة إلى أن الوقف «على الله» والابتداء بقوله: «والراسخون» وقف تام، إلى أن علم بعض المتشابه مختص بالله تعالى، وأن من حاول معرفته هو الذى أشار إليه عليه الصلاة والسلام بقوله: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله زائغين، فاحذروهم». وقوله: «رأيت» وقع في صحيح البخارى بفتح التاء وكذا في بعض نسخ المصابيح على الخطاب العام، ومن ثمَّ جمعه في قوله: «فاحذروهم» ويؤيده رواية مسلم: «رأيتم». وفي بعضها بكسر التاء خطابا لأم المؤمنين، فيكون «فاحذروهم» على أسلوب قوله تعالى: ﴿يأيها النبى إذا طلقتم النساء﴾[(٣)] لأنها أم المؤمنين بيانًا لشرفها وغزارة علمها. «الكشاف[(٤)]»: كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان! افعلوا كيت وكيت، إظهارًا لتقدمه، واعتبارًا لترؤسه.

«تو»: المتشابه الذى يحذر منه، هو صفات الله تعالى التى لا كيفية لها، وأوصاف القيامة التى لا سبيل إلى إدراكها بالقياس والاستنباط، ولا سبيل إلى استحضارها في النفوس، إلا أنها معرفة على لسان الشارع. وسئل مالك بن أنس عن قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[(٥)] قال: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. السجاوندى: العقل مبتلى باعتقاد حقيقة المتشابه كابتلاء البدن بأداء العبادات، فالحكيم إذا صنف كتابًا ربما أجمل فيه إجمالاً؛ ليكون موضع جثو المتعلم لأستاذه، والملوك يكثر في أمثلتهم علامات لا تدركها العقول. وقيل: لو لم يبتل العقل الذى هو أشرف لاستمر العالم في أبهة العلم على المرودة، وما استأنس إلى التذلل بغير العبودة، والمتشابه هو موضع جثو العقول

---

(١) آل عمران: ٨ . (٢) آل عمران: ٧.

(٣) الطلاق: ١.

(٤) الكشاف: (٤/ ١٠٧).

(٥) طه: ٥.

فسمع أصوات رجُلَين اختلَفا في آية، فخرج علينا رسولُ الله ﷺ يُعْرَفُ في وجهِه الغضَبُ، فقال: «إنما هَلَكَ مَنْ كان قبْلَكم باختلافهم فى الكِتاب». رواه مسلم. [١٥٢]

١٥٣ - * وعن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أعظمَ المسلمين في المسلمين جُرْمًا مَنْ سأل عن شيء لم يُحَرَّمْ على الناس، فحُرِّمَ من أجْلِ مسألتِه». متفق عليه.

لبارئها استسلامًا واعترافًا بقصورها والتزامًا - انتهى كلامه.

وأما قوله: ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾(١) فهو تعريض بالزائغين، ومدح للراسخين، يعنى من لم يذكر ولم يتعظ ويتبع هواه ليس من أولي الألباب، ومن ثم قال الراسخون: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾(٢) خضعوا لبارئهم لاستنزال العلم اللدنى، واستعاذوا به من الزيغ النفسانى. والله أعلم.

الحديث الثالث عشر عن عبد الله بن عمرو: قوله: «هجرت» التهجير السير فى الهاجرة، وكذلك التهجر، ومنه قول النابغة: خليلى غضا ساعة وتهجرا.

«مظ»: لعل خروجه في هذا الوقت ليدركه عليه الصلاة والسلام، ويستفيد منه عند خروجه من الحجرة، فلا يفوت منه شيء مما يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من الأقوال والأفعال. وفيه تحريض على تحمل مشقة الحرارة وغيرها، والإسراع إلى المسجد، وطلب العلم.

«مح»: حذر رسول الله ﷺ عن اختلاف يؤدى إلى الكفر والبدعة، كاختلاف اليهود والنصارى، وذلك مثل الاختلاف فى نفس القرآن، أو فى معنى لا يسوغ فيه الاجتهاد، أو فيما يوقع فى شك، أو شبهة، وفتنة، وخصومة، وأما اختلاف استنباط فروع الدين منه، ومناظرة أهل العلم فيه على سبيل الفائدة، وإظهار الحق، واختلافهم فى ذلك - فليس بمنهى عنه، بل هو مأمور به، وفضيلة ظاهرة، وقد أجمع المسلمون من عهد الصحابة إلى الآن على ذلك.

الحديث الرابع عشر عن سعد رضي الله عنه: قوله: «إن أعظم المسلمين جرمًا» فرع على قوله: «أجرم المسلمين» وفيه من المبالغة أنه جعل نفسه عظيمًا ففخم، ثم فسره

---

[١٥٢] أخرجه مسلم (٢٦٦٦) كتاب العلم، باب النهى عن اتباع متشابه القرآن، والتحذير من متبعيه.

(١) آل عمران: ٧.

(٢) آل عمران: ٨.

١٥٤ـ * وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يكونُ في آخرِ الزمان دجَّالون كذَّابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤُكم، فإيَّاكم وإيَّاهم، لا يُضلونكم ولا يَفتنونكم». رواه مسلم. [١٥٤]

بقوله: «جرمًا» ليدل على أن الأعظم نفسه جرم، كقوله تعالى: ﴿وفجرنا الأرض عيونا﴾(١). «وفي المسلمين» أي في حقهم وجهتهم، وإنما كان أعظم لأن سراية هذا الضرر عمت المسلمين إلى انقراض العالم. وبيان ذلك أن القتل وإن كان أكبر الكبائر بعد الشرك فإنه يتعدى إلى القاتل، أو إلى عاقلته، أو إلى قبيلته، ولكن جرم من حرم ما سئل عنه لأجل مسألته، فإنه تعدى في سائر المسلمين، فلا يمكن أن يوجد جرم ينتهي في معنى العموم إلى هذا الحد.

السؤال في كتاب الله تعالى، وفي الحديث نوعان: أحدهما ما كان على طريق التكلف والعنت، وهو مكروه ينهى عنه، وكل ما كان من هذا الوجه ووقوع السكوت عن جوابه فإنما هو ردع وزجر للسائل، فإن وقع الجواب عنه فهو عقوبة وتغليظ.

«مظ»: هذا في حق من سأل عبثًا وتكلفًا كمسألة بني إسرائيل في بيان البقرة؛ دون من يسأل سؤال حاجة، فهو مثاب، لقوله تعالى: ﴿فاسئلوا أهل الذكر﴾ (٢) واحتج بهذا الحديث من يذهب إلى أن أصل الأشياء قبل ورود الشرع بها على الإباحة، حتى يقوم دليل على الحظر.

الحديث الخامس عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «الدجالون» المزورون الملبسون، سمي دجالا لتمويهه على الناس، وتلبيسه الباطل بما يشبه الحق. يقال: دجل إذا موه ولبس. «تو»: يقول: سيكون جماعة يقولون للناس: نحن علماء ومشايخ، وندعوكم إلى الدين، وهم كاذبون في ذلك، ويتحدثون بالأحاديث الكاذبة، ويبتدعون أحكامًا باطلة، واعتقادات فاسدة، «فإياكم» أي احذروهم، انتهى كلامه.

قيل: يجوز أن تحمل «الأحاديث» على المشهور عند المحدثين، فيكون المراد بها الموضوعات وأن يراد بها ما هو بين الناس، أي يحدثونكم بالذي ما سمعتم عن السلف من علم الكلام، فإنه لم يتكلم فيه الصحابة والتابعون.

قال محيي السنة في شرح السنة: واتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلمه. سأل رجل عمر بن

---

[١٥٤] أخرجه مسلم (١٤) في مقدمته في النهي عن الرواية عن الضعفاء (١/ ٦٥) ط الشعب.

(١) القمر: ١٢.

(٢) الأنبياء: ٧.

عبد العزيز عن شيء من الأهواء، فقال: الزم دين الصبى فى الكتاب والأعرابى، واله عما سوى ذلك.

وقال مالك بن أنس: وإياكم والبدع، قيل: ياأبا عبد الله! وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون فى أسماء الله، وصفاته، وكلامه، وعلمه، وقدرته، لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وقال: لو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلموا فى الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل.

وسئل سفيان الثورى عن الكلام فقال: دع الباطل، أين أنت من الحق؟ اتبع السنة ودع البدعة. وقال: وجدت الأمر فى الاتباع، وقال: عليكم بما عليه الجمالون، والنساء فى البيوت، والصبيان فى الكتاب من الإقرار والعمل.

وقال الشافعى: لأن يبتلى المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير من أن يبتلى بالكلام. وقال: حكمى فى أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم فى العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك السنة والكتاب، وأخذ فى الكلام.

فإن قلت: كيف الجمع بين هذا الذم البليغ فى أمر الكلام، وبين قول الشيخ محيي الدين فيما سبق: إن علم الكلام من البدع الواجبة؟ قلت: إن الوجوب من حيث الضرورة من غلو المبتدعة والملاحدة، فحينئذ واجب على المسلمين دفعهم، ورفع شبههم، والمحذور جعله صنعة وعادة، ولهذا كان تعلم علم الكلام من فروض الكفايات كسائر الصناعات المباحة، وشبه حجة الإسلام المتكلم (بالدرقة)*.

قوله: «لا يضلونكم ولا يفتنونكم» النون مانعة عن أن يكون جوابًا للأمر، ففيه وجهان أحدهما: أن يكون إخبارًا، فكأنه لما قيل لهم: احذروا أنفسكم عنهم، واحذروهم أن يتعرضوا لكم، قيل: ماذا يكون بعد الحذر؟ فأجيب لا يضلونكم، كقوله تعالى: **﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾** (1) إذا قرئ بالرفع على إرادة الإخبار، وينصره قراءة أبى حيان: لا يضيركم. وثانيهما: أن يكون خبرًا بمعنى النهى، كقوله تعالى **﴿وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله﴾** (2) وهذا أبلغ من صريح النهى، كأن المطلوب قد حصل، وهو يخبر عن حصوله، فيكون النهى تأكيدًا للأمر، كأنه قيل: احذروهم ولا تتعرضوا، لما إن تعرضتم له يضلونكم كقوله تعالى: **﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾** (3) وقوله تعالى: **﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها﴾** (4).

(1) المائدة: ١٠٥ (2) البقرة: ٨٣
(3) الأنفال ٢٥ (4) طه: ١٦

* في (ك) كلمة كأنها (بالبذرقة) بالذال أو الدال، وفي (ط): (بالدرقة) ومعناها: الترس، ولعلها أرجح وأوفق للسياق، نظرًا إلى أنه يدافع عن العقيدة في رأى من سوّغ علم الكلام لذلك.

١٥٥ ـ * وعنه، قال: كـان أهل الكتاب يقـرؤون التوراة بالعبـرانيَّة، ويفسِّـرونها بالعربيَّة لأهل الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: « لا تُصَدِّقُوا أهل الكتابِ ولا تُكذِّبوهم و (قولوا آمنَّا باللهِ وما أنزِل إلينا) »الآية. رواه البخارى.

١٥٦ ـ * وعنه، قال: قـال رسول الله ﷺ: «كـفى بالمرءِ كَذِبًا أن يحـدِّثَ بكل ما سمع» رواه مسلم. [١٥٦]

الحديث السادس عشر عن أبى هريرة رضى الله عنـه: قوله: «لا تصدقوا أهل الكتاب» يعنى إذا حدثت اليـهود والنصـارى بشىءمن التوراة والإنجيـل لا تصدقوهم، لعلهم حـدثوكم بما هو محرف ومختلط منهما، ولا تكذبوهم أيضًا لاحـتمال أن يكونوا حقا وصدقًا، بل قولوا: ﴿**آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم**﴾ [١] الآية، إن كان حقا آمنا به لأنا آمنا بجميع الرسل، وبما أنزل إليهم من الله تعالى، وإن لم يكن حقـا فلا نؤمن به، ولا نصدقه أبدًا. «حس»: هذا أصل فى وجوب التـوقف عمـا يشكل من الأمور والعلوم، فلا يقـضى فيـه بجواز ولا بطلان، وعلى هذا كـان السلف. سئل عثـمان رضى الله عنه عن الجـمع بين الأختين من ملـك اليمين، قال: أحلتهما آية، وحرمتهما آية. ولم يقض فيه بشىء.

الحديث السابع عشر عن أبى هريرة رضى الله عـنه: قوله: «كفى بالمرء كذبًا» «مظ»: «كذبًا» منصوب على التمييز، و «أن يحـدث» فاعل «كفى» و «بالمرء» مفعوله، يعنى لو لم يكن للرجل كذب إلا تحديثه بكل مـا سمع ـ من غير تبينه أنه صدق أو كذب ـ يكفيـه وحسبه من الكذب؛ لأن الرجل إذا تحدث بكل ما سمع لم يخلص من الكذب؛ لأن جميع ما يسمع الرجل لا يكون صدقًـا، بل يكون بعضـه كذبًا. وهذا زجـر عن التحـدث بشىءلم يعلم صدقـه، بل يلزم على الرجل أن يبحث فى كل مـا سمع من الحكايات والأخبـار، وخاصة من أحاديث الرسـول عليه الصلاة والسلام، فإن علم صدقه يتحدث، وإلا فلا يتحدث.

أقول: لعل محـيي السنة مال إلى أن الحديث ورد فى الأحاديث النبوية خـاصة، حيث أورد هذا الحديث فى باب الاعتصام بالكتاب والسنة، ويعضده ما روي: «حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج».

---

[١٥٦] أخرجه مسلم (٥) فى مقدمته، باب النهى عن الحديث بكل ما سمع.

(١) البقرة: ١٣٦.

١٥٧ ـ * وعن ابن مسعـود، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مـن نبى بعثَه اللهُ فى أمَّته قبلى إلا كان له فى أمَّته حَوارِيُّون وأصـحابٌ يأخُذون بسُنته، ويقتَدون بأمرِه، ثم إنها تخلُفُ من بعـدهم خُلُوفٌ يقولون ما لا يفـعلون، ويفعلون ما لا يؤمـرون، فَمن

الحديث الثامـن عشر عن ابن مسعـود: قوله: «فى أمته قـبلى» «تو»: هذا الحرف أعنى «فى أمة» وجـدنا فى نسخ المصابيح «فى أمـته» بزيادة هاء، ونحن نرويه بغـير هاء عن كتـاب مسلم وغيره، وهو الصواب، والأمثل فى فصيح الكلام.

قال المؤلف: وقد وجدت في كتاب الحميـدى والجامع والمشارق بغير هاء، وفى صحيح مسلم كما فى المصابيح.

«مظ» الرواية بالهاء أصح. وأقول: إن قـوله: «نبى» نكرة، والمناسب أن يؤتى «أمة» نكرة، إذ المعنى ما من نبى من الأنبياء فى أمة من الأمم،لاقتضاء «ما» النافية و «من» الاستغراقية ذلك، ولأن قوله: «كان له من أمته» عبارة عن النكرة، فهو كالتعريف باللام بعد النكرة.

«الحوارى» الناصر، وأصله أن أصحـاب عيسى عليه السلام كانوا قصارين يبـيضون الثياب، فلما صاروا أنصاره قيل لكل ناصر لنبيه: حوارى، وهو الوجه المستقيم؛ لأنهم خلصان الأنبياء، ولأن حوارى الرجل صفـوته وخالصته الذى أخلص ونقى من كل عـيب. و«الخلف» بالتحريك والتسكين، وخص الأول بالخلف الصدق، والثانى بالـسوء، ويجمع خلف على أخلاف، كسلف وأسلاف، وخلف على خلوف، كعدل وعدول، والمعنى أنه يجىءمن بعد أولئك السلف الصالح أناس لا خير فيهم، ولا خلاق لهم فى أمور الديانات.

وقوله: «حبة خردل» يـعنى أدنى مراتب أهل الإيمان تضطرب قلوبهم لظهور المنكر، ويكون منه فى جهـد وعناء، حتى لا يستقـر، ولا ينقطع النزاع عنها، فإن استـقرت على ذلك وانقطع عنهـا النزاع الذى هو حق الإيمان وسـمت المؤمنين وسمـتهم ـ أذنـت بأنها خـالية عن القـوى الإيمانية، عرية عن الصفات النورانية.

وأقول: إن ذهب إلى الرواية الصحـيحة يكون «من قبلى» صفة «أمـة»، وإلى الأخرى يجوز أن يتعلق بـ «نعت»، أو يكون حالا من «أمته»، و «أصحاب» يجوز أن يكون عطفًا تفسيريًا على «الحواريون»، وأن يكون الأصحاب غير الحواريين. و «ثم» هھـنا يجوز أن يجرى على الحقيقة، وعلى معنى البـعد فى المرتبة. والضمـير فى «أنها» للقصـة،والجملة بعدها مفـسرة لها، وصف الخلوف بوصفين مقابلين، لما وصف الأصحاب بهما فهم تصلفوا، حيث قالوا: فعلنا ما أمرنا به من واجبات الدين، وفضائل الأعمال، ولم يفـعلوا شيئًا من ذلك، بل فعلوا ما نهوا عنه، وهو

جاهدهم بيدِه فهو مؤمنٌ، ومن جاهدهم بلِسـانِه فهو مؤمنٌ، ومن جاهدهم بقَلبِه فهو مؤمنٌ، وليس وراءَ ذلك من الإيمان حَبَّةُ خردلٍ» رواه مسلم [١٥٧]

١٥٨ ـ * وعن أبي هريرة، قال: قال رسـول الله ﷺ: «مَنْ دعا إلى هُدىً كان له

المعنى بقوله: «ويفعلون ما لا يؤمرون» إذ فعل ما لم يؤمر به شرعًا من البدع المنهى عنها، ومنه قوله تعالى: ﴿كبر مـقتًا عند الله أن تقولوا مـا لا تفعلون﴾(١) بخلاف السلف الصـالح؛ فإنهم لما اقتدوا بهدى نبى الله انخرطوا فى سلك الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

والفاء فى «فمن جاهدهم» جزاء شرط محذوف، والتنكير فى «مؤمن» للتنويع، فإن الأول دل على كمال الإيمان، والثـالث على نقصانه، والمتوسط على الـقصد فيه، وفى «حـبة خردل» على نفيه بالكلية، وهى اسم ليس، و «وراء ذلك» خبره، و«من الإيمان» صفتها، قدمت فصارت حالًا منها. وذهب المظهـر إلى أن الإشارة بذلك إلى الإيمان فى المرتبة الثـالثة، ويحتـمل أن يشار به إلى المذكور كله، أى ليس وراء ما ذكرت من مراتب الإيمان مرتبة قط؛ لأن من لم ينكر بالقلب رضى بالمنكر، والرضى بالمنكر كفر، فتكون هذه الجملة المصـدرة بليس معطوفة على الجملة قبلها بكمالها.

الحـديث التاسع عـشر عن أبى هريـرة رضى الله عنه: قوله: «من دعـا إلى هدى» «قض»: أفعال العبـاد وإن كانت غير موجبة ولا مـقتضية للثواب والعقـاب بذواتها إلا أنه تعالى أجرى عادته بربط الثواب والعقاب بهـا ارتباط المسببات بالأسباب، وفعل العـبد ما له تأثير فى صدوره بوجه، فكما يترتب الثواب والعقاب على ما يباشره ويزاوله، يترتب كل منهما على ما هو سبب عن فعله. كـالإرشاد إليـه، والحث عليه، ولما كانت الجـهة التى بها اسـتوجب المسـبب للأجر والجزاء غير الجهة التى استوجب بها المباشر ـ لم ينقص أجره من أجره شيئًا.

أقول: «هدى» وهو إما الدلالـة الموصلة إلى البغية، أو مطلق الإرشـاد، وهو فى الحديث ما يهتدى به من الأعمال الصالحة، وهو بـحسب التنكير مطلق شائع فى جنس ما يقال له: هدى، يطلق على القليل والكثيـر، والعظيم والحقير، فـأعظمه هدى من دعا إلى الله، وعـمل صالحًا، وقـال إننى من المسلمين، وأدناه هدى من دعـا إلى إماطـة الأذى عن طريق المؤمنين، ومن ثم عظم شأن الفقيه الداعى المنذر، حتى فضل واحد منهم على ألف عابد؛ لأن نفعه يعم الأشخاص

---

[١٥٧] أخرجه مسلم (٥٠) ك الإيمان، باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان.

(١) الصف: ٣.

من الأجْر مـثلُ أجورِ من تَـبِعه، لا يَنقُـصُ ذلك من أجورهم شـيئًا. ومَـن دَعا إلى ضلالةٍ، كان عليه من الإثم مِثلُ آثامِ من تَبِـعه. لا يَنقصُ ذلك من آثامهم شيئًا» رواه مسلم [١٥٨].

١٥٩ ـ * وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بدأ الإِسلامُ غريبًـا، وسيَعودُ كما بدأ، فطوبى للغُرباء» رواه مسلم [١٥٩].

والأعصار إلى يوم الدين، ونرجـو من رحمة الله وكرمه أن يكون سعـينا فى هذا الكتاب منتظمًا في هذا السلك، ويرحم الله عبدًا قال: آمينا.

الحديث العشرون عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «بدأ الإسلام» «مح»: بدأ بالهمزة من الابتداء، كذا ضـبطناه. «تو»: يريد أن الإسلام لما بدأ فى أول الوهلة نهض بإقامـته والذب عنه أناس قليلون من أشـياع الرسـول صلى الله عليه وسلم، ونزاع الـقبائل فـشردوهم عن الـبلاد، ونفوهم عن عقر الديار، يصبح أحدهم معتزلًا مهجورًا، ويبيت منتبذًا وحدانًا كالغرباء، ثم يعود آخرًا إلى مـا كان عليه، لا يكاد يوجد من القـليلين إلا الأفراد. ويحتـمل أن تكون المماثلة بين الحالة الأولى والحالة الأخيرة لقلة من كـانوا يتدينون به فى الأول، وقلة من كانوا يعملون به فى الآخر، فطوبى للغرباء المتمسكين بحبله المتشبثين بذيله.

أقول: لا يخلو إما أن يستعار الإسلام للمسلمين ، فالغربة هى القرينة، فيرجع معنى الوحدة والوحشة إلى نفس المسلمين، وإما أن يجـرى الإسلام على الحقيقة، فالكلام فيـه على التشبيه، والوحدة والوحشة باعـتبار ضعف الإسلام وقلته، فعلى هذا «غريبًـا» إما حال، أى بدأ الإسلام مشابهًـا للغرباء، أو مفعولا مطلقـًا، أى الإسلام ظهر ظهور الغرباء حين بدأ فـريدًا وحيدًا، لا مأوى له، حتى تبـوأ دار الإسلام أعنى طيبة، فطوبى له وطاب عيـشًا، ثم أتم الله نوره، فانبث فى الآفاق فبلغ مشارق الأرض ومغاربها، فيعود فـى آخر الأمر وحيدًا فريدًا شريدًا إلى طيبة كما بدأ، فطوبى له ولهـفى عليه، كمـا ورد: «الإيمان يأرز إلى المدينة كمـا تأرز الحية إلى جـحرها» فعلى هذا «طوبى» ترشيح الاستعارة والله أعلم.

---

[١٥٨] أخرجه مسلم (٢٦٧٤) ك العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.

[١٥٩] أخرجه مسلم (١٤٥) ك الإيمان، باب بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا.

١٦٠ ـ * وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الإيمان ليَأرِزُ إلـى المدينة كما تَأرِزُ الحيَّةُ إلى جُحْرِها»·متفق عليه.

وسنذكـر حديث أبى هريـرة:« ذَرُونى ما تركـتُكم» فى كـتاب المناسك، وحـديثى معـاويةَ وجابر: «لا يزالُ من أمَّـتى» و (الآخر): لا يزالُ طائفةٌ مـن أمَّتى» فى باب: ثواب هذه الأمة، إن شاء الله تعالى.

الفصل الثانى

١٦١ - * عن ربيـعة الجُـرشي. قال: أتى نبيُّ الله ﷺ، فـقيل له: لِتَنمْ عـينُك،

الحديث الحـادى والعشـرون عن أبى هريرة رضى الله عنه: قولـه: «ليأرز» أى ينضم إليـها وينقبض، يقـال: أرز يأرز أرزًا وأروزًا. ومنه الأروز للبخـيل، سمى به لأنه ينقـبض إذا سئل، والمأرز الملجأ أيضًـا. قيل: يحتـمل أن يكون هذا إخبارًا منه ﷺ عـما كان فى ابتداء الهـجرة، ويحتمل أنـه أخبر عن آخر الزمان حين يـقل الإسلام، فينضم إلى المدينة، فيـبقى فيهـا، شبه الإيمان وفرار الناس من آفات المخالفين والتجاءهم إلى المدينة ـ بانضمام الحية فى جحرها، ولعل هذه الدابة أشد فرارًا وانضـمامًا من غيرها، فـشبه بها بمجرد هذا المعنى، فـإن المماثلة يكفى فى اعتبارها بعض الأوصاف، والله أعلم.

الفصل الثانى

الحديث الأول عـن ربيعة قـوله: «أتى» «مظ» : أى أتى ملك إلى رسـول الله ﷺ وقال له ذلك، ومعناه لا تنظر بعينك إلى شيء ولا تصغ بأذنك إلى شيء ولا تجـرشيئًا فى قلبك، أى كن حاضـرًا حضورًا تامًا لتفهم هذا المثل، فأجـابه رسول الله ﷺ بأنى قد فعلت مـا تأمرنى، «فقيل لى» أى قال ذلك الملك.

أقول ـ والله أعلم ـ: قوله: «لتنم عينـك» الأوامر الثلاث واردة على الجوارح ظاهرًا وهى فى الحقيـقة لرسول الله ﷺ بأن يجمع بين هؤلاء الخلال الثـلاث فى نفسه، وأن يكون نائم العين، حاضرًا بالسمع والقلب، على ما سـبق فى الحديث الخامس من الباب: «إن العين نائمة والقلب يقظان»، وعلى هذا جوابه قال: فنامت إلى آخره، أى امـتثلت لما أمرت به، ويجوز أن لا يكون ثم قول ولا جـواب، كما قـال الله تعالى: ﴿ائتيا طوعًا أو كـرهًا قالتا أتينا طائعين﴾ (١) وقال سبحانه: ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾ (٢).

---

(١) فصلت: ١١.

(٢) البقرة: ١٣١.

ولتسمع أُذُنُك، ولْيَـعقل قلبُك. قال: فنامت عينى، وسـمعَت أذُناى، وعقَلَ قلبى».

قال: فقيل لى: سيّدٌ بَنَى دارًا، فصنَعَ فـيها مأدبةً وأرسلَ داعيًا؛ فمن أجابَ الدَّاعى، دخَل الدارَ، وأكل مـن المأدبة، ورضيَ عنه السـيـدُ، ومن لم يُجـبِ الداعىَ، ، لم يدخل الدار ، ولم يأكل من المأدبة، وسخط عليه السَّيِّد». «قال: فالله السيدُ، ومحَّمدٌ الداعى، والدارُ الإسلامُ، والمأدبةُ الجنَّة» رواه الدارمى [١٦١].

١٦٢ ـ * وعن أبى رافع، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أُلْفِيَنَّ أحَدَكم مُتكئًا على أريكتِه، يأتيه الأمرُ من أمرى ممَّا أمرتُ به أو نهـيت عنه، فيقول: لا أدرى، ما وجدنا

«الكشاف»(١) مـعنى «قال له ربه أسلم» أُخـطر بباله النظر فـى الدلائل المؤدية إلى المعرفـة والإسلام، فـقال: أسلمت، أى فنظر وعـرف، والمعنى أراد الله أن يجمع فـيه ﷺ بين أولئك المعانى، فأجمعت فيه. والقول يستعار كثيرًا فيما لا نطق فيه، كما قال الشاعر:

إذا قالت الأنساع للبطن اُلحقى ... بقول سنى للنواة طنى

وقال الجدار للوتد لم تشقـنى ... قال سل عمن يدقنـى

قوله: «فقيل لى سيـد» القول هذا على حقيقته من الملائكة كـما فى ذلك الحديث، و «سيد» مبـتدأ والخـبر «بنى» أى سيـد عظيم الشأن كـثيـر الإحسان. «شف»: يجـوز أن يكون مبـتدأ مخصوصًا بالصفة، والخبر محذوف، وأن يكون خبرًا محذوف المبتدأ ـ انتهى كلامه.

فإن قلت: كـيف شبه فى ذلك الحديث الجنة بالدار، وفى هذا الإسـلام بالدار، وجعل الجنة مأدبة؟ قلت: لما كان الإسلام سـببًا لدخول الجنة اكتفى فى ذلك الحـديث بالمسبب عن السبب، ولما كانت الدعوة إلى الجنة لا تتم إلا بالدعوة إلى الإسلام كما قال الله تعالى: **﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾**(٢) ـ استقام وضع كل منهما مقام الآخر، وحين كان نعيم الجنة وبهجتها هو المطلوب الأولى جعل الجنة نفس المأدبة مبالغة فيهما.

الحديث الثـانى عن أبى رافع: قوله: «لا ألفين» ألفيت الشئ إذا وجدته، وهـو كقولك: لا أرينك. ههنا نهى رسـول الله ﷺ نفسه عن أن تـراهم على هذه الحالة، والمراد نهـيهم عن أن يكونوا على تلك الحالة، فإنهم إذا كانوا عليها وجدهم ﷺ كذلك، فهو من باب إطلاق المسبب

---

[١٦١] ضعيف: قـال الألبانى: فى «أول سننه» وسنده ضعيف، وربيعـة الجرشى مختلف فى صحبـته، وهو نحو حديث جابر المتقدم (١٤٤).

(١) الكشاف: (١ / ٩٤).

(٢) يونس: ٢٥.

فى كتاب الله اتَّبعناه». رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وابن ماجه، والبيهقى فى «دلائل النبوة» [١٦٢].

١٦٣ ـ * وعن المقدام بن معدى كرب، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألا إنى أوتَيتُ القرآنَ ومثلَه معَه، ألاَ يوشكُ رجلٌ شبعانٌ على أريكته يقولُ: حرام عليكم بهذا القرآن، فما وجدْتم فيه من حلالٍ فأحِلُّوه، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرموه، وإنَّ ما

على السبب، ومن الكناية الإيمائية. و «الأريكة» سرير مزين فى قبة أو بيت، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة. «حس»: أراد بهذه الصفة أصحاب الترفة والبدعة الذين لزموا البيوت، وصدوا عن طلب العلم والحديث. «مظ»: أراد بالوصف التكبر والسلطنة، و «مما أمرت به» بدل من «أمرى»، ومعنى «لا أدرى» لا أدرى غير القرآن، ولا اتبع غيره.

أقول: يجوز أن يراد بقوله: «الأمر من أمرى» الأمر الذى هو بمعنى الشأن، ويكون «مما أمرت به أو نهيت عنه» بيانًا للأمر الذى هو الشأن؛ لأنه أعم من الأمر والنهى. وقوله: «فيقول: لا أدرى» مرتب على «يأتيه»، والجملة كما هى حال أخرى من المفعول، ويكون النهى منصبًا على المجموع، أى لا ألفين أحدكم حاله أنه يتكئ ويأتيه الأمر فيقول: لا أدرى.

الحديث الثالث عن المقداد: قوله: «ألا إنى أوتيت» «نه»: يحتمل هذا وجهين من التأويل: أحدهما أنه أوتى من الوحى الباطن غير المتلو مثل ما أعطى من الظاهر، والثانى أنه أوتى الكتاب وحيًا، وأوتى من التأويل مثله، أى أذن له أن يبين ما فى الكتاب، فيعمم ويخصص، ويزيد وينقص، فيكون ذلك في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن. وقيل: «ومثله معه» أى أحكامًا ومواعظ وأمثالاً تماثل القرآن فى كونها وحيًا، أو كونها واجبة القبول، وتنزه نطق رسوله عن الهوى، وأمر بمتابعته فيما يأمر وينهى، فقال عز من قائل: ﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾(١) وقال الله تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا**﴾ (٢) أو يماثله فى المقدار، ويدل على هذا قوله ﷺ فى حديث العرباض التالى لهذا الحديث: «إنها لمثل القرآن أو أكثر».

وقوله: «ألا يوشك» أى أنبهكم بأنه قريب أن يقول رجل شبعان. «قض»: إنما وصفه بـ «الشبعان» لأن الحامل له على هذا القول إما البلادة وسوء الفهم، ومن أسبابه الشبع وشره

[١٦٢] صحيح: صححه الألبانى فى صحيح أبي داود ح (٤٦٠٥) وصحيح ابن ماجه ١٣، والمشكاة وغيرها، وقال فى المشكاة: وإسناده صحيح، وقال الترمذى: حسن صحيح.

(١) النجم: ٣.

(٢) الحشر: ٧.

حرَّمَ رسولُ الله ﷺ كمـا حرمَ الله؛ ألاَ لا يَحِلُّ لكم الحمارُ الأهليّ، ولا كلُّ نابٍ من السِّبَـاع، ولا لُقطَةُ مُعاهدٍ إلاَّ أن يستغنى عنهـا صاحبُـها، ومَنْ نزَل بقومٍ، فـعليهم أن

الطعام وكثرة الأكل، وإمـا البطر والحماقة، ومن موجباته التنـعم والغرور بالمال والجاه، والشبع يكنى به عن ذلك، «وعلى أريكته» متـعلق بمحذوف فى حيز الحال، أى متكئـا أو جالسًا، وهو تأكيـد وتقرير لحـماقـة القائل وبطره وسـوء أدبه. «خط» : ذكره عـلى ما ذهب إليـه الخوارج والظواهر، فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنة التى ضمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا.

قوله: «ألا لا يحل لكم» إلى آخره، بيان للقـسم الذى يثبت بالسنة، ولم يوجد له ذكر فى الكتاب، ومنه: «ولا لقطة معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها». «خط»: مـعناه إلا أن يتركها صاحبـها لمن أخذها استغناءً عنهـا. «شف»: «يقروه» بفتح الياء، يقال: قـريت الضيف قرى، مثل قليته قلى، وقراء إذا أحسنت إليه، إذا كسرت القاف قصرت، وإذا فتحت مددت.

وقوله: «فعـليهم أن يقروه» أى سنة واستـحبابًا لا فرضًـا وإيجابًا، فإن قرى الضـيف غير واجب قطعًا، لحديث الأعرابى، وهو قوله: «هل على غـيرهن يارسول الله؟ فقال ﷺ: لا، إلا أن تطوع» . وقوله: «فإن لم يقـروه فله أن يعقبهم بمثل قراه» أى فله أن يتبـعهم ويجازيهم من صنيعـهم بأن يأخذ من مالهم مثل قـراه، يقال: أعقبـه بطاعته إذا جازاه. قلت: فـهو من باب الإفعال، وبعضهم يجعله من باب التفعيل، والمعقب الطالب، قال لبيد:

طلب المعقب حقه المظلوم

قال فى نهاية الجزرى: أى فله أن يأخذ منهم عوضًا عمـا حرموه من القرى، ويقال: عقبهم مشددًا ومخففًا وأعقبهم إذا أخذ منهم عقبى، وعقبه وهو أن يأخذ منهم بدلا عما فاته، وهذا فى المضطر الذى لا يجد طعامًا، ويخاف على نفسه التلف، ويحتمل أن الأمر بأخذ مقدار القرى من مال المنزول به كـان من جملة العقوبات التى نسـخت بوجوب الزكاة، ومما يؤيد هذا الاحـتمال قوله ﷺ فى آخر حديث العرباض: «وإن الله لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب ـ إلى قوله ـ ولا أكل ثمارهم ـ إلى قوله ـ إذا أعطوكم الذى عليهم من الجزية».

أقول: قـول من قال: إن المراد بالمثل العـدد هو الوجه، ويؤيده الحديث الـتالى كمـا سبق، ومطابقته للرد، فـإن قول الرجل: «فما وجدتم مـن حلال فأحلوه» يشعر بأن الكتـاب استوعب جميع الأحكام الحلال والحرام، ويعضده ما فى حديث العرباض، وقوله: «يظن أن الله لم يحرم شيـئًا إلا ما فى هذا القرآن» حـيث أتى بأداة الحصر، فالـرد إنما يستقيم إذا حـمل على العدد، وأيضًا قوله: «معه» صفة لمثله؛ لأن المثل متوغل فى الإبهام، لا يتعرف بالإضافة، فمعناه أوتيت مثل الكتاب مصاحبًا مع الكتـاب أحكام وسنن مثله فى العدد أو أكثر، ولأن قوله: «ألا لا يحل

يقروه، فإن لم يقروه، فله أن يُعقبهم بمثل قراه» رواه أبو داود، وروى الدارمى نحوه، وكذا ابن ماجه إلى قوله: «كما حرَّم اللهُ» [١٦٣].

الحمار الأهلى» شروع فى تعديل مسائل تتعلق بالأحكام تمثيلا لا تحديدًا، فعلى هذا التمسك بالحديث على جواز نسخ القرآن بالحديث خلافًا للشافعى رضى الله عنه ضعيف.

اعلم أن كلمة التنبيه مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية معطية معنى يحقق ما بعدها، ولكونها بهذه المثابة لا يكاد يقع ما بعدها إلا كانت مصدرة بما يصدر به جواب القسم وشقيقها إما، وتكررها فى هذا الحديث توبيخ وتقريع نشأ من غضب عظيم على من ترك السنة والعمل بالحديث، استغناءً عنها بالكتاب، هذا مع الكتاب فكيف بمن رجح الرأى على الحديث؟ وإذا سمع حديثًا من الأحاديث الصحيحة قال: لا عليَّ بأن أعمل بها، فإن لى مذهبًا أتبعه. وفى قوله: «ومثله» استعارة بأنه ﷺ ما تكلم ولا عمل من تلقاء نفسه، بل بإذن الله تعالى.

وقيل: ماأوتى الرسول غير القرآن على أنواع: أحدها الأحاديث القدسية التى أسندها إلى رب العزة، وثانيها ما ألهم، وثالثها ما أرى فى المنام، ورابعها ما نفث جبريل عليه السلام فى روعه، أى فى قلبه. و «على أريكته» يجوز أن يكون صفة بعد صفة لرجل، فتكون الصفة الثانية تكميلًا للذم؛ فإن الأولى تدل على الدعة والبطر، والثانية على التكبر والتجبر. ويجوز أن تكون حالًا من «رجل» لاتصافه بشبعان فيكون تتميمًا ومبالغة فى بطره وأشره، وفيه تشنيع عظيم ونعى فظيع على ذلك القائل.

وقوله: «إنما حرم رسول الله ﷺ» يحتمل أن يكون من كلام الراوى كما ذهبوا إليه، وأن يكون من كلامه ﷺ من باب الاستدراج وإرخاء العنان على سبيل التجريد، كقوله تعالى: ﴿**يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعًا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى**﴾ (١) تنبيهًا به على أن من اسمه رسول الله ونبيه وخيرته من خلقه حقيق بأن يستقل بأحكام سوى ما أنزله الله عليه. فالواو فى «وإنما» للحال من قوله: «رجل شبعان»، والعامل «يوشك»، وهى مقررة لجهة الإشكال، أى كيف يقول ما يقول والحال أن رسول الله ﷺ بين ظهرانيه؟ هذا هو الوجه؛ لأن الذهاب إلى أنه من كلام الراوى تخلل بين كلامى رسول الله ﷺ تعسف بعيد من الفصاحة.

أما بيان النظم فإنه ﷺ قرر أولا بقوله: «ألا إنى أوتيت الكتاب» أنه ﷺ شرع أيضًا أحكامًا

---

[١٦٣] صحيح: قال الألبانى: فى الأطعمة، وفى «السنة» سند صحيح، وكذا رواه الترمذى فى «العلم» من طريق أخرى عن المقدام وقال: حديث حسن، وقول الشيخ على القارى: إنه رواه بلفظ أبى داود، وهمٌ منه.

(١) الأعراف: ١٥٨.

١٦٤ ـ * وعن العِرياض بن سارية، قال: قام رسولُ الله ﷺ فقال: «أيحسب أحدُكم متكئًا على أريكته يظن أنَّ الله لم يُحرم شيئًا إلا ما فى هذا القرآن؟! ألاَ وإنى

فى الدين سوى القرآن، وثنى بتوبيخ من أنكر ذلك، وجعله متكبرًا بطرًا طاغيًا، وثلث بما يشعر بالتعليل، وأن له أن يستقل بالأحكام، وربع ببيان صور معدودة تحقيقًا للمطلوب كما مر.

قوله: «ومن نزل بقوم» إلى آخره، أخرجه من سياق المبهمات، حيث لم يقل: لا يحل للمضيف أن لا يكرم ضيفه، وأبرزه فى معرض الشرط والجزاء دلالة على أن ذلك ليس بمحرم، ولكنه خارج عن سمة أهل المروءة، وهدى أهل الإيمان، وليتأهل فاعله أن يخذل، ويستهجن فعله، ويجازى بكل قبيح.

فإن قلت: دلت هذه الصور على المحرمات، فأين ذكر ما أحله ﷺ قلت: الأصل فى الأشياء الإباحة إلا ما خصه الدليل؛ لقوله تعالى: ﴿**خلق لكم ما فى الأرض جميعًا**﴾ (١) فخصت منها أشياء بنص التنزيل، وبقى ما عداها فى معرض التحليل، فخص منها بنص الحديث بعض، فبقى سائرها على أصل الإباحة، وكأنه ﷺ نص على تحليلها، فلا يزيد ولا ينقص. والله أعلم.

الحديث الرابع عن العرباض: قوله: «أيحسب» «شف»: «يظن» بدل من «يحسب» بدل الفعل من الفعل، و«عن أشياء» متعلق بالنهى فحسب، ومتعلق الأمر والوعظ محذوف، أى أمرت ووعظت بأشياء، ونهيت عن أشياء. أقول: يجوز أن يكون التكرار للتأكيد، كما فى قوله تعالى: ﴿**لا تحسبن الذين يفرحون ـ إلى قوله ـ فلا تحسبنهم بمفازة**﴾(٢) والواو فى قوله: «ألا وإنى» كالواو فى «وإنما حرم» فى الحديث السابق؛ لأن الهمزة فى «أيحسب» للإنكار، وكذا فى «ألا» فالمعنى أيحسب أحدكم أن الله خص المحرمات فى القرآن؟ والحال أنى قد حرمت، وأحللت، ووعظت. فأقحم حرف التنبيه المتضمن للإنكار بين الحال وعاملها، كما أقحم حرف الإنكار بين المبتدأ والخبر، فى قوله تعالى: ﴿**أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار**﴾(٣) جاءت الهمزة مؤكدة معادة بين المبتدأ المتضمن للشرط وبين الخبر، ذكره الزجاج.

«مظ» «أو»: فى قوله: «أو أكثر» ليس للشك، بل إنه ﷺ كان يزداد علمًا طورًا بعد طور، وإلهامًا من قبل الله تعالى ومكاشفة لحظة بلحظة، فكوشف له أن ما أوتى من الأحكام غير القرآن مثله، ثم كوشف له بالزيادة متصلا به.

---

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) آل عمران: ١٨٨.

(٣) الزمر: ١٩.

والله قد أمرتُ ووعظتُ ونهَيْتُ عن أشياء إِنها لمثلُ القرآن أو أكثر، وإنَّ اللهَ لم يُحلَّ لكم أن تدخُلوا بيوتَ أهل الكتاب إلا بإذنٍ، ولا ضربَ نسائهم، ولا أكلَ ثمارهم إذا أعطوكم الذى عليهم» رواه أبو داود وفى إسناده: أشعث بن شعبة المِصيصى، قد تكلم فيه. [١٦٤].

١٦٥ ـ * وعنه، قال: صلّى بنا رسولُ الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظةً بليغةً، ذَرفَتْ منها العُيون، ووجِلتْ منها القُلوب. فقال رجلٌ:

أقول: يمكن أن يقال: «أو» هذه مثلها فى قوله تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾(١) أى بل يزيدون. وقوله: «إن الله لم يحل» إلى آخر الحديث كناية عن عدم التعرض لهم بأبدانهم فى المسكن والأهل والمال إذا أعطوا الجزية، وإنما وضع قوله: «الذى عليهم» موضع الجزية ليؤذن بفخامة العلة، وبأن عدم التعرض معلل بأداء ما عليهم، ولو صرح بها لم يفخم.

الحديث الخامس عن العرباض: قوله: «ذات يوم» سبق معناه فى حديث جبريل. «تو»: «بليغة» أى بالغ فيها بالإنذار والتخويف، كقوله تعالى: ﴿وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغًا﴾(٢). «قض»: البلاغة وجازة اللفظ وكثرة المعنى مع البيان. أقول: والأول هو الوجه، لقوله: «ذرفت منها العيون»، أى سال منها الدمع، وكان ذلك لاستيلاء الخشية على القلوب، وتأثير الرقة فيها.

أقول: فإسناد الذرف إلى العيون كإسناد الفيض إليها فى قوله تعالى: ﴿أعينهم تفيض منَ الدمع﴾(٣) كأن أعينهم ذرفت مكان الدمع مبالغة فيها، وفائدة تقديم «ذرفت العيون» على «وجلت القلوب» ومقره التأخير ـ على ما قاله الشيخ ـ للإشعار بأن الموعظة أثرت فيهم، وأخذت منهم بمجامعهم ظاهرًا وباطنًا.

قوله: «إنّهما لم يذكرا الصلاة» أى الترمذى وابن ماجه لم يأتيا بصدر الحديث، وهو قوله: «صلى بنا رسول الله ﷺ» كما فى المصابيح، فإنه افتتح بقوله: «وعظنا رسول الله ﷺ». قوله: «موعظة مودع» فائدة هذا القيد أن المودِّع عند الوداع لا يترك شيئًا مما يهم المودَّع ويفتقر إليه إلا ويورده ويستقصى فيه.

---

[١٦٤] ضعيف: قال الشيخ الألبانى: وسنده ضعيف، فيه أشعث بن شعبة، قال أبو زرعة وغيره: فيه لين، وضعفه فى ضعيف الجامع ح (٢١٨٣.)

(١) الصافات: ١٤٧.

(٢) النساء: ٦٣.

(٣) المائدة: ٨٣.

يارسولُ الله! كأنَّ هذه موعظةُ مُوَدِّع فأوصنا، فقال: «أوصيكم بتقوى الله، والسَّمعِ والطاعةِ، وإن كان عَبدًا حَبَشيًّا، فإنَّه مَنْ يعشْ منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعلَيكم بسنَّتى وسنَّة الخلفاء الراشدين المَهديِّين، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذِ، وإيِاكم ومحدثِات الأمور؛ فإن كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضَلالة» رواه أحمد وأبو داود، والترمذى وابن ماجه إلا أنهما لم يذكرا الصلاة. [١٦٥]

قوله: «والسمع والطاعة» أى أوصيكم بقبول قول الأمير وطاعته، وبما أمركم به ولو كان أدنى خلق، وهذا وارد على سبيل **المبالغة** لا التحقيق، كما جاء: «من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة» يعنى لا تستنكفوا عن طاعة من ولى عليكم ولو كان عبدًا حبشيًا، إذ لو استنكفتم عنه لأدى إلى إثارة الحروب،وتهيج الفتن، وظهور الفساد فى الأرض، فعليكم بالصبر والمداراة حتى يأتى أمر الله. والفاء فى «فإنه» للتسبيب، جعلت ما بعدها سببًا لما قبلها، يعنى من قبل وصيتى، والتزم تقوى الله، وقبل طاعة من ولى عليه، ولم تهيج الفتن ـ أمن بعدى مما يرى من الاختلاف الكثير، وتشعب الآراء، ووقوع الفتن. ثم أكد تلك الوصية بقوله: «فعليكم بسنتى» على سبيل **الالتفات**(١)، وعطف عليه قوله: «وإياكم ومحدثات الأمور» تقريرًا بعد تقرير، أو توكيدًا بعد توكيد. وكذا قوله: «تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ» تشديد على تشديد. والمراد بالخلفاء الراشدين أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ.

«تو» ليس معناه انتفاء الخلافة عن غيرهم؛ لأن النبى ﷺ قال: «يكون فى أمتى اثنى عشر خليفة» وإنما المراد تفخيم أمرهم، وتصويب رأيهم، والشهادة لهم بالتفوق فيما يمتازون به عن غيرهم. وإنما ذكر سنتهم فى مقابلة سنته؛ لأنه علم أنهم لا يخطئون فيما يستخرجونه من سنته بالاجتهاد، ولأنه ﷺ عرف أن بعض سنته لا تشتهر إلا فى زمانهم، فأضاف إليهم دفعًا لتوهم من ذهب إلى رد تلك السنة، فأطلق القول باتباع سنتهم سدًا لهذا الباب. و «النواجذ» الأضراس، وقيل: الضواحك، وقيل: الأنياب، والعض بالنواجذ مثل فى التمسك بهذه الوصية بجميع ما يمكن من الأسباب المعينة عليه، كمن يتمسك بشىء ثم يستعين عليه بأسنانه استظهارًا للمحافظة.

«حس»: فى الحديث دليل على أن واحدًا من الخلفاء الراشدين إذا قال قولا وخالفه غيره من

---

[١٦٥] صحيح: قال الشيخ الألبانى: وسنده صحيح، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح، وصححه جماعة، منهم الضياء المقدسى فى «اتباع السنن واجتناب البدع» (ق٧٩/ ١).

(١) سبق تعريفه.

١٦٦ ـ * وعن عبد الله بن مسعود، قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال: «هذا سبيلُ الله»، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه سُبُلٌ، على كل

الصحابة كان المصير إلى قوله أولى، وإليه ذهب الشافعى رضى الله عنه فى القديم، قال: والحديث يدل على تفضيل الخلفاء الراشدين على غيرهم من الصحابة، وترتيبهم فى الفضل كترتيبهم فى الخلافة. والله أعلم.

الحديث السادس عن عبد الله قوله: «خط لنا خطًا» أى خط لأجلنا تقريبًا وتفهيمًا لنا؛ لأن التصوير والتمثيل إنما يسلك ويصار إليه لإبراز المعانى المحتجبة، ورفع الأستار عن الرموز المكنونة، لتظهر فى صورة المشاهد المحسوس، فيساعد فيه الوهم العقل، ويصالحه عليه.

«قض»: «سبيل الله» هو الدين القويم والطريق المستقيم، وهما الاعتقاد الحق والعمل الصالح، وذلك لا تتعدد أنحاؤه، ولا تختلف جهاته، لكن له درجات ومنازل، يقطعها السالك بعلمه وعمله، فمن زلت قدمه وانحرف عن أحد هذه المنازل فقد ضل سواء السبيل، وتباعد عن المقصد المقصود، ولا يزال سيره وسعيه يزيد له انهماكًا فى الضلالة، وبعدًا له عن المرمى، إلا أن يتداركه الله بفضله فيلهمه أنه ليس على الطريق، هذا مقام التوبة، ثم ينكص على عقبيه حتى يلحق بالمقام الذى انحرف عنه، وهو الإنابة، ثم يأخذ منها فى سلوك ما يليها، وهو السداد.

«مظ» قوله: «هذا سبيل الله، ثم خط خطوطًا» إشارة إلى القصد بين الإفراط والتفريط؛ لأن سبيل أهل البدع مائل إلى جانب من الحق، مثاله مسئلة القدر والجبر، فالجبرى مائل عن طريق الحق بقوله: لا كسب ولا اختيار للعبد، فإنه تفريط؛ لأنه يؤدى إلى إبطال الكتب والرسل، والقدرى أيضًا مائل عنه؛ لأنهم يجعلون الخلق خالقًا لأفعالهم، فإنه إفراط لما يفضى إلى الشرك؛ فطريق أهل السنة هو القصد، لأنهم يقولون: إن كل ما يجرى على العباد بقضاء الله وقدره، ويثبتون الكسب للعبد.

وأقول ـ والله أعلم ـ : «هذا سبيل الله» وقوله: «هذا صراطى» أضيف إلى رب العزة، وعرِّف تفخيمًا وتعظيمًا لشانهما، ونكر حين نسب إلى رسوله ﷺ فى قوله تعالى: ﴿إنك على صراط مستقيم﴾[1] ﴿وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾[2] مدحًا، وثبوتها بشأن رسوله ﷺ أى أنك على صراط، وتهدى إلى صراط، أى صراط الله العزيز الحميد، ثم عرف فى قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [3] تعليمًا للعباد، وإرشادًا لهم إلى طلب هذا البغية السنية، والرفعة العلية، والثبات عليها والمواظبة لها، ولرفعة شانهما جيء بالفاء فى قوله: ﴿فاتبعوه ولا تتبع السبل﴾[4]

---

(١) الزخرف: ٤٣.　(٢) الشورى: ٥٢.

(٣) الفاتحة: ٦.　(٤) الأنعام: ١٥٣.

سبيل منها شيطانٌ يدعو إليه»، وقرأ: (وأنَّ هذا صراطى مستقيمًا، فاتبعوه)[1] الآية».
رواه أحمد والنسائى، والدارمى. [١٦٦].

١٦٧ - * وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُؤمِنُ أحدُكم

وإلى هذا الصراط لمح رسول الله ﷺ فى حديث عبد الله بن عمرو بقوله: «ما أنا عليه وأصحابى» وفى حديث معاوية: بقوله «وهى الجماعة» وتلك الخطوط التى خطت على اليمين والشمال مشار بها إلى مذاهب أهل الأهواء والبدع الذين تفرقوا على ثنتين وسبعين ملة.

فإن قلت: ما وثوقك على أنك على الصراط المستقيم؟ فإن كل واحد من الفرق يدعى أنه عليها دون غيره؟ قلت: ليس ذلك بالادعاء والتشبث باستعمال الوهم القاصر، والقول الزاعم، بل بالنقل عن جهابذة هذه الصنعة وعلماء أهل الحديث الذين جمعوا صحاح الحديث فى أمور رسول الله ﷺ، وأحواله وأفعاله، وحركاته وسكناته، وكذا أحوال الصحابة من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، مثل جامع الإمام محمد بن إسماعيل البخارى، ومسلم بن حجاج، وغيرهما من الثقات المشهورين الذين اتفق أهل الشرق والغرب على صحة ما أوردوه فى كتبهم من أمور النبى وأصحابه، ومن تكفل باستنباط معانيها، وكشف مشكلاتها، كالإمام أبى سليمان الخطابى، والإمام محيي السنة أبى محمد البغوى والإمام محيي الدين النووى جزاهم الله عن المسلمين خيرًا وجعل سعيهم فى الدين مشكورًا ثم بعد النقل ينظر من ذا الذى تمسك بهديهم، واقتفى أثرهم، واهتدى بسيرتهم فى الأصول والفروع، فنحكم من الذين هم هم. والله أعلم بالصواب.

الحديث السابع عن عبد الله بن عمرو: قوله: «لا يؤمن أحدكم» «تو» : الحديث محمول على نفى الكمال اتساعًا، كما فى قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه» فهو لوجهين: أحدهما أن يكون فى متابعة الشرع وموافقته له، كموافقته على ما لو فاته فيستمر على الطاعة من غير كلفة وكراهية. وذلك حين يذهب عنه كدر النفس، وتبقى صفوتها، فتحلى بالصفات النورانية، وتؤيد بالقوى الروحانية، وهذه حالة نادرة لا توجد إلا فى المحفوظين من أولياء الله - ومن الله المعونة فى تيسير كل عسير. ثانيهما أنه يعتقد مخالفة هواه، فإنه إذا اعتقد ذلك وعرفه بالفرضية على نفسه فقد جعل هواه تبعًا للشرع وإن لم يستقم فى المعاملة به.

«مظ» يجوز أن يحمل هذا على نفى أصل الإيمان، أى يكون تابعًا مقتديًا لما جئت به من الشرع من الاعتقاد، لا عن الإكراه وخوف السيف مثل المنافقين. وأقول: إنما قيل: «هواه تبعا» ولم

---

[١٦٦] حسن: قال الشيخ الألبانى: وإسناده حسن، وصححه الحاكم وغيره.

(١) الأنعام: ١٥٣.

حتى يكونَ هواه تبَعًا لِما جئتُ به». رواه فى «شرح السنة»، قال النووى فى «أربعينه»: هذا حديث صحيح، رويناه فى «كتاب الحجة» بإسناد صحيح [١٦٧].

١٦٨ ـ * وعن بلال بن الحارث المزنى، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أحيا سُنَّةً من سنَّتى قد أميتت بعدى، فإنَّ له من الأجر مثل أجور من عمل بها من غير أن

يقل: «هو تابع» للإيذان بالمبالغة، وأن هواه الذى هو معبوده فى قوله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ (١) ومالكه فى قوله ﷺ: «تعس عبد الدينار،وعبد الدرهم، وعبد الخميصة» إذا كانا تابعين للشرع كان أبلغ ما يقال: إنه تابع له.

ويؤيده ما ذكره الشيخ التوربشتى منأنهمحمول على نفى الكمال، أن النفس فى أصل خلقها مجبولة على الميل إلى الشهوات النفسانية، والركون إلى استيفاء اللذات الجسمانية، فيستدعى فى قهرها على طبيعتها جاذبة قوية تقمعها من أصلها، وإيمانا كاملا على اتباع الشرع، كما قال:

الظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم

أى علة قوية وباعثة عظيمة، وما أحسن موقع «حتى» التدريجية؛ لأنها مؤذنة بأن المضارع المنفى بـ «لا» إنما كملت على سبيل التدريج، حتى بلغت إلى درجة ألجأت الهوى إلى اتباع الشرع. ونظيره فى الإثبات قوله ﷺ: «إن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا» وقد سبق بيانه، والفرق أن المنفى لم يزل فى التناقص حتى يستكمل المثبت، والمثبت لم يزل فى التزايد حتى ينتهى إلى الكمال ـ والله أعلم.

الحديث الثامن عن بلال: قوله: «أحيا» «مظ»: السنة ما وضعه رسول الله ﷺ من أحكام الدين، وهى قد تكون فرضًا كزكاة الفطر، وغير فرض كصلاة العيد، وصلاة الجماعة، وقراءة القرآن فى غير الصلاة. وتحصيل العلم وما أشبه ذلك وإحياؤهاأن يعمل بها، ويحرض الناس عليها، ويحثهم على إقامتها.

«شف»: نظم الحديث يقتضى «من سننى» بصيغة الجمع، لكن الرواية بصيغة المفرد، «وبدعة

---

[١٦٧] قال الشيخ الألبانى: هذا وهم، فالسند ضعيف، فيه نعيم بن حماد، وهو ضعيف، وأعله الحافظ بن رجب بغير هذه العلة، متعقبًا على النووى تصحيحه إياه، فانظر كتابه «جامع العلوم والحكم» ثم إن عزوه إلى المذكورين يوهم أنه لم يخرجه من هو أعلى طبقة منهما، وليس كذلك، فقد أخرجه الحسن بن سفيان فى «الأربعين» له (ق ٦٥/ ١) وهو من الآخذين عن أحمد وابن معين (توفي ٣٠٣) ورواه القاسم ابن عساكر فى «أربعينه» وقال: «حديث غريب».

(١) الجاثية: ٢٣.

يَنقص من أجورهم شيئًا؛ ومن ابتدَعَ بدعةً ضلالة لا (يرضاها)[1] اللهُ ورسوله، كان عليه (من الإثم)[2] مثلُ آثام من عمل بها لايَنقص من (أوزارهم)[3] شيئًا» رواه الترمذى. [١٦٨].

١٦٩ - * ورواه ابن ماجه عن كثير بن عبدالله بن عمرو، عن أبيه عن جده.

١٧٠ - * وعن عمرو بن عوف، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدين ليأرزُ إلى

ضلالة» يروى بالإضافة، ويجوز أن ينتصب نعتًا ومنعوتًا. أقول: قوله: «من سنتى» على ما أورد مفردًا جنس شائع فى أفراده، و «أحيا» استعير للعمل بها، وحث الناس عليها، و«أميتت» استعارة أخرى لما يقابلها من الترك، ومنع الناس بإقامتها، وهى كالترشيح للاستعارةالأولى، وقوبل قوله: «أحى سنة من سنتى قد أميتت» بقوله: «ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله تعالى ورسوله»، ووصف السنة بقوله: «من سنتى» لتمتاز عن سائر السنن، فإن السنة عبارة عن وضع الشئ ورسمه ليقتدى به، ووصف البدعة وبينها بقوله: «ضلالة» ليشير بأن بعضًا من البدعة ليس من الضلالة، كما سبق فى تقسيمها. وقوبل قوله: «قد أميتت» بقوله: «لا يرضاها الله ورسوله» وذلك لأن المبتدع إنما يميت السنة لأنه لا يرضاها، ولا يحب أن يعمل بها.

الحديث التاسع عن عمرو بن عوف: قوله: «إلى الحجاز» مكة والمدينة وما ينضم إليهما من البلاد، سميت بذلك لأنها حجزت بين نجد والغور. قوله: «ليعقلن» جواب للقسم، والجملة معطوفة على خبر «إن» على تقدير: أقسم بالله. و «الدين» مظهر وضع موضع المضمر، ويجوز

قال الشيخ الألبانى:

(١) كذا فى جميع النسخ، وفى الترمذى (لا ترضى).

(٢) ليست فى الترمذى، وهى فى جميع نسخ الكتاب.

(٣) فى الترمذى (أوزار الناس).

[١٦٨]: أى من حديث بلال بن الحارث، وابن ماجة عن كثير بن عبدالله بن عمرو عن أبيه عن جده، أى عمرو بن عوف المزنى.

وعزوه إلى الترمذى من حديث بلال خطأ واضح، بل هو عنده فى «العلم» من حديث كثير أيضًا بسنده المذكور عن جده أن النبى ﷺ قال لبلال بن الحارث: اعلم. قال: ما أعلم يارسول الله قال: اعلم يابلال . قال: ما اعلم يارسول الله قال:. إنه من أحيا سنة ... الحديث، فهو موجه إلى بلال، وليس من روايته، وليست هذه الزيادة التى ذكرتها عند ابن ماجه ولا السياق له.

وأما قول الترمذى عقبه: هذا حديث حسن «فمردود، كيف لا وقد قال الشافعى وأبو داود فى كثير هذا: «ركن من أركان الكذب» وقال ابن حبان: «له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة» ولهذا لا يعتمد العلماء على تصحيح الترمذى كما قال الذهبى.

الحجاز كما تأرِزُ الحيَّةُ إلى جُحرها، ولَيعْقلنَّ الدينُ من الحجاز مَعقِل الأرْوِيَّة من رأس الجبل. إنَّ الدين بَدأ غريبًا وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباءِ وهم الذين يُصلِحون ما أفسدَ الناسُ من بعدى من سُنَّتى» رواه الترمذى. [١٧٠].

١٧١ ـ * وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: « لَيَأتيَنَّ على أمَّتى كما أتى على بنى إسرائيل حَذْو النَّعل بالنَّعل، حتى إن كان منهم من أتى أمَّه علانيةً،

أن يكون العطف للجملة على الجملة، وإنما ضوعف أدوات التأكيد وأقيم المظهر موضع المضمر لأن هذا التمثيل أشرف وأحسن وأنسب بالدين، وكان الاهتمام بهذه الجملة أشد.

«نه»: «ليعقلن» ليتحصن به، ويعتصم ويلتجئ إليه، كما يلتجئ الوعل إلى رأس الجبل، و «الأروية» الأنثى من الوعول ، كأنه ﷺ خص الأنثى بالذكر لأنها أقدر على التمكن مما توعر من الجبال. و «معقل» مصدر بمعنى العقل، يجوز أن يكون اسم مكان. وقيل: معناه أن بعد انضمام أهل الدين إلى الحجاز ينقرضون عنه، ولم يبق منهم فيه أحد.

الشارحون: فى أكثر نسخ المصابيح : زيد بن ملحة عن أبيه عن جده، وهو غلط لأن زيد بن ملحة جاهلى جد عمرو بن عوف. والصواب رواه كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده. وقد مضى شرحه مستقصى فى الفصل الأول من الباب فى الحديث التاسع.

الحديث العاشر عن عبد الله بن عمرو قوله: «ليأتين» الإتيان المجيء بسهولة، وعدى بعلى لمعنى الغلبة المؤدية إلى الهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿ما تذر من شيءٍأتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ (١). «تو» المراد «بالأمة» من تجمعهم دائرة الدعوة من أهل القبلة لأنه أضافهم إلى نفسه، وأكثر ما ورد فى الحديث على هذا الأسلوب فإن المراد منه أهل القبلة، ولو ذهب إلى أن

---

[١٧٠] قال الشيخ الألباني: وسنده واه جدا، وإن قال الترمذى (٢/ ١٠٥):«حديث حسن»؛ فإن فيه كثير بن عبدالله بن عمرو، وقد عرفت حاله آنفًا، لكن الحديث قد صح غالبه من وجوه أخرى، فالجملة الأولى منه أخرجها الشيخان من حديث أبى هريرة، ومسلم وأحمد من حديث ابن عمر، وزاد الجملة الثالثة: «إن الإسلام بدأ دون قوله: «فطوبى للغرباء» لكن رواه مسلم بهذه الزيادة من حديث أبى هريرة أيضًا.

وأما قوله:« الذين يصلحون» فرواه الخطابي فى «الغريب» (ق٣٢/ ١) بهذا اللفظ، وهو فى المسند (٤/ ٧٣) بلفظ «الذين يصلحون إذا فسد الناس» وسندهما ضعيف، لكن لفظ أحمد رواه أبو عمرو الدانى فى «السنن الواردة فى الفتن» (ق٢٥/ ١) والآخر فى «الغرباء» (ق٢١١) من حديث ابن مسعود بسند صحيح. ثم رواه الداني من حديث سعدابن أبى وقاص وعبدالله بن عمرو بن العاص بسندين صحيحين، وحديث سعد فى المسند أيضًا (١/ ١٨٤). وأما الجملة الثانية «وليعقلن .... فلم أجد لها شاهدًا.

(١) الذاريات: ٤٢.

لكانَ فى أمَّتى من يصنعُ ذلك. وإنَّ بنى إسرائيل تفرَّقت ثنتَين وسبعين مِلَّةً، وتفترقُ أمَّتى على ثلاث وسبعين ملةً، كلُّهم فى النار إلا ملةً واحدةً». قالوا: مَنْ هى يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابى» رواه الترمذى [١٧١].

المراد أمة الدعوة فله وجه، وحينئذ يتناول أصناف أهل الكفر. والملة فى الأصل ما شرع الله تعالى لعباده على ألسنة الأنبياء، ليتوصلوا به إلى جوار الله، ويستعمل فى جملة الشرائع دون آحادها، ثم اتسعت فاستعملت فى الملل الباطلة، فقيل: الكفر كله ملة واحدة. والمعنى أنهم يفترقون فرقًا يتدين كل واحد منها بخلاف ما تتدين به الأخرى، فسمى طريقتهم ملة مجازًا. وإذا حمل الملة على أهل القبلة فمعنى قوله: «كلهم فى النار» أنهم متعرضون لما يدخلهم النار من الأفعال الردية.

أو المعنى أنهم يدخلونها بذنوبهم، ثم يخرج منها من لم تفض به بدعته إلى الكفر برحمته، و«إلاملة واحدة» أى أهل ملة واحدة، وكشف بقوله: «ما أنا عليه وأصحابى» عما سألوه بقولهم: «من هى»؛ لأن تعريف أهل الملة حاصل بتعريف ملتهم.

وقوله: «تتجارى بهم» أى سرت فى عروقهم ومفاصلهم، و«يتجارى» أكثر ما يستعمل فى الحديث لأن كل واحد منهما يجرى مع صاحبه. و«الأهواء» جمع هوى، وهو الميل إلى ماتشتهى النفس، ويقال: سمى بذلك لأنه يهوى بصاحبه في الدنيا إلى الداهية، وفى الآخرة إلى الهاوية. وإنما جمعها إيذانًا باختلاف أهوائهم وآرائهم، ويسلك كل منهم من الحيرة والضلال فجًا غير فج الآخر. والكلب داء يعترى الإنسان من عضة الكلب، وهو داء يأخذه شبه الجنون فيكلب بلحوم الناس، فإذا عض إنسانًا كُلِبَ ويستولى عليه شبه الماليخوليا.

«مظ»: «حذو النعل بالنعل» جعل الشيء مثل شيء آخر، وهو منصوب على المصدر، يعنى أفعال بعض أمتى فى القبح مثل أفعال بنى إسرائيل. أقول: ذهب إلى أن فاعل «ليأتين» مقدر، يدل عليه سياق الكلام، والكاف منصوب على المصدر، وذهب الأشرفى إلى أنه فاعل، وقدر المعنى أنه ليأتين عليهم مثل ما أتى على بنى إسرائيل. وقال: ولعل المراد بـ «الأم» زوجة الأب، والتقييد بالعلانية لبيان وقاحته، وصفاقة وجهه.

قوله: «لكان فى أمتى» اللام فيه جواب «إن» على تأويل «لو» كما أن «لو» تأتى بمعنى «إن» و«حتى» هى الداخلة على الجملة الشرطية. وقوله: «ما أنا عليه وأصحابى» روى محيي السنة عن عاصم عن أبى وائل عن عبدالله: «إن الله تعالى نظر فى قلوب العباد، فاختار محمداً ﷺ،

---

[١٧١] ضعيف: قال الشيخ الألباني: وقال ـ يعني ـ الترمذي: غريب.

قلت: علته عبدالرحمن بن زياد الإفريقي، وهو ضعيف. انظر المشكاة (١/ ٦١).

١٧٢ - * وفى رواية أحمد، وأبى داود، عن معاوية: «ثنتان وسبعون فى النار، وواحدة فى الجنَّة، وهى الجماعة، وإنه سيخرجُ فى أمَّتى أقوامٌ تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه، لا يبقى منه عِرقٌ ولامَفْصِلٌ إلا دخله» [١٧٢].

فبعثه برسالته، وانتخبه بعلمه، ثم نظر في قلوب الناس، فاختار له أصحابًا، فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه، فما رآه المؤمنون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوه قبيحًا فهو عند الله قبيح».

«حس»: «الجماعة» عند أهل العلم أهل الفقه والعلم. قال شريح: إن السنة قد سبقت قياسكم، فاتبع ولاتبتدع، فإنك لن تضل ما أخذت بالأثر. وقال الشعبى: إنما الرأى بمنزلة الميتة إذا احتجت إليها أكلتها، قال سفيان فى تفسير الجماعة: لو أن فقيها على رأس الجبل لكان هو الجماعة.

قوله فى رواية معاوية: واحدة فى الجنة» «مظ»: إنه متصل بقوله: «كلهم فى النار» وقدر كلهم وواحدة فى الجنة. وفيه نظر، لأنه إذا أريد بكلهم ثلاث وسبعون ملة كيف يعطف عليه «وواحدة»؟ والرواية الصحيحة فى سنن أبي داود: «إن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون فى النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة» أقول: قوله: «وإن بنى إسرائيل» صرح به بعد أن ذكره تقبيحًا لصنيعهم، وأن ذلك دأبهم وعادتهم، و«إن» في قوله: «إن كان منهم» مكسورة فى جامع الأصول، وهى شرطية، و«لكان» جواب قسم محذوف، وهو جزاء الشرط. وفى قوله: «على ثلاث وسبعين ملة» إشارة إلى أنهم ساووا بنى إسرائيل فى تلك الأحوال القبيحة، وزادوا في ارتكاب البدع بدرجة.

وقوله: «ما أنا عليه وأصحابى» الظاهر أن يقال: من كان على ما أنا عليه وأصحابى، لأنه جواب عن قولهم: «من هى؟» فعدل إلى «ما» ، وأراد بها الوصفية، أى هم المهتدون المتمسكون بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى، كقوله تعالى: ﴿**ونفس وماسواها**﴾(١) أى القادر العظيم الشأن سواها. والواو فى «وهى الجماعة» كما هى فى قوله تعالى ﴿**وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار**﴾(٢) دخلت على الجملة المثبة، و«تلك الأهواء» إشارة إلى ما يتضمن معنى ثنتين وسبعين ملة من هذه الأمة غير الأمة [المحققة]*، ووضع الأهواء موضع البدع وضعًا للسبب موضع المسبب، لأن هوى الرجل هو الذى يحمله على إبداع ذلك الرأى الفاسد.

وأما تقرير التشبيه فهو أنه ﷺ شبه حال الزائغين من أهل البدع فى استيلاء تلك الأهواء

---

[١٧٢] صحيح: قال الشيخ الألبانى: وسندهما صحيح، وحسنه فى صحيح سنن أبى داود ح (٤٥٩٧)، وعزاه للصحيحة (٢٠٤) وغيرها.

(١) الشمس: ٧. (٢) البقرة: ٧٤.

* في «ط» «المحقة» .

١٧٣ - * وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لا يجمعُ أمَّتى - أو قال: أمَّةَ محمد - على ضَلالة، ويدُ الله على الجماعة، ومن شَذَّ شَذَّ فى النار». رواه الترمذى [١٧٣].

عليهم، وذهابها بهم فى كل واد مُرد، وفى سريان تلك الضلالة منهم إلى الغير يدعونهم إليها، ثم تنفرهم من العلم، وامتناعهم من قبوله حتى يهلكوا جهلاً- بحال صاحب الكلب، وسريان تلك العلة فى عروقه ومفاصله، وحصول شبه الجنون منه ثم تعديه إلى الغير-بعقره إياه، وتنفره من الماء، وامتناعه عنه حتى يهلك عطشًا. ولعمرى! إن هذا التمثيل أبلغ وأشنع من تمثيل بلعم بن باعوراء فى قوله تعالى: ﴿**فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**﴾(١) والله أعلم(*).

الحديث الحادى عشر عن ابن عمر: قوله: قوله: «لايجمع» «تو»: منَّ الله تعالى على هذه الأمة بالنصرة والحفظ، أو منَّ عليهم بالتوفيق لموافقة الجماعة. «ومن شذ» أى انفرد عن الجمهور والسواد الأعظم فقد شذ فيما يدخله النار، أو شذ فى أمر النار. «مظ»: فى الحديث دليل على أن إجماع الأمة حق، والإجماع هو إجماع علماء المسلمين.

أقول: قوله: «أو قال أمة محمد» تردد من الراوى، ولعل هذا أظهر فى الدراية لأن التخصيص يدل على امتياز أمته من سائر الأمم بهذه الفضيلة، وأن كون المنسوب إليه من اسمه محمد يقتضى هذه الفضيلة، فيلزم منه امتياز الفرقة الناجية المسماة بأهل السنة والجماعة من الفرق الضالة، ومن ثم عقبه بقوله: «ويد الله على الجماعة»، ومعنى «على» كمعنى «فوق» فى قوله تعالى: ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾ (٢) فهو **كناية** عن النصرة والغلبة(**)، لأن من بايع

---

[١٧٣] قال الشيخ الألبانى: فى «الفتن» وقال: «حديث غريب». قلت، وعلته سليمان المدنى، وهو ابن سفيان، وهو ضعيف؛ لكن الجملة الأولى من الحديث صحيحة، لها شاهد من حديث ابن عباس، أخرجه الترمذى والحاكم وغيرهما بإسناد صحيح. ومن حديث أسامة بن شريك عند ابن قانع فى المعجم (١/٣/١) (فائدة هامة) قال الترمذى: وتفسير الجماعة. عند أهل العلم: هم أهل الفقه والعلم والحديث، سئل ابن المبارك: من الجماعة؟ فقال: أبو بكر وعمر. قيل له: قد مات أبو بكر وعمر، قال: فلان وفلان. قيل له: قد مات فلان وفلان. فقال: أبو حمزة السكرى جماعة.قال الترمذى: وأبو حمزة هو محمد بن ميمون، وكان شيخًا صالحًا.

قلت: وهذا المعنى مأخوذ من قول ابن مسعود - رضى الله عنه -: «الجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك» رواه ابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (١٣/ ٣٢٢/ ٢) بسند صحيح عنه.

(١) الأعراف: ١٧٦.　　(٢) الفتح: ١٠.

* لا يلزم مما ذكر تفضيل الأسلوب فى الحديث على الآية المذكورة، ولم يقصد الطيبى إلى ذلك -يرحمه الله- وذلك لأنهما سياقان مختلفان، وإنما تلزم المفاضلة إذا اتحد السياق. والله أعلم.

** وهذا هو التأويل المذموم فى أسماء الله تعالى وصفاته، وأهل السنة والجماعة على خلاف ذلك، إذ إنهم على إمرار ما يتعلق بالذات العلية من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل كما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه فانتبه.

١٧٤ ـ * وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتبعوا السَّواد الأعظم، فإنه من شذَّ شذّ في النار» رواه (ابن ماجه من حديث أنس).

الإمام الحق فكأنما بايع الله ، ومن بايع الله فإنه ينصره، ويخذل أعداءه. أى هو ناصرهم ومصيرهم غالبين على من سواهم، فينبغى لمن ينتمي إلى محمد ﷺ أن لايفارقهم، ومن فارقهم خلع ربقة الطاعة من عنقه، وخرج عن نصرة الله تعالى فدخل النار، فالواو فى قوله: «ومن شذ» للعطف على معنى الحصول فى الوجود، وتفويض ترتب الثانية على الأولى إلى فهم السامع الفطن الذكى كما تقرر فى علم المعانى.

ويحتمل أن يضمن «يد الله » معنى الإحسان والإنعام بالتوفيق على استنباط الأحكام، وعلى الاطلاع على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من الاعتقاد المستقيم، والأخلاق الفاضلة، فإن «ضلالة» لفظ مطلق شامل لمعنى أنواع الضلالة من الاجتماع على إمام يقتدون به، وعلى حكم يستنبطونه، وعلى اعتقاد يعتقدونه فالمناسب أن يعبر بالضلالة عن الباطل؛ لأنه يجمع المعانى الثلاثة التى يستدعيها باب التمسك بالكتاب والسنة على سبيل الاشتراك المسمى بعموم المجاز. والله أعلم.

الحديث الثانى عشر عن ابن عمر: قوله: «السواد الأعظم» «غب» السواد يعبر به عن الجماعة الكثيرة، والسيد: المتولى للسواد الكثير، ولما كان من شرط المتولى للجماعة أن يكون مهذب النفس قيل لكل من كان فاضلاً فى نفسه: سيد، ويقال: ساد القوم يسودهم، ولايقال: سيد الثوب والفرس.

«مظ»: المعنى انظروا إلى الناس وإلى ماهم عليه، فما عليه الأكثر من علماء المسلمين من الاعتقاد والقول والفعل فاتبعوهم فيه، فإنه هو الحق، وما عداه باطل. هذا فى الأصول، كالاعتقاد فى أركان الإسلام، وأما الفروع ففي نحو بطلان الوضوء بمس الفرج ولمس النساء وأشباههما فلا حاجة فيها إلى وجوب الإجماع، بل كل من أفتى فيه من المجتهدين كمالك، والشافعى، وأبى حنيفة، وأحمد- رضى الله عنهم- يجوز العمل به.

---

[١٧٤] قال الشيخ الألبانى: كذا فى الأصل، وفى جميع النسخ بياض، ويظهر أن المؤلف تعمد تركه؛ لأنه لم يجد من أخرجه، كما أشار إليه فى مقدمة الكتاب وكذلك لم أجده فى شئ من كتب السنة المعروفة، حتى الأمالى والفوائد والأجزاء التى مررت عليها، وهى تبلغ المئات، ولا أورده السيوطى فى «الجامع الكبير» وأما قول القارى: بعده بياض، وألحق ميرك شاه: ابن ماجه، ففى هذه الإلحاق نظر؛ لأن ابن ماجه، وإن رواه (٣٩٥٠) عن أنس، فهو بلفظ «إن أمتى لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافًا، فعليكم بالسواد الأعظم»وكذا رواه ابن بطة فى «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (ق١٤٥/ ٢) وسنده ضعيف جدًا ومن ذلك يتبين أن ما فى الأصل كأنه إضافة، نقلا عن ميرك شاه.

١٧٥ ـ * وعن أنس، قال: قال لى رسولُ الله ﷺ: يابُنَىَ إنْ قدَرْتَ أن تصبحَ وتمسى وليس فى قلبك غشٌ لأحد فافعلْ». ثم قال: «يا بُنىَّ! وذلك من سُنَّتى، ومن أحَبَّ سُنَتى فقد أحَبَّنى، ومن أحَبَّنى كان معى فى الجنَّة» رواه الترمذى [١٧٥].

١٧٦ ـ * وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من تمسَّك بسُنتى عند فساد أمتى، فله أجرُ مائة شهيد» رواه [١٧٦]

الحديث الثالث عشر عن أنس: قوله: «أن تصبح» أى تدخل فى وقت الصبح، وقوله: «ليس» حال تنازع فيه الفعلان، والمراد بهما الديمومة و«الغش» نقيض النصح الذى هو إرادة الخير لأحد، والغش مأخوذ من الغشش وهو المشرب الكدر، و«أحد» عام شامل للمؤمن والكافر، فإن نصيحة الكافر أن يجتهد فى إيمانه، ويسعى فى خلاصه من ورطة الهلاك باليد، واللسان، وبالتألف بما يقدر عليه من المال. وقوله: «فافعل» جزاء كناية عما سبق في الشرط من المعنى، أى إن فعلت ما نصحتك به فقد أوتيت بأمر عظيم، ولهذا أشار بقوله: «ذلك» للإشعار بأنه رفيع المنزلة، بعيد المتناول. وأخبر عنه بقوله: «من سنتى» وعقبه بقوله: «ومن أحب» إلى آخره.

الحديث الرابع عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «فله أجر مائة شهيد» «مظ»: وذلك لأنه يلحقه مشقة فى ذلك الوقت بإحياء السنة والعمل بها، فهو كالشهيد الذى قاتل الكفار لإحياء الدين حتى قتل. أقول: قيل: «فساد أمتى» ولم يقل: إفسادهم لأنه أبلغ، كأن ذواتهم قد فسدت، فلا يصدر منهم صلاح ولا ينجع الوعظ فيهم، ولاينزلون عن منكر فعلوه ولايفعلون معروفًا أمروا به، ولاسيما إذا ظهر ذلك فى العلماء منهم، والمقتفين لآثارهم.

---

[١٧٥] ضعيف: قال الشيخ الألبانى: وقال ـ يعنى ـ الترمذى: حديث حسن قلت: وفيه على بن زيد وهو ابن جدعان، وهو ضعيف.

[١٧٦] قال الشيخ الألبانى: بياض فى جميع النسخ إلا فى مخطوطة الحاكم، ففيها: «رواه البيهقى فى كتاب الزهد من حديث ابن عباس، والظاهر أن هذا كان على هامش أصل النسخة، فظنها الناسخ من الأصل فضمها إليه، وقد قال القارى: بعده بياض، وألحق ميرك وغيره: البيهقى، فى كتاب الزهد له من حديث ابن عباس» قلت: وقد رواه من هو أعلى طبقة منه وهو ابن عدى (ق٩٠/ ٢) وسنده ضعيف جدا؛ فيه الحسن بن قتيبة وهو هالك، كما قال الذهبي. وأما حديث أبى هريرة، فأخرجه الطبراني فى الأوسط بلفظ: «المتمسك بسنتى عند فساد أمتى له أجر شهيد» ومن طريق الطبرانى رواه أبو نعيم فى الحلية (٨/ ٢٠٠) وفيه عبد العزيز (بن أبى رواد) وفيه ضعف، ومحمود بن صالح العذرى. قال الهيثمى (١/ ١٧٢): «ولم أجد من ترجمه».

١٧٧ ـ * وعن جابر، عن النبى ﷺ حين أتاهُ عـمرُ فقال: إنَّا نسـمعُ أحاديثَ من يهود تعـجبنا، أفترى أن نكتُبَ بعـضَها؟ فقـال: «أمُتَهَوِّكـونَ أنتم كما تهَوَّكت الـيهود والنَّصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نَقـيَّة، ولو كان موسى حَيـا ما وسعه إلا اتباعى». رواه أحمد، والبيهقى فى كتاب «شعب الإيمان» [١٧٧].

إلى الماء يسعى من يغص بلقمـة   فقل: أين يسعى من يغص بمـاء؟

ولن يرتجى برئى ولا كشف علتى   إذا جـاء دائى مـن مكان دوائى

فإذاً المجاهدة معهم أصعب وأشق من المجاهدة مع الكفار، ولذلك ضوعف أجر من جاهدهم على من جاهد الكفار أضعافًا كثيرة.

الحديث الخـامس عشـر عن جابر: قـوله: «من يهود» «الزمـخشرى»: الأصـل فى يهودى ومجوسى أن يستعملا بغير لام التعريف، لأنهـما علمان خاصان لقومين أو لقبيلتين، وإنما جوز تعريفهما بالام، لأنه أجرى يهوديًا ويهود مجرى شـعيرة وشعير. «فا»: تهوك وتهور أخوان في معنى وقع فى الأمر بغير روية: وقيل: التهوك والتهفك الاضطراب فى القول، وأن يكون على غير استقـامة، «حس»: أى متحيرون أنتم فى الإسلام، لاتعـرفون دينكم حتى تأخذوه من أهل الكتاب؟ والضمير فى «بها» للملة الحنيفة.

«تو»: وصفهـا بالبياض تنبيـهًا على كرمهـا وفضلها؛ لأن البياض لما كـان أفضل لون عند العرب عبـر به عن الفضل والكرم، حتى قـيل لمن لم يتدنس بمعاب: هو أبيض الوجـه، ونقيه قريب من هذا المعنى. ويحتمل أن يراد أنها مصونة عن التبديل والتحريف، خالية عن التكاليف الشاقة، وأشار بذلك إلى أنه أتاهم بالأعلى والأفضل، واستـبدال الأدنى عند مظنة التحير، وقد شهد التنزيل على نقَلَة تلك الأحاديث بالفـسق والفرية، فلا يؤمن منهم اللبس على المؤمنين فى أمر دينهم، وإنمـا أنكر عليهم لأن طلبـهم يشعر بأنهم اعـتقـدوا نقصان مـا أتى به النبىﷺ. و«بيضاء نقية» منصوبان على الحال، وكـلاهما عبارة عن الظهور والصفاء، والخلوص عن الشك والشبهـة، واليسر، لامشقـة فيها، كما فى ديـن اليهود من قطعهم موضع النجـاسة من الثوب، وإخراج ربع أمـوالهم للزكاة، وغيرهمـا من العسر. و«مـا وسعه» أى ماينبـغى له أن يفعل إلا اتباعى، فإذا كانت هذه حال موسى فكيف بكم تطلبون من هؤلاء المحرفين ما تنتفعون به؟.

أقول: قوله: «أفـترى» الفاء فيه تسـتدعى معطوفًا عليه، أى أيحـسن ذلك فترى أن نكتب؟ و«بيضاء نقية» حالان مترادفان من الضمير المفسر بالملة، «ولو كان موسى حيًا» حال متداخلة من

---

[١٧٧] أخـرجه أحـمد (٣/ ٣٨٧)، والدارمى أيضـًا ويأتى بأتم منه وفـيه مـجالد بن سـعيـد، وحسنه الألبـانى بشواهده انظر المشكاة.

١٧٨ ـ * وعن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من أكَلَ طيبًا، وعمِلَ فى سُنة، وأمِن الناسُ بوائقه، دخل الجنة» فقال رجلٌ: يارسول الله! إنَّ هذا اليومَ لكثيرٌ فى الناس؟ قال: «وسيكونُ فى قرونٍ بعدى» رواه الترمذى [١٧٨].

الضمير في البيضاء استعارة لسطوع براهين هذه الملة المستقيمة، ووضوح دلائلها القويمة مما له بياض ونقاوة.

الحديث السادس عشر عن أبى سعيد: قوله: «من أكل طيبًا» «تو»: أى حلالاً ، وعمل فى موافقة سنة، وإنما نكرها لأن كل عمل يفتقر إلى معرفة سنة وردت فيه. و«بوائقه» مفسرة فى بعض الأحاديث، فروى: ظلمه وغشه، وقيل: غوائله وشره، والبائقة الداهية. وقوله: «إن هذا اليوم لكثير» أى الذي تصفه، يحتمل أن الرجل قال ذلك حمدًا لله تعالى وتحدثًا بنعمته، ثم قال: «وسيكون في قرون بعدى» ليوقفه على أن ذلك غير مختص بالقرن الأول. ويحتمل أنه فهم من قوله: «من أكل طيبًا» إلى آخره التحريض على الخصال المذكورة، والزجر عن مخالفته، ووجد الناس يتدينون بذلك، ويحرصون عليه، فخاف أن النبى ﷺ اطلع على خلاف ذلك فى مستقبل الأمر منهم، فأحب أن يستكشف عنه، فقال هذا القول، فعرف رسول ﷺ منه ذلك، فأجابه ﷺ بقوله: «وسيكون في قرون بعدى» فاختصر الكلام اعتمادًا على فهم السامع، وتحويلا للأمر المحذر.

وأقول: أراد الشيخ أن «سنة» نكرة وضعت موضع المعرفة لإرادة استغراق الجنس بحسب أفراده، كما في قوله تعالى: ﴿ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام﴾(١) ولم يقل: شجرًا، إرادة تقصيها شجرة شجرة، حتى لايبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا وقد بريت أقلامًا. وفائدته أن كل عمل واجب ومندوب ومباح وردت فيه سنة ينبغى مراعاتها، حتى قضاء الحاجة، وإماطة الأذى عن طريق المسلمين فكل من راعاها بأسرها في حركاته وسكناته فقد اتصف بهذه الخصلة. وأول الظرف بقوله: «فى موافقة سنة» فقدر المضاف ليستقيم المعنى. ويمكن أن يقال: إنه وقع« فى سنة» ظرفًا للعمل إشعاراً بأنها مكان العمل ومقره، فإن كل عمل لايوقع فى سنة فليس بعمل، ولا يعتد به. وقوله: «من أكل طيبًا» يجوز أن يحمل على ظاهر الإخبار كما فى الوجه الأول، وأن يحمل على معنى الأمر، والحث على فعل هذه الحال، والنهى عن أضدادها،

---

[١٧٨] وقال (٧/ ٢٢٣/ح ٢٦٤٠/ أحوذى): هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث إسرائيل. قال الشيخ الألبانى: قلت: وعلته (أبو بشر راويه عن أبى وائل، وهو مجهول) ا. هـ وأخرجه الحاكم في كتاب الأطعمة (١/ ١٠٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الشيخ الألبانى: ووافقه الذهبى، فوهما.

(١) لقمان : ٢٧

١٧٩ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم في زمانٍ من تَركَ منكم عُشرَ ما أُمر به هَلَك، ثم يأتي زمانٌ من عمل منهم بعشر ما أُمر به نجا» رواه الترمذي [١٧٩].

١٨٠ - * وعن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ماضَلَّ قومٌ بعد هُدى كانوا عليه إلا أوتوا الجَدَل» ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: (ما ضربوه لك إلا جدلاً بل

كانه ﷺ أشار بذلك إلى أن هذه الخلال شاقة يجب العمل بها، وقليل فاعلها، كقوله تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾(١) فقال الرجل: إن مثل هؤلاء الشاكرين لكثير في يومنا هذا، فأتى بإن واللام تقريراً وتأكيداً لكلامه، فأجابه ﷺ وقرر كلام الرجل، وعطف عليه الجواب، أي نعم هم كثيرون اليوم، وسيكون بعدى أي وسيكونون بعدى و«بعدى» على الوجه الأول محمول على التابعين ومن يلونهم، وعلى الثاني دونهم من الأمم القاصية، كما ورد في الحديث المشهور، والله أعلم.

الحديث السابع عشر عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «إنكم في زمان» الجملة الشرطية بعده صفة لزمان، والراجع محذوف، أي من ترك منكم فيه. الشارحون: لايجوز صرف هذا إلى عموم المأمورات، لما عرف أن أحداً لا يعذر إذا ترك ما عليه من الفرض المختص به، وإنما ورد في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يعني إنكم في زمان عزة الدين، وظهور الحق، ونزول الوحي، ومشاهدات المعجزات، وبين ظهراني رسول الله ﷺ فلا يعذر أحدكم في التهاون، بخلاف من يأتي بعدكم في زمان تشيع فيه الفتن، ويتوارى الحق، ويقل أنصار الدين.

وأقول: لعل هذا المعنى غير مناسب لباب التمسك بالكتاب والسنة، بل حمله على مامر في الحديث السابق- وهو قوله ﷺ: «من عمل في سنة» على مابيناه- كان أنسب، ويلزم منه معنى الأمر بالمعروف، أو النهي عن المنكر بالطريق الأولى، ويجرى معنى قوله: «مما أمر به» في أمر الندب.

الحديث الثامن عشر عن أبي أمامة: قوله: «أوتوا» حال، و«قد» مقدرة، والمستثنى منه أعم عام الأحوال، وصاحبها الضمير المستقر في خبر «كان»، والمعنى ما ضل قوم مهديون كائنين على حال من الأحوال إلا على إيتاء الجدل. يعني من ترك سبيل الهدى وركب متن الضلال عارفًا بذلك لابد أن يسلك طريق العناد واللجاج، ولايتمشى له ذلك إلا بالجدل. فإن قلت:

---

[١٧٩] وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث نعيم بن حماد، وضعفه الشيخ الألباني في الضعيفةح (٦٨٤) وعزاه إلى أبي نعيم وغيره.

(١) سبأ: ١٣.

هم قومٌ خَصِمون). رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه. [١٨٠].

١٨١ ـ * وعن أنس بن مالك، أنَّ رسـول الله ﷺ كان يقـول: «لا تُشدِّدوا على أنفسكم فيُشـدد اللهُ عليكم، فإن قومًا شدَّدوا على أنفسهم، فـشدَّد اللهُ عليهم، فتلك بقاياهم فى الصَّوامع ،والديار ﴿رهبانية ابـتدعوها ما كتَبناها عليهم﴾(١)». رواه أبو داود[١٨١].

كيف طابق هذا المعنـى الآية حتى استـشهد بها؟ قلـت: من حيث إنهم عرفـوا الحق بالبراهين الساطعة ثم عاندوا وانتـهزوا مجالاً للطعن، فلما تمكنوا مما التمسـوه جادلوا الحق بالباطل، وكذا دأب* الفرق الزائغة من الزنادقة وغيرها.

«قض»: المراد بهذا الجدل العناد، والمـراء، والتعصب في ترويج مذهبهم، وآراء مـشايخهم، من غـيـر أن يكون لهم نصـرة على ماهـو الحق، وذلك محـرم، أمـا المناظرة لإظهـار الحق، واستكشـاف الحال، واستـعلام ما ليس مـعلومًا عنده، أو تعليم غـيره ماهو عنده فـفرض على الكفاية، خارج عـما نطق به الحديث. ﴿ماضربوه لك إلا جدلاً﴾(٢) أى ما قالوه لك: ﴿ءآلهتنا خير أم هو﴾(٢) وأرادوا به أن الملائكة خيـر أم عيسى ؟ فـإذا عبد النصـارى عيسى فنحن نعـبد الملائكة، ما قالوا ذلك إلا جدلا وعنادًا، لا عن دليل وبرهان، ولم يسألوا ذلك لطلب الحق بل لمخاصمتك، وإيذائك بالباطل.

الحديث التاسع عـشر عن أنس: قوله: «فيشدد» نصب على جـواب النهى، والفاء فى «فإن قومًا» سبب للفـعل المنهى المسبب عنه الشدة. والفاء فى «فتلك» للتـعقيب، و«تلك» إشارة إلى مافى الذهن من تصور جماعة باقية من أولئك المشـددين، والخبر بيان له، كما فى قوله تعالى: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾(٣).

قوله: ﴿ورهبانية﴾ (٤) وهى ترهبـهم في الجبـال، فارين من الـفتنة فى الدين، مـخلصين أنفـسهم للعبـادة، ومعناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف، فعـلان من رهب، كخشيان

---

[١٨٠] أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢، ٢٥٦) وحسنه الألبانى فى صحيح الترمذى ح(٢٥٩٣) وصحيح ابن ماجه ح(٤٨) وغيرهما.

[١٨١] أخرجه أبو داود كتاب الأدب، باب فى الحسد ح (٤٩٠٤) بسند ضعيـف، ضعفه الشيخ الألبانى بسعيد ابن عبدالرحمن بن أبى العمياء لم يوثقه غير ابن حبان، وأشار الحافظ فى التقريب إلى أنه لين الحديث.

(١) الحديد: ٢٧.

(٢) الزخرف: ٥٨ .

(٣) الكهف: ٧٨ .

(٤) الحديد: ٢٧.

(*) فى (ط) [آداب] وما أثبتناه من (ك).

١٨٢ ـ * وعن أبي هريرة، قـال: قال رسول الله ﷺ: «نزل القـرآنُ على خمسة أوجهٍ: حَـلالٍ، وحَرامٍ، ومـحكمٍ، ومُتـشابهٍ، وأمـثال. فـأحلوا الحلال، وحـرّموا الحرام، واعملوا بالمحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعـتبروا بالأمثال». هذا لفظ المصابيح، وروى البيهقى فى «شعب الإيمان» ولفظه: «فاعمَلوا بالحلال، واجتَنبوا الحرام واتبعوا المحكم»[١٨٢] .

١٨٣ ـ * وعن ابن عـباس، قـال: قال رسـول الله ﷺ: «الأمرُ ثلاثة: أمـرٌ بيّنٌ رُشدُه فاتبعْه، وأمرٌ بيّن غيُّه فـاجتنبه، ،وأمرٌ اختُلف فيه فكلْه إلى الله عزَّ وجل» رواه أحمد [١٨٣].

من خشى، انتصابهما بفعل مضمر يفسره الظاهر، وهو «ابتدعوها» ، يعنى أحدثوها من عند أنفسـهم، ولم نفرضها على أنفسـهم، ولكنهم ابتدعوها ابـتغاء رضوان الله ، فمـا رعوها حق رعايتها، ومن التشدد فعل بنى إسرائيل من أمر البقرة وذبحها.

الحديث العشرون عن أبى هريرة قوله: «محكم ومتـشابه» قد سبق معناهما، وطريق الحصر فيـهما فى الفـصل الأول من هذا الباب، فهـو على هذا من عطف العام على الخـاص، وعكسه عطفًا على الحلال والحرام، ثم عطف الأمثال عليها، فينبغى أن يحملا على التصديق، وما يتعلق بالاعتقادات من إثبات الصفات لله تعالى، وأمر الحشر والنشر، ومن ثم صرح بذكر الإيمان فى قوله: «وآمنوا بالمتشابه».

الحديث الحادى والعشرون عن ابن عباس: قـوله: «اختلف فيه» «مظ»: يعنى ما علمت كونه حقًا بالنص فاعمل به، وما علمت بطلانه بالنص فاجـتنبه، ومالم يثبت حكمه بالشرع فلا تقل فيه شيئًا، وفوض أمره إلى الله مثل متشابهـات القرآن، وأمر القيامة. «واختلف فيه» يحتمل أن

---

[١٨٢] ضعيف جدًا: أخرجـه الثقفى فى «الثقيفيات» (ج٩/ رقم ١٤ ـ نسختنا) وابن حبرون المعدل فى «الفوائد العوالى» (ج١/ ٢٨/ ١) من طريق معارك بن عباد، حدثنى عبدالله بن سعيد المقبرى حدثنى أبى عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعًا به فى حديث أوله «أعربوا القرآن ...» ومعارك هذا ضعيف، وشيخه واه متهم. ورواه الهروى فى «ذم الكلام» (٦٢/ ٢) من هذا الوجه، وله عنده شاهد من حديث ابن مسعود نحـوه، ولكنه ضعيف جدًا أيضًا، فيه المقدام بن داود وليس بثقة أ. هـ كلام الشيخ الألبانى.المشكاة.

[١٨٣] قال الشيخ الألـبانى: لم أجد أحدًا عزاه إليـه، وما أظنه فى مسنده وقـد عزاه السيوطي فى «الجامـع الكبير» (ج١/ ٣٢٣/ ١) لابن منيع، واسمـه أحمد أيضًا! بهذا اللفظ، وللطبـرانى فى «الكبير» بلفظ «فكـله إلى عالمه» قلت: وفي أوله عنده (ج٣/ ٩٧/ ٢) «أن عيسى بن مريم عليه السلام قـال إنما الأمور ثلاثة.........» وكذا أورده الهيثمى فى «المجمع» (١/ ١٥٨) من رواية الطبـراني فقط، وقال: «ورجاله موثقـون» وفيه نظر؛ فإن من رواته أبا المقـدام واسمه هشام بن زياد، وهو متروك كما قال الحافظ فى «التقريب» ومن طريقه رواه الهروي فى «ذم الكلام» (ق٦٠/ ٢).

الفصل الثالث

١٨٤ ـ * عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان ذئبُ الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاذَّة والقاصيةَ والناحيةَ، وإياكم والشِّعاب، وعليكم بالجماعة والعامَّة» رواه أحمد [١٨٤].

١٨٥ـ * وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن فارَق الجماعة شِبرًا فقد خلَع رِبقة الإِسلام من عنُقِه» رواه أحمد، وأبو داود. [١٨٥].

يكون معناه اشتبه وخفى حكمه، ويحتمل أن يراد اختلاف الناس فيه من تلقاء أنفسهم. أقول: الأولى أن يفسر هذا الحديث بما ورد فى آخر الفصل الثالث فى حديث أبي ثعلبة.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن معاذ: قوله: «إن الشيطان ذئب الإنسان» الذئب مستعار للإفساد والإهلاك، أى إن الشيطان مفسد للإنسان ومهلكه، كذئب أرسل إلى قطيع من الغنم. و«يأخذ الشاذّة» صفة للذئب، لأنه بمنزلة النكرة، كما فى قوله تعالى: ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾(١) ويجوز أن يكون حالا، والعامل معنى التشبيه، وهو تمثيل مثل حالة مفارقة الجماعة والسواد الأعظم وانقطاعه عنهم واعتزاله عن صحبتهم ثم تسلط الشيطان عليه وإغوائه، بحالة شاة قاصية شاذة عن قطيع الغنم، ثم افتراس الذئب إياها بسبب انقطاعها. ووصف الشاة بصفات ثلاث، فـ«الشاذة» هى النافرة التى لم تؤنس، و«القاصية» التى قصدت البعد لا عن التنفر، و«الناحية» هى التى غفلت عنها، وبقيت فى جانب منها، فإن الناحية هي التى صارت في ناحية من الأرض. و«الشعاب» من الشعب، وهو من الوادى ما اجتمع منه طرف وتفرق طرف، ولذلك قيل: شعبت الشئ إذا جمعته، وشعبته إذا فرقته. ولما فرغ من التمثيل أكده بقوله: «إياكم والشعاب» وعقبه بقوله: «وعليكم بالجماعة والعامة»تقريراً بعد تقرير.

الحديث الثانى عن أبى ذر: قوله: «ربقة الإسلام» الربقة عروة فى حبل يجعل فى عنق البهيمة أو يدها تمسكها، فاستعارها لانقياد الرجل واستسلامه لأحكام الشرع، وخلعها لارتداده وخروجه عن طاعة الله ومتابعة رسوله.

---

[١٨٤] أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣، ٢٤٣) وضعف الشيخ الألبانى الموضع الأخير، قال: سند ضعيف فيه رجل لم يسم، وعمر بن إبراهيم عن قتادة ضعيف.

[١٨٥] صحيح: صححه الألبانى فى صحيح أبي داود (ح ٤٧٥٨) وضعف سند أحمد وأبى داود بخالد بن وهبان وهو مجهول ثم ذكر له شواهد كثيرة وانظر المشكاة.

(١) الجمعة: جزء من الآية رقم ٥.

١٨٦ ـ * وعن مالك بن أنس مُرسلاً قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تركتُ فيكم أمرين لن تَضِلوا ما تمسَّكتم بهما: كتابَ الله وسُنَّةَ رسوله» رواه في «الموطأ»[١٨٦].

١٨٧ ـ * وعن غُضَيْف بن الحارث الثمالي، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحدثَ قومٌ بدعةً إلا رُفعَ مثلُها من السنَّة؛ فتمسُّكٌ بسنةٍ خيرٌ من إِحْداث بدعة» رواه أحمد[١٨٧].

الحديث الثالث عن مالك: قوله: «تركت فيكم أمرين» سيأتي شرحه مستقصى في باب مناقب أهل البيت إن شاء الله تعالى.

الحديث الرابع عن غضيف: قوله: «مثلها» جعل أحد الضدين مثل الآخر لشبه التناسب بين الضدين وإخطار كل منهما بالبال مع ذكر الآخر، وحدوثه عند ارتفاع الآخر، وعليه قوله تعالى: ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾(١)، فكما أن إحداث السنة يقتضي رفع البدعة، كذلك عكسه، ولذلك قال: «فتمسك بسنة» نزرة (٢) «خير من إحداث بدعة مستحسنة»، كما إذا أحيي آداب الخلاء مثلاً على ما ورد في السنة، فهو خير من بناء رباط أو مدرسة، والسر فيه هو أن من راعى هذا الأدب فإنه يوفقه ويلطف به، حتى يترقى منه إلى ماهو أعلى منه، فلا يزال في الترقي والصعود إلى أن يبلغ مقام القرب، ومخدع الوصل كما قال: «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به» الحديث. ومن تركه يؤديه ذلك إلى ترك الأفضل، حتى ينتقل إلى مقام الرين والطبع، فالفاء في «فتمسك» جزاء شرط محذوف.

---

[١٨٦] صحيح: صححه الشيخ الألباني في الصحيحة (ح١٧٦١) وتكلم على حديث الموطأ بأنه معضل، قال: لكن له شاهد من حديث ابن عباس بسند حسن أخرجه الحاكم ـ وانظر المشكاة.

[١٨٧] ضعيف: أخرجه في الشعب، باب في مباعدة الكفار والمفسدين والغلظة عليهم (ح٩٤٦٤). وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (ح ٤٩٨٥) والمشكاة.

(١)الإسراء : جزء من الآية رقم ٨١.

(٢) كذا في (ك) (نزرة) واضحة لا لبس فيها، وأما في المطبوع فقد جعلها (قذرة)، ولعله خطأ من الناسخ لتلك النسخة وللأسف، قد وقعت تلك النسخة المحرفة في أيدي كبار العلماء كابن حجر، فكادت ان تذهب بمكانة الإمام الطِّيبي وتعصف بجلالته أدراج الرياح، لولا ما ثبت لديهم من سنيته وحسن اتباعه. فانظر إلى فائدة التحقيق وجمع النسخ. ولله الحمد أولاً وآخرًا، إذ برأ الرجل على أيدينا. وقد علق هنا مصحح (ط) فقال: وفي المرقاة: «بسنة» أي صغيرة أو قليلة، كإحياء آداب الخلاء مثلاً على ما ورد في السنة . وأما قول الطيبي : أي سنة قذرة، فلغزة قلم وزلة قدم مما ينفر عنه الطبع ويمجه السمع. قال ابن حجر: لولا اشتهار علم الرجل وتحقيقه وحسن حاله وطريقه لقضي عليه بهذه الكلمة بأمر عظيم، كيف واصحابنا مصرحون بأن من استقذر شيئًا منسوبًا إليه عليه الصلاة والسلام كفر؟ والسنة منسوبة إليه فوصفها بالقذارة يوقع في تلك الورطة، لولا إمكان تأويله بأنه لم يصفها بالقذارة من حيث كونها سنة؛ بل من حيث تعلق فعلها بمستقذر. وهذا بفرض قبوله إنما يمنع الكفر فحسب ، لا الشناعة والقبح وسوء الأدب (المصحح) ج ـ ١ص ـ ٢٥٦. قلت وانظر أصل هذا الكلام في المرقاة ٤٣٢/١.

١٨٨ ـ * وعن حسَّان. قال: ما ابتـدَعَ قومٌ بدعةً فى دينهم إلا نزع اللهُ من سُنَّتهم مثلَها، ثم لا يُعيدُها إليهم إلى يوم القيامة. رواه الدارمى [١٨٨].

١٨٩ ـ * وعن إبراهيم بن مَيسَرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَـنْ وَقَّرَ صاحبَ بدعةٍ، فقد أعانَ على هَدمِ الإسلام» رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» مرسلاً[١٨٩].

ويمكن أن يحمل هذا على باب قوله تعالى: «أى الفريـقين خير مقامًا» (١) وقولهم: «العسل أحلى من الخل، والصيف أحر مـن الشتاء» يعني أن السنة فى بابها أبلغ من البـدعة فى بابها، وذلك أن قوله ﷺ: «خير الهدى هدى محمد» المراد بالهـدى الطريقة التى لاشر فيها، وخيرها سنة محمد، وقـوله: «شر الأمور محدثاتها» هذه الأمـور لاخير فيها، وشرها الـبدعة، فيلزم من هذا أن يكون هدى محـمد فى بابه أبلغ من الشـر فى بابه، لأن الخير غـالبًا غـالب على الشر وقامع له، كما قال الله تعالى: «جاء الحق وزهق الباطل»(٢).

الحديث الخامس عن حسان: قوله: «لا يعيدها إلى يوم القيامة» وذلك أن السنة القديمة كانت متأصلة مستقـرة مكانها، فلما أزيلت عن مقرها لم يمكن إعادتها كما كانـت أبدًا، فمثلها كمثل شجرة ضربت عروقها فى تخوم الأرض، فلا يكون إعـادتها بعد قلعها مثل ماكانت فى أصلها، قال الله تعالى: «مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة» (٣) الآية.

الحـديث السادس عن إبراهيـم: قوله: «من وقـر» الوقار السـكون والحلم، يقال: هو وقـور ووقار، قال الله تعالى: «مالكم لاترجون لله وقارًا» (٤). قوله: «علـى هدم الإسلام» وذلك أن المبتدع مخالف للسنة ومائل عن الاستقامة، [ومن وقره حاول اعوجاج الاستقامة](*) لأن معاونة

---

[١٨٨] أخرجه الدارمى باب اتباع السنة ح(٩٨) وصححه الشيخ الألبانى وقال: وقد روى من قول أبى هريرة، أخرجه أبو العباس الأصم فى حديثه (١ رقم ١٠١ نسختى). أ. هـ.

[١٨٩] ضعيف لإرساله، ويخشى أن يكون هذا السند إليه فيه علة ما، فقد رواه اللالكائى فى شرح أصول السنة (١/ ٣٥/ ١) موقوفًا عليه. وقد روى موصولاً ومرفوعًا من طرق كثيرة يطول الكلام بإيرادها، وقد يرتقى الحديث بمجموعها إلى درجة الحسن وانظر تعليق الشيخ على المشكاة.

(١) مريم: جزء من الآية رقم ٧٣.

(٢) الإسراء: جزء من الآية رقم ٨١.

(٣) إبراهيم: جزء من الآية رقم ٢٤.

(٤) نوح: ١٣.

* سقط من (ط) وأثبتناه من (ك).

١٩٠ ـ * وعن ابن عباس، قال: من تعلَّم كتابَ الله ثم اتبعَ ما فيه؛ هداه اللهُ من الضلالة فى الدنيا، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب.

وفى رواية، قال: مَن اقتَدى بكتـاب الله لا يضلُّ فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة، ثم تلا هذه الآية: ﴿فمن اتَّبعَ هُدايَ فلا يَضلُّ ولا يَشقى﴾(١) رواه رزين

١٩١ ـ * وعن ابن مسعود، أن رسـول الله ﷺ قال: «ضـرب اللهُ مثـلاً صراطًا مستقـيمًا، وعن جَنَبتى الصِّراط سوران، فـيهما أبواب مفتَّـحة، وعلى الأبواب ستورٌ

نقيض الشئ معاونة لدفع ذلك الشئ. وكان من حق الظاهر أن يقـال: من وقر المبتدع فـقد استـخف بالسنة. فوضع مـوضعـه: «فقد أعـان على هدم الإسلام» ليـؤذن بأن مستـخف السنة مستخف للإسلام، ومـستخفه هادم لبنيانه، وهو من باب التغليظ، فإذا كـان حال الموقر هذا فما بال حال المبتدع؟ وفيه أن من وقر صاحب سنة كان الحكم بخلافه.

الحديث السابع عن ابن عـباس: قوله: «هداه الله» ضمن «هدى» مـعنى أمن، فعداه بمن إلى المفعول الثانى، أى أمنه الله من ارتكاب المعاصى، والانحراف من الطريق المستقيم. «ووقاه سوء الحساب» عبـارة عن كونه من أصحاب اليمين، فكما أنه أمن فى الدنيـا من الضلال كذلك يأمن فى الآخرة من العذاب، وفيه أن سعادة الدارين منوطة بمتـابعة كتاب الله، والاعتصام بسنة رسول الله ﷺ.

الحديث الثامن عن ابن مسعود: قوله: «صراطًا مستقيمًا» بدل من «مثلا» لاعلى إهدار المبدل، فقـولك: زيد رأيت غلامه رجلا صـالحًا، إذ لو أسقطت غلامـه لم يتبين. و«سوران» مبـتدأ، و«عن جنبتى» خبره، والجـملة حال من «صراطًا» و«فيهما أبواب» الجـملة صفة لسوران، و«على الأبواب» الجملة حال من ضمير الأبواب فى «مفتحة لى» ووضع الظاهر موضع الضمير الراجع إلى صاحبـها. و«عند رأس» الجملة معطوفـة على «وعن جنبتى الصراط» و«يقـول» صفة «داع»، و«لاتعوجوا» عطف على «اسـتقيموا» على الطرد والـعكس؛ لأن مفهوم كل منهمـا مقرر لمنطوق الآخر، وبالعكس، «وفوق ذلك» عطف على «رأس الصراط» ، والمشار إليه بـ «ذلك» الصراط، و«كلما» ظرف يستدعى الجواب، وهو قوله: «قال»، «شيئًا» أى قدرًا يسيرًا منها، و«ويحك» زجر له من تلك الهمة، وهي كلمة ترحم وتوجع ، تقال لمن وقع فى هلكة لايستحقها. و«تلجه» أى تدخل الباب، وتقع في محـارم الله تعالى. هذا يدل على أن قوله: «أبواب مفتـحة» أى مردودة غير مغلقـة. «ثم فسره» أى أراد أن يفسره فأخبر، نـظيره قوله ﷺ : «ألا إن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله مـحارمه، فـمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فـيه» فالسـور بمنزلة الحمى، وحولها بمنزلة الباب والستر، فحينئـذ لايقصر ضرب المثل بالباب والسور فقط، فلذلك لم يأت بضمير الفصل بين تينك الجملتين، كما أتى به فى الجمل الثلاث. و«مرخاة» أى مدلاة ومسدلة،

---

(١) طه: ١٢٣.

مُرخاةٌ، وعند رأس الصراط داعٍ يقول: استقيموا على الصراطِ ولا تعوَجُّوا، وفوق ذلك داعٍ يدعو، كلما هَمَّ عبدٌ أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك! لا تفتحْه، فإنك إنْ تفتحْهُ تلجْهُ». ثمَّ فسَّره فأخبر: «أنَّ الصراط هو الإسلام، وأنَّ الأبواب المفتَّحة محارمُ الله، وأنَّ الستور المرخاة حدودُ الله، وأن الداعي على رأس الصراط هو القرآن، وأن الداعي من فوقه واعظُ الله في قلب كلّ مؤمن» رواه رَزين، ورواه أحمد [١٩١].

١٩٢ ـ * والبيهقي في «شعب الإيمان» عن النواس بن سمعان، وكذا الترمذي عنه إلا أنه ذكر أخْصَرَ منه. [١٩٢].

من: أرخيت الشئ إرخاء. و«حدود الله» الحد الفاصل بين العبد ومحارم الله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿**تلك حدود الله فلا تقربوها**﴾(١).

و«واعظ الله» هو لمة الملك في قلب المؤمن، واللمة الأخرى هي لمة الشيطان، وإنما جعل لمة الملك التي هي واعظ الله فوق داعي القرآن لأنه إنما ينتفع به إذا كان المحل قابلا، ومن ثم قال الله تعالى: ﴿**هدى للمتقين**﴾(٢) وفي قوله: «وعن جنبتي الصراط سوران» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولاتتبعوا السبل**﴾ (٣) والسبل هي الخطوط التي على يمين الصراط ويساره كالسورين، والمشار إليه بـ «هذا» ما دل عليه قوله تعالى: ﴿**أتل ماحرم ربكم عليكم ألاتشركوا به شيئًا**﴾(٤) الآية، فإن تلك الخطوط أشار بها في الحديث السابق إلى الاعتقادات الفاسدة، والأهواء الزائغة التي ينبئ عنها قوله تعالى: ﴿**ألاتشركوا به شيئًا**﴾(٥).

---

[١٩١] صحيح: رواه رزين عن ابن مسعود، والآجري «في الشريعة» عنه موقوفًا عليه مختصرًا، وسنده صحيح، وأحمد في المسند (٤/ ١٨٢، ١٨٣) والحاكم (١/ ٧٣) وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، وانظر المشكاة وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٣٨٨٧)

[١٩٢] ذكره البيهقي في «شعب الإيمان» في السادس والأربعين من شعب الإيمان، باب معالجة كل ذنب بالتوبة، (ح٧٢١٦) ورواه الترمذي واستغربه (٢٥/ ١٤٠) وكأنه عنى الطريق التي أخرجها منه، وهي إحدى طريقي المسند.

(١) البقرة: جزء من الآية رقم ١٨٧.
(٢) البقرة: جزء من الآية رقم ٢.
(٣) الأنعام: جزء من الآية رقم ١٥٣ .
(٤) الأنعام :جزء من الآية رقم ١٥١.
(٥) الأنعام :جزء من الآية رقم ١٥١.

١٩٣ - * وعن ابن مسعود، قال: من كان مُسْتنًا؛ فليْستنَّ بمَن قد مات فإن الحيَّ لا تُؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضلَ هذه الأمَّة، أبرَّها قلوبًا، وأعمقهـا علمًا، وأقلها تكلفا، اختارهم الله لصحبة نبيّه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسَّكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهُدى المستقيم. رواه رزين [١٩٣].

وفى هذا الحديث إلى المحارم التى لمح إليها قوله تعالى: ﴿**ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها ومابطن**﴾(١).

الحديث التاسع عن ابن مسعود: قوله: «مستنًا» «غب» : يقال: تنح عن ستن الطريق وسننه، وسنة الوجه طريقته، وسنة النبي ﷺ طريقته التى كان يتحراها، وإنما أخرج الجملة مخرج الشرط والجزاء تنبيهًا به على الاجتهاد، وتحرى طريق الصواب بنفسه بالاستنباط من معانى الكتاب والسنة، فإن لم يتمكن منها فليقتد بأصحاب الرسول ﷺ، لأنهم نجوم الهدى، بأيهم تقتدى تهتدى. كان ابن مسعود رضى الله عنه يوصى القرون الآتية بعد قرون الصحابة والتابعين باقتفاء أثرهم، والاقتداء بسيرهم وأخلاقهم.

قوله: «الفتنة» وهى كالبلاء فى أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من الشدة والرخاء، وهما فى الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالا. وإنما قال: «فإن الحى لاتؤمن» لأن أصحاب النبي ﷺ قد أمنوا منها، كما قال الله تعالى: ﴿**إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم**﴾(٢) أى أنهم صبروا على التقوى أقوياء على احتمال مشاقها، وضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لأجل التقوى، فإن حقيقة التقوى لاتعلم إلا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها، أو أخلص قلوبهم للتقوى، من قولهم: امتحن الذهب وفتنه، إذا أذابه فخلص إبريزه من خبثه ونقاه. وعن عمر رضى الله عنه: «أذهب الشهوات عن قلوبهم».

وقوله: «أولئك أصحاب محمد» إشارة إلى قوله: «من مات» فاعتبر أولا اللفظ وأفرد قوله: «مات»، وثانيًا المعنى، وجمعه بقوله: «أولئك» و«هذه الأمة» إشارة إلى ما فى الذهن من جميع أمة محمد ﷺ إلى انقراض العالم. قوله: «فاعرفوا لهم فضلهم» لهم مجمل، فسر بقوله: «فضلهم» للتفخيم والتعظيم، كأنه لما [تلفظ](*) بـ «لهم» فأبهم ولم يُعرِّف مايوجب العرفان،

---

[١٩٣] وأخرجه ابن عبد البر فى «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٧) والهروى (ق٨٦/ ١) من طريق قتادة عنه، فهو منقطع، وذكره البغوى فى شرح السنة (١/ ٢١٤) بنحوه.

(١) الأنعام جزء من الآية رقم ١٥١.
(٢) الحجرات: ٣.

(*) فى «ط» «تلقن» ولا يستقيم به المعنى، وما أثبتناه من ك .

١٩٤ ـ * وعن جابر، أن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنهما، أتى رسولَ الله ﷺ بنُسخةٍ من التَّوراة، فقال: يارسول الله! هذه نسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجهُ رسول الله ﷺ يتغيَّر. فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكلُ! ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟! فنظر عمرُ إلى وجه رسول الله ﷺ فقال: أعوذُ بالله من غضب الله وغضب رسوله، رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ نبيًا. فقال رسولُ الله ﷺ: «والذي نفسُ محمدٍ بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموهُ وتركتموني لضللْتم عن سواءِ السَّبيل؛ ولو كان حيًا وأدركَ نبُوَّتي لاتَّبعَني» رواه الدارمى[١٩٤].

١٩٥ـ * وعنه ، قال : قال رسول الله ﷺ: «كلامي لا يَنسَخُ كلامَ الله، وكلام الله ينسَخُ كلامي، وكلامُ الله ينسخُ بعضُه بعضًا». [١٩٥] .

ففسر بقوله: «فضلهم» كما قال الله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ (١) و﴿رب اشرح لى صدرى﴾(٢) والمراد بالعرفان: ما يلازمه من متابعتهم، ومحبتهم، والتخلق بأخلاقهم، فإذًا قوله« واتَّبِعُوهم على آثارهم »إلى آخره عطف على «اعرفوا» على سبيل البيان، فقوله: «على إثرهم» حال مؤكدة من فاعل «اتبعوا» ، كقوله تعالى: ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ (٣) ويجوز أن يكون من المفعول، والله أعلم، رزقنا الله متابعتهم فى الدنيا، ومرافقتهم فى العقبى، وحسن أولئك رفيقًا (٤).

الحديث العاشر عن جابر: قوله: «فجعل» جعل بمعنى طفق أى طفق يقرأ، و«ماترى ما بوجه» ما الأولى نافية، والهمزة مقدرة، والثانية موصولة أو موصوفة. «ثكلتك الثواكل» مضى شرحه فى الفصل الثانى من باب الإيمان فى حديث معاذ، «ومن غضب الله» توطئة لقوله: «وغضب رسوله»، نحو: أعجبنى زيد وكرمه، إيذانًا بأن غضب رسول الله ﷺ غضب الله. «ورضينا» اعتذار مما صدر عنه ،جمع الضمير إرشادًا للسامعين، وتنبيهًا للغافلين، وموقع هذه الجملة بعد الاستعاذة موقع الشروع في المقصود من الكلام بعد التثبت، كتمهيد العذر، والله أعلم.

---

[١٩٤] مر الكلام عليه فى الحديث (١٧٧)

[١٩٥] موضوع: ذكره الشيخ الألبانى فى ضعيف الجامع ح(٤٢٩٠)وقال: موضوع، وعزاه إلى ابن عدى، والدارقطنى، عن جابر، والضعيفة.

(١) الشرح: ١

(٢) طه: جزء من الآية رقم ٢٥.

(٣) التوبة: جزء من الآية رقم ٢٥.

(٤) يشير إلى قوله تعالى في سورة النساء (ومن يطع الله والرسول . .)الآية النساء : ٦٩ .

١٩٦ـ * وعن ابن عمـر، قال: قال رسـولُ الله ﷺ : «إنَّ أحاديثنا ينسخُ بعضُـها بعضًا كنسخ القرآن». [١٩٦] .

١٩٧ـ * وعن أبي ثعلبـة الخـشنيِّ، قـال: قـال رسول الله ﷺ: «إن الله فَـرض فرائض فـلا تُضيّـعوها، وحرَّمَ حُـرُمات فلا تـنتهكوها، وحدَّ حُـدودًا فلا تعـتدوها، وسكَت عن أشـيـاءَ من غيـر نسـيـان فلا تبـحـثـوا عنها». روى الأحـاديث الثـلاثة الدارقطني. [١٩٧]

الحديث الحادي عشر إلى الثالث عشر ظاهر.

---

[١٩٦] موضوع أيضا: وفيه محمد بن عبدالرحمن البيلمـانى، قال ابن حبان: حدَّث عن أبيه بنسخة شبيها بمائتى حديث، كلها موضوعة. وقال الحاكم: روى عن أبيه عن ابن عمر معضلات. قلت: وهذا من روايته عن أبيه عن ابن عمر، وانظر المشكاة.

[١٩٧] الأول (ص ٤٨٥) والثـانى (ص٤٨٦) والثالث (٥٠٢) ورجـاله ثقـات، ولكنه منقطع بين مكحـول وأبي ثعلبة. وله عند الدارقطنى (ص٥٥٠) شاهد مـن حديث أبى الدرداء، وفيه نهشل الخراسـانى وهو كذاب، كما قال ابن راهويه، فلا قيـمة لشهادته! ، ومع ذلك فقد قال النووى فى الأربعين، بعـد أن عزاه للدارقطنى: حديث حسن وتعقبه ابن رجب (ص ٢٠٠) بالانقطاع الذي ذكرناه أ. هـ الألبانى من المشكاة.

كتاب العلم

الفصل الأول

١٩٨ - عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «بلغوا عنى ولو آية،

كتاب العلم

الفصل الأول

الحديث الأول عن عبد الله: قوله: «بلغوا» «مظ» فى الآية معانٍ كثيرة: منها أن يراد بها الكلام المفيد، نحو «من صمت نجا» ، و «الدين النصيحة» أى بلغوا عنى أحاديثى ولو كانت قليلة. ومنها التحريض على نشر العلم، ومنها جواز تبليغ بعض الحديث، كما هو عادة صاحب المصابيح، ومشارق الأنوار، ولا بأس به، إذ الغرض تبليغ لفظ الحديث مفيدًا، سواء كان تامًا أم لا.

فإن قيل: لم حرض النبى ﷺ على تبليغ الأحاديث دون القرآن؟ قلنا: لوجهين: أحدهما أنه أيضًا داخل فى هذا الأمر؛ لأنه ﷺ مبلغهما. وثانيهما أن طباع المسلمين مائلة إلى قراءة القرآن وتعليمه وتعلمه ونشره، ولأنه قد تكفل الله بحفظه واشتهاره، لقوله تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ (١) فإذا كان كذلك فلا يحتاج إلى التحريض، وأما الأحاديث فليست كذلك. و «الحرج» الضيق والإثم، رخص ﷺ التحدث(●) عن بنى إسرائيل وإن لم يعلموا صحته بالإسناد والراوى لبعد الزمان بينهم.

فإن قيل: قد ورد النهى عن الاشتغال بما جاء عنهم، وقيل فيه: «أمتهوكون أنتم؟» ورخص هنا، فكيف التوفيق؟ قلنا: المراد بالتحدث هنا التحدث بقصصهم من قتلهم أنفسهم لتوبتهم من عبادة العجل، وتفصيل القصص المذكورة فى القرآن، ونحو ذلك؛ لأن فى ذلك عبرة وموعظة لأولى الألباب. وأما النهى فوارد على كتب التوراة، وما يتعلق بالعمل من الأحكام؛ لأن جميع الشرائع والأديان(٢) والكتب منسوخة بشريعة نبينا ﷺ. [يقال: تبوأ الدار أى اتخذها مسكنا، وأصله البواء، وهو مساواة الأجزاء فى المكان ، يقال: مكان بواء إذا لم يكن نابيًا بنازله.]**

«قض» : قال: «ولو آية»، ولم يقل: حديثًا؛ لأن الأمر بتبليغ الحديث يفهم من هذا بطريق الأولوية؛ فإن الآيات مع انتشارها، وكثرة حملتها، وتكفل الله سبحانه وتعالى بحفظها،

---

(١) الحجر: ٩

(٢) قلت: إطلاق لفظة الأديان هكذا مما لا ينبغى، فإن الدين واحد ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ وإنما الذى يتعدد الشرائع قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾.

(●) كذا في الأصل، في (ط) و (ك).

** يلاحظ أن هذا الجزء من الشرح حقه التأخر وليس التقدم هكذا لأنه يتعلق بقوله ﷺ: «فليتبوأ مقعده من النار» وهي في آخر الحديث فانتبه، والله أعلم

وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذَبَ عليَّ متعمدًا، فلْيتبوَّأ مقعَدَه من النَّار». رواه البخارى.

وصونها عن الضياع والتحريف ـ واجبة التبليغ، فالحديث ـ ولا شئ فيه مما ذكر ـ أولى بأن يحدث عنه بالتبليغ.

«حس»: ليس فى الحديث إباحة الكذب على بنى إسرائيل، بل معناه الرخصة فى الحديث عنهم بلا إسناد؛ لأنه أمر قد تعذر فى الإخبار عنهم؛ لطول المدة، ووقوع الفترة. وفيه إيجاب التحرز عن الكذب على الرسول ﷺ بأن لا يحدث عنه إلا بما يصح بنقل الإسناد والتثبت فيه. قال عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

وأقول – والله أعلم ـ قوله: «بلغوا عنى»: يحتمل وجهين: أحدهما أن يراد إيصال السند بنقل العدل الثقة عن مثله إلى منتهاه؛ لأن التبليغ من البلوغ، وهو انتهاء الشئ إلى غايته. وثانيهما أداء اللفظ كما سمعه من غير تغيير. والمطلوب فى الحديث كلا الوجهين؛ لوقوع قوله: «بلغوا عنى» مقابلا لقوله: «حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج» إذ ليس فى التحديث ما فى التبليغ من الحرج والتضييق. ويعضد هذا التأويل الآية والحديث، أما الآية فقوله تعالى: ﴿**يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**[1]﴾ أى وإن لم تفعل كما هو حقه فما بلغت ما أمرت به. وأما الحديث فهو قوله: «نضر الله عبدًا سمع مقالتى فحفظها ووعاها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»، وسيجئ شرحه إن شاء الله تعالى.

وأما قوله: «ولو آية» أى علامة، فهو تتميم ومبالغة، أى لو كان المبلغ والمؤدى فعلاً، أو إشارة باليد والأصابع. وها هو الإمام محمد بن إسماعيل البخارى عقد بابًا طويلاً فى هذا المعنى، ثم رتب على ما ذكر الوعيد البليغ. وقوله: «ومن كذب على متعمدًا» يعنى من لم يبلغ حق التبليغ، ولم يحتط فى الأداء، ولم يراع صحة الإسناد، وحدث عنى بلا حرج ـ دخل فى زمرة الكاذبين، كما ورد: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع» والأمر بالتبوء تهكم وتغليظ؛ إذ لو قيل: كان مقعده فى النار، لم يكن كذلك: وأيضًا فيه إشارة إلى معنى القصد فى الذنب وجزائه، أى كما أنه قصد فى الكذب التعمد فليقصد فى جزائه التبوء.

«غب»: الآية هي العلامة الظاهرة وحقيقته لكل شئ ظاهر هو ملازم لشئ لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنه أدرك الآخر الذى لم يدركه بذاته.

قال ابن الصلاح فى كتابه إن حديث: «من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» من المتواتر، وليس فى الأحاديث ما فى مرتبته من التواتر، فإن ناقليه من الصحابة العدد الجم، وهو فى الصحيحين مروى عن جماعة منهم، وروى بعض الحفاظ أنه رواه عن رسول الله ﷺ اثنان

---

(١) المائدة: جزء من الآية رقم ٦٧.

١٩٩ - وعن سمرة بن جندب، والمغيرة بن شعبة، قالا: قال رسول الله ﷺ «من حدَّث عني بحديث يُرَى أنه كذبٌ، فهو أحد الكاذِبين». رواه مسلم.

٢٠٠ - * وعن معاوية، قال: قال رسول الله ﷺ: «من يُـرد الله به خيرًا يُفقهه في الدين، وإنما أنا قاسمٌ والله يعطي». متفق عليه.

وستـون من الصحابة، وفيـهم العشرة المشهـود لهم بالجنة. وقيل: أكثـر من ذلك. وقيل: لا يعرف حـديث اجتمع عليه العـشرة إلا هذا. قال الشـيخ: ثم لم يزل عدده على هذا، وأنه فى الازدياد وهلم جـرا على التوالى والاستـمرار. وقـال: المتواتر عـبارة عن الخبـر الذى ينقله من يحصل العلم بصدقه ضرورة، ولابد فى إسناده من اسـتمرار هذا الشرط فى روايته من أوله إلى منتهاه.

والحديث الثـانى عن سمرة: قوله: «يرى» «شـف»: وإنما سماه كاذبًا؛ لأنه يعين المفـترى، وشاركه بسـبب إشاعته ونشره، فـهو كمن أعان ظالمًا على ظلمـه. «مح»: «يُرى» ضبطناه بضم الياء، و «الكاذبين» بكسر الباء وفتح النون على الجمع، وهذا هو المشهور فى اللفظتين.

قال القاضى عيـاض: الرواية فيه عندنا على صحيح مسلم فى حـديث سمرة «الكاذِبَين»بفتح الباء وكسر النون على التثنية، واحتج به على أن الراوى له يشارك البادى بهذا الكذب. ثم رواه أبو نعيم من رواية المـغيرة «الكاذبين أو الكاذبين» على الشك فـى التثنية والجـمع، وذكر بعض الأئمة جـواز فتح الياء من : (يرى) بمعنى يعلم، وهو ظاهر حـسن. فأما من ضم الياء فـمعناه يظن، ويجـوز أن يكون الفتح بمعنى يظـن، وقد حكى رأى بمعنى ظن. وقـيل: إنه لا يأثم إلا برواية ما يعلمـه، أو يظنه كذبا، أما مـا لا يعلمه، ولا يظنه فلا إثم عليـه فى روايته، وإن ظنه غيره كذبًا أو علما. وأقول: قولـه:«أحد الكاذبين» من باب قولك: القلم أحد اللسانين، والخال أحد الأبوين، وقد مر بيانه.

الحديث الثالث عن معاوية: قوله: «يفقهه» «نه»: الفقه فى العلم: الفهم، يقال: فقه الرجل يفقـه فقهًا إذا عـلم. وفقه ـ بالضم ـ يفـقه إذا صار فقـيهًا عـالمًا. وجعله العرف خـاصًا بعلم الشريعة، وتخصيصًا بعلم الفروع. وإنما خص علم الشريعة بالفقه؛ لأنه علم مستنبط بالقوانين، والأدلة، والأقيسة، والنظر الدقيق بخلاف اللغة، والنحو، والصرف . روى أن سلـمان نزل على نبطية بالعراق، فـقال لها: هل هاهنا مكان نظيف أصلى فيه، فقـالت: طهر قلبك وصل حيث شئت: فـقال: فقـهت. أى فهمت وفطنت الحق، ولو قـال: علمت، لم يقع هذا الموقع. وعن الدارمى عن عمران قال: قلت للحسن يومًا فى شئ قاله: ياأبا سعيد! ليس هكذا يقول الفقهاء، فقال: ويحك، هل رأيت فقيهًا قط؟ وإنما الفقـيه الزاهد فى الدنيا، الراغب فى الآخرة، البصير بأمر دينه، والمداوم على عبادة ربه.

«قض» :«إنما أنا قـاسم» أى أنا أقـسم بينـكم. ، فـألقى إلى كل واحـد مـا يليق به، والله سبحانه يوفق من يشاء منكم لفهمه، والتفكر فى معناه، والعمل بمقتضاه. «تو»: أعلم أصحابه ـ

٢٠١ - * وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الناسُ معادنُ كمعادن الذهب والفضَّة، خيارُهم فى الجاهليَّة خيارهم فى الإسلام إذا فَقُهوا». رواه مسلم. [٢٠١]

رضى الله عنهم - أنه ﷺ لم يفضل فى قسمة ما أوحى إليه أحدًا من أمته على الآخر، بل سوى فى البلاغ، وعدل في القسمة، وإنما التفاوت فى الفهم، وهو واقع من طريق العطاء، ولقد كان بعض الصحابة يسمع الحديث فلا يفهم منه إلا الظاهر الجلى، ويسمعه آخر منهم أو من القرن الذى يليهم أو ممن أتى بعدهم فيستنبط منه مسائل كثيرة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وأقول: الواو فى قوله: «وإنما أنا قاسم» للحال من فاعل «يفقهه»، أو من مفعوله، وإذا كان الثانى فالمعنى أن الله تعالى يعطى كلا ممن أراد أن يفقهه استعدادًا لدرك المعانى على ما قدره، ثم يلهمنى بإلقاء ما هو لائق باستعداد كل واحد، وعليه كلام القاضى. وإذا كان الأول فالمعنى أنى ألقى ما يسنح لى وأسوى فيه، ولا أرجح بعضهم على بعض، فالله تعالى يوفق كلا منهم على ما أراد وشاء من العطاء، وعليه كلام التوربشتى.

الحديث الرابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «الناس معادن» المعدن المستقر والمستوطن، من: عدنت البلد إذا توطنته، ومنه المعدن المستقر الجواهر والفلزات. و «معادن» خبر مبتدأ ولا يستقيم حمله عليه إلا بأحد وجهين: إما أن يكون محمولا عليه بالتشبيه، كقولك: زيد أسد، فيكون «كمعادن الذهب» بدلاً منه، وإما أن يكون المعادن مجازًا من التفاوت، فالمعنى الناس متفاوتون تفاوتًا مثل تفاوت معادن الذهب والفضة فالمراد بالتفاوت تفاوت النسب فى الشرف والصنعة، يدل عليه قوله ﷺ فى حديث آخر: «فعن معادن العرب تسألونى؟ قالوا: نعم» أى أصولها التى ينسبون إليها، ويتفاخرون بها. وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعدادات المتفاوتة، فمنها قابلة لفيض الله تعالى على مراتب المعادن، ومنها غير قابلة لها.

وقوله: «خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا» جملة مبينة بعد التفاوت الحاصل بعد فيض الله تعالى عليها من العلم والحكمة. قال الله تعالى: «من يؤت الحكمة فقد أوتى خيرًا كثيرًا(١)» شبههم بالمعادن فى كونها أوعية للجواهر النفيسة والفلزات المنتفعة بها، المعنىّ بهما فى الإنسان كونه أوعية العلوم والحكم، فالتفاوت فى الجاهلية بحسب الأنساب، وشرف الآباء، وكرم الأصل، وفى الإسلام بحسب العلم والحكم، فالشرف الأول موروث، والثانى مكتسب.

فإن قلت: ما فائدة التقييد بقوله: «إذا فقهوا»؛ لأن كل من أسلم ،وكان شريفًا فى الجاهلية فهو خير من الذى لم يكن له شرف فيها، سواء فقه أو لم يفقه؟ قلت: ليس كذلك؛ فإن

[٢٠١] أخرجه مسلم ك البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة (ح٢٦٣٨).

(١) البقرة: جزء من الآية رقم ١٦٩

الإيمان يرفع التفاوت المعتبرة فى الجاهلية، فإذا تحلى الرجل بالعلم والحكمة استجلب النسب الأصلى فيجتمع شرف النسب مع شرف الحسب، انظر إلى المنقبة السنية كيف رد تيمنها وبركتها ما رفعه الإسلام من الشرف الموروث؟ وفهم من ذلك أن الوضيع المسلم المتحلى بالعلم أرفع منزلة من الشريف المسلم العاطل. ونِعم ما قال الأحنف:

كل عز لم (يوطد)(١) بعلم فإلى ذل ما يصير

قال:

ولا الشرف الموروث لا در دره بمحتسب إلا بآخر مكتسب

وقال الآخر:

إن السرى(٢) إذا سرى فبنفسه وابنُ السرى إذا سرى أسراهما

روى أن فزاريًا شكى إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه من لطمة لطمها جبلة بن الأيهم، فأمر بالقصاص، فقال جبلة: أتقتص منى وأنا ملك وهو سوقة؟ فقال عمر: شملك وإياه الإسلام، فما تفضله إلا بالعاقبة.

الحديث الخامس عن ابن مسعود: قوله: «لا حسد» أى لا رخصة فيه، «حس»: المراد من الحسد ههنا الغبطة، وهى تمنى الرجل مثل ما لأخيه من غير أن يتمنى زواله عنه، والمذموم ما يتمنى الزوال، وهو المسمى بالحسد، ومعنى الحديث: الترغيب فى التصدق بالمال، وتعليم العلم، وقيل: إن فيه تخصيصًا لإباحة نوع من الحسد، وإن كانت جملته محظورة. وإنما رخص فيهما لما يتضمن مصلحة فى الدين. قال أبو تمام:

وما حاسد فى المكرمات بحاسد

وكما رخص فى الكذب لتضمن فائدة هى فوق آفة الكذب. وقيل: معناه لا يحسن الحسد إن حسن فى موضع إلا فى هذين الموضعين.

أقول: أثبت الحسد فى الحديث لإرادة المبالغة فى تحصيل النعمتين الخطيرتين، يعنى ولو حصلتا بهذا الطريق المذموم فينبغى أن يتحرى ويجتهد فى تحصيلها، فكيف بالطريق المحمود؟ بل أقول: هو الطريق المحمود لذاته، والمأمور فى قوله تعالى: ﴿**فاستبقوا الخيرات**﴾(٣) والمرغب فيه بقوله: ﴿**والسابقون السابقون أولئك المقربون**﴾(٤) فإن السبق هو روم نيل ما لصاحبك واختصاصك به. قالت الخنساء:

(١) فى «ط» «يوطل» والتصويب من «ك».
(٢) السَّرِىّ: الرفيع فى كلام العرب، وفى حديث أم زرع: «فنكحت بعده سريًا اى نفيسًا شريفًا.
(٣) البقرة: جزء من الآية رقم ١٤٨ (٤) الواقعة: ١٠: ١١.

رجلٌ آتاهُ الله مالاً فسلَّطه على هَلَكتِه في الحقِّ.، ورجل آتاه اللهُ الحِكمة فهو يَقضى بها ويعلمها». متفق عليه.

٢٠٣ - * وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسانُ انقطع

وما بلغت كف امرئ متناولا — من المجد إلا والذى نال أطول

وهو الحسد المباح الذى سبق ذكره. وكيف لا؟ وكل واحدة من هاتيك الخصلتين بلغت غاية لا أمد فوقها، ولو اجتمعتا فى امرئ بلغ من العلياء كل مكان.

وقوله: «فسلطه على هلكته» فيه مبالغتان: إحداهما التسليط،فإنه يدل على الغلبة وقهر النفس المجبولة على الشح البالغ. ثانيتهما قوله: «على هلكته» فإنه يدل على أنه لا يبقى من المال باقيًا، فلما أوهم القرينتان للإسراف والتبذير المقول فيهما لا خير فى السرف ـ كمله بقوله: «فى الحق»، كما قيل: لا سرف فى الخير. وكذا القرينة الأخرى اشتملت على مبالغات: إحداها «الحكمة» فإنها تدل على علم دقيق مع إيقان فى العمل. وثانيتها «يقضى» أى يقضى بين الناس، وهى مرتبته ﷺ. وثالثتها «يعلمها»، وهى أيضًا من مرتبة سيدنا النبى ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ [1] . وروى :«لا حسد إلا فى اثنين»، فيكون «رجل» بدلا منه. وروى «فى اثنتين» أى خصلتين اثنتين، فلابد من تقدير مضاف ليستقيم المعنى، فإذا روى «اثنين» يقدر: فى شأن اثنين، وإذا روى «اثنتين» يقدر: خصلة رجل.

«نه»: الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم، وهذ الحديث على ما تقرر شاهد صدق على وجوب أداء لفظ الحديث من غير إبدال، إذ لو وضع مكان «لا حسد» لا غبطة، ومكان «سلط» «ملك»، وغيرهما، وأبدلت الحكمة بالعلم، وهلم جرا لفاتت تلك الفوائد المقصودة. والله أعلم.

الحديث السادس عن أبى هريرة: قوله: «إلا من....صدقة» وفى بعض نسخ المصابيح أسقطوا لفظة «إلا» وهى مثبتة فى صحيح مسلم، وكتاب الحميدى، وجامع الأصول، والمشارق، وهو إلى آخره بدل من قوله: «إلا من ثلاثة» فعلى التكرير فيه مزيد تقرير، واعتناء شأنها، والاستثناء متصل، تقديره: ينقطع عنه ثواب أعماله من كل شئ من الصلاة والزكاة والحج، ولا ينقطع ثواب أعماله من هذه الثلاثة. والمعنى إذا مات الإنسان لا يكتب له بعده أجر أعماله؛ لأنه جزاء العمل، وهو ينقطع بموته، إلا فعلا دائم الخير، مستمر النفع، مثل وقف أرض، أو تصنيف كتاب، أو تعليم مسألة يعمل بها، أو ولد صالح، وكل منها يلحق أجره إليه. وإنما جعل ولد

---

(١) الجمعة: جزء من الآية رقم ٢

عملُه إلا من ثلاثة أشياء: صدَقة جارية، أو علمٍ يُنْتَفعُ به، أو ولَدٍ صالحٍ يدعُو له». رواه مسلم. [٢٠٣]

جعل ولد صالح من جنس العمل لأنه هو السبب فى وجوده، وسبب لصلاحه بإرشاده إلى الهدى، كما جعل نفس العمل فى قوله تعالى: ﴿إنه عمل غير صالح﴾ (١) . وأما فائدة القيد بـ «الولد يدعو له» مع أن الغير من المسلمين لو دعا له لنفعه أيضًا ـ فزيادة للبيان، وتحريض للولد على الدعاء، وأنه كالواجب عليه.

«قض»: قوله ﷺ : «من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» يكاد يخل بهذا الحديث، لاسيما قوله: «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فى سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة» فإنه ينافى [قطريه]*. قلت: الحديث الأول داخل فى باب علم ينتفع به، فإن وضع السنن وتأسيسها من باب التعليم. وأما قوله: «كل ميت يختم على عمله» فمعناه أن الرجل إذا مات لا يزاد فى ثواب ما عمل، ولا ينقص منه شئ إلا الغازى؛ فإن ثواب مرابطته ينمو ويتضاعف، وليس فيه ما يدل على أن عمله يزاد بضم غيره أو لا يزاد. يريد أن الحصر يدل على أن الثواب بانضمام الغير يجرى له، كأنه قيل: ينقطع عمله المنضم إلى عمل الغير إلا عن ثلاث، والمرابطة ليست بداخلة فيها، فلا يخل بالحصر. وهو ينظر إلى ما روى التوربشتى عن الطحاوى حيث قال: والذى ذكر عن المرابط، فإنه عمله الذى قدمه فى حياته، فينمو له إلى يوم القيامة.

وأقول: لعلها داخلة فى الصدقة الجارية؛ لأن القصد فى المرابطة نصرة المسلمين، ودفع أعداء الدين، والمجاهدة مع الكفار، ودعوتهم إلى الإسلام لينتفعوا فى الدارين. ونية المؤمن خير من عمله، فلا يبعد أن يدخل تحت جنس الصدقة الجارية، كبناء الرباط، وحفر البئر. وفيه تحريض على الجهاد وحث عليه، ومما يواخيه فى الحث حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ: «من احتبس فرسًا فى سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة» رواه البخارى. «مح»(٢) :فيه دليل صحة أصل الوقف، وعظم ثوابه، وبيان فضيلة العلم، والحث على استكثار منه والترغيب فى توريثه بالتعليم والتصنيف، وأنه ينبغى أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع. وفيه أن الدعاء يصل ثوابه إلى الميت، وكذلك الصدقة، وهما مجمع عليهما، وكذلك قضاء الدين.

---

[٢٠٣] أخرجه مسلم ك الفرائض، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (ح ١٦٣١).

(١) هود: جزء من الآية رقم ٤٦

(٢) زيادة من «ك» ليست فى «ط».

* القُطر :ـ بالضم ـ الناحية والجانب، ويراد بهما طرفي الحديث .

٢٠٤ - * وعنه قال: قال رسول ﷺ: «مَن نَفَّس عن مؤمنٍ كُربةً من كُرَبِ الدنيا، نَفَّسَ الله عنه كُربةً من كُرَبِ يوم القيامة. ومن يسَّر على مُعْسِرٍ يسَّر الله عليه فى الدنيا والآخرة. ومَن سترَ مُسلمًا ستَرَه الله فى الدنيا والآخرة. والله فى عون

الحديث السابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «من نفس» يقال: نفست عنه كربة تنفيسًا إذا رفعته [وفرجته]* عنها، مأخوذ من قولهم: أنت فى نفس أي سعة، كأن من كان فى كربة وضيق سد عنه مداخل الأنفاس، فإذا فرج عنه فتحت [المداخل]**. و «المعسر» من ركبه الدين، وتعسَّر عليه قضاؤه. «مظ»: «ومن ستر» يجوز أن يراد به الظاهر، وأن يراد ستر من ارتكب ذنبًا فلا يفضحه. وإنما عدل ﷺ من المساجد ، إلى هذه الصيغة أعنى «من بيوت الله» ليشمل جميع ما يبنى لله تقربًا إليه من المساجد والمدارس، والربط. و «يتدارسون» شامل لجميع ما يناط بالقرآن من التعليم والتعلم، والتفسير، والاستكشاف عن دقائق معانيه. و «السكينة» هى ما يحصل به السكون والوقار، وصفاء القلب بنور القرآن، وذهاب الظلمة النفسانية، ونزول ضياء الرحمانية. وعن ابن مسعود: «السكينة مغنم، وتركها مغرم» و«غشيتهم» غطتهم وعلتهم الرحمة، و «حفت بهم» أى أحدقتهم، وطافت بهم.

قوله: «فيمن عنده» قيل: المراد بهم الملأ الأعلى، والطبقة الأولى من الملائكة. وذكره سبحانه فيما بينهم للمباهاة بهم. و «البطء» نقيض السرعة. «نه» : أى من أخره عمله السيىء أو تفريطه فى العمل الصالح لم ينفعه فى الآخرة شرف النسب.

وأقول: قوله: «كربة» أى غمًا وشدة، نكرها تقليلا، وميز بها بعد الإبهام وبيّنها بقوله: «من الدنيا» للإيذان بتعظيم شأن [التنفيس]***، يعنى أقله المختص بالدنيا يفيد هذه الفائدة، فكيف بالكثير المختص بالعقبى؟ فلذلك لم يقيد هذه القرينة بما قيده فى القرينتين الأخيرتين من ذكر الدنيا والآخرة معًا، ولأنهما تخصيص بعد التعميم اهتمامًا بشأنهما. «والله فى عون العبد» تذييل للسابق، لاسيما على دفع المضرة عن أخيه المسلم، وعلى جلب النفع له، ولذلك أخرجه من سياق الشرطية، وبنى الخبر على المبتدأ؛ ليقوى به الحكم. وخص العبد بالذكر تشريفًا له بنسبة العَبدية إليه، كما شرف رسول الله ﷺ فى قوله تعالى: **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً﴾**(١) وكرره وقال: «فى عون العبد» ولم يقل: والله يعينه فى كذا، كما قال: **﴿ولكم فى القصاص حياة﴾** (٢) أى إن الله يوقع العون فى العبد ويجعله مكانًا له، مبالغة فى الإعانة.

ولما فرغ من الحث على الشفقة لخلق الله تعالى أتبعه بما ينبئ عن التعظيم لأمر الله، ولأن العلم وسيلة إلى العمل ومقدمة له، ومن ثم [ختمه] ■ بقوله: «ومن بطأ به عمله».

---

(١) الإسراء: ١ (٢) البقرة: ١٧٩

* زيادة من «ك» والمشهور «رفعتها وفرجتها عنه»

** من «ك» وفى «ط «المداخلة». *** من «ك» وفى «ط» «النفيس».

■ فى «ط» «ضمه» والتصويب من «ك».

العبدِ ما كان الـعبْد فى عون أخيه. ومن سَلك طريقًا يلتمسُ فـيه عِلمًا سهَّل اللهُ له به طريقًا إلى الجنَّة. وما اجـتمع قومٌ فى بيتٍ من بيوت الله يتلون كتـاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلَت عليهمُ السكينةُ، وغـشيتهم الرحمَةُ، وحفَّـتهم الملائكة، وذكَرهم اللهُ فيمن عنده. ومن بَطَّأ به عملُه لم يُسْرع به نسبُه» رواه مسلم [٢٠٤].

٢٠٥ - * وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أوَّل الناس يُقضى عليه يوم القيامة رجلٌ استُشهد، فأتى به فـعرَّفه نعمته فعرفها، قال: ما عملت فـيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدتُ قال: كذَبت؛ ولكنَّك قـاتلت لأن يقال: جرئ، فقد قيل، ثم أمرَ به فسُحب على وجهـه حتى أُلقى فى النار. ورجلٌ تعـلَّم العلمَ وعلَّمه، وقـرأ القرآن،

قوله: «ومن سلك طريقًا» التنكير فيه للشيـوع، أى تسبب بسبب أى سبب كان، من مفارقة الأوطان، والضرب فى البلدان، والإنفاق فـيه، والتعلم والتعليم، والتـصنيف، والكدح فيه، مما لا يحصى كثرة. «ومن بطأ به عمله» أيضًا تذييل بمعنى التعظيم لأمر الله، فالواو فيه وفى قوله: «والله فى عون العبد» استئنافية، وبقية الواوات عاطفـة، وأخرج الأخيرة مخرج الحصر خصوصًا بما وإلا؛ ليقطع الحكم به، ويكمل العناية بشأنها، والله أعلم.

الحديث الثامن عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «إن أول الناس» «شف»: «يقضى» صفة للناس، وهو نكرة معنى، أى أول ناس يقضى عليه يوم القيامة رجل. انتهى كلامه.

قوله: «فعرفه» هذا التعريف للتبكيت، وإلزام المنعم عليه، ولذلك أتبعه بقوله: «فعرفها» أى اعترف بها، والفـاء فى «فعرفه» للتعقيب، وفـى «فعرفها» للتسبـيب، وفى [فما عملت]* جزاء شرط محذوف هو مقول القول، أى إذا كان مقررًا عندك أمن تلك النعمة الموجبة للشكر منّى فما فعلت فى حق تلك النعمة؟ وهى منح القوة، والشجاعة، وتهيئة آلة المحاربة لإعلاء كلمات الله، يعنى كيف أديت شكرها؟ وقـوله: «فيك» أى فى جهتك خالصًـا لك، أداء لحق تلك النعمة. والتكذيب راجع إلى هذه الدعوى. و«جرئ» أي مقدام، يقول منه: جرأ الرجل جراء بالمد. قال فى الصحاح: وأما الجرئ المقدام فهو من باب الهـمز. «وقرأ القرآن» أى على ظهر قلبه من غير تأمل فى معانيه. وفيه تنبيه على أن مجرد قراءته كاف فى الاعتبار.

قال المؤلف: «نعـمته» على صـيغة المفـرد أولا، وعلى الجمع فى الأخيـرين، هكذا جاء فى صحيح مسلم، والجـمع بين الصحيحين، والحميـدى، وجامع الأصول، وفى الرياض للنواوى، وفى بعض نسخ المصابيح. ولعل الفرق لأجل اعتبار الإفراد فى الأولى والكثرة فى الأخيرين.

---

[٢٠٤] أخرجه مسلم ك الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (٢٦٩٩).

* من «ك» وفى «ط» «علمت».

فأُتى به فعرَّفه نعمه فعرفها. قال: فما عمِلتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلمَ وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت؛ ولكنَّك تعلَّمت العلم ليقال: إنَّك عالمٌ، وقرأت القرآن ليُقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمرَ به فسُحب على وجهه حتى أُلقى فى النار. ورجل وسَّع اللهُ عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتىَ به فعرَّفه نِعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تُحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبتَ، ولكنك فعلت ليقالَ: هو جوادٌ؛ فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه ثم أُلقى فى النار». رواه مسلم. [٢٠٥]

٢٠٦ - * وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقْبِضُ العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلمَ بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالمًا؛ اتخذ الناس رؤوسًا جهالا، فسُئلوا فأفْتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا». متفق عليه.

٢٠٧ - * وعن شقيق كان عبد الله بن مسعود يذكر الناس فى كلِّ خميس فقال له

الحديث التاسع عن عبد الله قوله: «انتزاعًا» مفعول مطلق [على](*) معنى «يقبض» نحو «رجع القهقرى، و«ينتزعه» صفة مبينة للنوع، و «حتى» هى التى تدخل على الجملة، وهى هنا الشرط والجزاء قوله: «اتخذ الناس رءوسًا جهالا» قال الشيخ محيى الدين: ضبطناه فى البخارى «رءوسًا» بالمد بضم الهمزة وبالتنوين جمع رأس، وضبطوه فى مسلم هنا بوجهين: أحدهما هذا، والثانى[«رؤساء» بالمد جمع رئيس، وكلاهما صحيح، والأول أشهر. وفيه التحذير عن اتخاذ الجهال رءوسًا.

الحديث العاشر عن شقيق: قوله: «يتخولنا» أى يتعهدنا، التخول التعهد، وحسن الرعاية، يقال: تخولت الريح الأرض إذا تعهدتها، والخائل المتعهد للشىء الحافظ له.

والمعنى أنه كان يتفقد بالموعظة فى مظان القبول، ولا يكثر علينا لئلا نسأم، وكان أبو عمرو يقول: إنما [هو](**) يتخوننا، والتخون التعهد، قال ذو الرمة:

لا ينعش الطرفَ إلا ما تخونه ... داع يناديه باسم الماء مبغومُ

---

[٢٠٥] أخرجه مسلم ك الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (١٩٠٥).

(*)من «ك» وفى «ط» «عن». (**) زيادة من «ك».

رجل: يا أبا عـبد الرحـمن! لوَدِدْتُ أنك ذكرتنـا فى كلّ يوم. قال: أمـا إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أُملّكم، وإنى أتخولُكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخوّلنا بها مخافة السآمة علينا. متفق عليه.

٢٠٨ ـ * وعن أنسٍ، قال: كان النبى ﷺ إذا تكلمَ بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلَّم عليهم سلم عليهم ثلاثًا. رواه البخارى.

٢٠٩ ـ * وعن أبى مسعـود الأنصارى، قال: جاء رجل إلى النـبى ﷺ فقال: إنه

وقد رد على الأعمش روايته باللام، وكان الأصمعى يقـول: ظلمه أبو عمرو، يقال: يتخولنا ويتخـوننا جميعًـا. قلت: والرواية باللام أكثر، وزعم بعـضهم أن الصواب يتحـولنا ـ بالحاء ـ المهملة ـ وهو أن يتـفقد أحوالهم التى ينشطون فـيها للموعظة فـيعظهم فيها، ولا يكـثر عليهم فيملوا. ومن الناس من يرويه كذلك، ولكن الرواية فى الصحاح بالخاء المعجمة.

الحديث الحادى عشر عن أنس: قوله: «إذا تكلم» «تو»: أراد بالكلمة الجملة المفيدة. وقوله: «أعادها ثلاثًا» فإنه مبين بقوله: «حتى يفـهم عنه». وأما قوله: «إذا سلم سلم عليهم ثلاثًا» فإنه يفتقـر إلى البيان؛ لأنا لم نجدها سنة مـشروعة، وقد ذهب بعض العلمـاء فى معناه إلى تسليم الاستئذان، واستدل بحديث سعد بن عبادة: «أن النبى ﷺ جاءه وهو فى بيته، وسلم،[فلم][1] يجبـه، ثم سلم ثانيًا، ثم ثالـثًا» الحديث، وفى هذا التـأويل نظر؛ لأن تسليمـة الاسـتئذان لا [تثنى][2] إذا حـصل الإذن بالأولى، ولا تثلث إذا حصل بـالثانيـة؛ ثم أنه ذكره بحـرف «إذا» المقتضيـة لتكرار الفعل كرة بعد أخرى، وتسليمه ثلاثًا على باب سـعدٍ أمر نادر، ولم يذكر عنه فى غير هذا الحديث.

والوجه فيـه أن نقول: معناه كان النبى ﷺ إذا أتـى على قوم سلم تسليمة الاسـتئذان، وإذا دخل سلم تسليمة التـحية، ثم إذا قام من المجلس سلم تسليمة التـوديع، وهى فى معنى الدعاء. وهذه التسليـمات كلهـا مسنونة، وكان النبـى ﷺ يواظب عليها، ولا مـزيد فى السنة على هذه الأقسام.

الحديث الثانى عشر عن أبى مسعود: قوله: «إنه أبدع بى» اسم «إن» ضمير الشأن، والجملة المفسرة خبره. (فا»: أبدعت الراحلة إذا انقطعت عن السير لكلال أو ظَلَع[3] جعل انقطاعها عما كانت مستمرة عليه من عادة السير إبداعًا منها، أى إنشاء أمر خارج عما اعتيد فيها وألف، واتسع فيـه حتى قـيل: أبدعت حجة فـلان. ، وأبدع بره بشكرى، وإذا لم يف شكره ببـره. ومعنى «أبدع بالرجل» انقطع به راحلتـه، كقـولك: سار زيد بعمـرو، فإذا بنيت الفـعل للمفـعول به وحذفت الفاعل قلت: سـير بعمرو، فأقـمت الجار والمجرور مقام الفـاعل، وأن المعنى فى سير بعمرو سير عمرو، كذلك المعنى فى انقطع بالرجل قطع الرجل، أى قطع عن السير.

---

(١) من «ك» وفى «ط» «ولم».

(٢) من «ك» وفى «ط» «يثنى» بالياء المثناة التحتية

(٣) ظلعت الدابة: عرجت وغمزت فى مشيها.

أُبْدع بى فاحملنى. فقال: «مـا عندى». فقال: رجلٌ: يارسول الله! أنا أدله على من يحـمله. فـقـال رسول الله ﷺ: «من دلَّ عـلى خيـرٍ فله مـثلُ أجـرِ فـاعله». رواه مسلم.[٢٠٩].

٢١٠ ـ * وعن جرير، قال: كـنا فى صدر النهار عند رسول الله ﷺ، فـجاءه قومٌ عراة مـجتابى النمـار أو العباء، متـقلدى السيوف، عـامتهم من مُـضَر، بل كلهم من مُضَر، فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالا فأذَّن، وأقامَ فصلى ثم خطبَ فقال: ﴿يأيها الناس اتقـوا ربَّكم الذى خلقكم من نفسٍ

قوله: «من دل على خـير» وإنما أجاب ﷺ بقوله: «مـن دل على خير فله مثل أجـر فاعله» بدل «نعم» ليشمل جمـيع هذه الخصلة الحميدة، ويدخل فيه السـائل دخولا أوليًا وإيراد الحديث فى هذا الباب لمناسبة التعليم الفعلى؛ لأن التعليم أعم من أن يكون فعليًا أو قوليًا.

الحديث الـثالث عشـر عن جرير: قـوله: «مجـتابى» هو بالجـيم وبعد الألف باء مـوحدة. و«النمار» جمع نمرة، وهى كساء من صوف مخطط. ومعنى مـجتابيها لابسوها، وقد خرقوها فى رءوسهم، والعطف فى «بل كلهم» للحصر، وهو من قصر الموصوف على الصفة، أى لا يتجاوز عن مضر إلى غيرهم. وكذا العطف فى (بل قد عجزت)، وفائدته التأكيد، ورفع توهم التجوز. «نه» : (التمعر) التـغير، وأصله قلة النضارة وعدم إشراق اللون، من قـولهم: مكان أمعر: إذا (كان)(*) أحدب.

قوله: ﴿خلقكم من نفس واحـدة﴾ (١) هذا على تـأويل أن يكون الخطاب بقــوله: ﴿يأيها الناس﴾(١) للذين بعث إليهم رسـول الله من مضر، وأراد بالتـلاوة من هذه الآية قوله: ﴿واتقوا الله الذى تساءلـون به والأرحام﴾(١)،أى اتقـوا الله الذي خلقكم، واتقوا الله الذى تتنـاشدون، واتقوا الأرحـام فلا تقطعوها، وقـد أذن عز وجل إذ قرن الأرحـام باسمه أن صلتـها منه بمكان ومنزلة عظيـمة. وقـوله: «والآية» بالنصب عطف من حـيث المعنى على قـوله: ﴿يأيها الناس اتقوا﴾(١) على تأويل قال (بقرأ)، أى قرأ هذه الآية والآية التى فى الحشر.

وقوله: «تصدق» لعل الظاهر ليتصدق رجل، ولام الأمر [للغائب](**) محذوف، وجوزه ابن الأنبارى، ونقل عن بعض أهل اللغة أن «نبك»(***) فى قوله: «قفـا نبك» مجزوم على تأويل [للغائب](**) قال: التقدير: قفا فلنبك.

---

[٢٠٩] أخرجه مسلم ك الإمارة، باب فضل إعانة الغازى فى سبيل الله بمركوب وغيره (١٨٩٣).

(١) النساء: ١

(*) من «ك» (**) من «ك».

(***) يعنى قول امرىء القيس فى مطلع معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

واحدة) إلى آخر الآية ﴿إن الله كان عليكم رقيبًا﴾، والآية التى فى الحشر ﴿اتقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدَّمت لغد﴾ تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع برِّه، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشِق تمرة». قال: فجاء رجل من الأنصار بصُرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناسُ حتى رأيت كومين من

واحتج بقوله تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾ (١) أى ذرهم فليأكلوا. وكذلك قوله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين﴾ (٢) أى قل لهم: فليغفروا. ولو حمل «تصدق» على الفعل الماضى لم يساعد عليه قوله: «ولو بشق تمرة»؛ إذ المعنى ليتصدق رجل ولو بشق تمرة. وكذا قوله: «فجاء رجل من الأنصار بصرة» إلى آخره يأبى الإخبار؛ لأنه بيان كون المأمورين [امتثلوا] (٣) أمره ﷺ عقيب الحث على التصدق، فجاء كل رجل بما فى وسعه. ولمن يجريه على الإخبار وجه، لكن فيه تعسف غير خاف.

و «رجل» نكرة وضعت موضع الجمع المعرف، فأفاد الاستغراق فى أفراده، وإن لم يكن فى سياق النفى، كقوله تعالى: ﴿ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام﴾ (٤) فإن «شجرة» وقعت موقع الأشجار، فأفادت الاستغراق، ومن ثم كرر «من» فى الحديث مراراً ولم يعطف. أى ليتصدق رجل من ديناره ودرهمه، وهلم جرا. و «من» فى «من ديناره» يجوز أن تكون تبعيضية منصوبة المحل، و «ديناره ودرهمه» جنس،أى: ليتصدق ببعض ما عنده من هذا الجنس، وأن تكون ابتدائية متعلقةبالفعل، فالإضافة فى «ديناره ودرهمه» بمعنى اللام، أى ليتصدق بما هو مختص به وهو مفتقر إليه، على نحو قوله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾(٥). والكومة من الطعام [الصُّبرة](*)، وأصل الكوم ما ارتفع من الشئ.و «يتهلل» يستنير ويظهر عليه أمارات السرور.

«والمدهن» نقرة فى الجبل ليستنقع فيها الماء من المطر. والمدهن أيضًا ما جعل فيه الدهن، والمدهنة تأنيث المدهن. شبه صفاء وجهه عليه الصلاة والسلام لإشراق السرور بصفاء هذا الماء المجتمع فى الحجر، أو بصفاء الدهن. هذا ما شرحه الحميدى فى غريبه، وقد جاء فى كتاب النسائى وفى بعض نسخ مسلم: «مذهبة» (٦) بذال معجمة وفتح الهاء وبعدها باء موحدة، فإن صحت الرواية فهو من الشئ المذهب المموّه بالذهب، هكذا فى جامع الأصول. «مح»: «مذهبة»

---

(١) الحجر: ٣. (٢) الجاثية: ١٤.

(٣) في «ط» «تمسكوا» وقال المصحح: كذا فى مخطوطة بيرجندا، ولكن فى مخطوطة الشيخ إدريس «امتثلوا». قلت: وكذا فى «ك».

(٤) لقمان: ٢٧. (٥) الحشر: ٩

(٦)

(*) الصُّبرةُ: ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزنٍ بعضهُ فوق بعض.

طعام وثياب. حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مَذْهَبَةٌ فقال رسول الله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنةً حسنـة فله أجرُها وأجرُ من عمل بها من بعـده من غير أن ينقُص من أجورهم شئٌ، ومن سنَّ في الإسلام سنَّةً سيـئةً كان عليه وزرها ووزرُ من عمل بها من بعدِه من غير أن ينقُصَ من أوزارهم شئٌ». رواه مسلم. [٢١٠].

٢١١ ـ * وعن ابن مسعـود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُقـتل نفس ظلمًا إلا كـان على ابن آدم الأول كـفل من دمـها؛ لأنه أولُ مـن سن القتـل». متـفق عليـه. وسنذكـر حديث مـعاوية: «لا يزال من أمـتي» في باب ثواب هذه الأمة إن شـاء الله تعالى.

هو بالذال المعجمـة وفتح الهاء وبالباء الموحـدة، قال القاضي عيـاض وغيره: وصحفـه بعضهم فقـال: مدهنة بدال مهـملة وفتح الهاء والنون، وكـذا ضبطه الحميـدي، والصحيح المشـهور هو الأول، والمراد به على الوجهين الصفاء والاستنارة.

«تو» : «من سن سنة » أي يأتي بطريق مرضيـة يقتدى به فيها. وفي عـامة نسخ المصابيح: «فله أجرها» ، وهو غير سديد رواية ومعنى، وإنما الصواب «أجره»، والضمير يعود إلى صاحب الطريقة، أي لـه أجر عمله، وأجـر من عمل بسنتـه، فظن بعض الناس أن الضمـير راجع إلى السنة، وقد وهم فيه بعض المتأخرين من رواة الكتابين، وليس ذلك من رواية الشيخين في شئ.

قال المؤلف: أمـا قوله: «وليس ذلك من رواية الشـيخين» فجـوابه أن البخـاري ما أورد هذا الحديث في جامـعه، وهو من أفراد مسلم، ووجـد في نسخ متعددة من نسخ مـسلم «أجرها» ، وعلى هذا شرح الإمام محيي الدين النواوي. وقولـه: «وهو غير سديد» وكذا قوله: «فظن بعض الناس أن الضمير راجع إلى السنة» فـجوابه أن الإضافة يكفي في استقامتـها أدنى ملابسة. . فإن السنة الحسنة لما كانت سببًا في ثبوت أجر عاملها أضيف الأجر إليـها بهذا، كما إذا رأيت بناءً رفيعًـا قلت: هذا بناء الأمير. أو أن المضاف محـذوف، أي فله أجر عملها، فـيكون من إضافة المصدر إلى المفعول.

الحديث الرابع عـشر عن عبـدالله بن مسـعود: قوله: «على ابن آدم الأول» إنما قـيد ابن آدم بـ«الأول» لئلا يشتـبه؛ لأن في بني آدم كثرة، وهذا يدل على أن قـابيل كان أول مولود من بني آدم، و«الكفل» النصيب والحظ، يقال للحظ الذي فيه الكفاية: الكفل، كأنه يكفل بأمر صاحبه، وكم من مثل هذه الألفـاظ قد استـعملت في مـعان قد اختـصت بها، ثم شـاعت واتسعت في غيرها، وحـقيقة المعنى في قـوله: «كفل من دمها» أي نصيب تكـفل بأمره، فهو فيـه جزاء ما ارتكبه من الإثم، وعقوبة ما سنه من الـقتل، ويجوز أن يكون «الكفل» بمعنى الكفيل، يعني أنه أقام كفيلا بفعله الذي سنه في الناس يسلمه إلى عذاب الله - انتهى كلامه.

---

[٢١٠] أخرجه مسلم، ك الزكاة، باب الحث على الصدقة، ولو بشق تمرة (١٠١٧).

الفصل الثاني

٢١٢ ـ * عن كثير بن قيس، قال: كنت جالسًا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فجاء رجل فقال: ياأبا الدرداء! إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ ما جئتُ لحاجة. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله

وسببه أن قابيل قتل أخاه هابيل حين أوحى الله تعالى إلى آدم أن يزوج [كلا](١) من البطنين توأم الآخر، وكانت توأم قابيل أجمل، فحسد عليها أخاه هابيل، فقتله، وهما أول قاتل ومقتول من بني آدم(٢).

الفصل الثاني

الحديث الأول عن كثير: قوله: «ماجئت لحاجة» أي حاجة أخرى غير أن أسمع منك الحديث، وتحديث أبي الدرداء بما حدثه يحتمل أن يكون مطلوب الرجل بعينه، أو يكون بيان أن سعيه مشكور عند الله، ومطلبه من أسنى المطالب، ولم يذكر هنا ماهو مطلوبه، والأول أغرب وأقرب. وإنما أطلق الطريق والعلم ليشملا في جنسهما أي طريق كان، من مفارقة الأوطان، والضرب في البلدان إلى غير ذلك كما سبق، و«علما» أي علم كان من علوم الدين، قليلاً كان أو كثيراً، رفيعًا أو غير رفيع.

وقيد «طريقًا» بقوله: «من طرق الجنة» ليشير إلى أنه تعالى يوفقه للأعمال الصالحة، فيوصله بها إلى الجنة، ويسهل عليه مايزيد به علمه؛ لأنه أيضًا طريق من طرق الجنة، بل هو أقربها وأعظمها؛ لأن صحة الأعمال وقبولها متوقفة على العلم. والضمير المجرور في «به» عائد إلى «من»، والباء للتعدية، أي يوفقه أن يسلك طريق الجنة. ويجوز أن يرجع الضمير إلى العلم، والباء للسببية، ويكون سلك بمعنى سهل، والعائد إلى «من» محذوف، والمعنى سهل الله له بسبب العلم طريقًا من طرق الجنة، فعلى الوجه الأول «سلك» من السلوك، فعدي بالباء، وعلى الثاني من السلك، والمفعول محذوف، كقوله تعالى: «يسلكه عذابًا صعدًا»(٣) قيل: عذابًا مفعول ثان. وعلى التقديرين نسبة سلك إلى الله تعالى على طريق المشاكلة، «وإن الملائكة..» جملة معطوفة على الجملة الشرطية، وكذا الجمل الآتية المصدرة بـ «إن» على سبيل الترقي.

ووضع الأجنحة يحتمل أن يكون حقيقة وإن لم يشاهد، أي بكف أجنحتها عن الطيران، وتنزل لسماع الذكر، كما ورد: «إلا ونزلت عليهم السكينة، وحفت بهم الملائكة» وأن يكون

---

(١) من «ك» وفي «ط» «كل» وهو خطأ.

(٢) ذكره الحافظ بن كثير في تفسيره (المائدة: ٢٧) بإسناد عن ابن عباس قال فيه: وإسناده جيد.

(٣) الجن: ١٧.

به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتَضعُ أجنحتَها رضى لطالبِ العلم، وإن العالم يستغفرُ له من فى السموات ومن فى الأرض والحيتانُ فى جوف الماء، وإن فضلَ العالم على العابد كفضل القمر ليلةَ البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثوا ديناراً ولا درهمًا، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر». رواه أحمد والترمذى، وأبو داود، وابن ماجة، والدارمى، وسماه الترمذى قيس بن كثير. [٢١٢].

مجازاً عن التواضع، كقوله تعالى: «واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» (١) وقيل : معناه المعونة وتيسير السعى له في طلب العلم.

قوله: «رضى لطالب العلم» مفعول له، وليس فعلا لفاعل الفعل المعلل، فيقدر مضاف، أى إرادة رضى. قوله: «وإن العالم» أثبت لهم العلم، وجعلهم معلمين بعد أن كانوا طالبين متعلمين ترقيًا، ووصفهم بما هو أعلى مما وصفهم أولا، حيث جعل الموجودات من الملائكة والثقلين وغيرهم حتى الحيتان فى البحر مستغفرين لهم، طالبين لتخليتهم مما لاينبغى ولايليق بهم من الأوضار والأدناس، لأن بركة علمهم وعملهم وإرشادهم وفتواهم سبب لرحمة العالمين. وذكر الحيتان بعد ذكر الملائكة والثقلين تتميم لاستيعاب جميع أنواع الحيوانات على طريقة الرحمن الرحيم، كما بيناه فى «فتوح الغيب»(*). وأما تخصيص الحيتان بالذكر فللدلالة على أن إنزال المطر وحصول الخير والخصب ببركتهم، كما قال: «بهم يمطرون ، وبهم يرزقون»، حتى الحيتان التى لايفتقر إلى الماء افتقار غيرها لكونها في جوف الماء تعيش أيضًا ببركتهم، فلما ذكر ما يحصل به التخلية عن النقائص عقبه بما يشعر بالتحلية من إثبات النور.

«قض»: العبادة كمال ونور يلازم ذات العابد لايتخطاه، فشابه نور الكواكب، والعلم كما يوجب للعالم فى نفسه فضلا وشرفًا يتعدى منه إلى غيره، فسيتضئ بنوره، ويكمل بواسطته، لكنه كمال ليس للعالم من ذاته، بل نور يتلقاه من النبى[صلوات الله عليه](**) ، فلذلك شبه بالقمر- انتهى كلامه. ولاتظنن أن العالم المفضل عاطل عن العمل، ولا العابد عن العلم، بل إن علم ذلك غالب على عمله، وعمل هذا غالب على علمه، ولذلك جعل العلماءُ ورّاث الأنبياء الذين فازوا بالحسنيين العلم والعمل، وحازوا الفضيلتين: الكمال والتكميل، وهذا طريقة العارفين بالله، وسبيل السائرين إلى الله.

---

[٢١٢] صحيح: صححه الشيخ الألبانى فى صحيح الترمذى ٢٨٣٥ وصحيح ابن ماجه (٢٢٣)، وصحيح أبى داود (٣٦٤١).

(١) الحجر: ٨٨

(*) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، حاشية للطيبي على كشاف الزمخشري، مخطوط بدارالكتب المصرية ١٤٥ تفسير.

(**) من «ك» وفى «ط» «صلى الله عليه وسلم».

٢١٣ - * وعن أبى أمامـة الباهلى، قال: ذُكِـر لرسول الله ﷺ رجلان: أحـدهما عابد والآخـر عالم، فقـال رسول الله ﷺ: «فضلُ العـالم على العابد كـفضلى على

كتب شيخنا شيخ الإسلام قطب الزمان أبـو حفص السهروردى إلى الإمام فخر الدين الرازى مكتوبًا فيه: إذا صـفت مصادر العلم وموارده من الهوى أمدته كلمـات الله التى تنفد البحار دون نفادها، ويبقى العلم على كـمال قوته، لايضعفه تردده فى تجـاويف [متحرية الأفكار][١] وبسعيه وبقوته يتلقى [الفهوم][٢] المستقيمة.

وهذه رتبـة الراسـخين فى العلم المتـوسمين بصـورة العـمل، وهـم ورّاث[٣] الأنبيـاء عليهم السلام[كرعياهم][٤] على العلم، وعلمهم على العمل، فتناوب العلم والعمل فيهم، حتى صفت أعمالهم ولطفت، فصارت مسامرات [سرّية][٥]، ومحاورات روحية، فـتشكلت الأعمال بالعلوم لمكان لطافتهـا، وتشكلت العلوم بالأعمال لقوة فعلـها، وسرايتها إلى الاستـعدادات. وفى اتباع الهوى إخـلاد إلى الأرض، قال الله تعـالى: **﴿ولو شـئنا لرفـعناه بهـا ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾**[٦].

وقوله: «ليستغفر» مجاز من إرادة استقامة حال المستغفر له، من طهارة النفس، ورفعة المنزلة، ورخاء العيش؛ لأن الاسـتغفار من العقـلاء حقيقة، ومن الـغير مجاز. والفـاء فى قوله: «فمن أخذ» مسببية ، أى من ورث العلم ورث حظًا وافـرًا. ويجوز أن يكون الضمير فى «فمن أخذه» يعنى اسم الإشارة كما فى قول الشاعر:

فيه سواد وبياض وبلق كأنه فى الجلد توليع البهق

أى كان ذلك، والمشار إليه جميع المذكورات.

«حس» : عن قتادة باب من العلـم يحفظه الرجل لصلاح نفسه، وصـلاح من بعده أفضل من عبادة حول. [قال][٧] وعن الثورى قـال: ليس عمل بعد الفـرائض أفضل من طلب العلم. وعنه أيضًا: ما أعلم اليوم شيئًا أفـضل من طلب العلم، قيل له: ليس لهم نية؟ قال: طلبهم له نية. وعن الحـسن قال: من طلب العلم يريد ماعند الله كـان خيرًا له مما طلعت عليـه الشمس. وعن ابن وهب قال: كنت عند مالك قـاعدًا أسأله، فرآنى أجمع كتـبى لأقوم، قال مالك: أين تريد؟ قال: قلت: أبادر إلى الصلاة، قال: ليس هذا الذى أنت فيه دون ما تذهب إليه إذا صح فيه النية، أو ما أشبه ذلك. وعن الشافعى قال: طلب العلم أفضل من الصلوة النافلة.

الحديث الثـانى عن أبى أمامة: قولـه: «كفضلى» هذا التفـضيل موافق للحـديث السابق من حيث المبالغة وما به التفضل؛ فـإن المخاطبين بقوله: «أدناكم» هم الصحابة رضوان الله عليهم، وقد شبـهوا بالنجوم فى قوله عـليه الصلاة والسلام: «أصحـابى كالنجوم» الحديث حـسنه الإمام

---

(١) من «ك» وليست فى «ط»
(٢) فى «ط» «المفهوم» وما أثبتناه من «ك»
(٣) فى «ط» «وارث» والتصويب من «ك»
(٤) فى «ط«كرّعملهم» وما أثبتناه من «ك»
(٥) فى «ط» «سيريه» والتصويب من «ك»
(٦) الأعراف: ١٧٦
(٧) زيادة من «ط».

أدناكم» ثم قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته وأهلَ السموات والأرض حتى النملةَ فى جُحْرِها، وحتى الحوتَ، ليصلُّون على معلم الناس الخير». رواه الترمذى.[٢١٣].

٢١٤ ـ * ورواه الدارمى عن مكحول مُرسلاً، ولم يذكر: رجلان. وقال: «فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم، ثم تلا هذه الآية: ﴿إنما يخشى الله من عبادهِ العلماءُ﴾» وسرد الحديث إلى آخره [٢١٤].

الصنعانى[1]. وشبه ﷺ بالقمر ليلة البدر فيما رويناه عن الترمذى عن جابر بن سمرة قال: «رأيت رسول الله ﷺ فى ليلة أضحيان، فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر، وعليه حلة حمراء، فإذا هو أحسن من القمر». والمبالغة التى تعطيها «أدناكم» تقرب منها فى قوله ﷺ: «سائر الكواكب»؛ لأن فضل القمر على بقية الكواكب أجمع يستلزم ذلك التفاوت العظيم بين البدر وبين كوكب هو أدنى الكواكب فى الضوء كالسها. وهذا التشبيه ينبهك على أن لابد للعالم من العبادة، وللعابد من العلم؛ لأن تشبيههما برسول الله ﷺ وبالصحابة يستدعى المشاركة فيما فضلوا به من العلم والعمل، وكيف والعلم مقدمة للعمل، وصحة العمل متوقفة على العلم؟.

وقوله: «إن الله وملائكته» جملة مستأنفة لبيان التفاوت العظيم بين العالم والعابد، وأن نفع العابد مقصور على نفسه، ونفع العلم متجاوز إلى الخلائق حتى النملة. وكذا قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [2] استشهاد لبيان علة الفضل؛ لأن العالم الحقيقى أعرف بالله وبجلاله وكبرياء شأنه من العابد الذي غلبت عبادته على علمه، فيكون العالم أتقى منه، قال الله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[3]وفى الحديث «وأرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به»[4].

وأما عطف «أهل السموات» على «الملائكة» فتخصيص للملائكة بحملة العرش، وسكان [أمكنتها][5] من السموات والأرض من الملائكة المقربين، كما ثبت فى النصوص، وفى «يصلون»

---

[٢١٣] صحيح: صححه الشيخ الألبانى فى صحيح الترمذى (٢٨٣٨) وغيره.

[٢١٤] رواه الدارمى فى سننه باب فى فضل العلم والعالم (ح ٣٤٠) وسنده إلى الحسن صحيح، فهو مرسل حسن، أفاده الألبانى فى المشكاة.

(١) كلا بل الحديث باطل مكذوب من توليد أهل الفسق وقال ابن حزم: خبر مكذوب، موضوع باطل لم يصح قط. ا هـ وروى بلفظ آخر: «أهل بيتي كالنجوم...» وهو موضوع من نسخة أحمد بن نبيط الكذاب. وقد قال الذهبى: فيها بلايا وأحمد بن إسحق لا يحل الاحتجاج به؛ فإنه كذاب. ولتفصيل الكلام عليه انظر: الضعيفة (١/١٥١، ١٥٢، ١٥٥).

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) الحجرات: ١٣.

(٤) جزء من حديث طويل صحيح فى الصحيحين وغيرهما عن أنس بن مالك.

(٥) فى «ط» أمكنة خارجة» والمثبت من "ك".

٢١٥ - * وعن أبى سعيد الخُدرىّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الناسَ لكم تبَعٌ، وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفـقهون فى الدين، فإذا أتوكم فاسـتوصوا بهم خيراً». رواه الترمذى. [٢١٥].

٢١٦ - * وعن أبى هريرة، قـال: قـال رسول الله ﷺ: «الكـلمةُ الحكمـةُ ضـالةُ

تغليب للعقلاء على غيـرهم واشتراك، فإن الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاسـتغفار، ومن الغير الدعـاء وطلب الخير. وذكر النملة وتخـصيصها مـشعر بأن صلوتها لحصـول البركة النازلة من السـماء، فـإن دأب النملة القنيـة وإدخار القـوت فى جحـرها، ثم التدرج منهـا إلى الحيتان، وإعادة كلمة الغاية للترقى، كما مر فى الحديث السابق. والله أعلم.

الحديـث الثالث عن أبى سـعيـد: قوله: «إن الناس لكم تبع» أى تابـعون، **فوضع المصدر موضعه مبالغة**، نحـو: رجل عدل. «لكم» خطاب للصـحابة، يعـني الناس يأتونكم من أقطار الأرض وجوانبها، يطلبون العلم منكم بعدى، لأنكم أخذتم أفعالى وأقوالى، واتبعتمونى فيهما، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً، وأمروهم بالخير، وعظوهم وعلموهم علوم الدين. والاستيصاء قبول الوصية، وبمعنى التوصية أيضًا، ويعـدى بالباء، ويقال: استوصيت زيداً بعمرو خيراً، أى طلبت زيدًا أن يفعل بعـمرو خيراً. التـوربشتى والقاضى: حـقيقة «اسـتوصوا» اطلبوا الوصـية والنصيحة لهم عن أنفسكم.

وأقول: هو من باب **التجريد**، أى ليجرد كل واحد منكم شخـصًا من نفسه، ويطلب منه التوصـية فى حق الـطالبين ومراعـاة أحوالهم. «وإن رجـالا يأتونكم» عطف على «إن الناس»، و«يتفقهـون» جملة استئنافيـة لبيان علة الإتيان، أو حال من الضمـير المرفوع في «يأتوكم» وهو أقرب إلى الذوق، يعنى حق على جـميع الناس فى مشارق الأرض ومـغاربها متـابعتكم، وحق عليهم أن يأتوكم جمـيعًا، ويأخذوا منكم أمـر دينهم، فإذا لم يتمكنوا منه فعليـهم أن يستنفروا رجالا يأتونكم ليـتفقهـوا فى الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعـوا إليهم. **فالتعريف فى** «الناس» لاستغراق الجنس، **والتنكير** فى «رجالا» للنوع، أى رجالا صفت نياتهم، وخلصت عقائدهم، يضربون أكباد الإبل لطلب العلم، وإرشاد الخلق. **وفي تصدير الجملة الشرطية بـ «إذا» التحقيقية تحقيق للوعد، وإظهار للإخبار عن الغيب، فيكون معجزة.**

الحـديث الرابع عن أبى هريرة: قوله «الكـلمة الحكمـة» «التوربشـتى والأشرف»: «الكلمـة الحكمة»، ويـروى بالإضافة، ويروى «الكـلمة الحكيمـة» كلها قـريب، والمراد بالكلمة الجـملة المفيدة، والحكمة التى أحكمت مبانيها بالعلم والعقل، ويدل على معنى فيه دقة، والحكيم المتقن للأمور الذى له غـور فيها، وقـال مالك- رضى الله عنه- : الحكمة الفقـه في دين الله، وقال: العلم الحكمة، ونور يهـدى الله به من يشاء، وليس بكثرة المسائل. و«ضـالته» أى مطلوبه، أى الحكيم يطلب الحكمة، ربما تكلم بها من ليس لها بأهل، ثم وقـعت إلى أهلها، فهو أحق بها

---

[٢١٥] ضعـيف: ضعـفه الشـيخ الألبـانى فى ضعـيف الجامع (ح ١٧٩٧) والمشكاة (٢١٥)وعلتـه أبو هارون العبدي، كان شعبة يضعفه، وكذبه بعض الأئمة.

الحكيم. فحيث وجدها فهو أحقُّ بها». رواه الترمذى وابن ماجه، وقال الترمذى: هذا حديث غريب، وإبراهيم بن الفضل الراوى يضعَّف فى الحديث. [٢١٦]

من الذى قالها، كالضالة إذا وجدها صاحبها فإنه أحق بها من غيره، أى كما أن صاحب الضالة لاينظر إلى خساسة من وجدها عنده، وكذلك الحكيم لاينظر إلى خساسة من تفوه بالكلمة الحكمة ، بل يأخذها منه أخذ صاحب الضالة إياها ممن هى عنده.

والمراد أن الناس متفاوتون فى فهم المعاني، واستنباط الحقائق المحتجبة، واستكشاف الأسرار المرموزة، فينبغي أن لاينكر من قصر فهمه عن إدراك حقائق الآيات ودقائق الأحاديث على من رزق فهما وألهم تحقيقًا، ولاينازع كما لاينازع صاحب الضالة فى ضالته إذا وجدها. أو كما أن الرجل إذا وجد ضالة فى مضيعة فسبيله أن لايتركها بل يأخذها، ويتفحص عن صاحبها حتى يجده، ويردها عليه، كذلك من سمع كلامًا لم يفهم معناه، أو لايبلغ كنهه، فعليه أن لايضيعه، وأن يحمله إلى [من][١] هو أفقه منه، فلعله يفهم منه ما لايفهمه، ويستنبط منه مالا يستنبط، أو كما أن صاحب الضالة أخذ ضالته ممن وجدها لايحل له منع مالكها منها، فإنه أحق بها، كذلك العالم إذا سئل عن معنًى ورأى فى السائل فطانة واستعدادًا لذلك العلم فعليه أن يعلمه إياه، ولايحل له منعه منه.

قيل: وفى هذا الحديث دليل على أنه لايجوز أن تمنح غير الحكيم الحكمة؛ فإنها ليست بضالته، كما لايجوز تسليم الضالة إلى غير صاحبها . وأقول: إذا روى «الكلمة الحكمة» جعلت الكلمة نفس الحكمة مبالغة، كقولهم: رجل عدل، وإذا روى «الحكيمة» يكون من الإسناد المجازي؛ لأن الحكيم قائلها، لقوله تعالى: ﴿يس والقرآن الحكيم﴾[٢].

«الجوهرى»: الضالة ماضل من البهيمة: [الذكر][٣] والأنثى، وفى إضافتها إلى الحكيم إشارة إلى أن من سمعها وهو غير عارف بها وجب عليه أن يعيها، ويتحرى فى تأديتها إلى عارفها؛ لأنه أحق بها وأهلها، وكذلك الحكيم يجب عليه أن يسر بها ويغتنمها، ويراعيها حق رعايتها؛ لأنه أهلها وأحق بها. شبه حالة كلمة الحكمة في أن من سمعها ووعاها، ولزم عليه حفظها [وأداؤها][٤] إلى من يستحقها، ثم انتهاز فرصة الحكيم بها- بحالة بهيمة ضائعة وجدها غير صاحبها، ولزم عليه أن يتحفظ بها، ويوصلها إلى صاحبها، ثم فرح صاحبها بنيل ماضاع عنه. وفى الحديث دليل على وجوب أداء اللفظ بعينه. أما والله ! إن هى إلا كلمة حكيمة ضالة [كل][٥] حكيم.

---

[٢١٦] ضعيف جدا : ضعفه الشيخ الألبانى جدا فى ضعيف ابن ماجه ك الزهد، باب الحكمة [(٤١٦٩)].

(١) فى «ط» «ما» وما أثبتناه من «ك».

(٢) يس: ١، ٢.

(٣) من «ك» وفى «ط» «المذكر».

(٤) فى «ط» أداءها» وهو خطأ.

(٥) زيادة من «ك».

٢١٧ - * وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «فقيه واحد أشدُّ على الشيطانِ من ألف عابد». رواه الترمذى، وابن ماجه. [٢١٧].

٢١٨ - * وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «طلبُ العلم فريضةٌ على كلّ مسلم، وواضعُ العلم عند غير أهله كمقلِّد الخنازير الجوهرَ واللؤلؤ والذهبَ». رواه ابن ماجه، وروى البيهقى فى «شُعَبِ الإيمان» إلى قوله «مسلم». وقال: هذا حديث متنه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد روى من أوجُهٍ كلُّها ضعيف.

الحديث الخامس عن ابن عباس: قوله: «أشد من ألف عابد» لأن الشيطان كلما فتح بابًا من الأهواء على الناس، وزين الشهوات فى قلوبهم، بين الفقيه العارف بمكائده ومكامن غوائله للمريد السالك ما سد ذلك الباب، ويجعله خائبًا خاسرًا، بخلاف العابد فإنه ربما يشتغل بالعبادة وهو فى حبائل الشيطان، ولايدرى، وقد مر فى حديث معرفة اللمتين - لمة الملك ولمة الشيطان ما يوضح هذا المعنى.

الحديث السادس عن أنس: قوله: «طلب العلم فريضة» «قض»: المراد من العلم ما لامندوحة للعبد من تعلمه، لمعرفة الصانع، والعلم بوحدانيته، ونبوة رسوله، وكيفية الصلاة؛ فإن تعلمه فرض عين، وعلى هذا كلام الشارحين.

وأقول : قوله: «وواضع العلم عند غير أهله» يشعر بأن كل علم يختص باستعداد وله أهل، فإذا وضعه فى غير موضعه فقد ظلم، فمثّل معنى الظلم بتقليد أخس الحيوان بأنفَس الجواهر تهجينًا لذلك الواضع، وتنفيرًا عنه، وفى تعقيب هذا التمثيل قوله: «طلب العلم» إعلام بأن المراد بالطلب طلب كل من المستعدين بما يليق بحاله ويوافق منزلته، بعد حصول ماهو واجب من الفرائض العامة ، وعلى العالم أن يخص كل طالب بما هو مستعد له.

قال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص السهروردى- قدس[الله](١) سره-: اختلف فى العلم الذى هو فريضة، قيل: هو علم الإخلاص، ومعرفة آفات النفوس، وما يفسد الأعمال ؛ لأن الإخلاص مأمور به، وخدع النفس وغرورها وشهواتها تخرب مبانى الإخلاص المأمور به، فصار علم ذلك فرضًا. وقيل: معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة؛ لأن الخواطر هى منشأ الفعل، وبذلك يعلم الفرق بين لمة الملك، ولمة الشيطان، وقيل: هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة. وقيل: هو علم البيع، والشراء، والنكاح، والطلاق، إذا أراد الدخول فى شىء من ذلك يجب عليه طلب علمه، وقيل: هو علم الفرائض الخمس التى بنى عليها الإسلام.

---

[٢١٧] موضوع: قال الشيخ الألبانى ضعيف الجامع (٣٩٩١): موضوع، وكذا فى ضعيف سنن ابن ماجه (٢٢٢)

(١) من «ك».

٢١٩ - * وعن أبى هريرة، قال: قال رسـول الله ﷺ: «خصلتان لا تجتـمعان فى منافقٍ: حُسنُ سمْت، ولا فقهٌ في الدين». رواه الترمذى .[٢١٩]

٢٢٠ - * وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ : «من خـرجَ فى طلب العلم فهو فى سبيلِ الله حتى يرجعِ». رواه الترمذى، والدارمى.[٢٢٠].

وقيل: هو طلب علم التوحيد بالنظر والاستدلال، أو النقل. وقيل: هو طلب علم الباطن، وهو ما يزداد به العبد يقينًا، وهو الذى يكتسب بصـحبة الصالحين، والزهاد المقربين، فهم وراث علم النبى ﷺ.

الحديث السابع عن أبي هريـرة: قوله: «حسن سمت» «فا»: هو أخـذ النهج ولزوم المحجة، وأنشد الأصمعى:

خواضع بالركبان خوضًا عيونها　　　وهن إلى البيت العتيق سوامت

ثم قيل لكل طريقة ينتهـجها الإنسان فى تحرى الخير والتزيي بزى الصـالحين. «تو»: حقيقة الفقه فى الدين ما وقع فى القلب، ثم ظهر على اللسان، فـأفاد العلم، وأورث الخشية والتقوى، فأما ما يتدارس ليتعزز به فإنه بمعزل من الرتبة العظمى؛ لأن الفقه تعلق بلسانه دون قلبه.

أقول: قـوله: «خصلتان لاتجـتمعان» لـيس المراد أن واحدًا منها قـد يحصل فى المنافق دون الأخرى، بل هو تحـريض للمؤمنين على اتصافـهم بهما مـعًا، والاجتناب عن أضدادهمـا، فإن المنافق من يكون عاريًا منهـما، وهو من باب التغليظ، ونحوه قـوله تعالى: ﴿وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكوة﴾(١) وليس من المشـركين من يزكى، لـكن حث للمـؤمنين على الأداء، وتخويف من المنع حـيث جعله من أوصاف المشـركين. و«حسن» عطف «ولا فقـه» على «حسن سمت» وهو مثبت؛ لأنه فى سياق النفى.

الحديث الثامن عن أنس: قوله: «فى سبيل الله » «مظ»: وجه مشابهة طلب العلم بالمجاهدة فى سبيل الله أنه إحياء الدين، وإذلال الشيطان، وإتعاب النفس، وكسر الهوى واللذة.

أقول: ويؤيده قوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ (٢) الآية، حض المؤمنين على التفـقه فى الدين، وأمرهم بأن ينفر من كل مـنهم طائفة إلى الجهاد، ويبـقى طائفة يتفـقهون، حتى لا ينقطعوا عن التـفقه الذي هو الجهاد الأكبر، وفى قولـه «حتى يرجع» إشارة إلى أنه بعد الرجـوع وإنذار القوم له درجـة أعلى من تلك الدرجة؛ لأنه حـينئذ وارث الأنبـياء فى تكمـيل الناقصين.

---

[٢١٩] ضعيف: قال فـيه الترمذى: غريب لا أعرفـه إلا من حديث خلف بن أيوب العامرى، والعامـرى ضعفه ابن معين. وانظر المشكاة.

[٢٢٠] ضعـيف: ضعفـه الشيخ الألبـانى فى ضعيف الجـامع (ح٥٥٨٠) وعزاه للتـرمذى والضيـاء، وذكر عن الترمذى الاختلاف فى رفعه، وضعفه لأجل هذا؛ ولأن فيه أبا جعفر الرازى، وفيه ضعف لسوء حفظه.

(١) فصلت: ٦، ٧ .　　　(٢) التوبة :١٢٢.

٢٢١ ـ * وعن سخبرة الأزديّ، قـال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب العلم كان كـفارةً لما مـضى» رواه التـرمذى، والدارمى. وقـال الترمـذى: هذا حـديث ضعـيف الإسناد، وأبو داود الراوى يضعَّف.

٢٢٢ ـ * وعن أبى سعيد الخدرى، قـال: قال رسول الله ﷺ: «لن يشبَعَ المؤمنُ من خيرٍ يسمعهُ حتى يكونَ منتهاه الجنة» رواه الترمذى [٢٢٢]

٢٢٣ ـ * وعن أبى هريرة، قال: قـال رسول الله ﷺ: «من سُئـل عن علم علمه ثم كتمه؛ أُلجمَ يوم القيامة بلجامٍ من نار» رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى[٢٢٣].

٢٢٤ ـ * ورواه ابن ماجه عن أنس.

٢٢٥ ـ * وعن كـعب بن مـالك، قـال: قـال رسول الله ﷺ: «مـن طلب العلمَ

الحديث التاسع عن سخبرة: قوله: «كان كفـارة» الكفارة مايستر الذنوب ويزيلها، من : كفر إذا ستر.

الحديث الـعاشر عن أبـي سعيـد : قوله: «لن يشـبع» شبـه استلذاذه بالمسموع باستلذاذه بالمطعوم؛ لأنه أرغب وأشهـى، وأكثر إتعـابًا لتحـصيله، و«حتـى» للتدرج فى استـماع الخـبر والترقى فى استـلذاذه، والعمل به إلى أن يوصله الجنة، ويبلغه إليـها؛ لأن سماع الخـبر سبب العمل، والعمل سبب دخـول الجنة ظاهرًا. ولما كان قوله: «لن يشبع» فعلا مضـارعًا يكون فيه دلالة على الاستمرار تعلق (*) حتى به.

الحديث الحادى عـشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «ثم كـتمه» «ثم» فيه استبعادية؛ لأن تعلم العلـم إنما كـان لنشـره، ولدعـوة الناس إلى طريق الحق، والـكاتم يزاول إبطال هذه الحكمة ، وهو بعيد عن الحكيم المتقن.

وقوله: «بلجام» من باب التشبيه لبـيانه بقوله: «من النار»، كقوله تعالى: ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾(١) شبه ما يوضع فيه من النار بلجام فى الدابة، وهو

---

[٢٢٢] ضعيف: ورواه ابن حبـان، وقال الترمذى فى«العلم» : حديث حسن غريب. وتُعـقب بأن فيه دراجًا عن أبى الهيثم، وهو ضعيف، وخاصة فى روايته عنه، وراجع ضعيف الجامع (٤٧٨٦).

[٢٢٣] صحـيح: وحسنه الترمـذى، وإسناده صحيح، وقـد أعل بالانقطاع، وليس بشئ، وأخرجـه الطبرانى فى «الصـغيـر» من طرق ثلاثة عن عـطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة، وله شـاهـد من حـديث ابن عـمـرو عند الحـاكم وصححه، ووافقه الذهبى، وسنده حسن، وانظر صحيح الترمذى (٢٨٠٥) وصحيح ابن ماجه (٢١٣).

(١) البقرة: ١٨٧.

(*) كذا فى الأصول، ولعل الصواب: «التعلق حتى به» فبهذا يستقيم السياق.

لِيُجاريَ به العلماءَ، أو ليماريَ به السفهاءَ، أو يصرفَ به وجوهَ الناس إليه؛ أدخله الله النار» رواه الترمذي [٢٢٥].

٢٢٦ - * ورواه ابن ماجه عن ابن عمر.

٢٢٧ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علمًا مما يُبتغى به

إنما كان جزاء إمساكه عن قول الحق. وخص اللجام بالذكر تشبيهًا له(*) بالحيوان الذى سخر ومنع من قصد ما يريده، فإن العالم شأنه أن يدعو الناس إلى الحق، ويرشدهم إلى الطريق المستقيم، قال الله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه﴾(١) لاسيما وقد سئل عما يضطره إلى الجواب، فإذا امتنع منه جوزى بما امتنع عن الاعتذار، كما قال الله تعالى: ﴿ولايؤذن لهم فيعتذرون﴾ (٢). ويدخل فى زمرة من ﴿نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم﴾(٣).

«خط»: هذا فى العلم الذى يلزمه تعليمه إياه، ويتعين فرضه عليه، كمن(**) رأى من يريد الإسلام، ويقول: علمنى ما الإسلام (***)، وكمن يرى حديث عهد بالإسلام لايحسن الصلاة وقد حضر وقتها يقول: علمنى كيف أصلى، وكمن جاء مستفتيًا فى حلال وحرام يقول:

أفتونى وأرشدونى، فإنه يلزم فى هذه الأمور أن لايمنع الجواب، فمن فعل كان آثمًا مستحقًا للوعيد، وليس كذلك الأمر في نوافل الأمور التى لاضرورة بالناس إلى معرفتها. ومنهم من يقول: هو علم الشهادة.

الحديث الثانى عشر عن كعب: قوله: «ليجارى» «التوربشتي والقاضى»: المجاراة المفاخرة، مأخوذة من الجرى لأن كل واحد من المتفاخرين يجرى مجرى الآخر. و«المماراة» المحاجة والمجادلة، من المرية، وهو الشك؛ فإن كل واحد من المتحاجين يشك فيما يقول صاحبه، أو يشكك بما يورد على حجته. أو من المرى، وهو مسح الحالب الضرع ليستنزل ما به من اللبن؛ فإن كلا من المتناظرين يستخرج ما عند صاحبه. و«السفهاء» الجهال، فإن عقولهم ناقصة مرجوحة بالإضافة إلى عقول العلماء.

أقول: ههنا ألفاظ متقاربة: المجاراة، والمماراة، والمجادلة. فالأول محظور مطلقًا، لأن المجاراة المقاومة وجعل الرجل نفسه مثل غيره، يعنى لايطلب العلم لله، بل ليقول للعلماء: أنا

---

[٢٢٥] حسن: قال الترمذى: غريب. لكن يشهد له الحديثان بعده. وانظر صحيح الترمذى (٢١٣٨)، وصحيح الجامع (٦٣٨٣).

(١) آل عمران: ١٨٧.

(٢) المرسلات: ٣٦.

(٣) يس: ٦٥.

(*) سقطت فى (ط) وأثبتناها من (ك).

(**) فى ط (كما)، والتصويب من (ك).

(***) فى ط (بالإسلام)، وما أثبتناه من (ك) وهو الأوفق للسياق.

وجهُ الله، لا يتعلمه إلا ليُصيبَ به عرَضًا من الدنيا؛ لم يجدْ عرْفَ الجنة يوم القيامة».
يعني ريحها. رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه[٢٢٧].

عالم مثلكم، ويتكبر ويترفع على الناس، لذلك(****) فهو مذموم كله، والوعيد مترتب عليه، ولايستثنى منه. وأما المماراة والمجادلة قد يستثنى منهما كما فى قوله تعالى: ﴿فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً﴾(١) أى لاتجادل أهل الكتاب فى شأن أصحاب الكهف إلا جدالاً (*) ظاهراً غير متعمق فيه، ولاتجهلهم ولاتعنف بهم فى الرد عليهم، كما قال الله تعالى: ﴿وجادلهم بالتى هي أحسن﴾(٢) أى بالطريقة التى هى أحسن طرق(**) المجادلة، من الرفق واللين من غير فظاظة(***) ولاتعنيف، والسفهاء خفاف الأحلام ▲، فلا تجادلهم، ولاتقل لهم : أنا أعلم ● وأنتم سفهاء، فتثور الخصومة والشحناء.

ويفهم منه أن بعضًا من المراء محمود، وهو أن يمتري الأستاذ التلميذ ■، فينظر ما مقدار فهمه أو تحصيله، من المراء، وهو مسح الحالب الضرع. ولعل منه سؤال جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ في حضور الصحابة ليريهم الله أنه ﷺ مليء من العلوم، وعلمه مأخوذ من الوحي، فيزيد رغبتهم ونشاطهم فيه، وهو المعنى بقوله: «ليعلمكم أمر دينكم» كما سبق.
«مظ»: «أو يصرف به» أي يطلب العلم على نية تحصيل المال والجاه، وصرف وجوه العوام إليه، وجعلهم إياه معقب القدم.

الحديث الثالث عشر عن أبي هريرة: قوله: «عرضًا من الدنيا» العرض متاع الدنيا وحطامها، ويقال: إن الدنيا عرض حاضر، يأكل منه البر والفاجر، ونكره ليتناول جميع أنواع الأعراض، ويندرج فيه قليله وكثيره.

قوله: «لم يجد عرف الجنة» «تو»: قد حمل هذا المعنى على المبالغة في تحريم الجنة على المختص بهذا الوعيد، كقولك: ما شممت قُتار(٣) قدره، للمبالغة في التبري عن تناول الطعام، أي ما شممت رائحتها، فكيف بالتناول عنها؟ وليس كذلك، فإن المتوعد به إذا كان من أهل الإيمان لابد أن يدخل الجنة، عرفنا ذلك بالنصوص الصحيحة، وذلك أنه مقيد بيوم القيامة، والناس أحوالهم فيه مختلفة، فإن الآمنين من الفزع الأكبر ـ خصوصًا العلماء الزاهدون ـ إذا

---

[٢٢٧] صحيح: رواه أحمد (٢/٣٣٨)، وقال أحمد ـ رحمه الله ـ: قال سريج ـ أحد رجال الإسناد ـ فى حديثه: يعنى ريحها، وأبو داود ك «العلم»، باب فى طلب العلم لغير الله تعالى (صحيح أبى داود ٣١١٢)، وصحيح ابن ماجه (٢٥٢) وغيرهم.

(١) الكهف: ٢٢.
(٢) النحل ١٢٥.
(٣) القُتار: ريح القدر وقد يكون من الشواء والعظم المحرق. انظر اللسان.
(*) فى ط (جدلاً) وما أثبتناه من ك، وهو الأوفق للسياق.
(**) فى ط (طريق) والتصويب من (ك).
(***) فى ط (فظاظ) والتصويب من (ك).
(****) زيادة من (ك).
■ فى ط (لتلميذه) وما أثبتناه من ك وهو الصواب.
▲ فى ط (الأحكام) وما أثبتناه من (ك) وهوالصواب
● كذ فى (ط) وفى (ك) : عالم.

٢٢٨ ـ * وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «نضَّر الله عبدًا سمعَ مقالتى فحفظها ووعاها وأدَّاها؛ فرب حاملْ فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من

ورده يمدون برائحة الجنة تقوية لقلوبهم، وتسلية لهمومهم، على مقدار مراتبهم، وهذا البائس المبتغي للأغراض الفانية يكون كصاحب أمراض حادثة في دماغه، مانعة من إدراك الروائح، لايجد رائحة الجنة، ولا يهتدي إليها لأمر أمراض قلبه.

أقول: قوله(*) «لا يتعلمه» حال إما من فاعل «تعلم»، أو من مفعوله؛ لأنه تخصيص بالوصف، ويجوز أن يكون صفة أخري لـ«علمًا». وفيه أن من تعلم لرضى الله مع إصابة العرض الدنيوي لايدخل تحت هذا(**) الوعيد؛ لأن ابتغاء وجه الله تعالى يأبى إلا أن يكون متبوعًا غالبًا، فيكون العرض تابعًا، قال الله تعالى: «من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة»(١). فيه تقريع وتوبيخ للمريد؛ لأن من تعلم العلم أو جاهد لينال عرضًا من أعراض الدنيا يجب أن يوبخ، ويقال في حقه: ما هذه الدناءة؟ أرضيت بالخسيس الفاني وتركت الرفيع الباقي؟ ما لك لاتريد به وجه الله وطلب مرضاته ليمنحك ما تريده، ويتبعه هذا الخسيس أيضًا؟ راغمًا أنفه، كما ورد: «من كان همه الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وتأتيه الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته الدنيا فرق الله ضيعته عليه». ووصف العلم بـ«ابتغاء وجه الله» يجوز أن يكون للتفضلة والتمييز، فإن بعضًا من العلوم مما يستعاذ منه، كما ورد: «أعوذ بالله من علم لاينفع». ويجوز أن يكون للمدح، كما ورد: «العلوم ثلاثة» والوعيد من باب التغليظ والتهديد. سمعت بعض العلماء الزاهدين يقول: من طلب الدنيا بالعلوم الدنيوية كان أهون عليه من أن يطلبها بغيرها من العلوم، فهو كمن جر جيفة بآلة من آلات(***) الملاهي، وذاك كمن جرها بأوراق تلك العلوم. ومثله ما روى الإمام أحمد في كتاب الزهد عن بعضهم: «لأن تطلب الدنيا بالدف والمزمار خير من أن تطلبها بدينك» والله أعلم بالصواب.

الحديث الرابع عشر عن ابن مسعود: قوله: «نضر الله» «تو»: النضرة الحسن والرونق، يتعدى ولايتعدى، وروي بالتخفيف والتشديد، والمعنى خصه تعالى بالبهجة والسرور لما رزق بعلمه ومعرفته، من القدر والمنزلة بين الناس في الدنيا ونعمة ▲ في الآخرة، حتى يرى عليه رونق الرخاء ورفيف■ النعمة. وإنما خص حافظ سنته ومبلغها بهذا الدعاء؛ لأنه سعى في نضارة • العلم وتجديد السنة، فجازاه في دعائه له بما يناسب حاله في المعاملة.

قوله: «ووعاها» «خط» ♦: وعى يعي وعيًا إذا حفظ كلامًا بقلبه، ودام على حفظه ولم ينسه.

قوله: «ورب حامل فقه» «رب» وضعت للتقليل، فاستعيرت في الحديث للتكثير. وقوله: «إلى

---

(١) النساء: ١٣٤ وهو الأصح بخلاف ما في المطبوع

(*) زيادة من (ك).

(**) زيادة من (ك).

♦ كذا فى (ط)، وفى (ك): «مظ».

(***) فى ط (الآلات) والتصويب من (ك).

▲ سقطت فى (ط) وأثبتناه من (ك).

■ فى ط : (ورفيق) والتصويب من (ك)

هو أفـقه منه. ثلاثٌ لا يُغِلّ عـليهن قلب مـسلم: إخـلاصُ العمل لله، والنصـيحـةُ

من هو أفقه منه» صفـة لمدخول «رب» استغني بها عن جوابهـا، أي رب حامل فقه أداه إلى من هو أفقه منه لايفقه ما يفقهه المحمول إليه.

«تو»: «لايغل» يروى بفتـح الياء وضمهـا، وكسر العـين على الصيغـتين، فالأول من الغل الحقد، والثاني من الإغلال الخيانة، والمعنى المؤمن لايغل، ولايخون في هذه الأشياء الثلاثة، أو لايدخله ضغن يزيله عن الحق حين يفعل شيئًـا من ذلك. «فا»: المعنى أن هذه الخلال تستصلح بها القلوب، فـمن تمسك بها طهـر قلبه من الدغل والفسـاد. و«عليهن» في مـوضع الحال، أي لا(*) يغل قلب المؤمن كائنًا عليهن، وإنما انتصب عن النكرة لتقدمه.

«تو»: وجه التناسب بين قوله: «نضر الله عبدًا» وبين قوله: «ثلاث لايغل» هو أن يقول: إن النبي ﷺ لما حث من سمع مـقالته على أدائها علمهم أن قلب المسلـم لايغل على هذه الأشياء، خشيـة أن يضنوا بها على ذوي الإحن والحقـد لما يقع بينهم من التحاسد والتـباغض، وبين أن أداء مقالته إلى من يسمعها من باب إخلاص العمل لله تعالى والنصيحة للمسلمين، ومن الحقوق الواجبة المتعلقـة بأحكامه لزوم جماعة المسلمين، فلا يحل له أن يـتهاون به، لأنه يخل بالخلال الثلاث.

«قض»: قوله: «ثلاث» اسـتئناف تأكيد لما قبلـه، فإنه ﷺ لما حرض (**) على تعليم السنن ونشرهـا قفاه برد مـا عسى أن يعـرض مانعًـا ـ وهو الغل ـ من ثلاثة أوجه: أحـدها أن تعلم الشرائع ونقلها ينبغي أن يكون خالصًا لوجه الله، مبرأ عن شوائب المطامع والأغراض الدنيوية، وما كان كـذلك لا يتأثر عن (***) الحقد والحسد. وثانيـها أن أداء السنن إلى المسلمين نصيحة لهم، وهي من وظائف الأنبياء، فـمن تعرض لذلك وقام به كان خليفـة لمن يبلغ عنه، وكما لا يليق بالأنبياء أن يهمـلوا أعاديهم ولا ينصحوهم● لايحسن مـن حامل الأخبـار وناقل السنن أن يمنحها صديقـه ويمنع عدوه. وثالثها أن التناقل ونشر الأحاديث إنما يكون غالبًـا بين الجماعات، فحث على لزومها، ومنع عن التأبي عنها لحقد وضغـينة يكون بينه وبين حاضريها ببيان ما فيها من الفائدة العظمى، وهي إحاطة دعائهم من ورائهم، فيحرسهم عن مكائد الشيطان وتسويله.

وأقـول: يمكن أن يقـال ـ والله أعلم ـ : إن قـوله: «ثلاث» اسـتـئناف، وهي المقـالة التي استوصى في حقها أن يبلغ، والكلام السابق كالتوطئةِ والتمهيد لها اعتناءً بشأنها، والعض عليها بالنواجـذ، كأن قـائلاً لما سمع تلك التـوصيـة البليغـة اتجه له أن يقـول: ما تلك المقـالة التي استوجبت ذلك الدعاء المرغب في أداء ما سمع؟ أجيب هن ثلاث. وإنما استوجبت هذه التوصية البليغة؛ لأنها جمعت بين التعظيم لأمر الله تعالى، فإن إخلاص العمل هي مقدمة ■ مطلوبة في

(*) سقطت في (ط) وأثبتناها من (ك).

(**) كذا في (ط) وفي(ك): (حرص) بالصاد المهملة.

(***) كذا في الأصول.

■ سقطت في (ط) وأثبتناها من (ك).

● في (ط) : (يهملون ولا ينصحوا) والتصويب من (ك).

للمسلمين، ولزوم جماعتِهم، فإنَّ دعْوتهم تحيط من ورائهم». رواه الشافعى والبيهقى فى المدخل [٢٢٨].

كل أعمال صالحة ـ وبين الشفقة على خلق الله من النصيحة لهم إن كان فوقهم، ومن التبرك بدعائهم والانخراط في سلكهم وأداء حقوقهم إن كان دونهم. ولعل رواية «يغل» ـ بالضم ـ من الإغلال، يقال: غل شيئًا من المغنم غلولا، وأغل إغلالا، إذا أخذه في خفية ـ أرجح؛ لأن الخيانة في إخلاص العمل هي رؤية الغير، قال الله تعالى: ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾(١) وفي حق المسلمين ترك نصيحتهم وإرادة الخير لهم. فإن النصيحة حق لهم عليه، فإذا تركها خانهم. وفي حق نفسه أن يحرمها من تركه دعاء المؤمنين، وإخراجه من زمرتهم، فيكون كالغنم القاصية عن القطيع متعرضًا لمكائد الشيطان وتسويله.

قوله: «فإن دعوتهم» «نه»: الدعوة المرة الواحدة من الدعاء، أي تحوطهم(*) وتثبتهم وتحفظهم، يريد بهم أهل السنة والجماعة. وكلام صاحب النهاية يرشد إلى أن الصواب فتح «من» موصولاً مفعولا لـ«تحيط». وقد يجوز أن يكون تقدير الكلام: فعليه أن يلزم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من ورائهم.

قال محي السنة: اختلف أهل العلم في نقل الحديث بالمعنى، فرخص فيه جماعة، قال واثلة ابن الأسقع: إذا حدثناكم بالحديث على معناه فحسبكم. وإليه ذهب الحسن، والشعبي، والنخعي. قال أيوب عن ابن سيرين: كنت أسمع الحديث من عشرة، واللفظ مختلف، والمعنى واحد. قال مجاهد: انقص من الحديث إن شئت ولا تزد فيه. قال سفيان الثوري: إن قلت: إني حدثتكم كما سمعت فلا تصدقوني، فإنما هو المعنى. وقال وكيع: إن لم يكن المعنى واسعًا فقد هلك الناس. وذهب قوم إلى اتباع اللفظ، منهم ابن عمر، وهو قول القاسم بن محمد، وابن سيرين، ورجاء بن حيوة، ومالك بن أنس، وابن عيينة، وعبدالوارث، ويزيد بن زريع، ووهيب، وبه قال أحمد، ويحيى.

قال محي الدين النواوي: قال مسلم في حديث أبي معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: وفي حديث وكيع يرفعه. وهذا الذي فعله مسلم من احتياطه، ودقيق نظره، وغزير علمه، وثقوب فهمه، فإن أبا معاوية ووكيعًا اختلفت روايتهما، فقال أحدهما: قال أبو هريرة: قال رسول الله،

---

[٢٢٨] صحيح: رواه أحمد فى المسند (٥/ ١٨٣) وسنده صحيح، وصححه الحافظ بن حجر وغيره، وفيه زيادة ستأتى الإشارة إليها فى الحديث، وصحيح ابن ماجه (٢٣١ ، ٢٤٨٠) من حديث محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ومن حديث عبد الرحمن بن عبدالله عن أبيه مختصراً (٢٣٢)، وصحيح الترمذى من حديث زيد بن ثابت وابن مسعود (٢١٣٩، ٢١٤٠). قال الشيخ الألبانى: لم أجده عند أبى داود، وقد عزاه إليه المنذرى أيضًا فى «الترغيب» وأما الشافعى فرواه (١٤١١ من الجمع بين مسنده والسنن) بسند صحيح.

(١) الكهف: ١١٠.

(*) فى ط (تحويلهم) والتصويب من (ك).

وقـال الآخر: عن أبي هريرة يرفـعـه. وهذا بمعنى ذلك عند أهل العلم، ولكن أراد مـسلم أن لايروى بالمعنى؛ فإن الرواية بالمعنى حرام عند جماعات من العلماء، وجائزة عند الأكثرين، إلا أن الأولى اجتنابها.

أقـول ـ والله أعلم ـ: في قول مـحيـي السنة: رخص بعضـهم، وفي قـول محـيي الدين: الأولى، إيذانًا بأن العـزيمة هو (*) الاحتـياط، وأداء اللفظ بعينه، وعليـه دل ظاهر الحديث من وجوه أحدها: نفس الدعاء، فإنه ينبىء عن عدم التـغيير؛ لأنه لو وضع موضع «نضر الله» رحم الله، أو غفر الله له، وما شـاكلهما، لفاتت المناسبـة، فإن من حفظ ما سمعـه ووعاه وأداه كما سمع من غير تغيير كأنه جعل المعنى غضًا طريًا، ومن بدل وغير فقد جعله متبذلاً ذاويًا.

وثانيها: اختصاص العبد بالذكر دون امرىء مسلم، بمعنى الاستكانة والمضي لأمر الله تعالى ورسوله بلا امتناع، وعدم اسـتنكاف من أداء ماسمع إلى من هو أعلم منه، فإن حقيـقة العبودية مـشعـرة بذلك، ومن ثم ورد قـوله: «بين العـبد والكفـر ترك الصـلاة» ولم يقل: بين الإيمان والكفر ترك الصلاة، وهو الظاهر.

وثالثها: المقالة خصت من بين الكلام، والحديث، والخبر، لأن حقيقة القول هو المركب من الحروف المبرزة، مفـردًا كان أو مركبًا، ليدل على وجوب أداء اللفظ المسـموع، وينصره الحديث الآتي: «فيبلغه كما سمعه».

ورابعها: أن إرداف «ووعاها» «حـفظها» مشعر بمزيد التقـرير؛ لأن الوعي إدامة الحفظ وعدم النسيان. وأوثر «أداها» على «رواها» و«بلغها» ونحوهما دلالة على أن تلك المقالة مستودعة عنده، واجب أداؤها إلى من هو أحق بها وأهلها، غير مغير ولا متصرف فيها.

وخامسها: تخـصيص ذكر الفقه دون العلم؛ ليؤذن بأن الحامل غيـر عار عن العلم؛ إذ الفقه علم بدقائق العلوم المستنبطة من الأقيسة،** ولو قيل: غير عالم، لزم جهله.

وسادسـها: تكرير «رب»، وإناطـة كل بمعنى يخصـها، فـإن السامع أحد رجـلين: إما أن لايكون فقيهًا فيجب عليه أن لايغير؛ لأنه غـير عارف بالألفاظ المترادفة، فيخطىء فيه، أو يكون عـارفًا بهـا، لكنه غيـر بليغ، فـربما يضع أحد المتـرادفين مـوضع الآخر، ولايقف على رعـاية المناسبات بين لفظ ولفظ، فإن المناسبة لها خواص ومعان لا يقف عليها إلا ذو دراية بأقانين النظم؛ لأنه يستنبط من ذلك اللفظ المُغيَّر أحكامًا وأسرارًا لا يستنبطها غيره.

فإن شئت فتـأمل ما رويناه عن البخاري أن البراء بن عـازب دعا بقوله: «اللهم إني أسلمت نفسي إليك» فلما (***) انتهى إلى قوله: «بكتـابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت» قال: «ورسـولـك الذي أرسلت» قـال رسـول الله ﷺ: «لا، ونبـيك الذي أرسـلت» أي لا تقل: ورسولك، بل قل: ونبيك. «نه»• قيل: إن النبي فعـيل بمعنى فاعل للمبالغة من: النبـأ الخبر؛

* كذا فى الأصول.

** فى ط (الاقسية) والتصويب من (ك).

*** فى ط (فما) وما أثبتناه من (ك) وهو الصحيح.

• سقطت من (ط) وأثبتناها من (ك).

٢٢٩ ـ * ورواه أحمد، والترمـذى، وأبو داود، وابن ماجه، والدارمى، عن زيد ابن ثابت. إلا أن الترمذى، وأبا داود لم يذكرا: «ثلاث لا يُغل عليهن» إلى آخره.

لأنه أنبأ عـن الله، وقيل: إنه مشـتق من النباوة، وهو الشيء المرتـفع، وإنما رد عليه ليـختلف اللفظان، ويجـمع له التبـاين من معنى النبـوة والرسالة، ويكون تعـديدًا للنعمة فـي الحالتين، وتعظيما للمنة على الوجهين.

وقال أبو الحـسن الهروي في دلائل النبـوة: وهذا القسم من الفصـاحة موجـود في القرآن، والخطب، وكلام البلغـاء، فإن من سمع كـلام غيره عرف صـاحبه، وفرق بين من طبـعه وبين غيره(*) ،كمـا هو مشهـور بين جرير والفـرزدق، ومنه قوله تعالى: «والـنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى»(١) فتفكر في ألفاظها وحسن (**) مواقعهـا، هل تجد لفظة لو أبدل مكانها غيـرها ناب منابها؟ إذ لو قيل: والكوكب إذا سـقط، أو غرب، أو أفل، وقيل: مـا زاغ نبيكم عن الهوى، أو ما أخطأ رسولكم، أو قيل: ما حاد رسولكم(***) عن الرشد، وما أشبه ذلك هل يغني غناء ▲ ما عليه النظم المعـجز؟ وهل تجد له • طراوة وطلاوة؟ كلا! وعليه فـقس جميع الآيات والكلام النبـوي. ونعم ما قال من قـال: لكل مقام مـقال، ولكل لفظة مع صـاحبتـها مجال.

هذا واتفقت الفصـحاء من علماء البيـان أن للألفاظ أيضًا خواص كمـا للأدوية، أودعها الله تعالى فيها بلطفه وحكمته، فإذا تحري الطبيب الحاذق تركيبًا حدد وعين أوزان الأدوية وأعدادها، كالترياق الأكبـر، فإذا نقص أو زيد على القدر المحدود أو غير وبدل دواء بغـيره لم تحصل تلك الفائدة المقصودة من ذلك التركيب.

وسمعت مشايخنا يقـولون: في الأسماء التسعة والتسعين وتخـصيص عددها فوائد، لاينبغي أن يزاد عليـها ولا ينقص، ومن ثم أكـد رسول الله ﷺ التسـعـة والتسـعين بقوله: «مـائة إلا واحدة». مـثالهـا كوالد أوصى ولده: إني دفنت لـك دفينة في مـوضع كذا، فإذا خـطوت كذا خطوات فزت بها، فالولد إن نقص من تلك الخطوات شيئًا أو زاد عليها شيئًا لم يفز بها.

وأن الإطناب والإيجاز، والحذف والإضـمار، والتقديم والتأخـير، والحصر وعدمه، لاسـيما توسيط العاطف بين الجمل وعراها عنه، وطريق المجازات، والكنايات، والتـشبيهات، والتحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى باب ذو ذيول، وكلام ذو أطراف، قلما يقف عليه إلا المهرة من علماء البيان، وكان رسول الله ﷺ أفصح من نطق بالضاد، وأوتي جوامع الكلم، وكلامه مصبوب في هذه الأساليب، ومسبوك في هذه الأقـاليب، فلا بد من مراعاتها. **«والله يقول الحق، وهـو يهدي السبيل»**(٢).

---

(١) النجم: ١ـ ٢.

(٢) يشير بكلامه إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب: ٤.

(*) كذا فى الأصول.

(**) فى ط (وحس) والتصويب من (ك).

▲ فى ط (غنًا) وفى ك (عنًا) وما أثبتناه أوفق للسياق.

(***) سقطت فى (ط) وأثبتناها من (ك).

• سقطت من (ط) وأثبتناها من (ك).

٢٣٠ ـ وعن ابن مسعود، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نضَّر الله امرأ سمع منا شيئًا فبلغه كما سمِعه، فربَّ مبلَّغٍ أوعى له من سامع» رواه الترمذى وابن ماجه [٢٣٠].

٢٣١ ـ * ورواه الدارمى عن أبى الدرداء.

٢٣٢ ـ * وعن ابن عباس، رضى الله عنه، قال قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الحديث عنى إلاَّ ما علمتم، فمن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» رواه الترمذى [٢٣٢]

الحديث الخامس عشر عن ابن مسعود: قوله: «كما سمعه» إما حال من فاعل «بلغه»، أو من مفعوله، أو مفعول مطلق، و«ما» موصولة، أو مصدرية. فإن قلت: ألفاظ هذا الحديث مخالفة لألفاظ الحديث السابق، فما تقول فيه؟ قلت: قد سبق أن لكل مقام مقالا، وهذا الحديث عام بخلاف ذلك؛ لما قلنا: إن المراد من «مقالتي» تلك الخلال الثلاث، فالمراد بقوله: «شيئًا» عموم الأقوال والأفعال الصادرة من النبي ﷺ وأصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ يدل عليه صيغة «منا» بلفظ الجمع، ولهذا وقع «امرءٍ» موقع «عبدًا» وهو أعم من لفظ العبد، على ما أوّلناه. وكذا وضع مبلغ أى مبلغ إليه موضع «فقيه» وهو أعم، والسامع أعم من «حامل فقه»، ولهذا وصف المبلغ إليه هنا بالواعي، ونسبه في ذلك الحديث إلى السامع. فيحتمل أن يراد به إيصال السند بنقل الثقة الضابط؛ فإن الواعي قد يطلق على الضابط المتقن، قال الله تعالى: **﴿وتعيها أذن واعية﴾**(١). فتدبر، ليتحقق لك ما قدرناه في الحديث السابق.

الحديث السادس عشر عن ابن عباس: قوله: «الحديث عني» يجوز أن يراد بالحديث الاسم، والمضاف محذوف، أي احذروا رواية الحديث عني. وأن يكون فعيلا بمعنى مفعول، و«عني» متعلق به. والاستثناء منقطع، المعنى احذروا مما لا تعلمونه من التحديث عني، لكن لاتحذروا مما تعلمونه. و«متعمدًا» حال من المستتر في «كذب» الراجع إلى «من»، وفيه تشديد في رواية الحديث من غير علم الرواية وسند الحديث إلى الثقات، حيث رتب عليه «من كذب على متعمدًا» ونحوه: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع» والله أعلم.

---

[٢٣٠] صحيح: صحيح الترمذى (٢١٤٠) وصحيح ابن ماجة (٢٣٢)، وصحيح الجامع (٦٧٦٤).

[٢٣٢] ضعيف: أخرجه أحمد فى مسنده (١/ ٢٩٣، ٣٢٣) والترمذى وقال: حديث حسن، وتعقبه الشيخ الألبانى بقوله: وسنده ضعيف، لكن ابن أبى شيبة رواه بسند صحيح كما قال ابن القطان، ونقله المناوى فى «فيض القدير» والله أعلم، وانظر ضعيف الجامع (١١٤).

(١) الحاقة : ١٢.

٢٣٣ ـ * ورواه ابن ماجه عن ابن مسعود وجابرٍ، ولم يذكر: «اتقوا الحديث عنى إلا ما علمتم».

٢٣٤ ـ * وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعدَه من النار». وفى رواية: «ومن قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعدَهُ من النار » رواه الترمذى [٢٣٤].

٢٣٥ ـ * وعن جُندُب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ». رواه الترمذي، وأبو داود [٢٣٥].

الحديث السابع عشر عن ابن عباس: قوله: «من قال فى القرآن برأيه» سيجىء بيانه فى الحديث الآتي.

الحديث الثامن عشر عن جندب: قوله: «فأصاب» «تو»: المراد بالرأى قول لايكون مؤسسًا على علوم الكتاب والسنة، بل يكون قولاً يقوله برأيه على حسب ما يقتضيه عقله. وعلم التفسير علم يؤخذ من أفواه الرجال كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ومن أقوال الأئمة وتأويلاتهم؛ ثم ينظر فيه بالمقاييس العربية كالحقيقة والمجاز، والمجمل والمفصل، والعام والخاص؛ ثم يتكلم فيه على حسب ما تقتضيه أصول الدين، فيؤول القسم الذى يفتقر فيه إلى التأويل على وجه يشهد بصحته ظاهر التنزيل؛ فمن لم يستجمع هذه الشرائط، وخاض فى بيان كتاب الله بالظن والتخمين، فالحري أن يكون قوله مهجورًا، وسعيه مثبورًا، وحسبه من الزاجر أنه مخطىء عند الإصابة، فيابعد ما بين المجتهد والمتكلف! فإن المجتهد مأجور على الخطأ، والمتكلف مأخوذ بالصواب.

وقال صاحب جامع الأصول: يحمل النهى على وجهين: أحدهما أن يكون له رأى وميل من طبعه وهواه، فيؤول على وفق رأيه، ولو لم يكن له ذلك الهوى لايلوح له ذلك. وثانيهما أن يسارع إلى التفسير بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الإضمار، والتقديم والتأخير، ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل أحكام الظاهر. فالمبتدع إذا جاء بمجمل فى المتشابه على وفق بدعته فأصاب رأيه ـ لأن محامل المتشابه كثيرة ـ فإنه مخطىء فى التأويل، حيث لم يرده إلى المحكم، أو إلى ما كان عليه السلف

---

[٢٣٤] ضعيف الجامع (٥٧٤٨، ٥٧٤٩).

[٢٣٥] ضعيف الجامع (٥٧٤٨).

٢٣٦ ـ * وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المراءُ فى القرآنِ كفرٌ» رواه أحمد، وأبو داود [٢٣٦].

٢٣٧ ـ * وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: سمع النبى ﷺ قومًا يتدارؤون فى القرآن، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا: ضربوا كتاب الله بعضَه ببعض، وإنما نزل كتابُ الله يصدّق بعضُه بعضًا، فلا تُكذّبوا بعضَه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتُم فكلِوه إلى عالمه» رواه أحمد، وابن ماجه[٢٣٧].

الصالح. وأن الجاهل إذا قال فى قوله تعالى: **﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾**(١) الناقة لم تكن عمياء فأصاب الظاهر، وأخطأ المراد بها وآتينا ثمود الناقة آية مبصرة، أى دلالة ظاهرة، ومعجزة باهرة. وقال أيضًا: وما يستعمله الوعاظ فى المقاصد الصحيحة تحسينًا للكلام وترغيبًا للمستمع نحو قولهم فى قوله تعالى: **﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾**(٢) ويشيرون إلى القلب: إنه طاغ على كل أحد، فهو ممنوع، وإن كان القصد صحيحًا.

وقال حجة الإسلام: إن الطامات وهى صرف ألفاظ الشرع من ظواهرها إلى أمور لم تسبق منها إلى الإفهام ـ كدأب الباطنية ـ من قبيل البدعة المنهى عنها؛ فإن الصرف عن مقتضى ظاهرها من غير اعتصام فيه بالنقل عن الشارع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل عقلي حرام.

الحديث التاسع عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «المراء» «قض»: المراد بـ«المراء» فيه التدارؤ، وهو أن يروم تكذيب القرآن ليدفع بعضه ببعض، فيطرق إليه قدحًا وطعنًا. ومن حق الناظر فى القرآن أن يجتهد فى التوفيق بين الآيات، والجمع بين المختلفات، ما أمكنه؛ فإن القرآن يصدق بعضه بعضًا، فإن أشكل عليه من ذلك ولم يتيسر له التوفيق فليعتقد أنه من سوء فهمه، وليكل إلى عالمه، وهو الله تعالى ورسوله ﷺ كما قال الله تعالى: **﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول﴾**(٣).

«حس»: قيل: هو المراء فى قراءته، وهو أن ينكر بعض القراءات المروية وقد أنزل الله القرآن على سبعة أحرف، فتوعدهم بالكفر لينتهوا عن المراء فيها، والتكذيب بها، إذ كلها قرآن منزل يجب الإيمان به.

الحديث العشرون عن عمرو بن شعيب: قوله: «يتدارءون» التدارء دفع كل من المتخاصمين قول صاحبه بما يقع له من القول، قال الله تعالى: **﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾**(٤). وأشار بهذا

---

[٢٣٦] صحيح الجامع (٦٦٨٧).

[٢٣٧] فى المسند (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦) وسنده حسن. وفى رواية له أن تنازعهم كان فى القدر.

(١) الإسراء: ٥٩ (٢) النازعات: ١٧.

(٣) النساء: ٥٩. (٤) الرعد: ٢٢.

٢٣٨ - * وعن ابن مسعـود، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سـبعة أحرف، لكل آية منها ظهرٌ وبطن، ولكل حدٍّ مطلع». رواه فى شرح السنة[٢٣٨].

إلى التدافع الذى كـان بينهم. «ضربوا كتـاب الله بعضه ببعض» بيـان لاسم الإشارة، والمضاف محذوف، أى بمثل هذا.

«مظ»: مثال ذلك أن أهل السنة يقولون: إن الخيـر والشر من الله بدليل قوله تعالى: ﴿قل كل من عند الله﴾[١]. ويقول القدري: ليس كذلك، بدليل قوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فـمن نفسك﴾[٢] فقـد دفع وتأول القدرى آية من القـرآن بمثلها، وهذا الاختلاف منهى عنه، بل الطريق فى الآيات التى بينها تناقض فى الظاهر أن يؤخذ ما عليه إجماع المسلمين منها، وتؤول الآية الأخرى على وجه يتفقان فيه، كما نقول: فقد انعقد الإجماع على أن الخيـر والشر بتقـدير الله، وهذا موافق لقـوله تعالى: ﴿قل كـل من عـندالله﴾[٣] لكنه مخالف فى الظاهر للآية الأخرى، وفى الحقيقة موافق لها، فإن المفسرين قالوا: إن قوله تعالى: ﴿وما أصابك من حسنة﴾[٤] متـصل بما قبلها، والمعـنى فما لهـؤلاء القوم لايكادون يفقـهون حديثًا، يعنى المنافقون لايعلمون ما هو الصـواب؛ لأنهم يقولون: ما أصابك من حسنةٍ(*) إلى آخرها. وقـيل: الآية مستـأنفة، أى ما أصـابك يا محمـد أو إنسان من حـسنة، أى من فتح، وغنيمـة، وراحة وغيرها، فـمن فضل الله، وما أصـابك من سيئـة أى من هزيمة، وتلف مال، وجوع، ومرض، فهو جزاء ما عملت من الذنوب.

وقوله: «ضـربوا كتـاب الله بعضـه ببعض» معنـاه دفع أهل التوراة الإنجيـل، وأهل الإنجيل التوراة. وكذلك دفع أهـل التوراة ما لايوافق مرادهم من التوراة، وكـذلك أهل الإنجيل. «تو»: «ضربوا» أى خلطوا بعضه ببعض، فلم يميزوا بين المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، من قولهم: ضربت اللبن بعضه ببعض، أى خلطته. ويحتمل أن يكون بمعنى الصرف، فإن الراكب إن أراد صرف وجه الدابة عن جـهتها ضربها بعصاه، أى صرفـوا كتاب الله بعضه ببعض عن المراد منه إلى ما مال (**) إليه أهواؤهم.

أقول: والوجه ما قاله المظهر، لما سبق أن قوله: «ضربوا بعضه ببعض» بيان لاسم الإشارة، والمشار إليه «التدارؤ»، اللهم إلا أن يحمل الضرب والخلط على ما يلزم منه الدفع والتدارؤ.

الحديث الحادى والعشرون عن ابن مسعـود: قوله: «على سبعة أحرف» «تو»: حرف الشىء

---

[٢٣٨] قال الشيخ الألبانى: لينظر فى أى مكان رواه فى «شـرح السنة» فإنى راجعـته فى« العلم »وفى« فـضائل القرآن» منه فلم أجده. ثم ساقه الشيخ الألبانى فى «ضعيف الجامع» (١٣٣٨) وعزاه إلى الطبرانى فى حديثه.

(١، ٣) النساء: ٧٨ (٢، ٤) النساء: ٧٩

(*) سقطت فى(ط) وأثبتناها من (ك).

(**) كذا فى الأصول ولعلها (ما مالت) فهو أوفق للسياق.

طرفه، وحروف التهجي سميت بذلك؛ لأنها أطراف الكلمة، والمراد بالأحرف في الحديث أطراف اللغة العربية، فكأنه قال: على سبع لغات من لغات العرب: كقريش، وثقيف، وطيء، وهوازن، وأهل اليمن. والنبى ﷺ أرسل إلى كافة الخلائق بهذا الكتاب المبارك، وعامة العرب كانت قبائلهم شتى ولغاتهم مختلفة، وكانوا أمة أمية، فلو كلفوا بالقراءة على حرف واحد لشق عليهم؛ لأنه لو كلف أهل كل قبيلة أن يقرأ بلغة قبيلة أخرى لم يستطع، وتعذر عليه، ومن نظائره القسم المشترك نحو: الإمالة، والوقف، وتخفيف الهمزة، والتقاء الساكنين، والزيادة، والإبدال، والإدغام؛ فالقريشي إذا كلف الهمز، واليمنى إذا كلف تركه، والأسدى إذا كلف الفتح في حروف المضارع عسر عليهم، قال الله تعالى: ﴿**وما جعل عليكم فى الدين من حرج**﴾(1). وكان من فضل الله ورحمته على هذه الأمة المرحومة إلهام نبيها أن يسأل التخفيف في ذلك، حتى رخص لهم فيه إذا كان المعنى واحداً.

ومن الدليل على صحة ما ذكرناه ما روى أن النبى ﷺ أتاه جبريل، فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تقرأ أنت وأمتك على حرف واحد، فقال رسول الله ﷺ: أسأل الله عز وجل معافاته، ومغفرته، إن أمتى لاتطيق ذلك. ثم رجع إليه الثانية فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين»، وساق الحديث إلى قوله: «أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف، كلما قرءوا بها أصابوا».

وأقول: ينبغي على هذا أن ينزل قوله: «لكل آية منها» إلى آخره، على معنى الاختلاف فى القراءات كما فعل المظهر، حيث قال: لكل حرف حد، ولكل حرف مطلع، يعنى حد كل حرف معلوم فى التلاوة، لايجوز مخالفتها، مثل عدم جواز إبدال الضاد بحرف آخر، وكذلك سائر الحروف لايجوز إبدالها بآخر إلا ما جاء في القراءة، ولا ينزل على غيره (*) هذه المعاني؛ لئلا يختل نظم الحديث. فيلزم من هذا التأويل أن يكون لكل حال من أحوال الكلمة - كالإمالة، وإبدال الحرف، والإدغام مثلاً - ظهر وبطن، وحد ومطلع، فيفوت ما يقصد من معنى الحديث كما سنبينه.

«قض»: قيل: أراد بـ«سبعة أحرف» أجناس الاختلاف التى يؤو ل إليها اختلاف القراءة، وأن اختلافها إما أن يكون فى المفردات أو المركبات، والثانى كالتقديم والتأخير، مثل: ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق**﴾(2)، وجاءت سكرة الحق بالموت. والأول إما أن يكون بوجود الكلمة وعدمها، مثل: ﴿**فإن الله هو الغنى الحميد**﴾(3)، وقرىء بالضمير وعدمه. أو بتبديل الكلمة بغيرها مع اتفاق المعنى، مثل: ﴿**كالعهن المنفوش**﴾(4) والصوف المنفوش. واختلافه

---

(1) الحج: 78 (2) ق: 19.

(3) الحديد: 24 (4) القارعة: 5.

(*) كذا فى (ط)، وفى ك «غيرهن المعاني».

مثل: ﴿وطلح منضود﴾[1] وطلع منضود. أو بتغييرها، إما بتغيير هيئآته (*) كإعراب مثل: «هن أطهر لكم»[2] بالرفع والنصب، أو صورة مثل: ﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها﴾[3] وننشرها، أو حرف مثل: باعد، وبعد بين أسفارنا.

وقيل: أراد أن فى القرآن ما هو مقروء على سبعة أوجه، كقوله تعالى: ﴿فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما﴾[4] فإنه قرىء بالضم، والفتح، والكسر، منونًا، وغير منون وبالسكون.

وقيل: معناه أنه أنزل مشتملاً على سبعة معان: الأمر، والنهي، والقصص، والأمثال، والوعد، والوعيد، والموعظة.

وأقول: المعانى السبعة هى العقائد، والأحكام، والأخلاق، والقصص، والأمثال، والوعد، والوعيد.

واعلم أن الحديث أيضًا له ظهر وبطن، وحد ومطلع، فلا بد من بيان ما يتعلق بظاهره من اللغة، والإعراب، والكشف عما يتعلق بباطنه مما يختص به من التأويل، وبيان المقام والمطلع(**). أما اللغة فإن «سبعة» موضوعة للعدد المخصوص، وحرفه طرفه، يقال: حرف السيف، وحرف السفينة، وحرف الجبل، وحرف الهجاء طرف الكلمة المرتبط بعضها ببعض، والحد الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط أحدهما بالآخر، وحد الدار ما يتميز به. والمطلع المصعد ومكان الاطّلاع من موضع عال، وأما الإعراب فإن «علي» فيه ليس بصلة «أنزل» كما فى قوله تعالى: ﴿أنزل على عبده الكتاب﴾[5]، بل هو ▲ حال، وقوله: «لكل آية منها ظهر» جملة اسمية صفة لـ«سبعة»، والراجع فى «منها» للموصوف، وكذا قوله: «لكل حد مطلع» صفة له، والعائد محذوف، ويشهد له رواية معالم التنزيل: «ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع».

وأما المقام فإن الحديث وارد فى باب العلم وبيان سبعة وجوه القرآن ودقته وغربته● . وأما التأويل فإنه ﷺ وصف سعة علم القرآن بلفظة السبعة المعنى به الكثرة لا العدد المخصوص، كما وصفه تعالى بها فى قوله تعالى: ﴿ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾[6] والأحرف هنا كالكلمات فى الآية، فيجب أن تحمل الأحرف على أجناس الاختلافات التى لا تدخل تحت الحصر، ثم قسم ﷺ كل حرف تارة بالظهر والبطن، وأخرى بالحد والمطلع، فالظهر ما يبينه النقل، والبطن ما يستكشفه التأويل.

---

(١) الواقعة: ٢٩
(٢) هود: ٧٨.
(٣) البقرة: ٢٥٩.
(*) فى ط (هيئة)، وما أثبتناه من (ك).
(٤) الإسراء: ٢٣ .
(**) سقطت فىّ (ط) وأثبتناها من (ك).
(٥) الكهف: ١.
(***) فى ط (يمتنع) وما أثبتناه من (ك).
(٦) لقمان: ٢٧.
▲ في ط «هو بل» ،والتصويب من (ك).
● كذا فى (ط) وفي ك (وعربته) بالعين المهملة.

٢٣٩ ـ * وعن عبـدالله بن عمـرو، قال: قال رسـول الله ﷺ: «العلم ثلاثة: آية

قال الكواشي: لو قـيل: ما معنى ﴿لاريب فيه﴾[1]؟ فتقول: لاشك، فهـذا تفسير[*]. فإن قيل: قـد نفيت الريب وقد ارتابـوا؟ فإن أجبت أنه فى نفسه صدق، وإذا تُؤمِّل وجـد كذلك، فانتـفى عنه الريب، فهـذا تأويل تلخيصـه : التفسـير ما يتـعلق بالرواية، والتأويل مـا يتعلق بالدراية. والحد هو المقام الذى يقتضى اعتبار كل من الظهر والبطن فيه، فلا محيد عنه. والمطلع المكان الذى يشرف منه[**] على توفية خواص كل مقام حـقه، وليس للحد والمطلع انتهاء؛ لأن غايتهما طريق العارفين بالله، ومـا يكون سرًا بين الله تعالى وبين المصطفين من أنبيائه وأوليائه. فمطلع الظاهر تعلم العربية، والتمرن فيهـا، وتتبع ما يتوقف عليه معرفة الظاهر والنقل، ومطلع الباطن بتصفية النفس بالرياضة.

ويؤيد هذا التـأويل قول محى السنة فـى معالم التنزيل: قـيل: الظهر لفظ القـرآن، والبطن تأويله، والمطلع الفهم، وقد يفـتح الله على المتدبر والمتفكر من التأويل والمعانى مـا لايفتحه على غيره، ﴿وفـوق كل ذى علم عليم﴾[2]. والتفهم يكون بصدق النـية، وتعظيم الحرمة، وطيب الطعمة. وفى شرح السنة: قال أبو الدرداء: لا تفقه كل الفـقه حتى ترى للقرآن وجوهًا كثيرة. والله أعلم.

الحديث الثانى والعـشرون عن عبدالله بن عمـرو: قوله: «العلم ثلاثة» «غب»: العلم إدراك الشىء بحقيقته، وذلك ضـربان: أحدهما إدراك ذات الشىء، والثانى الحكم على الشىء بوجود شىء هو موجود له، أو نفى شىء هو منفـى عنه، فالأول هو المتعدى إلي مفعـول واحد، نحو قوله تعالى: ﴿لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾[3]، والثانى إلى مفعـولين، نحو قوله تعالى: ﴿فإن علمتموهن مؤمنات﴾[4] ـ انتهى كلامه. والتعـريف فى «العلم» للعهد، وهو ما علم من الشارع أنه ما هو، وهو العلم النافع فى الدين، فإذن العلم مطلق يجب أن يقـيد بما يفهم منه المقصود، فيقال: علم الشريعة معرفة بثلاثة [***] أشياء، والتقسيم حاصر، وبيانه أن قوله: «آية محكمة» يشتمل على مـعرفة كتاب الله تعالى ومـا يتوقف عليه معرفـته؛ لأن المحكمة هى التى أحكمت عبـارتهـا، بأن حفظت من الاحـتمـالات والاشتـباه، وكـانت أم الكتاب أى أصله، فـتحـمل المتشابهـات عليها، أو ترد إليها، ولا يتم ذلك إلا لـلماهر الحاذق فى علم التفسـير والتأويل، الحاوى لمقدمات يفتقر إليها من الأصولين وأقسام العربية.

---

(١) البقرة: ٢.
(٢) يوسف: ٧٦.
(٣) التوبة: ١٠١
(٤) الممتحنة: ١٠.

(*) سقطت من (ط) وأثبتناها من (ك).
(**) فى ط (عنه) وما أثبتناه من (ك).
(***) فى ط (ثلث أشياء)، وفي ك (بلثة أشياء) وما أثبتناه أوفق للسياق.

محكمــة، أو سنَّةٌ قائمــة، أو فريضة عــادلة. وما كان ســوى ذلك فهــو فضلٌ» رواه أبوداود، وابن ماجه [٢٣٩].

٢٤٠ ـ * وعن عوف بن مــالك الأشجعي، قال: قــال رسول الله ﷺ: «لايقُصُّ إلا أمير أو مأمور أو مختالٌ» أبو داود [٢٤٠].

وقوله: «سنة قائمة» مـعنى قيام السنة ثباتها ودوامها بالمحافظة عليـها، من: قامت السوق إذا نفقت، لأنها إذا حوفظ عليـها كانت كالشيء النافق، الذى تتوجه إليه الرغـبات، ويتنافس فيه المخلصون، وإذا عطلت وأضيـعت كانت كالشيء الكاسد الذى لا يرغب فيـه. ودوامها إما أن يكون بحفظ أسـانيدها من مـعرفة أسـماء الرجال، والجـرح، والتعديل، ومـعرفة الأقـسام من الصحيح، والحسن، والضعيف، المتشعب منه أنواع كثيرة، وما يتصل بها من المتممات؛ وإما أن يكون بحفظ متونها من التغيير والتبديل بالإتقان والتيقظ، وبتفهم معانيها واستنباط العلوم الجمة منها؛ لأن جلها بل كلها * من جوامع الكلم التى أوتى وخص بها هذا النبى الأمى المكتوب فى التوراة والإنجيل، لا سيما هذه الكلمة الفاذة الجامعة مع قصر متنها وقرب طرقها علوم** الأولين والآخرين ﷺ.

وقوله: «أو فريضــة عادلة» إذا فسر بما أسلفناه فى قوله: «طلب العلم فـريضة» على ما تكلم فيه العلماء من الفرائض المتكاثرة ـ كانت شاملة لجميع أنواعها، وإذا ذهب إلى أن «العادلة» هى المستقيمة المستنبطة من الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، رجع المعنى إليه، وسميت عادلة لأنها معادلة أى مساوية لما أخذ منها. ونقف من هذا على أن المراد بقوله: «وما سوى ذلك فهو فضل» أن الفضل واحد الفضول الذى لا مـدخل له فى أصل علوم الدين، وما يستعاذ منه حينًا بقوله: «أعوذ بالله من علم لاينفع». قال صاحب المغرب: الفضل الزيادة وقد غلب *** جمعه على ما لاخـير فيـه، حتى قـيل: فضول بلا فـضل، وطول بلا طول. ثم قيل لمن يشـتغل بما لايعنيه: فضولي. وأما الطب فليس بفضول؛ لما ثبت بنصوص السنة الافتقار إليه، والله أعلم.

الحديث الثالث والعشرون عن عوف: قوله: «لايقص» الـقص التحدث بالقصص، ويستعمل فى الوعظ. «مظ»: «المخـتال» هو المتكبـر، من: اختـال إذا تكبر، والخيـلاء التكبر عن تـخيل فضيلة تراءت للإنسان من نفسه. «تو»: قيل: هذا فى الخطبة؛ لأن الأمر فيها إلى الأمراء، وإلى

---

[٢٣٩] وكذا البغـوى فى «شرح السنة» (١/٥٧/ ١) وفيه عـبد الرحمن بن زياد بن النعيم عن عـبد الرحمن بن رافع، وهما ضعيفان، ولذلك ضعف الحديث الذهبى فى «التلخيص» (٤/ ٣٣٢)

[٢٤٠] فى «العلم» بسند محتـمل للتحسين، لكن الحديث صـحيح، فإن له فى المسند (٦/ ٢٢، ٢٧، ٢٨، ٢٩) طرقًا أخرى بعضها صحيح.

* غير موجودة (ط) وأثبتناها من (ك). ** كذا فى الأصـول، ولعلها: «والتي جمع صاحبها علوم... إلخ» فيها يستقيم السياق.

*** سقطت من (ط) وأثبتناها من (ك).

٢٤١ ـ * ورواه الدارمـي، عن عـمرو بن شـعيـب، عن أبيـه، عن جـده، وفى روايته: «أو مُراءٍ» بدل «أو مختال» [٢٤١].

٢٤٢ ـ * وعن أبى هـريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أُفتي بغير عـلم كان إِثمه على من أفتاه ومـن أشار على أخيه بأمر يَعلم أن الرشد فـى غـيره فقـد خانـه» رواه أبـو داود [٢٤٢].

٢٤٣ ـ * وعن معاويـة، قال: إِن النبى ﷺ نهى عن الأغـلوطات. رواه أبو داود [٢٤٣].

من يتـولاها من قبلـهم. قلت: وكل مـن وعظ وقص داخل فـى غمارهم، وأمره مـوكول إلى الولاة، فالثالث مختال؛ لأنه نصب نفسه تكبرًا وطلبًا للرياسة.

وأقول: قوله: «لايقص» ليـس بنهى، بل هو نفى وإخبار، أى هذا الفـعل ليس بصادر إلا عن هؤلاء الثلاثة، وقد علم أن الاقتصاص مندوب إليه، فيجب تخصيصه بالأمير والمأمور، دون المختال؛ لأن ترتب الحكم على الوصف المناسب مشـعر بالعلية، وذلك أنه دل ذمه عليه الصلاة والسلام الثالث على استحماده الأولين، هذا كما إذا رأيت أمرًا خطيرًا قلت: لايخوض فى هذا* العمل إلا أحد رجلين: حكيم عارف بكيفيـة الورود فيها والصدور عنها، أو غمر جاهل لايدرى كيف يدخل فيها ويخرج منها، فيهلك. وهـذا المعنى أنسب إلى الباب، ولو حمل الحديث على النهى الصريح لزم أن يكون المختال مأمورًا. والله أعلم.

الحديث الرابع والعشرون عن أبى هريرة: قوله: «من أفتى» «شف»: يجوز أن يكون «أفتى» الثانى بمعنى استفـتى، أى كان إثمه على من استفتاه؛ فإنه جعله فى مـعرض الإفتاء بغير علم. ويجـوز أن يكون الأول مجـهولا، أى فإثم إفـتائه علـى من أفتاه، أى الإثـم على المفـتى دون المستـفتي، وإذا عدى «أشار» بـعلى كان بمعنـى المشورة، أى استشـاره، وسأله كيف أفـعل هذا الأمر.

الحديث الخامس والعشرون عن معاوية: قوله: «نـهى» «فا»: «الأغلوطة» أفعولة من الغلط، كالأحدوثة، والأحـموقة. «نه»: أراد المسائل التـى يغالط بها العلـماء ليزلوا فيهيـج بذلك شر

---

[٢٤١] فى الرقاق (٢/ ٣١٩) وسنده ضعيف. رواه ابن ماجة أيضًا (رقم ٣٧٥٣).

[٢٤٢] وسنده حسن. رواه الدارمى أيضًا (١/ ٥٧).

[٢٤٣] وسنده ضعيف، فيه عبد الله بن سعد وهو مجهول كما قال الذهبي.

* فى الأصول (هذه) وما أثبتناه أوفق للسياق.

٢٤٤ ـ * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا الفرائضَ والقرآن وعلموا الناس فإني مَقْبوضٌ». رواه الترمذي[٢٤٤].

٢٤٥ ـ * وعن أبي الدرداء، قال: كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى

وفتنة، وإنما نهى عنها لأنها غير نافعة فى الدين، لا يكاد يكون إلا فيما يقع إيذاء. ومثله قول ابن مسعود: «أنذرتكم صعاب النطق» يريد به المسائل الدقيقة الغامضة(*).

الحديث السادس والعشرون عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «تعلموا» «تو»: ذهب بعض الناس إلى أن المراد من «الفرائض» ههنا علم المواريث، ولا دليل معه، والظاهر أن المراد منها الفرائض التى فرضها الله تعالى على عباده. وقيل: ويمكن أنه أراد ﷺ بالفرائض السنن الصادرة منه ﷺ. المشتملة على الأوامر والنواهى الدالة عليها، كأنه قال: تعلموا الكتاب والسنة، «فإنى مقبوض»، أى سأقبض، أراد به ﷺ وفاة نفسه. وإنما خص هذين القسمين لأنهما ينقطعان بقبضه ﷺ؛ إذ أحدهما أوحى إليه، وثانيهما إعلام منه ﷺ للأمة به، ومثل هذا فى المعنى قوله: «هذا أوان أن يختلس العلم من الناس» أى علم الوحي، وكأنه لما شخص بصره إلى السماء كوشف باقتراب أجله، فأعلم الأمة أنه مقبوض.

وأقول: فى الحديث: أن رسول الله ﷺ فرض فرائض مثل ما فى القرآن، كما سبق فى حديث المقدام بن معد يكرب: «ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه» وفى حديث العرباض: «ونهيت عن أشياء إنها لمثل القرآن أو أكثر»، وأنه ﷺ مبين ما فى القرآن، فيؤخذ التفسير والتأويل مما بينه وعلمه، وما لم يبينه يحمل على ما بينه، قال الله تعالى: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾**(١) عطف« ولعلهم يتفكرون» على مقدر، أى لتبين للناس بعض ما نزل إليهم فيعلموا، ولعلهم يتفكرون فيما لم يتبين ويردونه إلى ما علموه. «حس»: التأويل المقبول ما يستنبط المعنى مما قبل ومما بعد موافقًا للكتاب والسنة، لفظ هذا معناه. والله أعلم.

الحديث السابع والعشرون عن أبي الدرداء: قوله: «يختلس» أى يختلس فيه، صفة «أوان»، و«حتي» غايته، أى يسلب العلم منكم حتى لاتقدروا أن تستنزلوا بسؤالكم شيئًا من العلوم

---

[٢٤٤] فى «الفرائض» (٢/ ١١) وقال: حديث فيه اضطراب ومحمد بن القاسم الأسدى ضعفه أحمد وغيره. قلت: بل كذبه أحمد والدارقطنى، وفيه أيضًا شهر بن حوشب، وهو ضعيف، لكن رواه الترمذى والدارمى (١/ ٧٣) والحاكم (٤/ ٣٣٣) من طريق آخر عن سليمان بن جابر عن ابن مسعود مرفوعًا، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، مع أن سليمان هذا لا يعرف، كما قال الذهبى نفسه، ولذا قال غيره، وسيأتى.

(١) النحل: ٤٤.

(*) سقطت من (ط) وأثبتناها من (ك).

السـمـاء ثم قـال: «هذا أوانٌ يُختلَس فـيه العلـم من الناس، حتى لايَقـدروا منه على شيء» رواه الترمذى [٢٤٥].

٢٤٦ ـ * وعن أبى هريرة رواية: «يوشك أن يَضْـرب الناسُ أكـباد الإبل يطلبُـون

السماوية، والاخـتلاس استعارة للإمـساك من نزول العلم، ونظيره قوله تعـالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾(١) الكشاف: أى أكملت لكم ما تحتـاجون إليه فى تكليفكم من تعليم الحرام والحـلال، والتوقيف على الشرائع، وقـوانين القياس، وأصول الاجـتهاد. والله أعلم.

الحديث الثامن والعشرون عن أبى هريرة رضى الله عنه: قـوله: «رواية »نصب على التمييز، وهو كناية عن رفع الحـديث إلى رسـول الله ﷺ، وإلا لكان موقـوفًا. قـوله(*) «يوشك» أى يقرب، و«أن يضـرب الناس» فى موضع الـرفع اسم لـ«يوشك»، والمسند والمسند إليه أغنـيا عن الخـبر، و«يضـرب أكـباد الإبل» كنايـة عن السيـر السـريع؛ لأن من أراد ذلك يركب الإبل، ويضرب على أكبادها بالرجل. «تو»: كأنه عبـارة عن سرعة السير، وإدمان الإدراج(**)، وقطع الشقة الشاسعة، حتى تستضر(٢) المطى بذلك، فتقطع أكـبادها، وتمسها الأدواء بذلك▲ من شدة العطش، فتصير كأنما (***) ضربت أكـبادها. وفى إيراد هذا القـول تنبيه على أن طـلبة العلم أشد الناس حرصًا، وأعزهم مطلبًا؛ لأن الجد فى طلب الشىء إنما يكون على قدر شدة الحرص، وعزة المطلب.

قوله: «عـالم المدينة» «تو»: ذكر الشـيخ أبو محـمد فى كتـابه عن ابن عييـنة أنه قال: هو مالك. وعن عبدالرزاق أنه قال: هو العمرى الزاهد، وهو عبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم ابن عمر بن الخـطاب رضى الله عنهم. «مظ»: أراد بالعمرى عمـر بن عبدالعزيز والصـحيح ما رواه الترمذى وذكـر فى المتن؛ لأن عمر بن عبـدالعزيز من أهل الشام. وقال صـاحب الجامع: عبدالعزيز بن عبدالله أحد فقهاء المدينة وأعلامهم، سمع ابن شهاب الزهرى ومحمد بن المنكدر،

---

[٢٤٥]وقال: حديث حسن. قـلت: وفيه عبد الله بن صالح وفـيه ضعف وقد خولف فى سنده، فأخـرجه أحمد (٦/ ٢٦ ـ ٢٧) من طريق جبير بن نضر، عن عوف بن مالك مـرفوعًا به. وسنده صحيح، وله شاهد من حديث زياد بن لبـيـد، رواه ابن ماجـه (رقم ٤٠٤٨) وأحـمد (٤/ ٢١٨ ـ ٢١٩) ورجـاله ثقـات إلا أنه منقطع. ورواه الحـاكم (١/ ٩٩، ١٠٠) من طريق الصحابة المذكورين: أبى الدرداء وعوف وزياد ، وصححها جميعها! ووافقه الذهبى.

(١) المائدة: ٣ (٢) أى يصيبها الضرر.

(*) سقطت في (ط) وأثبتناها من (ك). (**) فى ط (الإدراج) والتصويب من (ك).

(***) فى ط (فيصير فكأنما) والتصويب من (ك). ▲ سقطت فى (ط) وأثبتناها من (ك).

العلم، فلايجدون أحدًا أعلمَ من عالم المدينة» رواه الترمذى فى جامعه. قال ابن عُيينَة: إنه مالك بن أنس، ومثله عن عبدالرزاق، قال إسحاق بن موسى: وسمعت ابن عُيينَة أنه قال: هو العُمرىُّ الزاهد واسمه عبدالعزيز بن عبدالله [٢٤٦].

٢٤٧ ـ * وعنه، فيما أعلم عن رسول الله ﷺ، قال: «إن الله عزَّ وجلَّ يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنةٍ من يُجدّد لها دينها». رواه أبو داود [٢٤٧].

وعبدالله بن دينار، وأبا حازم، وحميد الطويل، وهشام بن عروة.

الحديث التاسع والعشرون عن أبى هريرة: قوله: «فيما أعلم» أى فى جملة ما أعلم، يجوز بضم الميم حكاية عن قول أبى هريرة رضى الله عنه، وفتحها ماضيًا من الإعلام حكاية عن فعله رضى الله عنه.

وقوله: «من يجدد» جامع الأصول: قد تكلم العلماء فى تأويله، وكل واحد أشار إلى القائم الذى هو من مذهبه، وحمل الحديث عليه، والأولى الحمل على العموم؛ فإن لفظة «من» تقع على الواحد والجمع، ولا تخص أيضًا بالفقهاء؛ فإن انتفاع الأمة بهم وإن كان كثيرًا [فإن انتفاعهم بأولي الأمر وأصحاب الحديث والقراء والوعاظ والزهاد أيضًا كثير](*) ـ إذ حفظ الدين وقوانين السياسة وبث العدل وظيفة أولى الأمر، وكذا القراء وأصحاب الحديث ينفعون بضبط التنزيل والأحاديث التى هى أصول الشرع وأدلته، والزهاد ينفعون بالمواعظ، والحث على لزوم التقوى، والزهد فى الدنيا ـ لكن المبعوث ينبغى أن يكون مشارًا إليه مشهورًا فى كل فن من هذه الفنون.

ففى رأس المائة الأولى من أولى الأمر عمر بن عبدالعزيز، ومن الفقهاء محمد بن على الباقر، والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، وسالم بن عبدالله بن عمر، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وغيرهم من طبقاتهم. ومن القراء عبدالله بن كثير، ومن المحدثين ابن شهاب الزهرى وغيره من التابعين وتابعى التابعين.

وفى رأس المائة الثانية من أولى الأمر المأمون، ومن الفقهاء الشافعى ـ وأحمد بن حنبل لم يكن مشهورًا حينئذ ـ واللؤلؤى من أصحاب أبى حنيفة، وأشهب من أصحاب مالك ومن الإمامية على بن موسى الرضا ومن القراء يعقوب الحضرمى ومن المحدثين يحيى بن معين، ومن الزهاد معروف الكرخي.

---

[٢٤٦] وقال: حديث حسن. قلت: (أى الألبانى): وهو من رواية ابن جريج عن أبى الزبير عن أبى صالح عن أبى هريرة، ومن هذا الوجه رواه الحاكم (١/ ٩١) ووافقه الذهبي، وابن جريج وأبو الزبير مدلسان معروفان بذلك وقد عنعناه، فالحديث ضعيف. ح[٢٤٧] وكذا الحاكم فى «المستدرك» وصححه، ووافقه الذهبي، وكذا صنع الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (١٨٧٤).

(*) ما بين المعقوفتين سقط من (ط) وأثبتناه من (ك).

٢٤٨ ـ * وعن إبراهيم بن عبدالرحمن العُذري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خَلَف عدوله، ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين». رواه البيهقي [٢٤٨].

وسنذكر حديث جابر: «فإنما شفاء العي السؤال» فى باب التيمم إن شاء الله تعالى.

وفى الثالثة من أولى الأمر المقتدر بالله ومن الفقهاء أبو العباس بن شريح الشافعى وأبو جعفر الطحاوى الحنفى وابن خلال الحنبلى وأبو جعفر الرازى الإمامى ومن المتكلمين أبو الحسن الأشعرى ومن القراء أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد ومن المحدثين أبو عبدالرحمن النسائي.

وفى الرابعة من أولى الأمر القادر بالله، ومن الفقهاء أبو حامد الإسفراييني الشافعي، وأبوبكر الخوارزمى الحنفي، وأبو محمد عبدالوهاب المالكي، وأبو عبدالله الحسين الحنبلي، والمرتضى الموسوى أخو الرضى الشاعر، ومن المتكلمين القاضى أبو بكر الباقلاني، وابن فورك، ومن المحدثين الحاكم بن التبع، ومن القراء أبو الحسن الحمامي، ومن الزهاد أبو بكر الدينوري.

وفى الخامسة من أولى الأمر المستظهر بالله، ومن الفقهاء الإمام أبوحامد الغزالى الشافعي، والقاضى محمد بن المروزى الحنفي، وأبو الحسن الزاغوى(*) الحنبلي، ومن المحدثين رزين العبدري، ومن القراء أبو الفراء القلانسى (**). هؤلاء كانوا مشهورين فى الأمة المذكورة، وإنما المراد بالذكر ذكر من انقضت المائة وهو حى عالم مشار إليه، والله أعلم.

الحديث الثلاثون عن إبراهيم: قوله: «يحمل هذا العلم من كل خلف»، «من» يحتمل أن تكون تبعيضية مرفوعًا فاعل «يحمل» و«عدوله» بدل منه، وأن تكون بيانيه على طريقة: لقينى منك الأسد. جرد من الخلف الصالح العدول الثقات، وهم هم، كقوله تعالى: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾**(١). وعلى التقديرين فيه تفخيم لأمرهم، وتعظيم لشأنهم. وقوله: «ينفون» إما حال من الفاعل، أو استئناف، وهو الأوجه، كأنه قيل: لم خص هؤلاء بهذه المنقبة العلية؟ فأجيب لأنهم يحمون مشارع الشريعة، ومتون الرواية من تحريف الذين يغلون فى الدين؛ والأسانيد من القلب والانتحال، وتولى الكاذبين؛ والمتشابه من تأويل الزائغين المبتدعين بنقل النصوص المحكمة لرد المتشابه إليها.

ووزان هذا الحديث وزان قوله تعالى: **﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم**

---

[٢٤٨] لم نجده فى مطبوعات البيهقى التى بين أيدينا، وعزاه الشيخ الألبانى إلى «البيهقى فى المدخل إلى السنن» نقلاً عمّا بين يديه من النسخ، وعلق عليه بتعليق طويل فى تخريجه للمشكاة فراجعه إن شئت.

(١) آل عمران: ١٠٤.

(*) فى ط (الزاعوى) بالعين المهملة وما أثبتناه من (ك).

(**) فى ط (القلاسى) والتصويب من (ك).

الفصل الثالث

٢٤٩ ـ * عن الحسن مرسلا، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جاءه الموتُ وهو يطلبُ العلمَ ليُحيي به الإِسلامَ، فبَينه وبين النبيِّين درَجةٌ واحدةٌ فى الجنَّة».رواه الدارمي[٢٤٩].

آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾[١] على أن يكون «وآخرين» عطفًا على «هم» فى «يعلمهم»، فإن قوله: «هذا العلم» إشارة إلى الكتاب والحكمة، وقوله: «من الخلف عدوله» بمنزلة ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾[٢].

وفيه تعريض باليهود، وتحريفهم وتبديلهم التوراة وتأويلها بالباطل، وإحماد عظيم لهذه الأمة المرحومة، وبيان لجلالة قدر المحدثين، وعلو مرتبتهم. ولعمري! إن الرواية من أقوى أركان الدين، وأوثق عرى اليقين، لا يرغب فى نشره إلا كل صادق تقي، ولا يزهد فى نصره إلا كل منافق شقي. قال ابن القطان: ليس فى الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث. وقال محمد ابن أسلم الطوسي: قرب الأسانيد قرب إلى الله تعالى، وقال الحاكم : لولا كثرة مواظبة طائفة المحدثين على حفظ الأسانيد. لدرس منار الإسلام، ولتمكن أهل الإلحاد والمبتدعة من وضع الأحاديث، وقلب الأسانيد.

قوله: «وانتحال» «نه»: كان بشر[*] بن أثير يقول الشعر، ويهجو به أصحاب النبى ﷺ وينحله بعض العرب ـ أى ينسبه إليهم، من النحلة، وهى النسبة بالباطل. «غب»: الانتحال ادعاء الشيء وتناوله، ومنه: فلان ينتحل الشعر. وأقول: لعل الأول الأنسب بمعنى الحديث. والله أعلم.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن الحسن: قوله: «وهو يطلب العلم» الجملة الاسمية وقعت حالاً من مفعول «جاء» والمعنى من أدركه الموت فى حال استمراره فى طلب العلم ونشره ودعوة الناس إلى الطريق المستقيم، فبينه وبين النبيين درجة، ونحوه فى التقدير بالحال ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[٣]، أى داوموا على حالة الإسلام، وواظبوا عليها، بحيث إذا أدرككم الموت تكونوا مسلمين. وقد سبق أن ورَّاث الأنبياء هم العلماء الزاهدون فى الدنيا المتنزهون عن شوائب الهوى، الداعون الخلق إلى الله تعالى، فهم الذين يحيون الإسلام. وأكد درجة بـ«واحدة» لأنها

---

[٢٤٩] ضعيف لإرساله.

(١) الجمعة: ٢

(٢) الجمعة: ٣.

(٣) آل عمران: ١٠٢.

(*) كذا في (ط) وفى (ك) :(بشير).

٢٥٠ - * وعنه مرسلاً، قال: سُئِل رسولُ الله ﷺ عن رجُلَين كانا في بني إسرائيل: أحدُهما كان عالمًا يُصلِّي المكتوبة، ثمَّ يجلسُ فيُعَلِّمُ الناسَ الخَير، والآخر يصومُ النهارَ ويقومُ الليل؛ أيُّهما أفضلُ؟ قال رسول الله ﷺ: «فضْلُ هذا العالِمِ الذى يُصلى المكتوبة ثم يجلسُ فيُعلمُ الناس الخيرَ على العابد الذى يصومُ النهارَ ويقومُ الليل كفَضْلى على أدْناكم».رواه الدارمى [٢٥٠].

٢٥١ - * وعن علي، رضى الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «نعمَ الرجلُ الفقيهُ فى الدين؛ إن احتيجَ إليه نَفَع، وإن استُغنيَ عنه أغْنى نفْسَه» رواه رزين[٢٥١].

تدل على الجنسية وعلى العدد، والذى سيق له الكلام هو العدد للدلالة على قرب منزلتهم من النبيين، فلو لم يقيد أوهم التنكير فيها التفخيم والتعظيم، فأزيل الوهم بالتوكيد. والله أعلم.

الحديث الثانى عن الحسن: قوله: «فضل هذا العالم» أطنب فى الجواب كل الإطناب وكان يكفى فى جواب أيهما أفضل؟ أن يقال: الأول، أو العالم، لتعظيم شأنه، وتقريره فى ذهن السامع، وإعجابه منه. ولفظة «هذا» فى الحديث كما فى قول الشاعر:

هذا أبو الصقر(١) فردًا فى محاسنه   من نسل شيبان بين الضال والسلم

وهذا الحديث يقرر ما ذهبنا إليه فى شرح فضل العالم على العابد مطلقين أنهما مقيدان بالعبادة والعلم؛ لأن المطلق محمول على المقيد إذا كان فى أمر واحد وفاقًا. فإن قلت: بم عرفت أن العابد كان أيضًا متحليًا بالعلم لكنه دونه؟ قلت: لو لم يكن عالمًا لم يتوجه السؤال؛ لأن كل واحد يعلم أن العالم العامل أفضل من الجاهل، فالمراد العالم الذى يشتغل بخويصة(*) نفسه دون غيره. ويدل عليه تقييد الأول بقوله: «ثم يجلس فيعلم».

الحديث الثالث عن على رضى الله عنه: قوله: «الفقيه» وهو المخصوص بالمدح. و«فى الدين»

---

[٢٥٠] سنده إلى الحسن صحيح لكنه مرسل، ويقويه أن له شاهدًا موصولاً تقدم (رقم ٢١٣). وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع من حديث أبى أمامة (٤٢١٣) بنحوه.

[٢٥١] قال الشيخ الألبانى فى تخريجه للمشكاة: هذا موضوع، فقد وقفت على إسناده والحمد لله، رواه ابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (ج١٣/ ١٧٣/ ١) من طريق عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن على رفعه. وآفته عيسى هذا، قال الدارقطنى: متروك الحديث، وقال ابن حبان: يروى عن آبائه أشياء موضوعة. ثم ساق له من موضوعاته أحاديث، وهذا من روايته عن آبائه كما ترى.أ.هـ

(١) في (ط) (الصفر) بالموحدة والتصويب من (ك).

(*) فى ط (بخويصته) والتصويب من (ك).

٢٥٢ - * وعن عكرمة، أنَّ ابنَ عباسٍ قال: حَدِّثِ الناس كلَّ جمعة مرةً، فإنْ أبَيتَ فمرَّتين، فإن أكثرتَ فثلاثَ مرات، ولا تُمِلَّ الناسَ هذا القرآنَ؛ ولا أُلفِيَنَّك تأتي القومَ وهم في حديث من حديثهم فتقُصُّ عليهم فتقطعُ عليهم حديثَهم فتُملهم؛ ولكن أنصِتْ، فإذا أمروكَ فحدِّثْهُم وهم يشتَهونه، وانظُرِ السَّجْعَ من الدعاءِ فاجْتَنِبهُ، فإني عَهِدتُ رسولَ الله ﷺ وأصحابَه لايفعلون ذلك. رواه البخاري.

متعلق به، أى الذى فقه فى الدين. ومثله ما جاء فى التنزيل: ﴿**وإنى خفت الموالى من ورائي**﴾(١) الجار والمجرور متعلق بصلة اللام على وجه، فعلى هذا يجوز أن تكون الجملة الشرطية حالاً من الضمير فى «الفقيه»، والظاهر أن تكون جملة مستأنفة، بيانًا لاستحقاقه التمدح. ويجوز أن تكون صفة «الفقيه» إذا جعل التعريف للجنس، نحو قوله:

ولقد أمر على اللئيم يسبني

وقوبل «نفع» بـ«أغنى» لتعم الفائدة، أى نفع الناس وأغناهم بما يحتاجون إليه، ونفع نفسه وأغناها بما يحتاج إليه، من قيام الليل، وتلاوة كتاب الله، وغيرهما من العبادات. والله أعلم.

الحديث الرابع عن عكرمة: قوله: «فإن أبيت» أى فإن أبيت التحديث مرة فمرتين، وإن أردت الإكثار فثلاث مرات. و«هذا القرآن» إشارة إلى تعظيمه فرتب وصف التعظيم على الحكم للإشعار بالعلية، أى لاتحقر هذا العظيم الشأن. «ولا ألفينك» من باب لا أرينك، أى لا تكن بحيث ألفينك وأجدك فى هذه الحالة، وهى أن تأتى القوم وحالهم كيت وكيت، و«تأتي» حال من الضمير المنصوب فى «لا ألفينك»، «وهم فى حديث»(*) حال من المرفوع فى «تأتي»، و«فتقص» و«فتقطع» معطوفان على «تأتي»، و«فتملهم» منصوب جواب للنهي.

قوله: «وانظر السجع من الدعاء» فإن قلت: كيف حذر عن السجع فى الدعاء وأكثر الأدعية المأثورة مسجعة؟ قلت: التعريف فى السجع للعهد، وهو السجع المذموم الذى كان الكهان والمتشدقون يتعاطونه ويتكلفونه فى محاوراتهم، لا الذى يقع فى فصيح الكلام بلا كلفة منهم؛ فإن كل الفواصل التنزيلية واردة على ذلك، ويعضده إنكاره ﷺ بقوله: «أسجع كسجع الكهان؟» على من قال: أأدى لمن لاشرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، ومثل ذلك يطل. المعنى تأمل فى السجع الذى ينافى إظهار الاستكانة والتضرع والتخشع فى الدعاء فاجتنبه؛ فإنه أقرب إلى الإجابة. و«عهدت» أى عرفت من حال رسول الله ﷺ وأصحابه أنهم كانوا يجتنبون مثل ذلك السجع. ونحوه فى حديث أم زرع: «لايسأل عما عهد» أى عما كان يعرفه هو فى البيت من طعام وشراب ونحوهما.

---

(١) مريم: ٥

(*) فى ط :«. . . الحديث بعد وتم حذف (بعد) كما فى (ك) إذ لا وجه لها.

٢٥٣ ـ * وعن واثلةَ بن الأسْقع، قال: قـال رسـول الله ﷺ: «مَنْ طلب العلمَ فأدركَـه، كان له كِـفْلانِ من الأجـر؛ فإنْ لم يدركْـهُ، كان له كِفْـلٌ من الأجر» رواه الدارمي [٢٥٣].

٢٥٤ ـ * وعن أبي هريرة، قـال: قـال رسول الله ﷺ: «إنَّ ممَّـا يلحَقُ المؤمنَ من عمله وحسَناته بعد مـوته: علمًا علِمه ونشَرَه، وولَدًا صالحًا تركه، أو مُـصْحفًا وَرَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيـتًا لابنِ السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدَقةً أخـرجَها من ماله في صـحَّتِـه وحيـاتِه، تلحقُـه من بعد مـوته» رواه ابن ماجـه والبيـهقي في «شـعب الإيمان»[٢٥٤].

الحديث الخامس عن واثلة: قوله: «فأدركه» وهو أبلغ من لو قيل: حصله؛ لأن الإدراك بلوغ أقصى الشيء، قال الله تعالى: ﴿بل ادَّارك علمهم في الآخرة﴾(١) [غب]: قيل معناه بل يدرك علمهم في الآخـرة أي إذا حصَّلوا في الآخرة](*) لأن ما يكون ظنًا فـي الدنيا فهـو في الآخرة يقين. و«الكفل» الحظ الذي فـيه الـكفالة أي الضـمان، كـأنه تكفل بأمـره، قال الله تعـالى: ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾(٢).

الحديث السـادس عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «مما يلحق» وهو خبـر «إن» أي كائن مما يلحقه، ولا يجوز أن يكـون تبعيضيًا لما ينافي الحصـر الذي في قوله ﷺ: «ينقطع عمله إلا من ثلاث» كـما مر، والجـمل المصدرة بـ«أو» مـن قسم الصدقـة الجارية، و«أو» فـيهـا للتنويع والتفصـيل. وأما قوله: «أو صدقة أخـرجها من ماله» فداخل في الصـدقة الجارية، ولإرادة هذا المعنى أتبعه بقوله: «تلحـقه من بعد موته». وفي عطف «حياته» على «صحـته» إشارة إلى معنى قوله ﷺ في جواب من قال: أي الصدقة أعظم أجرًا؟: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولاتمهل، حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفـلان كذا» أي صدقة أخرجها في زمان كمال حيويته ووفور افتقاره إلى ماله، وتمكنه من الانتفاع به(***).

---

[٢٥٣] في سننه (١/ ٩٦) وسنده ضعيف جدًا، فيه يزيد بن ربيعة قال البخاري: له مناكير، وقال النسائي وغيره: متروك، وضعفه غيرهما.

[٢٥٤] في مقدمة سننه (١/ ١٠٦) وإسناده حسن كما قال المنذري، وبه رواه ابن خزيمة في صحيحه.

(١) النمل: ٦٦.

(٢) الحديد: ٢٨.

(*) سقط من (ط) وأثبتناه من (ك).

(**) في ك (أحواله)، وفي ط(حيوته) وهي مُصحَّفة فتم تصحيحها.

(***) سقطت من (ط) وتم إثباتها من (ك).

٢٥٥ ـ * وعن عائشة، أنَّها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن اللهَ عزَّ وجل أوحى إليَّ: أنَّه من سلك مسلكًا في طلب العلم، سَهَّلتُ له طريقَ الجنَّة؛ ومَن سَلَبْتُ كريمَتَيه؛ أثبْـتُه عليهما الجنَّة. وفضلٌ في علمٍ خَيرٌ من فضلٍ في عبادة. وملاك الدينِ الوَرَعُ»رواه البيهقي في «شعب الإيمان» [٢٥٥].

٢٥٦ ـ * وعن ابن عباس، قال: تَدارُسُ العلمِ ساعةً من الليلِ خيرٌ من إِحْيائها. رواه الدارمي [٢٥٦].

الحديث السابع عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «يقول» حال من المفعول، وكان الأصل سمعت قول رسول الله ﷺ فأخر القول وجعل حالا؛ ليفيد الإبهام والتبيين، وهو أوقع فى النفس من الأصل. و«كريمتيه» أى عينيه أى الكريمتين عليه، وكل شيء يكرم عليك فهو كريمك وكريمتك. و«الجنة» منصوب بنزع الخافض، ويناسب أن يقال التنكير فى الفصل الأول للتقليل، وفى الثانى للتكثير، والملاك ـ بكسر الميم ـ ما به إحكام الشيء وتقويته وإكماله، والورع فى الأصل الكف عن المحارم، والتحرج منه، ثم استعير للكف عن المباح والحلال، وكان من حق الظاهر أن يقال: وملاك العلم والعمل، فوضع الدين موضعهما تنبيهًا على أنهما توأمان لاتستقيم مفارقتهما، وأنهما لايكملان بدون الورع.

الحديث الثامن عن ابن عباس: قوله: «إحيائها» شبه الليل بالميت الذى لاغناء فيه، وأثبت له الإحياء على **الاستعارة التخييلية**، ثم كنى عنه بصلاة التهجد؛ لأن فى قيام الليل كل نفع للقائم فيه، ومن نام فقد فقد نفعًا عظيما، قال الله تعالى: **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون﴾**(١) إلى قوله: **﴿فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾**(٢) نكر «نفس» وأوقعها فى سياق النفي، ونفى عنها دراية ما ادخر للمجتهد من السرور، يعنى نوع عظيم من الثواب ادخره الله لأولئك، وأخفاه من جميع خلائقه، فلا تعلم النفوس كلهن، ولانفس واحدة

---

[٢٥٥] قال الشيخ الألباني: لم أقف على سنده، لكن الحديث صحيح، جاء مفرقًا في أحاديث، فالجملة الأولى وردت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة، وقد مضى رقم (٢٠٤). والجملة الثانية وردت عن جمع من الصحابة منهم أنس عند البخاري، وسيأتي في «الفصل الأول» من «كتاب الجنائز». والجملة الثالثة والرابعة وردتا في حديث واحد من رواية سعد بن أبي وقاص وحذيفة وابن عمر والأول صححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي والثاني حسنه المنذري (١/ ٥١).

[٢٥٦] في سننه (١/ ٨٢) وسنده ضعيف، فيه من لم يسم.

(١) السجدة: ١٦

(٢) السجدة: ١٧

(*) فى ط (كريمته) فتم تصحيحها من المتن ومن (ك).

٢٥٧ ـ * وعن عبدالله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ مرَّ بمجلسين فى مسجده فقال: «كلاهما على خير، وأحدهما أفضلُ من صاحبه؛ أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم. وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه أو العلم ويُعلِّمون الجاهل، فهم أفضل، وإنما بُعثت معلمًا». ثم جلس فيهم. رواه الدارمي[٢٥٧].

٢٥٨ ـ * وعن أبى الدرداء، قال: سُئل رسول الله ﷺ: ما حدُّ العلم الذى إذا بلغَه الرجلُ كانَ فقيهًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «من حَفِظَ على أمَّتى أربعين حديثًا فى أمر دينِها، بعثه اللهُ فقيهًا، وكنتُ له يومَ القيامة شافعًا وشهيدًا».[٢٥٨]

منهن، ولا ملك مقرب، ولا نبى مرسل، فإذا كان ثواب التهجد هذا، فما ظنك بثواب التدارس الذى الساعة منها أفضل من إحيائها؟.

الحديث التاسع عن عبدالله بن عمرو: قوله: «أما هؤلاء» تقسيم للمجلسين باعتبار القوم أو الجماعة بعد التفريق بينهما باعتبار النظر إلى المجلسين فى إفراد الضمير، «ويرغبون إليه» أى يرغبون فيما عند الله من الثواب متوسلين إليه، والمفعول الثانى المحذوف فى «أعطاهم» يرجع إلى ما عند الله المقدر، أى إن شاء أعطاهم ما عنده من الثواب. وفى تقييد القسم الأول بالمشيئة وإطلاق القسم الثانى إشارة إلى بون بعيد بينهما. وفى قوله: «إنما بعثت معلما» إشعار بأنهم منه، وهو منهم، ومن ثم جلس فيهم.

الحديث العاشر عن أبى الدرداء: قوله: «ما حد العلم» «غب»: حد الشيء الوصف المحيط بمعناه، المميز عن غيره. قال محيى الدين: معنى الحفظ هنا أن ينقل الأحاديث الأربعين إلى المسلمين، وإن لم يحفظها ولا عرف معناها، هذا حقيقة معناه، وبه يحصل انتفاع المسلمين لابحفظها مالم ينقلها إليهم(**). واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقة، وقد صنف العلماء فى هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات، فأول من علمته صنف فيه عبدالله بن المبارك، ثم محمد بن أسلم الطوسى العالم الرباني، ثم الحسن بن سفيان النسوي، وأبو بكر محمد بن إبراهيم الأصفهاني، وأبو بكر الآجري، والدارقطني، والحاكم، وأبو نعيم، وأبو عبدالرحمن السلمي، وأبو سعيد الماليني، وأبو عثمان الصابوني، ومحمد بن عبدالله بن محمد

---

[٢٥٧] قال الشيخ الألباني: وإسناده ضعيف، وقد تكلمت عليه في كتابنا «الأحاديث الضعيفة والموضوعة»، (١١).

[٢٥٨] انظر كلام الطيبى عليه فى الشرح

(*) فى ط (معناه) والتصويب من (ك).

(**) سقطت من (ط) وتم إثباتها من (ك).

٢٥٩ ـ * وعن أنس بن مالك، قال: قـال رسول الله ﷺ: «هل تدرون من أجودُ جودًا؟» قـالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الله تعـالى أجودُ جُـودًا، ثم أنا أجود بنى آدم، وأجودهم من بعدى رجلٌ عَلِم علمًـا فنشرَه، يأتى يومَ القيامة أمـيرًا وحده، أو قال: أمةً واحدةً».

بن عبدالله الأنصاري، وأبو بكر البـيهقي، وخلائق من المتقدمين والمتـأخرين. وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال(١).

وأقول: ضمن «حـفظ» معنى رقب، وعداه بعلى، يقال: احفظ عـلى عنان فرسى ولا تغفل عني، عن المبرد. وفى أسـاس البلاغة: وهـو حفيظ عليـه رقيب. وفى المغرب: الحـفظ خلاف النسيان، وقد يجعل عبارة عن الصون وترك الابتذال، ويجوز أن يكون حالا من الضمير المرفوع العائد إلى «من» فـى «من حفظ»، يعنى من جمع أحـاديث متفـرقة مراقـبًا إياها بحـيث تبقى مستمرة على أمتى، بعثه الله فقيـهًا، مثل قوله تعالى: ﴿ابعث لنا ملكًا نقاتل فى سبيل الله﴾(٢) أى أقم لنا أميرًا ننتهض معه للقتال. فالمعنى من فعل ذلك أقامه الله فقيهًا يعلم الناس الخير.

فـإن قلت: كيف طابق «من حـفظ» جوابًا عـن سؤال السـائل «ما حـد العلم»؟ قلت: فيـه وجهان: أحدهما أن يؤخذ لازم معنى الجواب وزبدته، وهى معرفة أربعين حديثًا بأسانيدها، مع رعاية صحيحـها وحسنها، على أن يعلمها الناس ويحث على العمل بما هو المقصـود فيها، كأنه قيل: حد العلم الذى يصير به(*) الرجل فقيهًا هذا. وثانيـهما أن الجواب من الأسلوب الحكيم أى لا تسأل عن حد الفـقيه فإنه لاجدوى فـيه، بل كن فقيهًـا، فإن الفقيه من أقـامه الله تعالى لنشر العلم، وتعليمه الناس ما ينفعهم، فى أمر دنياهم وعقباهم من العلم والعمل. والله أعلم.

الحديث الحادى عشر عن أنس: قوله: «من أجـود جودًا؟» «غب»: الجود بذل المقتنيات مالا كان أو علما، يقال: رجل جواد، وفرس جواد، أى يجود بمدخر عدوه، ويقال: فى المطر الكثير جود، وفى الفرس جودة، وفى المال جود. وجاد الشىء جـودة فهو جيد، ووصف البارى تعالى بالجود لما نبه عليه قوله تعالى: «أعطى كل شىء خلقه ثم هدي»(٣).

---

(١) اشترط العلماء للعـمل بالحديث الضعيف ـ فى الفضائل ونحوها خـاصة ـ أن لايكون الضعف شديدًا، وأن يكون مندرجًا تحت أصل عام والأ يعـتقد عند العمل به ثبوته. كذا فى مقدمة فـتح الملهم نقلاً عن فتح المغيث للسخاوى (ص ١٣٨). ومثله فى مقدمة إعلاء السنن نقلا عن الدر المختار (١: ٥٨).

(٢) البقرة: ٢٤٦ .

(٣) طه: ٥٠ .

(*) فى ط (بها) والتصويب من (ك).

٢٦٠ ـ * وعنه، أن النبى ﷺ قال: «مَنهومان لايشبعان: منهومٌ فى العلم لايشبع منه، ومنهومٌ فى الدنيا لايشبع منها». روى البيهقى الأحاديث الثلاثة فى «شعب

وأقول: «من» الاستفهامية مبتدأ، و«أجود» خبره، و«جودا» تميز مزال عن الأصل فيه وجهان: أحدهما أن أجود أفعل من الجودة، أى أحسن جودًا وأبلغه. وثانيهما من جود الكرم، أى من الذى جوده أجود؟ فيكون إسنادًا مجازيًا، كما فى قولك: جد جده. أو استعارة مكنية شبه جوده بإنسان يصدر منه الجود، ثم خيل أنه إنسان جواد بعينه، ثم نسب إليه ما يلازمه من الجود مبالغة لكماله فى صاحبه، وعليه قوله تعالى: ﴿**يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية**﴾(١) الضمير فى «أشد» للخشية، لا للناس؛ لأن أفعل إذا نصب ما بعده كان غير الذى قبله، كقولك: زيد أفره عبدًا، فالفراهة للعبد لا لزيد، والضمير فى «أجود» راجع إلى «بنى آدم» على تأويل الإنسان، أو للجود.

وقوله: «أميرًا وحده» أى وحده كالجماعة فيها أمير مأمور، نحو قوله فى الرواية الأخري: قال الله تعالى: ﴿**إن إبراهيم كان أمة قانتًا**﴾(٢) أى كان وحده بمنزلة الجماعة مجتمعة على أمر عظيم، يقتدون ** عظيما، لحيازته الكمال والأخلاق الحميدة، وأنشد:

وليس من الله بمستنكر ... أن يجمع العالم فى واحد

قال ابن مسعود: إن معاذًا كان أمة قانتًا لله، فقيل له: ذاك إبراهيم؟ فقال؟ الأمة الذى يعلم الخير. وروى عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: ﴿**معاذ أمة قانت لله، ليس بينه وبين الله تعالى يوم القيامة إلا المرسلون**﴾. انظر إلى هذه الكريمة (٣) كيف جعلت العالم ثانى المرسلين فى هذا الحديث، ورابع أربعة فيما نحن بصدده: الله عز وجل، وحبيبه، وخليله صلوات الله عليهما و«بعدي» يحتمل البعد فى المرتبة، وفى الزمان، والأول أظهر. ونشر العلم يعم التدريس، والتصنيف، وترغيب الناس فيه.

الحديث الثانى عشر عن أنس: قوله: «منهومان» «نه»: النهمة بلوغ الهمة فى الشيء، وفى الحديث: «إذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله» ومنه النهم من الجوع. أقول: إن ذُهب فى الحديث إلى الأصل كان «لايشبعان» استعارة لعدم انتهاء حرصهما، وإن ذهب إلى الفرع يكون تشبيهًا لبيانه بقوله: «منهوم فى العلم»، جعل أفراد المنهوم ثلاثة: أحدها المعروف، وهو المنهوم من الجوع، والآخرين من العلم والدنيا، وجعلهما أبلغ من المتعارف، ولعمرى إنه كذلك، وإن كان المحمود منهما هو العلم، ومن ثم أمر الله تعالى حبيبه ﷺ بقوله: ﴿**قل رب**

---

(١) النساء: ٧٧.

(٢) النحل: ١٢٠.

(٣) أى المكرُمة.

* فى ط (تميز) والتصويب من (ك).

** فى ط (يعتدون) والتصويب من (ك).

الإيمان» وقال: قال الإمام أحمد فى حديث أبى الدرداءِ: هذا متنٌ مشهور فيما بين الناس، وليس له إِسنادٌ صحيح [٢٦٠].

٢٦١ ـ * وعن عون، قال: قال عبدالله بن مسعود: منهومان لايشبعان صاحبُ العلمِ، وصاحبُ الدنيا، ولا يستويان؛ أما صاحب العلم فيزداد رضىً للرحمن، وأما صاحب الدنيا فيتمادى فى الطغيان. ثم قرأ عبدالله: **﴿كلاّ إنَّ الانسانَ ليطغى أنْ رآه استغنى﴾** قال: وقال الآخر: **﴿إِنما يخشى اللهَ من عباده العلماء﴾**. رواه الدارمي[٢٦١].

زدنى علما﴾(١)، ويعضده ما فى الحديث الآتى من قوله: «أما صاحب العلم فيزداد رضى للرحمن» والله أعلم.

الحديث الثالث عشر عن عون: قوله: «قال: وقال: الآخر» أى قال عون: وقال ابن مسعود بعد قراءته ما سبق، وهو قوله تعالى: **﴿إن الإنسان ليطغى﴾**(٢): الآخر أى الاستشهاد الآخر هو قوله تعالى: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾**(٣) وفى الآيتين المستشهدتين تلويح إلى بعد الحالتين، وأنشد:

---

[٢٦٠] قال الشيخ الألبانى فى تخريجه المشكاة: أما حديث أبي الدرداء، فأخرجه جماعة أعلى طبقة من البيهقي، أرفعهم أبو بكر الشافعي في «الفوائد» (٤/ ٣٧/ ٢) وفيه عبدالملك بن هارون بن عنترة. قال ابن معين: كذاب، ومن طريقه أخرجه ابن حبان في «الضعفاء» واتهمه به، كما قال الحافظ بن حجر في «الأربعين العوالى» (رقم٤٥) ثم ذكر أن جميع طرق هذا الحديث ضعيفة، وبعضها أشد ضعفا من بعض، وأنه لا ينجبر بها، بل هو ضعيف باتفاق الحفاظ، كما نقله النووي في «خطبة الأربعين»، فلا تغتر بما في «المرقاة» من محاولة تأويل كلام النووي والميل إلى رفع الحديث إلى درجة الحسن؛ لأنه ذهول عما ذكره علماء المصطلح من أن شدة الضعف تمنع ذلك.

وأما حديث أنس الأول، فرواه أيضًا أبو يعلى، قال الهيثمي (١/ ١٦٦): وفيه سويد بن عبدالعزيز، وهو متروك الحديث. وعزاه المنذري لأبي يعلى والبيهقي، وأشار لضعفه.

وأما حديث أنس الثاني: وهو «منهومان» فقد رواه من هو أعلى طبقة من البيهقي، وهو شيخه الحاكم، أخرجه في «المستدرك» (١/ ٩٢) من طريق قتادة عن أنس مرفوعًا. وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم أجد له علة. ووافقه الذهبى. قال الشيخ الألبانى فى تخريجه للمشكاة: علته أن قتادة مدلس وقد عنعنه، لكن الحديث عندى صحيح؛ فإن له طريقًا أخرى عن حميد عن أنس عند ابن عدى وابن عساكر وله شاهد من حديث ابن عباس عند أبى خيثمة فى «العلم» (ق١٩٣/ ١) وسنده لا بأس به فى الشواهد أ.هـ.

[٢٦١] فى سننه (١/ ٩٦) بسند صحيح عن عون، وهو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى، ولم يسمع من ابن مسعود، فهو منقطع.

(١) طه: ١١٤. (٢) العلق: ٦. (٣) فاطر: ٢٨.

٢٦٢ ـ * وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أناسًا من أمتى سيتفقهون فى الدين ويقرأون القرآن، يقولون: نأتى الأمراءَ فنصيبُ من دنياهم ونَعتزلِهُم بديننا. ولايكونُ ذلك، كما لايجتنى من القتادِ إلا الشوكُ، كذلك لايجتنى من قُربهم إلا ـ قال محمد بن الصباح: كأنه يعنى ـ الخطايا» رواه ابن ماجه[٢٦٢].

راحت مشرقة وراحت مغربة فأنى يلتقى مشرق ومغرب(١)

فإن طالب الدنيا يزداد بعدًا من الله تعالى لسوء أدبه، وجرأته على الله تعالى، وصاحب العلم يزداد قربًا لخشيته الله ومراعاته أدب الحضرة القدسية. والله أعلم.

الحديث الرابع عشر عن ابن عباس: قوله: «سيتفقهون» أى سيدَّعون الفقه فى الدين ويأتون الأمراء. فإن قيل لهم: كيف تجمعون بين التفقه والتقرب إليهم؟ يقولون: نأتى إلى آخره. «ولا يكون ذلك» أى لايصح ولا يستقيم الجمع بين الأمرين؛ لما سبق أن مثل هذا النفى مستلزم لنفى الشىء مرتين تعميما أو تخصيصًا. ثم ضرب له مثلاً بقوله: «كما لايجتنى» شبه التقرب إليهم إصابة جدواهم، ثم طلب الخيبة فالخسران(*) والخسارة فى الدارين بطلب الجنى من القتاد، فإنه من المحال؛ لأنه لايثمر إلا الجراحة والألم. وتخصيص المشبه به بالقتاد، وأنه لايصلح إلا للنار تلميح إلى أن المشبه لايستأهل إلا لها، وكذا من ركن إليهم تمسهم النار، كما قال الله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾(٢)، والاستثناء من باب قوله:

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

وأطلق المستثنى ليعم فى جنس المضرة، أى لايجدى إلا مضار الدارين، ويدخل فيه الخطايا أيضًا.

روى أن الزهرى لما خالط السلاطين كتب إليه أخ له فى الدين: عافانا الله وإياك! أبا بكر(**) من الفتن، فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك. أصبحت شيخًا كبيرًا، وقد أثقلتك نعم الله بما فهَّمك من كتابه، وعلَّمك من سنة نبيه، وليس كذلك أخذ الله الميثاق علي العلماء، قال الله تعالى: ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾(٣). واعلم أن أيسر ما ارتكبت، وأخف ما احتملت ـ أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقًا، ولم يترك باطلا حين أدناك، اتخذوك قطبًا تدور عليك رحى باطلهم، وجسرًا

[٢٦٢] وإسناده ضعيف، فيه عنعنة الوليد بن مسلم، وعبيد الله بن أبى بردة لم يوثقه أحد حتى ولا ابن حبان! فلا يغتر بقول المنذرى: ورجاله ثقات. ولذلك قال البوصيرى فى «الزوائد» (ق٢٠/ ١): إسناده ضعيف. كذا قال الشيخ.

(١) وفي نسخة : شتان بين مشرق ومغرب.

(٢) هود: ١١٣ . (٣) آل عمران: ١٨٧ .

(*) فى ط (ثم الخيبة) وما أثبتناه من (ك). (**) فى ط (إنا نكر) والتصويب من (ك) و (أبا بكر) هى كنية الزهرى وهو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله. انظر التقريب (٢/ ٢٠٧).

(***) كذا فى (ط) وفى (ك): «بحال السلاطين ينبغى والأوفق ما أثبتناه.

٢٦٣ ـ * وعن عبدالله بن مسعود، قال: لو أن أهل العلم صانوا العلم، ووضعوه عند أهله، لسادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم؛ فهانوا عليهم. سمعت نبيَّكم ﷺ يقول: «من جعل الهموم همًّا واحداهمَّ آخرته، كفاهُ الله همَّ دنياه، ومن تشعَّبتْ به الهمومُ [في] أحوالِ الدنيا، لم يبالِ اللهُ في أيِّ أوديتِها هلك» رواه ابن ماجه [٢٦٣].

٢٦٤ ـ * ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمر من قوله: «مَن جعلَ الهمومَ» إلى آخره .

يعبرون عليك إلى بلائهم* وسلما يصعدون فيك إلى ضلالهم، يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء؛ فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أكثر ما أَخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك! فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا﴾(١) فإنك تعامل من لايجهل، وتحفظ عليك من لايغفل، فداو دينك فقد دخله سقم، وهيء زادك فقد حضر السفر البعيد، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء، والسلام. وعن محمد بن مسلمة: الذباب على العذرة أحسن من قارىء على باب هؤلاء.

الحديث الخامس عشر عن عبدالله بن مسعود: قوله: «لسادوا به» وذلك أن العلم رفيع القدر، يرفع قدر من يصونه من الابتذال، قال الله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾(٢). قال الزهري: العلم ذكر لايحبه إلا ذكور الرجال أى الذين يحبون معالى الأمور، ويتنزهون عن سفسافها.

قوله: «سمعت نبيكم» هذا الخطاب توبيخ للمخاطبين، حيث خالفوا أمر نبيهم، فخولف بين العبارتين افتنانًا. هم بالأمر يهم إذا عزم عليه. قوله:** «الشعب» من الوادى ما اجتمع منه

---

[٢٦٣] في سننه (رقم ٢٥٧) وفيه نهشل بن سعيد كما قال الشيخ ثم قال:. قال ابن راهويه: كان كذابًا. وقال أبو حاتم والنسائي متروك، لكن ذكر له البوصيري في «الزوائد» (ق٢٠/ ١) شاهدًا من حديث أنس. قلت: وفيه يزيد الرقاشي، وهو ضعيف، فلو أنه استشهد له بحديث زيد بن ثابت عند ابن ماجة (رقم ٤١٠٥) لكان أولى؛ لأن سنده صحيح. أ.هـ

(١) مريم: ٥٩ .

(٢) المجادلة: ١١ .

* في ط: (بلادهم) وما أثبتناه من (ك) وهو الأوفق للسياق.

** غير موجودة في (ط) وأثبتناها من (ك).

٢٦٥ ـ * وعن الأعـمش، قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «آفـةُ الـعلمِ النسـيـانُ، وإِضاعتُه أن تُحدِّث به غيرَ أهله» رواه الدارمى مرسلاً [٢٦٥].

٢٦٦ ـ * وعن سفـيان، أنَّ عـمر بن الخطاب، رضى اللهُ عنه، قـال لكَعْب: مَنْ أربابُ العلِمِ؟ قـال: الذينَ يَعـملونَ بما يعلَمـون. قـال: فمـا أخـرَجَ العلمَ من قُلوب العلماءِ؟ قال: الطَّمعُ. رواه الدارمى [٢٦٦].

طرف، وتفرق طرف، وشعـبت الشيء إذا فرقته. «وهم آخرته» بدل من ثانى مفـعول «جعل»، وكذا قوله: «أحوال الدنيا» من فاعل «تشعـبت»، وعدل من ظاهر قوله، وجعل هم الدنيا هموماً إلى «تشعبت الهـموم به» ليؤذن بتصرف الهـموم فيه وتفريقـها إياه فى أودية الهلاك، وأن الله تعالى تركه وهمومه، ولم يتكفل أحواله، بخلاف الأول فإنه تكفل الله تعالى أمر همومه بنفسه، وكفاه مؤنته. والله أعلم.

الحديث السادس عشر عن الأعمش: قوله: «آفة العلم النسيان» ظاهر.

الحديث السابع عشر عن سـفيان: قوله: «من أرباب العلم» أى من الذى ملك العلم ورسخ فيه، ويـستحق أن يسمى بهـذا الاسم؟ وأجاب بقوله: «الذين يعـملون بما يعلمون» وهم الذين سماهم الله تعالى الحكـماء فى قوله تعالى: ﴿من يؤتَ الحكمة فقد أوتى خـيراً كثيراً﴾(١) لأن الحكيم* من علم دقائق الأشياء وأتقنها برصانة العمل، ولذلك ذيله بقوله: ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾(٢) وقد سبق شـرحه. فعلم منه أن العالم مـا لم يعمل لم يكن من أرباب العلم، بل كان كمثل الحمار يحمل أسفاراً(٣). والفاء فى «فما أخرج» جزاء شـرط محذوف، والتعريـف فى «العلم» للعـهد الخارجي، وهو مـا يعلم من قوله: «أرباب العلم» أى إذا كـان أرباب العلم من جمع بين العلم والعمل فلـم ترك العالم العمل؟ وما الذى دعاه إلى ترك العـمل ليعزل عن هذا الاسم؟ قال: الطمع فى الدنيا، والرغبة فيها.

---

[٢٦٥] قال الشـيخ الألبانى: قلت: بل هو معـضل؛ فإن الأعمش لم يسـمع من أحد من الصحـابة، حتى ولا من أنس، وإنما رآه فقط.أ.هـ.

[٢٦٦] فى سننه (١/ ١٤٠) وإسناده مـعضل،كـما ذكـرالشيخ، ثم قـال: وسفـيان هو الثـورى، وبينه وبين عمـر مفـاوز، ثم رواه (١/ ١٣٩) من طريق عبيـد الله بن عمر أن عـمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام. فـذكره، وهو معضل أيضًا.

(١) البقرة: ٢٦٩.
(٢) آل عمران: ٧.
(٣) يشير إلى قوله تعالى فى سورة الجمعة آية ٥
(*) فى (ط): (الحكم) والتصويب من (ك).

٢٦٧ ـ * وعن الأحْـوَص بن حكيم، عن أبيـه، قال: سـألَ رجلٌ النبيَّ ﷺ عن الشرّ. فقـال: «لاتسألوني عن الشرّ، وسلوني عن الخير» يقـولُها ثلاثًا، ثم قال: «ألا إنَّ شرَّ الشرِّ شِرارُ العُلماءِ، وإنَّ خيرَ الخَيرِ خِيارُ العُلماءِ» رواه الدارمي[٢٦٧].

٢٦٨ ـ * وعن أبى الدَّرْداءِ، قال: إنَّ من أشَـرِّ الناسِ عندَ اللهِ مَنزلَةً يومَ القيـامة: عالمٌ لا يَنتفعُ بعلمِه» رواه الدارمى [٢٦٨].

٢٦٩ ـ * وعن زياد بن حُدير، قال: قـال لى عُمَرُ: هل تعرفُ مـا يَهدمُ الإسلامَ؟ قال: قلـتُ: لا! قال : يهدِمُـه زَلَّةُ العالمِ، وجِـدالُ المُنافِقِ بالكتاب، وحُكْـم الأئمَّةِ المُضِلين. رواه الدرامي[٢٦٩].

الحديث الثامن عـشر عن الأحوص: قوله: «يقولـها ثلاثًا» حال من فاعل «قال»، والضـمير المؤنث راجع إلى الجـملة، وهى قوله: «لاتسـألوني» إلى آخـره. وإنما نهى النبى عليه الـصلاة والسلام عن مثل هذا السؤال وكرر ثلاثًا لأنه نبى الرحمة ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(١). وإنما كانوا شر الشر وخير الخير لأنهم سـبب صلاح العالم، وإليهم تنتهى أمور الدين والدنيا، وبهم الحل والعقد، ومن ثم فسر بعضـهم «أولى الأمر» بالعلماء فى قوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعـوا الرسول وأولى الأمـر منكم﴾(٢). فإذا فـسدوا فسد الناس كلهم، وفـسادهم متابعـتهم الهوى، وركونهم إلى الظلمة، لطمع حطام الدنيا. والله أعلم.

الحديث التاسع عشر عن أبى الدرداء رضى الله عنه: قوله: «إن من أشر الناس» أى من شر الناس. «الجوهري»: هو لغة ضعيفة، و«من» فيه زائدة، و«عالم» خبر «إن».

الحديث العـشرون عن زياد: قـوله: «ما يهدم» الهـدم إسقاط البناء، وهـدم الإسلام تعطيل أركانه الخـمس المذكورة فى قـوله عليه الصلاة والسـلام: «بنى الإسلام على خـمس» الحديث،

---

[٢٦٧] فى سننه (١/ ١٠٤) وسنده واه؛ فإن الأحوص ومن دونه إلى الدارمى كلهم ضـعفاء، ثم هو على ذلك مرسل؛ لأن الحكيم وهو ابن عمير تابعى روى عن عمر وغيره، كذا قال الشيخ الألبانى فى تخريج المشكاة.

[٢٦٨] إسناده ضعيف.

[٢٦٩] ذكره فى رسالة عباد بن عباد الخواص الشامى (ح٦٤٩) سنن الدارمى بلفظ: وقد ذكر عن عمر أنه قال لزياد: هل تدرى ما يهدم الإسلام؟.. فذكره. والحديث صححه الشيخ الألبانى فى تخريج المشكاة.

(١) الأنبياء: ١٠٧. (٢) النساء: ٥٩.

* فى ط : (متابعة) وما أثبتناه من (ك).

٢٧٠ ـ * وعن الحسن، قال: العلمُ عِلمان: فعلمٌ فى القلب فذاكَ العلمُ النافع، وعلمٌ على اللِّسانِ فذاك حُجَّةُ الله عزَّ وجل على ابنِ آدَم. رواه الدارمى [٢٧٠].

وتعطيله إنما يحصل من زلة العالم، وتركه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باتباع الهوى، ومن جدال المبتدعة وغلوهم فى إقامة البدع بالتمسك بتأويلاتهم الزائغة، ومن ظهور ظلم الأئمة المضلين وحكم المزورين . وإنما قدمت زلة العالم لأنها هى السبب فى الخصلتين الأخيرتين، كما جاء: «زلة العالم زلة العالم» والله أعلم.

الحديث الحادى والعشرون عن الحسن: قوله: قوله: «فعلم» الفاء تفصيلية، وفى قوله: «فذلك» سببية، من باب قوله: «خولان فانكح» أى هؤلاء خولان الذين اشتهرت نساءهم بالرغبة فانكح منهم، فكذلك قوله: «علم فى القلب» دل على كونه مرغوبًا فيه، فرتب عليه ما بعده. وفى عكسه قوله: «فذلك حجة الله»، فإن* ذلك صاحب العلم اللسانى** الذى لم يتأثر منه بقلبه محجوج عليه، ويقال له: ﴿لم تقولون ما لاتفعلون﴾(١).

ويمكن أن يحمل الحديث على علمى الظاهر والباطن. قال أبو طالب المكي: علم الظاهر وعلم الباطن هما علمان أصلان** لايستغنى أحدهما عن صاحبه، بمنزلة الإسلام والإيمان، مرتبط كل واحد منهما بالآخر كالجسم والقلب، لاينفك أحدهما من صاحبه. وقال روينا فى بعض الأخبار أن فى بعض الكتب المنزلة على بنى إسرائيل: «لاتقولوا: العلم فى السماء من ينزل به، ولا فى نجوم الأرض من يصعد به، ولا من وراء البحار من يعبر يأتى به. العلم مجعول فى قلوبكم، تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين، وتخلقوا بأخلاق الصديقين؛ أظهر العلم من قلوبكم حتى يغمركم ويعطيكم». وقيل: علم الباطن يخرج من القلب فيقع على القلب، وعلم الظاهر يخرج من اللسان فلا يجاوز الأذن.

قال الشيخ أبو حامد فى الإحياء: من انكشف ولو الشيء اليسير له بطريق الإلهام والوقوع فى القلب من حيث لايدرى، فقد صار عارفًا بصحة الطريق، ولم يره▲ ذلك من نفسه قط، فينبغى أن يؤمن به؛ فإذن درجة المعرفة فيه غزيرة جدًا. ويشهد لذلك شواهد الشرع، والتجارب، والوقائع، فكل حكمة تظهر فى القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو

---

[٢٧٠] إسناده صحيح قال الشيخ الألبانى: ثم رواه هو يعنى الدارمى وابن عبدالبر(١/ ١٩٠) عنه مرفوعًا وسنده صحيح أيضًا، كما قال المنذري؛ لكنه مرسل من مراسيل الحسن، وقد عرفت مما سبق ضعفها. وقد وصله الخطيب البغدادى فى تاريخه (٤/ ٣٤٦) من حديث جابر مرفوعًا، وفيه يحيى بن يمان، وهو ضعيف، وآخر مجهول العدالة فلا تغتر بمن حسن إسناده.

(١) الصف: ٢.

* سقطت من «ط» وأثبتناها من (ك).

** فى ط (اللدنى) ولا يخفى بعده، والتصويب من (ك).

*** كذا فى (ك).

▲ فى ط (يره) والتصويب من (ك).

٢٧١ - * وعن أبى هريرة، قـال: حـفظتُ من رسـول الله ﷺ وعـاءين؛ فـأمَّـا أحدُهما فبَثَـثتُه فيكم، وأمَّا الآخرُ فلو بَثَثْتُه قُطعَ هذا البُـلْعوم - يعنى مجرى الطعام -. رواه البخاري.

بطريق الكشف والإلهـام. قال تعـالى: ﴿ومن يتق الله يجعـل له مـخـرجًا ويرزقـه من حـيث لايحتسب﴾[1]، قيل: يجعل له مـخرجًا من الإشكالات والشبه، ويرزقه من حـيث لا يحتسب فيعلمه علـمًا من غير تعلم، ويفطنه من غير تجـربة. وروي: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» وقـول على رضى الله عنه: «ما عندنا إلا مـا فى القرآن، إلا فـهمـا يعطى الرجل فى كتابه» وليس هذا بالتعلم، وسيأتى فى الحديث الذى يليه لمعة من تلك اللمعات.

الحديث الثانى والعشرون عن أبى هريرة: قوله: «وعائين» شبه نوعى العلم بالظرفين لاحتواء كل منهما مـا لـم يحتويه* الآخر، ولـعل المراد بالأول علم الأحكام والأخلاق، وبالثـانى علم الأسرار المصون عن الأغيار، المختص بالعلماء بالله من أهل العرفان*. وأنشد الشيخ أبو حامد لزين العابدين فى المنهاج:

يارب جوهر علـم لو أبـوح بــه لقيل لي: أنت ممن تعبد الوثنا

ولا ستحل** رجال مسلمون دمى يـرون أقبـح مـا يـأتونـه حسنًا

قال بعض العـارفين: العلم المكنون والسر المصـون علم هذه الطائفة، وهو نتـيجة الخـدمة، وثمرة الحكمة، لا يظفر به إلا الغواصون فى بحار المجاهدات، ولا يسعد به إلا المصطفون بأنوار المشاهدات، إذ هو أسرار متمكنة فى القلوب، لا يظهر إلا بالرياضة، وأنوار ملمعة فى العيون لا تنكشف إلا للقلوب المرتاضة، وأهل الغرة بالله لها منكرون، وعنها مدبرون.

قال شـيخنا شيخ الإسلام أبـو حفص السهروردى قـدس الله سره: علومهم كلهـا إنباء عن وجدان. وإغـراء إلى عرفان، وذوق محـقق بصدق الحال، ولم يف بنطـق المقال، فاستـعصت نكتها علـى الإشارة، وطفحت[2] على العبـارة، وتهاديهـا الأرواح بدلالة الالتئـام والائتلاف، وكرعت حقـائقها من حر الألطاف، وقد اندرس كـثير من دقيق علومهم كما انطمس كـثير من حقائق رسومهم. وقد قال الجنيـد رحمه الله: علمنا هذا طوى بساطه منذ كذا سنة، ونحن نتكلم فى حواشيه. وروى الشـيخ أبو طالب المكى عنه أنه قال: لو أن العلم الذى أتكلم به من عندى لفنى وانقطع، ولكنه من حق بدا، وإلى حق يعود.

---

١) الطلاق: ٢ - ٣ . (٢) وفى نسخة: طمحت.

*فى ط (يحتو به) والتصويب من(ك).

** فى ط (يستحل) والتصويب من (ك).

* هذا توجيـه بعيـد لكلام أبى هريرة رضى الله عنه، والراجح أن العلم الذى يخـفيـه هو أخبار الفـتن من نحو إخباره ﷺ بإمارة الصبـيان والسفهاء وتغلب أهل الفساد فـهذا هو الذى يخشى أبو هريرة رضى الله عنه من إظهاره، وما كان لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ شيء يختصون به أنفسهم دون الناس فى باب المعرفة بالله تعالى والله تعالى أعلم.

وقال بعض العارفين: من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة.

وقال آخر: من كان محبًا للدنيا، أو مصرًا على الهوى ـ لم يتحقق بشيء من هذا العلم أبدًا. وقال آخر: من كان فيه خصلتان لم يفتح له من هذا العلم حرفان، كبر وبدعة. وقد سبق نبذ من هذا من أوائل حالهم ومنشأ علومهم فى الحديث السابق. ومما أنشد:

تنافس أهل الجود فى طلب المجد ... وحثوا مطايا الشوق فى مخلص القصد
وداموا لعزم السير فى طلب العلى ... ففازوا بطيب الوصل من دوحتى نجد
إذا ما دعوا يومًا لكشف ملمة ... لهم همم تسمو إلى العلم الفرد
هم القوم هاموا فاستقاموا على السرى ... رأيت الفتى النشوان كالأسد الورد
بحار الحياء والحلم والعلم والتقى ... ديار السخا والعز والشكر والحمد
كنوز الصفا والعشق والصدق والولا ... لهم من بحار الغيب ورد على ورد
عليهم سلام الله ما هبت الصبا ... قبيل ابتسام الصبح فى طالع سعد[1]

لعمري! لقد أحسن وصدق فيما قال وأجاد، إذا ما دعوا يومًا لكشف ملمة البيت؛ لأنهم هم الرجال الذين استقاموا على ما قالوا، وصدقوا فيما عاهدوا. وأما المتسمون برسمهم والمسمون باسمهم، الذين قنعوا من الحقيقة بالاسم والرسم، وتقنعوا بالمراقع والرقص فليسوا من الرجال فى شيء بل هم أعجز من العجائز فى المعارك.

قال الشيخ أبو حامد ـ رحمه الله ـ : متصوفة أهل الزمان ـ إلا من عصمه الله تعالى ـ اغتروا بالرأي، والمنطق، والهيئة من السماع والرقص، والطهارة، والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله فى الجيب كالمتفكر، ومن تنفس الصُعداء**، أو خفت الصوت فى الحديث إلى غير ذلك، فظنوا بذلك أنهم منهم، فلم يتعبوا أنفسهم قط فى المجاهدة والرياضة، ومراقبة القلب، وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية، وكل ذلك من أوائل منازل المتصوفة ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم من الصوفية، فكيف ولم يحوموا قط حولها؟ بل يتكالبون على الحرام والشبهات، وأموال المسلمين، ويتنافسون فى الفلس والرغيف والحبة، ويتحاسدون على النقير والقطمير، ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه فى شيء.

ومثالهم مثال عجوز سمعت أن الشجعان تكتب أسماؤهم فى الديوان، فتاقت نفسها أن يكتب اسمها فيهم، فلبست درعًا ووضعت على رأسها مغفرًا، وتعلمت كيفية تبخترهم فى الميدان وحركاتهم والتفاتهم وشمائلهم فيها، وتوجهت إلى المعسكر، فلما نفذت إلى ديوان

(1) وفى نسخة : قابل السعد، وفى (ك) :

هم القوم هاموا فاستقاموا على السرى ... لهم همم تسمو إلى العلم الفرد
إذا ما دعوا يوماً لكشف مُلمة ... رأيت الفتى النشوان كالأسد الورد

كذا ترتيب ذين البيتين فى (ك) ولعلهَ الأوفق.

** فى ط (الصعد) وما أثبتناه من (ك).

٢٧٢ ـ * وعن عبدالله بن مسعود، قال: يا أيُّها الناسُ! مَن عَلِمَ شيئًا فليقلْ به، ومَن لم يَعلمْ فلْيقُل: اللهُ أعلمُ، فإنَّ من العلمِ أن تقولَ لما لا تَعلم: اللهُ أعلم. قال اللهُ تعالى لنبيِّه: (قُلْ ما أسألُكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلِّفين)·متفق عليه.

العرض، وأمرت بالتجرد عن المغفر والدرع لتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان، فإذا هى عجوز ضعيفة، فقيل لها: أجئت للاستهزاء بالملك؟ ولاستحماق أهل حضرته؟ فحينئذ تنكل نكالا ليس بعده. هكذا حال المدعين فى القيامة إذا كشف عنهم الغطاء، وافتضحوا على رؤوس الأشهاد.

وقال: ومنهم طائفة ادعت علم المعرفة، ومشاهدة الحق، ومجاوزة المقامات والأحوال، ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامى والألفاظ، إلا أنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها، ويظن أن ذلك علم أعلى من علم الأولين والآخرين، فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين بعين الازدراء فضلاً عن العوام، حتى إن الفلاح يترك فلاحته، والحائك حياكته، ويلازمهم أيامًا، ويتلقف منهم هذه الكلمات المزيفة يرددها، كأنه يتكلم عن الوحي، ويخبر عن سر الأسرار، ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء، فيقول فى العباد: إنهم أجراء متعبون، ويقول فى العلماء: إنهم بالحديث عن الله تعالى محجوبون، ويدعى لنفسه أنه الواصل إلى الحق، وأنه من المقربين، وهو عند الله من الفجار والمنافقين، وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين.

ومنهم من يقول: الأعمال بالجوارح لا وزن لها، وإنما النظر إلى القلب، وقلوبنا عاكفة والهة بحب الله تعالى، وإنما نخوض الدنيا بأبداننا وقلوبنا فى الحضرة الربوبية، فنحن مع الشهوات بالظواهر لابالقلوب، وهم يرفعون بذلك درجة أنفسهم عن درجات الأنبياء إذ كان يصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة، حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية.

وأصناف غرور أهل الإباحة من المتشبهين بالصوفية لاتحصى، وأنواع الغرور فى طريق السلوك إلى الله تعالى لا تحصر فى مجلدات، ولاتستقصى إلا بعد شرح علوم المكاشفة، وذلك مما لارخصة فى ذكره، إذ السالك لهذا الطريق لايحتاج إلى أن يسمعه من غيره، والذى لم يسلكه لم ينتفع بسماعه، بل ربما يستضر به؛ إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع مالا يفهم.

الحديث الثالث والعشرون عن عبدالله: قوله: «أن تقول لما لاتعلم» «أن تقول» اسم «إن»، و«من العلم» خبره. و«الله أعلم» عبارة عن لا أدري. أى بعض العلم قول لا أدري. وذلك أن المفتى إذ أفتى بكل ما يُسأل لايخلو إما أن يكون جد عالم، أو يكون بخلافه، كما ورد: «حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جُهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»، أو يكون

٢٧٣ ـ * وعن ابن سيرين، قال: إنَّ هذا العلمَ دِينٌ؛ فانظروا عمَّن تأخُذون دينكم. رواه مسلم.

٢٧٤ ـ * وعن حُذيفةَ، قال: يامعشَر القُرّاء! استَقيموا، فقد سبَقتُم سَبْقًا بعيدًا، وإِنْ أَخذْتمْ يمينًا وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا. رواه البخاري.

متوسطًا يميز بين ما يعلم وما لم يعلم، فيفتي بما يعلم، ويقول: «الله أعلم» فيما لايعلم. كما سئل مالك عن أربعين مسئلة، فقال في ستة وثلاثين: لا أدري.

قوله: ﴿وما أنا من المتكلفين﴾(١) أى من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله، وما عرفتموني قط متصنعًا، ولا مدعيًا ما ليس عندي. روينا في صحيح البخاري أن عمر رضى الله عنه قرأ ﴿وفاكهة وأبًا﴾(٢) قال: فما الأب؟ ثم قال: ما كلفنا ـ أو قال: ما أمرنا ـ بهذا. وفى الكشاف عن أبى بكر رضى الله عنه أنه سئل عن الأب؟ فقال: أى سماء تظلني وأى أرض تقلني إذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به؟ والله أعلم.

الحديث الرابع والعشرون عن ابن سيرين: قوله: «إن هذا العلم» التعريف فيه للعهد، وهو ما جاء به الرسول صلوات الله عليه لتعليمه الحق من الكتاب والسنة، وهما أصول الدين، والمراد بالمأخوذ منه العدول الثقات المتقنون كما سبق فى الحديث الآخر من الفصل الثاني، وهو قول: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله» الحديث. و«عن» صلة «تأخذون» على تضمين معنى يروون، ودخول الجارة على الاستفهام هنا كدخوله فى قوله تعالى: ﴿على من تنزل الشياطين﴾(٣) تقديره: أعمن تأخذون. وضمن «انظر» معنى العلم، والجملة الاستفهامية سدت مسد المفعولين تعليقًا.

الحديث الخامس والعشرون عن حذيفة: قوله: «القراء» «نه»: فى الحديث: «أكثر منافقى أمتي قراؤها» وهم الذين يحفظون القرآن نفيًا للتهمة عن أنفسهم ويعتقدون تضييعه، وكان المنافقون فى عصر النبى ﷺ بهذه الصفة.

أقول ـ وبالله التوفيق ـ : إن الناس لم يخلقوا إلا للعبادة، والعبادة لا تتم إلا بالإخلاص، والمقصود منهما تقرب العبد إلى الله، وكان العبد يتحرى فيهما السير إلى الله، ويتوخى سلوك طريق الاستقامة ليوصله إلى المقصود، والطريق هو الإسلام والاستسلام، وإليه الإشارة بقوله

---

(١) ص: ٨٦.
(٢) عبس: ٣١.
(٣) الشعراء: ٢٢١.

٢٧٥- * وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تعوَّذوا بالله من جُبّ الحُزْن». قالوا: يارسولَ الله ! وماجُبُّ الحزْن؟ قال: «واد فى جهنَّم تتعوَّذُ منه جهنم كلَّ يومٍ أربعمائة مرة». قيل: يارسول الله ! ومَن يَدْخُلُها؟ قال: «القُراءُ المُراؤون بأعمالِهم». رواه الترمذى ، وكذا ابن ماجه، وزاد فيه: «وإنَّ منْ أبْغَض القُراءِ إلى الله تعالى الذين يَزورون الأمراء». قال المحاربي: يعنى الجَورَة [٢٧٥].

تعالى: ﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾(١) فمن سلك الطريق، وثبت عليها،ولم يأخذ يمينًا وشمالاً، فقد فاز فوزًا عظيمًا، وسبق من ركب متن الرياء وأخذ عن يمين الصراط وشماله، ثم إذا ثبت المرائى، ودام على اعوجاجه، ولم يرجع إلى المستقيم*، هام فى أودية الضلال، وأداه الشرك الأصغر إلى الشرك الأكبر- أعاذنا الله منه- وهو المراد بقوله: «ضللتم ضلالاً بعيدًا».

«غب»: الضلال العدول عن الصراط المستقيم، وتضاده الهداية، ويقال لكل عدول من المنهج، عمدًا كان أو سهوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا-ضلال: فإن الطريق المستقيم الذى هو المرتضى صعب جدًا . قيل: كوننا مصيبين من وجه، وكوننا ضالين من وجوه كثيرة، فإن الاستقامة والصواب يجرى مجرى المقرطس من المرمى، وما عداه من الجوانب كلها ضلال، فإذا كان كذلك صح أن يستعمل لفظ الضلال فى من يكون منه خطأ ما، ولذلك نسب الضلال إلى الأنبياء** وإلى الكفار، وإن كان بين الضلالين بون بعيد.

الحديث السادس والعشرون عن أبى هريرة : قوله: «جب الحزن» هو علم، والإضافة فيه كما هى فى دار الإسلام، أى دار فيها السلامة من آفة وحزن. و«من يدخلها» عطف على محذوف ، أى ذلك شئ عظيم هائل، فمن الذى يستحقه؟ ومن الذى يدخل فيه؟ والتعوذ من جهنم هنا كالنطق منها فى قوله تعالى: «هل من مزيد» (٢) وكالتميز وكالتغيظ فى قوله تعالى: «تكاد تميز من الغيظ» (٣) والظاهر أن يجرى ذلك على المتعارف؛ لأن الله على كل شئ قدير.

«الكشاف»***: سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذى يقصد به تصوير المعنى فى

---

[٢٧٥] قال الشيخ الألباني: وقال الترمذى (٢/ ٦٢): حديث حسن غريب ، كذا فى نسختنا من السنن، ونقل المنذرى فى «الترغيب» (١/ ٣٣) أنه قال: غريب فقط، وهذا هو الأقرب، وإلا فتحسينه بعيد عن الصواب ؛ فإن فيه عمار بن سيف الضبى وهو ضعيف، عن أبى معاذ البصرى واسمه سليمان بن أرقم، وهو متروك، والحديث ضعيف جدًا.

(١) الأنعام: ١٥٣ . (٢) ق: ٣٠. (٣) الملك: ٨.

* كذا فى الأصول ولعلها : «الصراط المستقيم»

** كنحو قوله تعالى : «ووجدك ضالاً فهدى».

*** فى ط : (غب) ، وما أثبتناه من (ك) وهو الصواب.

٢٧٦ - * وعن علي، قـال: قـال رسول الله ﷺ: «يوشِـكُ أنْ يأتى على الناسِ زمانٌ لايبقى من الإسلامِ إلا اسمُه، ولايبقى من القُـرآن إلا رَسمُه، مساجدُهم عامرةٌ وهى خَـرابٌ من الهُـدَى، عُلماؤُهـم شَرٌّ منْ تحت أديمِ السَّـمـاءِ، مِن عندهِم تخـرُجُ الفتنةُ، وفيهم تعودُ» رواه البيهقى فى «شعب الإيمان»[٢٧٦].

القلب وتبيينه، وتميزها وتغـيظها تشبيه لشدة غليانها بالكفار بغـيظ المغتاظ وتميزه واضطرابه عند الغضب.

الحديث السـابع والعشـرون عن على: قوله: «أن يأتى» أتى مـتعد إلى مـفعـول واحد بلا واسطة، فـعدى بعلى ليـشعـر بأن الزمان عليـهم حينئـذ بعد أن كـان لهم. وفى معنـاه قول الجرهمى:

أتت دون ذاك الدهر أيام جرهم وطارت [بذاك]* العيش عنقاءُ مُغْرِبُ

وخص القرآن بالرسم والإسلام بالاسم دلالة على مراعـاة القراء لفظ القرآن من التجويد فى حفظ مخارج حروفه، وتحسين الألحان فيه؛ دون التـفكر فى معانيه، والامتثال بأوامره، والانتهاء عن نواهيه، وليس كذلك الإسلام؛ فإن الاسم باق، والمسمى مدروس ، فإن الزكاة التى شرعت للشفقـة على خلق الله اندرست، ولم يبق منها عين ولا أثر، وأكثر الـناس ساهون عن الصلاة تاركونها** ، وليس أحد يـأمرهم بالمعروف فـيقـيمونـها، وعلى هذا قولـه: «وهى خراب من الهدى» أى من ذى الهدى أو الـهادى؛ لأنه لو وجد الهادى لوجد هدى، فـأطلق الهدى وأريد الهادى على سـبيل الكناية، وهو يحـتمل مـعنيين: أحدهما أن خـراب المساجـد من أجل عدم الهادى الذى ينفع الناس بهداه فى أبواب الدين ويرشدهم إلى طريق الخير. وثانيهما أن خرابها لوجود هداة السوء الذين يزيغون الناس ببدعتهم وضلالـتهم، وتسميتهم بالهداة من باب التهكم كما فى قوله تعالى: ﴿وأضل فرعون قومه وماهدى﴾ (١) «الكشاف»: تهكم به فى قوله تعالى: ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ (٢) ولهذا المعنى عقب هذه الجملة على سبـيل الاستئناف لبيان الموجب بقوله: ﴿علماؤهم شر من تحت أديم السمـاء﴾ إلى آخره. و«فى» فى «فيهم تعود» كفى فى قولهم: ﴿أو لتعودن فى ملتنا﴾ (٣) وقوله: ﴿ولأصلبنكم فى جذوع النخل﴾ (٤) أى يستقر

---

[٢٧٦] ورواه ابن عدى فى الكامل (ق٢٢٢/ ٢) وأبو عـمرو الدانى فى «السنن الواردة فى الفتن» (ق١٢/ ١) عن على موقوفًا عليه، وفيه بشر بن الوليد القاضى وفيه ضعف، وكأن قد شاخ وخرف. كذا قال الشيخ.

(١) طه: ٧٩ (٢) غافر: ٢٩ (٣) إبراهيم: ١٣ (٤) طه: ٧١

* من «ك» وفى «ط» «بذلك والصواب ما أثبتناه ** كذا بالأصل بإثبات النون.

٢٧٧ - * وعن زياد بن لَبيد، قال: ذكر النبيُّ ﷺ شيئًا ، فقال: «ذاك عند أوان ذهاب العلم». قلتُ: يارسول الله ! وكيف يذْهب العلمُ ونحنُ نقرأ القرآنَ ونقرئه أبناءنا، ويُقرِؤه أبناؤُنا أبناءَهم إلى يوم القيامة؟ فقال: «ثكلتْك أمُّك زيادُ! إنْ كنتُ لأراك من أفْقه رجُلٍ بالمَدينة! أو لَيْسَ هذه اليهودُ والنَّصارى يقرءونَ التَّوراةَ والإنجيلَ لايعملونَ بشيءٍ ممَّا فيهما؟!» رواه أحمد، وابن ماجه ، وروى الترمذى عنه نحوه[٢٧٧].

٢٧٨ - * وكذا الدَّراميُّ عن أبى أمامة [٢٧٨].

٢٧٩ - * وعن ابن مسعود، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ : «تعلَّموا العِلمَ

عود ضررهم فيهم، ويتمكن منهم كل التمكن، و«أديم السماء» وجهه، وكذا «أديم الأرض» وهو صعيدها. وقيل: منه اشتق اسم آدم لكون جسده منه.

الحديث الثامن والعشرون عن زياد: قوله: «شيئًا» التنكير فيه للتهويل، أى شيئًا هائلا، والواو فى: «وكيف» للعطف، أى متى يقع ذلك الهول؟ وكيف يذهب العلم والحال أن القرآن بين الناس مستمر دائم إلى يوم القيامة؟ وعند وجود القرآن كيف يذهب العلم؟ و«إن» فى : «وإن كنت لأراك» مخففة من المثقلة، واللام علامة لها، وضمير الشأن محذوف، و«أفقه» ثانى مفعول «أراك» و«من» زائدة فى الإثبات، أو متعلقة بمحذوف، أى كائنًا من أفقه رجل، وأضاف أفعل إلى المفرد النكرة إرادة للاستغراق.

قوله: «لايعملون بشئ» حال من فاعل «يقرأون»، يعنى يقرأون التوراة والإنجيل غير عاملين بشئ مما فيهما. نزل العالم الذى لم يعمل بعلمه منزلة الجاهل بل هو بمنزلة الحمار الذى يحمل أسفارًا.

الحديث التاسع والعشرون عن ابن مسعود: قوله: «تعلموا العلم» قد مضى شرح مافى معناه فى الحديث الخامس والعشرين وما يليه من الفصل الثانى. قوله: «إنى امرؤ مقبوض» كقوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾(١) أى كونى امرأ مثلكم علة لكونى مقبوضًا* لا أعيش أبدًا.

---

[٢٧٧] رجال إسنادهما ثقات، ولكنه منقطع، لكن له شاهدان تقدم الكلام عليهما برقم (٢٤٥). كذا قال الشيخ الألبانى.

[٢٧٨] فى سننه (١/ ٧٧) ورجاله ثقات، لكن الحجاج وهو ابن أرطاة مدلس وقد عنعنه. ورواه ابن ماجة (رقم ٢٢٨) من طريق أخرى واهية مختصرة. ولم أجده عند الترمذى عن زياد بن لبيد، وإنما رواه عن أبى الدرداء كما تقدم أ . هـ كلام الشيخ الألبانى من المشكاة.

(١) الكهف: ١١٠.

* سقطت فى (ط) وأثبتناها من (ك).

وعلمـوهُ الناسَ، تعلَّموا الفـرائضَ وعلموها النَّاس، تعلمـوا القُرآنَ وعلمـوه النَّاسَ؛ فإني امـرؤٌ مقبوضٌ، والعِـلمُ سَينقبضُ، وتظهـرُ الفتنُ حتى يختلِف اثنانِ فى فـريضةٍ لايجدانِ أحدًا يَفصِلُ بينهما». رواه الدارمى ، والدارقطنى[٢٧٩].

٢٨٠ - * وعن أبى هريرة، قـال: قـال رسـولُ الله ﷺ: «مَـثَلُ علمٍ لايُنتَـفعُ به كمثَلِ كَنزٍ لايُنفقُ منه فى سَبيلِ الله» رواه أحمد، والدرامي[٢٨٠].

الحديث الثلاثون عن أبى هريرة: قـوله: «مثل علم لاينتفع» هذا التشبيـه على نحو قولهم: «النحو فى الكلام كالملح فى الطعام» فى الصلاح باستعمـالهما، والفساد بإهمالهما، لافى القلة والكثرة، تشبـيه العلم بالكنز وارد فى مجرد عـدم النفع فى الانتفاع والإنفاق منهـما، لافى أمر آخر، وكيف لا؟ وإن العلم يزيد بالإنفاق والكنز ينقص، والعلم باق، والكنز فان.

فإن المال يفنى عن قريب ... وإن العلم باق لايزال

---

[٢٧٩] فى سننه (١/ ٧٢- ٧٣) والدارقطنى (ص٤٥٩) وفيه سليمان بن جـابر الهجرى، وهو مجهول، ومن طريقه رواه الترمـذى أيضًا، لكنه لم يسق لفظه، ورواه من حديث أبى هريرة أيضًـا مختصرًا وتقـدم الكلام عليه (رقم ٢٤٤). كذا قال الشيخ الألبانى.

[٢٨٠] فى المسند (٢/ ٤٩٩) من طريق ابن لهيعة، عن دراج أبى السـمح وكلاهما ضعـيف، لكنه عن الدارمى (١/ ١٣٤) من طريق أخـرى، وفيه إبراهيم بن مسلم الهجـرى، وهو ضعـيف، فالحـديث بمجموع الطريـقين حسن لاسيما وأن له شاهدًا عن ابن عمر مرفوعًا، رواه ابن عـبد البر، وسنده حسن، لولا أن فيه من لم أجد لهم ترجمة. هذا كلام الشيخ الألبانى

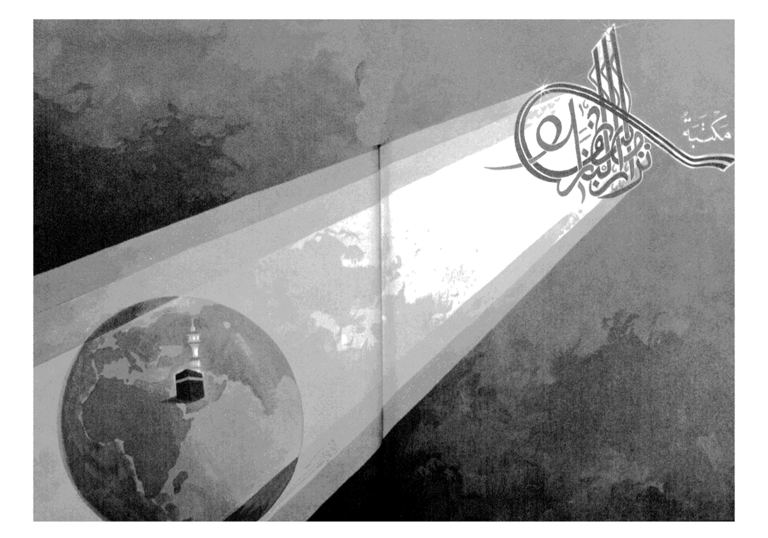
بسم الله الرحمن الرحيم

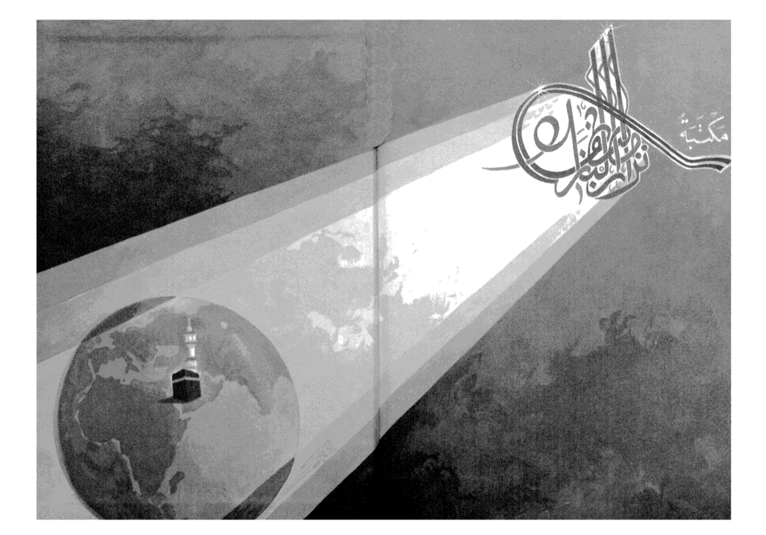
فهرس الجزء الثاني لشرح الطيبى *

***** تنبيه هام:**

فهارس النحو والصرف واللغة وعلوم البلاغة، والكتب والمصادر التي نقل عنها الطّيبي، وفهارس الأحاديث والرجال وغير ذلك ـ مثبتة على التفصيل في الجزء الأخير من الكتاب وهو الخاص بفهارس الكتاب كما أثبتنا به كذلك قائمة بمراجع التحقيق، وقائمة بأعمال المحقق من الكتب المصنفة والمحققة.

❁ ❁ ❁


مكتبة


مكتبة

